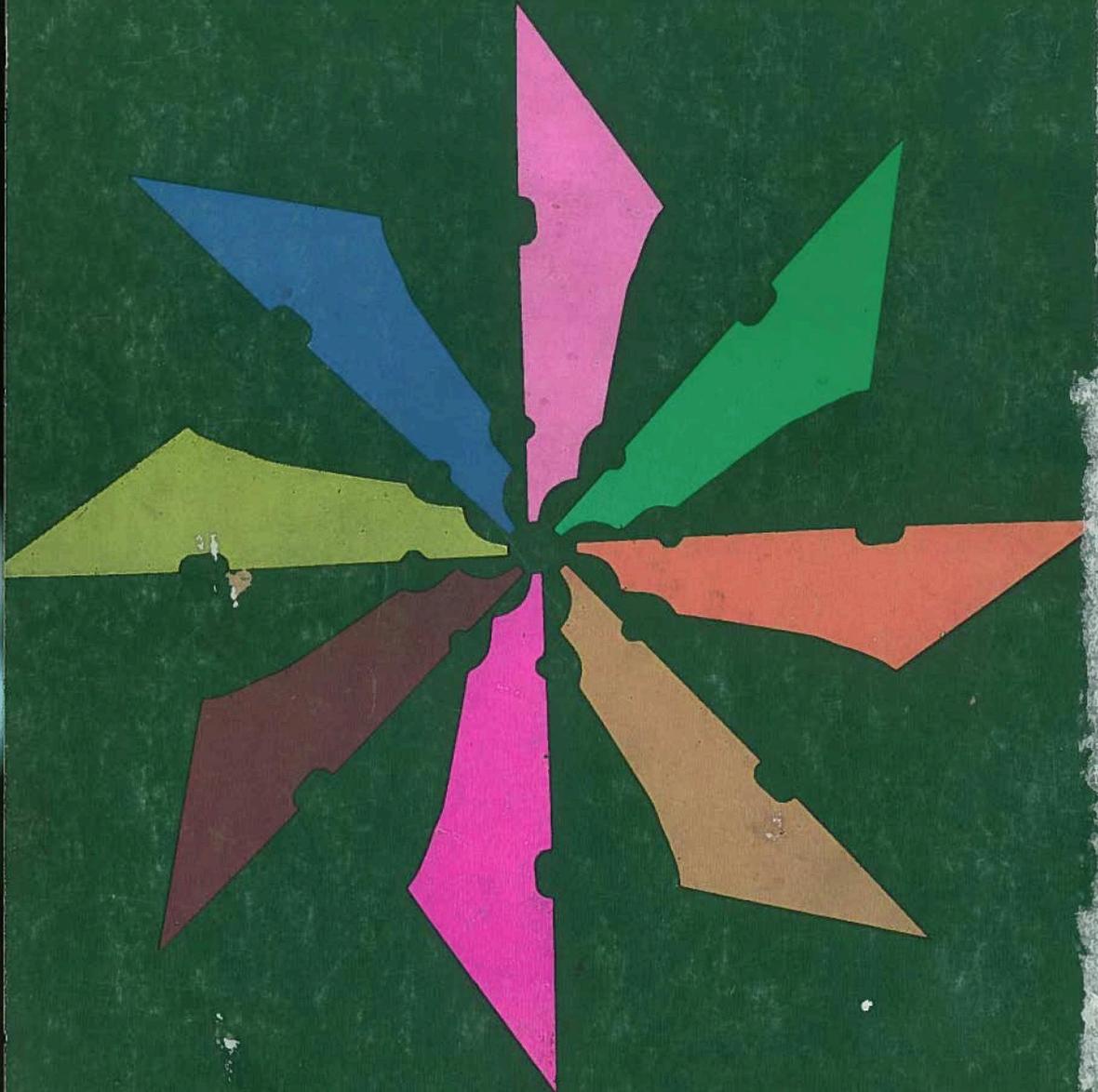


# لشؤون فلسطينية

ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٥

٤٩



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٥

رقم ٤٩

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .  
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشترك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء  
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

**العنوان :** بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني  
( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،  
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،  
برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٤ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والمراق ،  
٤٩/٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،  
٨٠ ل.ل. في أوروبا وأفريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في أمريكا وأستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

## المحتويات

- صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، محمود درويش .
- ٨ فلسطين في القمة الافريقية ، نبيل الرملوي .
- ١٧ اسرائيل والامم المتحدة : عضوية مشروطة ، ج.ه. جانسن .
- ٢٢ محاولة اولي في اطروحة : شرق الاردن الفلسطينية ، عصام بخيني .
- ٢٨ الاوبك وسياسة المجابهة النفطية ، رهن بدوي .
- ٣٦ اسرائيل والاحتكارات النفطية ، الدكتور سلمان رشيد سلمان .
- ٤٦ دور القرى الامامية العربية في مواجهتنا مع العدو الاسرائيلي ، العميد الركن محمد الشاعر .
- ٧٣ هجرة المهندسين العرب والمعركة ، الدكتور الياس زين .
- ٩٦ النمو الحضري في فلسطين ، الدكتور عبدالله ابو عياش .
- ١٠٨ الارض في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، خليل السواحري .
- ١٢٠ الشعب — البطل في التاريخ بين « أم سعد » غسان كنفاني و « عجوز » افنان القاسم ، الدكتور فيصل دراج .
- ١٢٩ ثقافة ، الياس خوري .

١٤١ **مراجعات :** المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، الدكتور خيرية تاسمية . نصوص للثورة الفلسطينية ١٩٦٨ — ١٩٧٤ ، سلمى حداد . تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧—١٩١٨ ، عبد العال الباقوري . ثيودور هرتزل ، فارس المنصوري . موعظة الجهل ، اميرة الزين .

١٦٠ **تقارير :** (١) التربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل ، يوسف حمدان . (٢) هل بدأت تتحقق نبوءة توينبي في عودة الاسرائيليين الى « المهجر » ، محمد أحمد رمضان . (٣) المستشرقون ومعاهد الاستشراق في اسرائيل ، حمدان بدر . (٤) النزاع العربي — الاسرائيلي في كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية في الولايات المتحدة، د. ايباد القزاز . (٥) الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة ، محمود شقير .

٢٠٢ **رسائل من العالم :** (١) النظام الجديد في البرتغال والصراع العربي — الاسرائيلي ، عبد المنعم عباس . (٢) اسرائيل والحركة الانفصالية في نيجيريا ، نازلي معوض أجد .

٢١٠ **شهريات :** (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليًا . (٣) المناطق المحتلة ، عينى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، يوسف حمدان وحنه شاهين ومكرم يونس وسمير جريس . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضة . وملحق : الاعتداء على صور في ضوء الاختيارات اللبنانية ، ناشى طه . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو من ٧/١٥ — ١٥/٨/١٩٧٥ ، غازي خورشيد .

شكوى  
الجندي  
الفصيح

محمود درويش

جكسَ الجنديُّ في الرمل . وقال :

وطني يبدأ مني ، وأراه

ماشياً في دودة القزّ - وفي الخبز

أراه

يرفعُ الماء عن الماء ليسقي برتقاله

وأراه

يوقظُ الآلةَ في الفجر . ويصطاد السمك .

وطني ليس غزاةً

وطني يبدأ مني ، وأراه

يتجلى في يدي نهر سنابل

ولهذا .. سأقاتل

وأقاتل .

\* \* \*

ومشى الجندي في النار وقال :

وطني يبدأ منّي

فاختصرني يا دمي تتسع الأرض وروحي .

ومشى الجندي في عرس الجروح

واشعل

واكتمل

مثل قرص من ضياء وعسل .

وطني ليس بعيداً كاله

وطني يبدأ منّي ، وأراه

جسداً تحت القنابل

ولهذا .. سأواصل

وأقاتل .

\* \* \*

جلس الجندي في السجن ، وصاح :

في تمام الانفجار

وعلى باب النهار

أفرغوني من دم النهر ،

ومن واجب ترويض الرياح .

أخذوا مني سلاحي وسؤالي عن جنود الاحتلال

وأعادوني الى وقت الرمال .

وانتهى دوري ..

تساءلت : هل المسرح يحتاج الى ألفي شهيد

والى عشرة آلاف جريح ونشيد ؟

ضربوني . سحبوني من بياض الرمل . ثم اعتقلوني

مدخل السجن شجر

ونياشين' على الأغصان والجدران... ..

مدح وخطوطٌ وصُورٌ.

وتساءلتُ : مَنْ القاضي؟

أجابوني : الوطن .

قلتُ : مَنْ !!

قالوا بصوت واحد : نحن الوطن !.

وأضاف الضابطُ الأوّلُ والسوطُ المائه :

إنّ للجنديّ مسؤوليتَيْن

الموتَ

والصمتَ

فقلتُ : إنني مُتَّهَمٌ بالرغبة في خوض القتال

فأجاب الضابطُ الأوّلُ والسوطُ المائه :

إنتهكتَ الصمتَ في هذا السؤالِ

فلتمّ في السجن بين الأوبئة

وسندعوك ، إذا شئنا ، إلى دورٍ جديدٍ

ولهذا .. لا تقاتلْ

لا تقاتلْ

\*\*\*

جكّسَ الجنديُّ في السجن ، وغنّى :

جئتُ من عائلة الطين

ومن آية « أمين »

على أكتاف « كان »

كان لي حلمٌ ، وأمٌّ ، كان لي كيسٌ ذرّةٌ

جئتُ من أيِّ مكانٍ

من وعود امرأةٍ مُنكسِرةٍ

جئتُ من فتحة ثوبٍ أدخلتُ روعي إلى أولِ رُكْبهِ  
علّمتني العادةَ السريّةَ الأولى  
وأشكالَ الدخانِ

جئتُ من أيِّ مكانِ

جئتُ من لحية شيخٍ ..

جئتُ من إيقاع خطبه

عن دخول الريف في عهد الصناعات الخفيفة

وعن التحرير والتطوير والفتح المبين

جئتُ من عائلة الطين

ومن آية آمنين

على صوت قذيفته

جئتُ كي أحمي الوطن

تحت رايات الخليفة

وانتهى دوري . تساءلت :

هل المسرح يحتاج إلى ألفي شهيد ؟

والى عشرة آلاف جريح ؟

وانتهى دوري لكي أختار دوري من جديد

فلقد شاهدتهم

كيف يرمون سرايين الوطن

في تجاعيد الأناشيد وفي قصر الخلافة

وطني ليس خرافه

وطني يبدأ مني ، وأراه

شارعاً بين السلاسل

ولهذا .. سأواصل

وأقاتل

وأقاتل ..

## فلسطين في القمة الافريقية

نبيل الرملاوي

قبل أن تبدأ منظمة التحرير الفلسطينية حملتها السياسية من أجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة كانت تدرك كل الادراك ردود الفعل المختلفة المتوقعة لهذه الحملة سواء من العدو الاسرائيلي او من الدول الرأسمالية الاستعمارية الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، بل كانت على يقين من ان هذه الحملة سوف تفرز المواقف العربية وتوضح حقيقتها ، لانها لا تحتل الموارد والخداع السياسي ، وإنما تفرض على الاطراف المعنية اعلان مواقفها بكل صراحة ووضوح . وإذا كان ذلك هو هدف من أهداف منظمة التحرير الفلسطينية لحملتها السياسية تلك ، فان الهدف الاساسي بالاضافة الى اخراج اسرائيل من دائرة الشرعية الدولية ، هو افضال المخططات الامريكية الصهيونية التي تجري الآن من أجل انتهاء الصراع مع العدو الصهيوني بما سمي بالحلول السلمية وما تنطوي عليه من أخطار جسيمة ومصيرية تستهدف الثورة الفلسطينية أساسا والامة العربية ومستقبلها بشكل عام .

وهذا امر منطقي بالنسبة للثورة الفلسطينية التي تدرك الآن بأن خيارات ثلاثة امام الامة العربية في تعاملها مع العدو الصهيوني ، وهي :

- ١ - انتهاء الصراع مع العدو .
- ٢ - تجريد الصراع مع العدو .
- ٣ - استمرار اشعال الصراع مع العدو من أجل تحقيق الاهداف الوطنية والقومية بالتحرير الكامل .

فاذا كانت هناك اطراف عربية تعمل من أجل تجريد او انتهاء الصراع مع العدو فان ذلك لا يتطابق مع منطق الثورة الفلسطينية ولا مع طبيعتها ولا مع أهدافها .

فقضية فلسطين التي حمل شعبها السلاح وبأشر قتال العدو منذ سنوات من أجلها ، ما زالت قائمة وسيظل هذا الشعب يحمل سلاحه ويقاتل حتى يحقق أهدافه الوطنية ، وان أية محاولة لتجميد الصراع او انتهاء الصراع مع العدو من أي جانب كان لا يعني الشعب الفلسطيني منها شيئاً اللهم الا زيادة جبهات الاعداء وضرورة مضاعفة وتصعيد كفاحه كما ونوعاً .

وكان من الطبيعي أن تبدأ المنظمة عملها من أجل انجاح هذا الهدف على المستوى العربي ثم الاسلامي ثم الافريقي ثم عدم الانحياز لتصل بالتالي الى الجمعية العامة للامم المتحدة .

## على الصعيد العربي

انطلقت المنظمة ، في تحركها السياسي باتجاه طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، من نص ومضمون قرارات مؤتمر القمة العربي السابع التي جاءت تحت البند الاول باسم ( الهدف المرحلي للامة العربية ) والبند الثاني باسم ( الاسس التي يقوم عليها العمل العربي المشترك ) والبند الثالث من الفقرات العاملة والبند الرابع فقرة ( ١ ) باسم ( في مجال المنظمات والمحافل الدولية ) .

فقد جاء في الفقرة الثالثة من البند الاول من القرارات ما يلي :

( الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق ما تقرره منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ) .

وجاء في الفقرة الثالثة من البند الثاني ما يلي :

( عدم قبول أي محاولة لتحقيق أي تسويات سياسية جزئية انطلاقاً من قومية القضية ووحدتها ) .

وجاء في الفقرة الثالثة من البند الثالث ما يلي :

( دعم منظمة التحرير الفلسطينية في ممارسة مسؤولياتها على الصعيدين القومي والدولي في اطار الالتزام العربي ) .

كما جاء في الفقرة اوب من البند الرابع ما يلي :

( الاستفادة من الامم المتحدة ومؤسساتها لكشف اسرائيل ، واستصدار المزيد من القرارات بشأن قضيتي فلسطين والشرق الاوسط التي من شأنها عزل اسرائيل سياسياً وإعلامياً لدى الرأي العام العالمي ، ومحاولة الحصول على اجراءات أكثر فاعلية لكشف مناورات اسرائيل ورفضها تنفيذ قرارات المنظمات الدولية وابرار ذلك أمام الرأي العام العالمي وتحميلها مسؤولية اعاقه الجهود باتجاه اقامة السلام العادل ) .

ب - ( تعزيز التعاون مع مجموعة عدم الانحياز ، والعمل على تنفيذ قرارات مؤتمر القمة الرابع لعدم الانحياز ، وطرح موضوع تطبيق عقوبات الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة ، على اسرائيل ، والمطالبة بطردها من الامم المتحدة ، وذلك في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي سيعقد في صيف عام ١٩٧٥ ، تمهيداً لطرح الموضوع أمام الدورة الثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة ) .

وبناء على هذه النصوص الصريحة فقد أرسلت الدائرة السياسية للمنظمة مذكرة الى الامن العام لجامعة الدول العربية في أواخر شهر يونيو ( حزيران ) الماضي تبلغه فيها ان المنظمة عازمة على الالتزام بقرارات مؤتمر القمة العربي السابع فيما يتعلق بالعمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة وذلك بطرح الموضوع على كل من مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية والقمة الافريقية ووزراء خارجية دول عدم الانحياز . كما طلبت المنظمة اشعار الدول العربية الشقيقة الاعضاء بذلك لمساندة ودعم المنظمة في هذا التوجه التزاماً بقرارات القمة العربية وتصعيداً للنضال السياسي ضد العدو الصهيوني على المستوى الدولي ، غير ان الدائرة السياسية للمنظمة لم تتسلم نسخة من تعميم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية على الدول الاعضاء بهذا الخصوص حتى الآن .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية السادس بجدة

حمل الوفد الفلسطيني إلى المؤتمر الوزاري السادس للدول الإسلامية بجدة مشروع قرار خاص بقضية فلسطين تضمن المطالبة بتنفيذ قرارات المؤتمرات الإسلامية السابقة بخصوص قضية فلسطين ، كما تضمن فقرته نهائية في الديباجة تقول ( وأذ يعتبر أن الإبقاء على عضوية إسرائيل في منظمة الأمم المتحدة أمر يتناقض مع مبادئ وميثاق الأمم المتحدة وتشجيع للتمرد على قراراتها وتواطؤ مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية ) .

وفقرة عاملة أخرى تقول ( يقرر دعوة الدول الاعضاء للعمل في المحافل والمنظمة الدولية على طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، ويطلب من الدول الاعضاء تكليف ممثلها في الأمم المتحدة بالعمل على انجاح هذا القرار ) ، كما تضمنت كلمة الاخ ابو لطف رئيس الوفد تعليلا سياسيا وقانونيا لهاتين الفقرتين واعلانا بمطالبة المنظمة بالعمل على طرد إسرائيل من الأمم المتحدة . ومن ناحية أخرى كان الوفد السوري قد تقدم بمشروع قرار خاص بقضية الشرق الاوسط تضمن فقرة عاملة طالبت الدول الاعضاء بالعمل على حرمان إسرائيل من عضوية الأمم المتحدة وذلك بالعمل على الغاء قرار الجمعية العامة رقم ( ٢٧٣ ) ( دورة ٣ ) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٩ المتعلقة بقبول إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة وذلك بسبب انتهاكاتها للشرعين الاساسيين اللذين بني عليهما ذلك القرار وهما :

١ - تعهدتها دون تحفظ بالالتزامات الواردة في ميثاق الأمم المتحدة واحترام هذه الالتزامات منذ اليوم الاول الذي تصبح فيه عضوا في الأمم المتحدة .

٢ - تعهدتها بتطبيق القرار رقم ( ١٨١ ) ( دورة ٢ ) بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ والقرار رقم ١٩٤ ( دورة ٣ ) بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ المتعلق بوجوب السماح بعودة اللاجئين الى وطنهم .

وقد اعتبر مشروع القرار الفلسطيني على درجة اكبر من القوة والشمول بالنسبة للمشروع السوري لسبب أساسي وهو ، ان اية محاولة لالغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي قضى بقبول إسرائيل عضوا في هيئة الأمم المتحدة يتطلب اجراءات مسبقة من بينها توصية من مجلس الامن بالالغاء ، ذلك لان قرار القبول المعنوي والمقصود بالالغاء قد صدر بناء على توصية مسبقة من مجلس الامن نفسه ، في حين قرار طرد إسرائيل من الأمم المتحدة لا يحتاج في كل الحالات الى توصية من مجلس الامن بناء على المادة الثامنة عشرة من الميثاق . وبناء على احكام المواد التي اجازت للجمعية العامة اتخاذ قرار الفصل بحق اية دولة تمعن في انتهاك مبادئ الميثاق . . .

ومع ذلك فقد وافق المؤتمر بالإجماع على المشروعين ، المشروع الفلسطيني باعتباره قرارا خاصا بقضية فلسطين والمشروع السوري الذي تبنته مصر في النهاية وأصبح قرارا خاصا بقضية الشرق الاوسط . ومع صدور هذين القرارين عن المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الإسلامية والذي ضم اثنين وأربعين دولة أصبحت قضية طرد إسرائيل من الأمم المتحدة محط انظار الرأي العام العالمي في المؤتمرات الدولية . كما أصبحت على درجة كبيرة من اهتمام الدوائر السياسية العالمية . وبدأت دول العالم تشكل لجان عمل في وزارات خارجيتها للبحث في موضوع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة وانعكاساته على ضوء تهديدات الولايات المتحدة الأمريكية بايقاف التزاماتها ازاء الهيئة الدولية والانسحاب منها في حالة نجاح الجمعية العامة للأمم المتحدة في طرد

اسرائيل من بين اعضائها . ومن ناحية أخرى بدأ العالم يتطلع الى مؤتمر كمبالا للقمة الافريقية وما سيخرج عنه في هذا المجال ، في حين أسرع الولايات المتحدة الأمريكية تتصل بالعديد من الدول لحثها على معارضة اي قرار يمكن أن يصدر بهذا الشأن في المؤتمر الافريقي بالإضافة الى تصعيد حملتها العامة ضد الاتجاه الذي بدأ يتبلور حول هذا الموضوع .

### المؤتمر الثاني عشر لمنظمة الوحدة الافريقية — كمبالا

كما هو معروف وجهت الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في أعمال مؤتمري وزراء الخارجية الخامس والعشرين والقمة الثاني عشر لمنظمة الوحدة الافريقية اللذين عقدا في مدينة كمبالا عاصمة أوغندا . وقد عقد المجلس الوزاري قبل عشرة أيام من بدء انعقاد مؤتمر القمة لبحث في القضايا التي ستعرض على مؤتمر الرؤساء . وكما فعل الوفد الفلسطيني في مؤتمر جدة حمل الى مؤتمر كمبالا مشروع قراره الذي تضمن نفس النصوص التي تبنت في قرار جدة الى حد ما وفي نفس الوقت تقدم الوفد المصري بنفس المشروع السوري الذي تقرر في جدة ليكون مشروع قرار الشرق الاوسط . ولقد بدأت الضجة في المؤتمر حول هذا الاتجاه منذ افتتاحه بالكلمة التي توجه من خلالها الرئيس الاوغندي عيدي أمين وطالب بطرد اسرائيل من الامم المتحدة نظرا لصلفها وانتهاكها لمبادئ ميثاق الامم المتحدة وتمردها على قراراتها وعدم التزامها بالارادة الدولية .

ونظرا لاهمية القضايا الافريقية على جدول أعمال مجلس الوزراء فقد كان ترتيب مشروع القرار الفلسطيني يحمل رقم ٩ ومشروع القرار المصري يحمل رقم ١٠ ، وبعد الفراغ من أهم القضايا الافريقية انتقل مجلس الوزراء لبحث مشروع القرار الفلسطيني . فتصدت السنغال ثم زائر ، ثم نيجيريا الى الفقرة الحادية عشرة في المشروع وهي التي تنص على طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، فعبرت زائر عن موقفها ازاء هذا الاتجاه الذي اعتبرته من الاهمية بمكان بحيث يجب أن يبحث على ضوء الوحدة الافريقية ، ومن هذه الزاوية أعلنت زائر رفضها للفقرة ( ١١ ) ، ثم تحدث مندوب السنغال الذي عبر عن مخاوفه من الفشل في هذا الموضوع الذي يعود الامر فيه الى مجلس الامن ، ولهذا أعلن عن تحفظه على الفقرة المذكورة . وبعدهما تحدث ممثل نيجيريا ( قبل الانقلاب ) الذي أعلن عن ان افريقيا تسير باتجاه تحمل مسؤولية تحرير فلسطين ، وهذا امر لا تضطلع به افريقيا ، وعارض الفقرة ( ١١ ) . غير أن كلا من الجزائر وليبيا وغينيا وبوروندي قد تحدثوا لصالح القرار وطالبوا المؤتمر بالموافقة عليه كما جاء اليهم ولكن وزير خارجية اوغندا الذي كان يترأس الجلسة قد أعلن ان مشروع القرار الحالي لم يعرض على لجنة الصياغة ، ولهذا طلب احواله الى لجنة الصياغة على ان يتم البحث فيه الى جانب مشروع القرار المصري على ضوء تعديلات لجنة الصياغة عليه ووافق المجلس على ذلك .

### العمل داخل لجنة الصياغة

تكونت لجنة الصياغة من خمس عشرة دولة الى جانب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، وبدأ نقاش مشروع القرار الفلسطيني في الساعة الحادية عشرة ليلا حتى الثالثة صباحا ، تولى خلالها ممثل المنظمة تبديد المخاوف التي برزت في المؤتمر من احتمال الفشل ووضح الجوانب السياسية والقانونية والاجرائية السلمية التي يمكن ان تشكلها الجمعية العامة للامم المتحدة في طردها لاسرائيل من عضويتها ، وكانت

النتيجة ان وافقت اربع عشرة دولة على النص الانساني للفقرة العاملة ( ١١ ) من مشروع القرار امام ممثل السنغال الذي اعلن في النهاية انه لا يملك التعليمات التي تخوله بالموافقة على هذه الفقرة ولهذا لم يستطع الموافقة . وهنا برزت الدرجة الكبيرة من الاهتمام الافريقي في موضوع الاجماع على القرارات . واصبح كل ممثل يتحدث عن ضرورة الاجماع مما حمل الوفد الجزائري على الاتصال بممثل المنظمة للاتفاق على تعديل بسيط لعله يستقطب ممثل السنغال وجاء التعديل كما يلي : ( يوجه نداء الى الدول الاعضاء لكي تفوض ممثلها في الامم المتحدة لاتخاذ الاجراءات الملائمة التي تؤدي الى طرد اسرائيل من المنظمة الدولية ووكالاتها المتخصصة حين تعرض مسألة فلسطين على الجمعية العامة خلال دورتها ال ٣٠ ، وان يتم ذلك بالتعاون مع دول عدم الانحياز والدول الصديقة الاخرى ) . غير ان هذا التعديل الذي وافقت عليه المنظمة من أجل ان ينال الاجماع الافريقي لم يحظ بموافقة السنغال الدولة الوحيدة في لجنة الصياغة التي اعلنت تحفظها عليه مما حمل رئيس الجلسة على اثناء الموضوع واعتبار التعديل مقبولاً من لجنة الصياغة مع تسجيل تحفظ السنغال على الفقرة ( ١١ ) ورفع مشروع القرار الى مجلس الوزراء لبحثه تمهيدا لرفعه الى مؤتمر القمة . وكان مجلس الوزراء في انتظار انتهاء لجنة الصياغة من اعمالها حيث كان قد أنهى جميع القرارات الاخرى . وعندما بدأ النقاش حول المشروع المعدل والذي أصبح يسمى بمشروع قرار فلسطين مقدماً من لجنة الصياغة ، تحدث كل من ممثل تونس ، توجو ، الجزائر ، غينيا ، الصومال ، ليبيا ، السودان ، بوروندي ، موريشيوس ، المغرب ، جزر القمر ، جزر الرأس الأخضر ، غينيا بيساو ، المؤتمر القومي الافريقي ، مالي ، الى جانب القرار وتأييده بشدة ، كما تحدث كل من ممثلي السنغال ، نيجيريا ، زائير ، غانا ، ليبيا ، ضد القرار وعلى وجه التحديد ضد الفقرة العاملة رقم ( ١١ ) ، كما تحدث من ناحية ثالثة كل من ممثلي سيراليون ، الكيمرون ، فولتا العليسا ، بالعموميات وانتهوا الى التهرب من تحديد موقف واضح ازاء القرار . ومن هنا بدأت اتجاهات تركز على ضرورة الوحدة الافريقية ، وضرورة العمل على ايجاد صيغة يتفق عليها الجميع . ثم بدأت بعض الاصوات التي كانت ضامنة عندما كان النقاش محتداً ، بدأت تتحدث عن موقفها الذي لن يكون الامع الاجماع ، واخذ النقاش يطول حول الصيغ والتعديلات التي لم يفز أي منها بالاجماع . واثناء هذه الجلسة بالذات وفي هذا الجو المحتد وصلت الى قاعة المؤتمر اوراق وكالات الانباء التي تقول ان الرئيس السادات صرح بالخرطوم انه لا يحبذ طرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقد تلقف هذا الخبر كل الذين اعترضوا على الفقرة ( ١١ ) من المشروع الفلسطيني ليعلموا ، واحداً بعد الآخر ان مصر الدولة الافريقية المعنية والمعتمد عليها قد اعلنت على لسان رئيسها اليوم انها لا تحبذ طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، فهل يعقل ان تقوم زائير مثلاً او السنغال في هذه الحالة بطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وحقيقة الامر ، كان تصريح الرئيس السادات سلاحاً جديداً وقويماً اضيف الى مواقع المتحفظين على فقرة طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، الامر الذي عقد أمور البحث في مجلس الوزراء أكثر فأكثر مما حمل رئيس الجلسة على الاقتراح برفع مشروع القرار كما تقدمت به لجنة الصياغة الى مؤتمر الرؤساء للنظر فيه مع الاحاطة بكل ما جرى من نقاش حوله . ونظراً لبقاعة المجلس بعدم الوصول الى حل وافق على اقتراح الرئيس ، علماً بأن قرارات منظمة الوحدة الافريقية تؤخذ عادة بالاجماع ولو كان ذلك على حساب القرار نفسه ، ومن تقاليد المنظمة الا يجري تصويت على أي امر من أمور بحثها حرصاً من الدول الاعضاء على وحدة افريقيا وعدم تعريض المنظمة الى أي انقسام . وقد استغل هذا الوضع عدد من

الدول مثل زائر وغانا لتعلن كلما احتد النقاش بضرورة بحث موضوع طرد اسرائيل في ضوء وحدة افريقيا وعدم انقسام المنظمة وذلك بأسلوب فهم منه تهديد منظمة الوحدة الافريقية بأخطار الانقسام اذا ما اتخذ قرار الطرد بأصوات الاغلبية الواضحة التي أيدت مشروع القرار الفلسطيني .

### مؤتمر القمة ومشروع القرار الفلسطيني

كان لكلمة الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية في اليوم التالي لافتتاح مؤتمر القمة أكبر الاثر على بلورة الموقف الايجابي نحو المشروع الفلسطيني، وقد عزز ذلك اتصالاته بالرؤساء وما قام به الاخ ابو لطف من لقاءات مع وزراء خارجية الدول الافريقية ، وكان على المؤتمر أن يفرغ بسرعة من كلمات الرؤساء لعقد جلساته المغلقة للبحث في مشاريع القرارات التي رفعها له مجلس الوزراء . ففي يوم ٧/٣٠ عقد المؤتمر أولى جلساته المغلقة لهذا الغرض ، ولم يصل الى بحث المشروع الخاص بقضية فلسطين الا الساعة الثامنة مساء من ذلك اليوم . ولقد بدأ نقاش المشروع بنفس الاسلوب الذي انتهى اليه مجلس الوزراء ، فتحدث كل من ممثلي غينيا ، النيجر ، داهومي ، الصومال ، غينيا بيساو ، غامبيا ، الكونغو الشعبية ، الجزائر ، رواندا ، جزر القمر ، ليبيا ، موريتانيا ، بوروندي ، الى جانب مشروع القرار ، بينما تحدث كل من ممثلي السنغال ، غانا ، سيراليون ، توجو ( تبنت موقف الرئيس السادات ) ، ساحل العاج ، كينيا ، في حين غيرت نيجيريا موقفها بعد الانقلاب الذي وقع هناك في ٧/٢٩ وأطاح بالرئيس السابق يعقوب جيون ، وأعلنت انها لن تبدي رأيها في هذا القرار ما دام ممثلها لم ينلق تعليمات من قادة بلاده الجدد ، كما تبنت بعض الدول الأخرى موقفا انطلق من موقف بلاده المتكامل مع الاجماع الافريقي ورفضه تأييد ما لا يحظى بالاجماع . وبذلك وقع مؤتمر الرؤساء بنفس الموقف الصعب الذي وقع به مؤتمر وزراء الخارجية ، مما حمل المؤتمر على تشكيل لجنة مصغرة من كل من زائر ، غانا ، الجزائر ، موريتانيا ، منظمة التحرير الفلسطينية ، في محاولة للتوصل الى صيغة يمكن أن تحظى بالاجماع . وعلى الفور اجتمعت هذه اللجنة ولكنها وبعد ساعتين من العمل المستمر لم تصل الى صيغة موحدة متفق عليها . إذ أعلن ممثل غانا ، أن بلاده لن توافق على أي نص يذكر بوضوح ( طرد اسرائيل من الامم المتحدة ) ، وكذلك زائر بينما أصر ممثل منظمة التحرير الفلسطينية على موقفه المنسجم مع نص المشروع المطروح على الرؤساء . وعادت اللجنة لتنتقل عدم اتفاقها الى الرؤساء مما فتح باب التعديلات على الفقرة العاملة رقم ( ١١ ) في المشروع وقد أوشك الصباح على البزوغ من تلك الليلة . فاقترحت غانا تعديلا اقتض جوهر المشروع الاصلي ولكنه رفض ثم اقترحت ساحل العاج تعديلا آخر ولكن الجزائر ادخلت تعديلا على تعديل ساحل العاج أعادت فيه ذلك الجوهر ، ثم تدخلت ليبيا فعززت من تعديل الجزائر ، واختتم نقاش طويل حول هذه التعديلات كاد أن يصل الى طريق مسدود لولا تدخل الاخ ابو عمار فأدخل تعديلا على هذه التعديلات معلنا حرصه على وحدة افريقيا وحرصه على وقوف افريقيا الى جانب قضية فلسطين ، فقوبل هذا التعديل بتصفيق حاد ، وأعلن الرئيس عيدي امين رئيس الجلسة قبول المؤتمر للنص النهائي الذي أدخل عليه الاخ ابو عمار تعديله الاخير ، غير أن اسراع زائر في اعلان تحفظها على هذا القرار قد فسح المجال للسنغال لكي تعلن تحفظها أيضا على هذا القرار بعد أن أعلنت موافقتها عليه ، وذلك بحجة انه لم يحظ بالاجماع ، وتبع السنغال في هذا الموقف كل من غانا ، سيراليون ، ليبيريا ، والغريب ان ساحل العاج صاحبة التعديل الاصلي بعد أن تاكدت من موقف زائر والسنغال وغانا وليبيريا طلبت سحب تعديلها والبقاء على

النص الاصلى للبحث من جديد وذلك في محاولة منها لتعقيد الامور بعد ان شعرت بقبول المؤتمر له مع التعديلات عليه . ولكن ذلك كان متأخرا ، فقد أعلن الرئيس عيدي أمين ان القرار قد تم قبوله من المؤتمر وانتهى الامر ، واثرت ذلك أعلنت ساحل العاج عن تحفظها عليه بحجة انه لم يحظ بالاجماع الافريقي . ومن الواضح ان مؤتمر القمة الافريقي قد واجه حالة مماثلة لما واجهه مؤتمر وزراء الخارجية ، اذ انه بينما كان يعيش البحث المضني في هذا الموضوع وصلت اوراق الانباء ان كيسنجر قد خرج من قاعة اجتماعات الاربعة الغربيين الكبار في هلسنكي وأعلن ان الاربعة الكبار يعارضون طرد اسرائيل في الامم المتحدة ثم عاد ثانية الى اجتماعه معهم . وكان وقع هذا على المؤتمر ، تماما كما كان وقع تصريح الرئيس السادات على مؤتمر وزراء الخارجية وان كان بصورة خفية . وقبل ان ينهي مؤتمر الرؤساء جلسته في الساعة السابعة والربع صباحا كان قد أعلن انه قبل مشروع القرار الفلسطيني على الشكل التالي :

ان مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية المنعقد في دورته العادية الخامسة والعشرين في كمبالا عاصمة اوغندا في الفترة ما بين ١٨ - ٢٥ يوليو ٧٥ . اذ يذكر بالقرار الصادر عن اجتماع المجلس في دورته الرابعة والعشرين التي عقدت في اديس ابابا في الفترة ما بين ١٣ - ٢١ فبراير ٧٥ والاعلان المنبثق عنها خاصة بفلسطين والشرق الاوسط منطلقا من احكام ومبادئ ميثاق منظمة الوحدة الافريقية وميثاق الامم المتحدة ، ومسجلا بالتقدير والاعتزاز والتضحيات البطولية التي قدمها الشعب الفلسطيني في مواجهة المعتدي الصهيوني من اجل تحرير فلسطين ، وبعد ان بحثت تطورات قضية فلسطين والموقف الخطير الناجم من استمرار اسرائيل في احتلالها للاراضي العربية واغتصابها لحقوق الشعب الفلسطيني ورفضها لقرارات الامم المتحدة والمتعلقة بهذا الخصوص وعدم الالتزام بها وخصوصا قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٣٢٣٦ في دورتها التاسعة والعشرين وتبكرها لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية في فلسطين ، وعودته الى وطنه وممتلكاته وحقه في تقرير مصيره بنفسه دون تدخل خارجي وممارسة سلطاته وسيادته الوطنية على ارضه واستمرار اغتصابها لاراضي فلسطين وتشريد شعبها .

واذ يعتبر ان قضية فلسطين هي القضية الاساسية وجوهر الصراع مع العدو الصهيوني ، واذ يعتبر ان هذا الموقف يشكل انتهاكا صارخا لميثاق الامم المتحدة وخرقا لقراراتها والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وان استمراره يهدد السلام والامن الدوليين ، واذ يعتبر ان الانظمة العنصرية في كل من فلسطين المحتلة وتلك التي في زيمبابوي وجنوب افريقيا متسامية حيث تكوينها الاستعماري-العنصري ، ومرتبطة ارتباطا عضويا في سياستها الرامية لقتل حرية وكرامة الانسان . ومؤكدا من جديد شرعية كفاح شعب فلسطين من اجل استرداد حقوقه الوطنية الكاملة واذ يعتبر ان مساندة الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية للشعب الفلسطيني الشقيق في نضاله من اجل استعادة حقوقه الوطنية الثابتة في فلسطين وتقرير مصيره بنفسه هو واجب يحتمه التضامن الافريقي العربي ، واذ يعرب على يقينه ان الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي والادبي الذي تقدمه بعض الدول لاسرائيل وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، يمكنها من مواصلة تنفيذ سياستها العدوانية ، وترسيخ اغتصابها لفلسطين واحتلالها للاراضي العربية ، واذ يعتبر ان الابقاء على عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة أمر يتنافى مع مبادئ وميثاق الامم المتحدة وتشجيع التمرد على قراراتها . وتوافق مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية :

أولا : يقرر ما يلي :

١ - يؤكد من جديد المساندة الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية في فلسطين بما فيها حقه في العودة إلى وطنه فلسطين وممتلكاته . وحقه في تقرير مصيره ودون تدخل خارجي . ممارسة حقه في السيادة على أرضه . إقامة سلطته الوطنية المستقلة .

ب - العمل في كافة المجالات لتجسيد الاعتراف بهذه الحقوق والالتزام بها كما تتعهد الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية باتخاذ كافة الاجراءات المناسبة من اجل تحقيق ذلك .

ج - العمل بين لجنة التحرير في منظمة الوحدة الافريقية ومنظمة التحرير الفلسطينية على وضع استراتيجية لتحرير فلسطين باعتبار قضية فلسطين قضية افريقية .

ثانيا : يطالب جميع الدول بمساندة الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني والعنصري لاستعادة حقوقه الوطنية كاملة ، ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق تشكل شرطا أساسيا لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

ثالثا : يطالب الامم المتحدة بالعمل على تطبيق قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين رقم ٣٢٣٦ .

رابعا : يؤكد مجددا ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ونضاله المشروع .

خامسا : يطالب الدول الاعضاء بتنفيذ كل قرارات المؤتمرات الافريقية في القمة ومجلس وزراء الخارجية الافريقيين السابق حول قضية فلسطين ووضعها موضع التطبيق في اسرع وقت .

سادسا : يؤكد من جديد انه من الضروري انجاح منظمة التحرير الفلسطينية في كفاحها لارساء الدولة المقبلة للشعب الفلسطيني وان تعطى كافة الفرص لتأمين الاتصالات الدائمة مع حكومات الدول الاعضاء ، ويمكن ان يكون ذلك بشكل تمثيل المنظمة في عواصمها .

سابعا : يدين انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة ورفضها تطبيق اتفاقيات جنيف منذ عام ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب ، وسياستها الصهيونية في الاراضي المحتلة والتي تستهدف محو طابعها الذاتي والثقافي ويعتبر ان مثل هذه الاعمال والممارسات جرائم حرب وتحد للانسانية جمعاء .

ثامنا : يعتبر ان جميع التدابير التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة لتغيير معالمها البشرية والجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بما في ذلك التدابير التي استهدفت تهويد مدينة القدس الشريفة لاغية وباطلة ولا يمكن الاعتراف بها او بنتائجها .

تاسعا : يدين جميع الدول التي تقدم الدعم العسكري والاقتصادي والبشري لاسرائيل ويطلبها بالكف عن ذلك في الحال .

عاشرا : يطالب كافة الدول التي لم تقطع بعد علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية مع اسرائيل بأن تفعل ذلك .

الحادي عشر : يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ان تتخذ الاجراءات الاكثر ملاءمة لتعزيز الضغوط الممارسة على اسرائيل في منظمة الامم المتحدة وفي الوكالات الاخرى بما في ذلك امكانية حرمانها تبعاً لذلك من صفة العضوية في هذه المنظمات .

الثاني عشر : يقرر ادراج بند قضية فلسطين في جدول اعمال الدورة السادسة والعشرين العادية القادمة .

الثالث عشر : يطلب من الامين العام تقديم تقرير عن تطورات قضية فلسطين في الدورة القادمة .

وبالرغم من التعديل على الفقرة العاملة رقم ( ١١ ) من المشروع الاصلي ، الا ان القرار والتعديل الجديد قد حافظا على روح النص الاصلي وقيلته افرقياً بحماس وكان ذلك نصراً وتأييداً لانزال اقصى العقوبات ضد اسرائيل بما في ذلك امكانية حرمانها من العضوية في الامم المتحدة . وهذا ما كان الوفد الفلسطيني يريده في القرار وان تغيرت النصوص .

صدر حديثاً عن مركز الابحاث كتاب

**ميزان القوى العربي - الاسرائيلي**

١٩٧٥ - ١٩٧٤

**الرائد الطيار حسين عويضة**

سعر النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي .

اطلب نسختك من قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## اسرائيل والامم المتحدة : عضوية مشروطة

ج. هـ. جانسن

سيحاول العرب في الدورة القادمة للجمعية العامة طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، والحجة العربية لهذا الموقف ذات حدين : الحد الاول والاكثر عمومية هو ان اسرائيل تستحق الطرد لانها فشلت دوما وبثبات بتنفيذ مقررات الامم المتحدة العديدة ، وهذه النقطة توصف « بالعمومية » لان كثيرا من الدول الاعضاء تجدوا قرارات الامم المتحدة بدرجة اقل من اسرائيل . والحد الثاني للحجة العربية والاكثر اقتناعا هو ان اسرائيل يتوجب عليها اكثر من اية دولة اخرى مراعاة قرارات الامم المتحدة لان الجمعية العامة وافقت على عضوية اسرائيل بناء على فهم محدد وهو الوعد الذي قطعه بتنفيذ قراراتين مهمين جدا حول الشرق الاوسط يتعلقتان بالقدس وحقوق الفلسطينيين . وهكذا فان الحجة العربية لا تقول فقط ان « اسرائيل تستحق الطرد لتحديها قرارات الامم المتحدة » بل ايضا « بما ان اسرائيل دخلت عضوية الامم المتحدة بشرط الوفاء بوعودها بتنفيذ قرارين محددتين من قرارات الامم المتحدة فانها تستحق الطرد لانها تحدت هذه القرارات والكثير غيرها » .

وفيما يلي الطريقة التي فرضت بها الجمعية العامة الشروط على عضوية اسرائيل . عضوية اسرائيل في هيئة الامم المتحدة فريدة في بابها . هذه حقيقة تنفيها اسرائيل بغضب . فاسرائيل هي الدولة الوحيدة بين دول العالم قاطبة التي خلقتها الامم المتحدة لسوء الحظ ، وهي كذلك الدولة الوحيدة التي كان قبولها في الامم المتحدة مشروطا بشروط . وبناء عليه ، واذا لم تنفذ هذه الشروط — وهي لم تنفذ — يصبح امرا سليما ، بل وواجبا ضروريا ، ان تقوم الامم المتحدة بتعليق او بانهاء عضوية اسرائيل فيها .

واذا ما رجع المرء الى محاضر مناقشات الامم المتحدة في اواخر العام ١٩٤٧ واولائل العام ١٩٤٨ ، بشأن قبول عضوية اسرائيل ، فانه يكتشف الامور المعهودة نفسها : الضغط ، الاكاذيب ، وانصاف الاكاذيب ، والحملة الاعلامية ، وهي الظواهر التي واكبت الاقتراع في الامم المتحدة من اجل خلق دولة اسرائيل .

وينكران جميل نادر تكبره اسرائيل ان تعترف بأنها خلقت بواسطة الامم المتحدة لان هذا الاعتراف يعني انها ليست مثل غيرها من الدول ولانه يعني ايضا ملزمة الزاما خاصا بطاعة قرارات المنظمة التي خلقتها . ولكن الفقرة التاسعة من اعلان الاستقلال في اسرائيل توضح ان قرار التسليم الصادر عن الامم المتحدة هو الذي اسبغ على الشعب اليهودي وضع الدولة . واشار ممثل اسرائيل في الامم المتحدة في خطابه الذي القاه في اعقاب قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة الى « الصلة العضوية بين اسرائيل والامم المتحدة » .

ولقد استلزم الامر من صديقي اسرائيل انذاك ، الولايات المتحدة والاتحاد

السوفياتي ، سنة أشهر ، حتى تمكنا من تمرير القرار : والحقيقة ان محاولتهم الاولى اخفقت . والواقع ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كانا الصوتين الوحيدين اللذين ارتفعا في جلسة مجلس الامن في الثاني من ديسمبر ١٩٤٨ ، دفاعا عن قبول عضوية اسرائيل . أما باقي اعضاء مجلس الامن فقد كان في تقديرهم جميعا ان قبول عضوية اسرائيل في الأمم المتحدة سابق لاوانه ، وذلك لان مستقبل فلسطين كان لا يزال على بساط البحث . وحتى في هذه المرحلة المبكرة للغاية ارتفع صوت كندا بملاحظة تحذيرية : ان قبول اسرائيل « يجب ويتحتم ان يكون مرتبطا بصورة وثيقة » باستعداد اسرائيل لتنفيذ توصيات الجمعية العامة .

وحسب الاصول المرعية الاجراء ، أحال مجلس الامن طلب القبول الى لجنة قبول الاعضاء الجدد . وبعد حمسه ايام أعلنت اللجنة انها لم تتمكن من حيازه المعلومات الضرورية التي تخولها اتخاذ قرار والبت في المسألة .

وعند استئناف مناقشة طلب العضوية في الخامس عشر من ديسمبر ، ارتأت فرنسا ان في وسع لجنة القبول اعادة النظر في المسألة ، لان الجمعية العامة كانت في هذه الاثناء قد اصدرت القرار الحاسم الرقم ١٩٤ (٣) : وان قرار الجمعية العامة هذا لم يكتف بانشاء لجنة التوفيق بغية احلال السلام في فلسطين ، بل ان الفقرة الثانية منه اعطت الفلسطينيين كذلك الحق في العودة الى ديارهم او التعويض عليهم .

وبعدئذ ، قرر مجلس الامن ، خروجاً على الاجراءات المعتادة ، التصويت على القبول . وكانت النتيجة اخفاق هذا الاقتراع في تفسير الاصوات السبعة المطلوبة لتمرير القرار .

وكانت الدول التي اعطت اصواتها لصالح القبول : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ، واوكرانيا السوفياتية ، والارجنتين ، وكولومبيا . وكانت الدول الممتنعة بلجيكا ، وكندا ، وفرنسا ، والمملكة المتحدة ، والصين . وصوتت سوريا ضد القبول .

وتقديم اسرائيل بطلب اخر لقبول عضويتها في فبراير ١٩٤٩ عندما كان جدول الاعمال خفيفا ، وذلك لاعطاء طلبها الاولوية في البحث . وفي هذه المرة كانت عقبول كثيرة قد تغيرت او غيرت خلال الشهرين المنصرمين . فلقد أصبح المندوب الفرنسي الان مدافعا عن القبول الفوري ، وهكذا كان مندوب المملكة المتحدة .

وبقيت الصين مضرة على ضرورة التقيد بالاجراءات الاصولية ، اي احوالة المسألة ثانية الى لجنة القبول . أما النرويج فوافقت .

ومرة اخرى وضع مجلس الامن الاجراءات النظامية جانبا ، فناقش المسألة في اليوم التالي مباشرة ، اي في الرابع من مارس .

وطلب مندوب المملكة المتحدة ايضا حات بشأن موقف اسرائيل حيال بعض قرارات الأمم المتحدة ، وخاصة ما يتعلق بتصريحات « ممثلين رسميين لاسرائيل » اوضحوا فيها ان اسرائيل « لن تلقي بالا » لقرارات الأمم المتحدة بخصوص القدس . كما ان المندوب رغب في ان يعرف ما اذا كانت اسرائيل تعترف « بالالتزام الناشئ عن القرار ١٩٤ (٣) » فيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين « الذين لا يزالون يموتون بالمئات والذين قد يظنون على هذا الحال » .

وعند الاقتراع كانت هناك تسعة اصوات مع قبول عضوية اسرائيل ، ولم يكن بينها غير اربعة اعضاء دائمين في مجلس الامن ، لان المملكة المتحدة امتنعت عن

التصويت . وعلى الفور سارعت كل من الأرجنتين ومصر الى ملاحظة ان هذا الاقتراح لا يتمشى والمادة ٢٧ ، الفقرة الثالثة ، من ميثاق هيئة الامم المتحدة ، التي تؤكد وجوب توفر التأييد الايجابي من جانب جميع الدول الدائمة العضوية الخمس لطلبات قبول العضوية .

ولقد اعترض الاتحاد السوفياتي على هذا التفسير ، فوقف مندوب المملكة المتحدة ليوضح ان امتناع بلاده لا يصل الى حد النقض ( الفيتو ) .

وحينما شاءت الجمعية العامة مناقشة المسألة ، اتخذت اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة قرارها غير الاعتيادي بدعوة ممثل اسرائيل لتوضيح موقف حكومته من قرارات الجمعية العامة بشأن القدس واللاجئين . ان هذا الامر ، اي اخضاع الدولة طالبة العضوية ، لمثل هذا الامتحان ، امر فريد لم يحدث قبل ذلك ولا حدث من بعد . وان « توضيحات » ابا ايبن لم توضح شيئا ، ولم تعط اي تعهد بشأن اية مسألة .

وفي القدس التقى ابا ايبن باللجنة على الدول العربية ومؤسسات الامم المتحدة لعدم التزامها بالوضع الدولية للجمعية العامة . أما بشأن المستقبل فانه لم يعد بأكثر من « نظام دولي للقدس يجب ان يقتصر اهتمامه على ادارة وحماية الاماكن المقدسة » و « ضمانات ... لحماية الاماكن المقدسة في فلسطين وحرية الوصول اليها » .

أما بشأن قضية اللاجئين فلقد قرأ بياناً رسمياً يلقي تبعه هذه المشكلة على عاتق الدول العربية ، ومن جهة ثانية اعلن ان المشكلة لا يمكن حلها « الا في اطار تسوية نهائية تخلق اوضاعاً من التعاون بين اسرائيل وجاراتها » .

أما قضايا الحدود ، فلقد أكد ابا ايبن ان هذه المسألة متصلة بقضية اللاجئين ، مما يعني وجوب ارجاء طرح هاتين المشكلتين الى ما شاء الله . واخيراً وعند اغتيال الكونت برنادوت ، عبر ابا ايبن عن « أسف عظيم » ، لكنه لم يقدم أية معلومات حول اعتقال الجناة .

والآن ، وبعد حوالي ٣٠ عاماً ، لا يزال موقف اسرائيل ازاء جميع هذه المسائل هو نفسه تقريباً : الاسترسال في العناد والتصلب .

ولقد جرى استجواب ابا ايبن في الاجتماعات الخمسة التالية للجنة الخاصة من قبل ثمانية مندوبين : بلد عربي واحد ، هو لبنان ، طرح أية أسئلة . وكانت اجوبة ابا ايبن المشحونة بالتملص والمراوغة تكراراً للمواقف المذكورة آنفاً ، بشأن جميع القضايا الاساسية .

ومن الطريف بالنسبة لما سيأتي ، ان ابا ايبن التقى بالطعمم التالي : فاذا قبلت اسرائيل في الجمعية العامة ، فان هذا « سيكون اشارة الى زيادة القوة الادبية الالزامية لقراراتها » ، وان اسرائيل على خلاف الدول العربية « لا تقبل النظرية القائلة ... ان قرارات الجمعية العامة اختيارية ويمكن اهمالها طوعياً » .

ومنذ ذلك الحين ، أصبحت اسرائيل الداعية الاساسية لهذه النظرية . ثم انه انكر كاذباً ، ان السياسة الاسرائيلية ترمي الى اعادة توطين اللاجئين في اي مكان اخر .

وتقدم لبنان باقتراح يدعو الى ارجاء قبول عضوية اسرائيل ، الى ان تعلن اسرائيل بكل وضوح قبولها بتدويل القدس ، واعادة او تعويض اللاجئين ، الا ان هذا الاقتراح رفض مع انه نال مساندة ١٩ دولة امام ٢٥ دولة عارضته .

وما ان تقدمت الولايات المتحدة واستراليا ودول اخرى بقرار بقبول عضوية اسرائيل ، حتى تقدمت تشيلي بتعديل له ، وذلك بادخال فقرة شرطية كاملة شديدة الاهمية تنص كما يلي : « ان مجلس الامن ، اذ يشير الى قرارات ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ( التقسيم ) و ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ( القرار الرقم ١٩٤ - ٣ - بخصوص حقوق اللاجئين ) ، واذ يحيط علما بالايضاحات والشروحات التي قدمها ممثل حكومة اسرائيل امام اللجنة الخاصة بشأن تطبيق القرارات السالفة الذكر ... »

ان هذه الفقرة الشرطية تبين بكل جلاء ان قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة كان مرهونا بموافقتها على تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وخلال النقاش اتفق مندوبو الصين والنرويج وفرنسا ، وحتى جنوب افريقيا ، على ان ايضاحات ابا ايبن لم تكن كافية . وفي المقابل ، لم يكف الاتحاد السوفياتي بالاعلان عن عزمه على التصويت الايجابي الى جانب القرار بقبول عضوية اسرائيل ، بل أعلن كذلك انه سيصوت ضد التعديل التشيلي « باعتبار ان قبول اسرائيل لا ينبغي ان يكون مشروطا بأية مسألة من المسائل ودار البحث في الجمعية العامة حول قضية فلسطين » .

وبرغم ذلك جرى تبني التعديل التشيلي ، وجرى التصويت بالقبول . ثم ناقشت الجمعية العامة القرار واقترته في الحادي عشر من مايو ١٩٤٩ .

ولقد أكد مندوب السلفادور بصراحة ان ردود اسرائيل « لم تبين عزم الحكومة الاسرائيلية القاطع على تطبيق قرارات الجمعية العامة . ووصفت بلجيكا اجوبية اسرائيل بأنها « تفسيرات غير كافية » .

اما المندوب الامريكي فعلق آماله على تطبيق هذه القرارات على أيدي لجنة التوفيق الدولية ومؤتمر لوزان الذي كان آخذا مجراه . وهناك عدد اخر من المندوبين ، وبينهم مندوب فرنسا ، حذوا خذو المندوب الامريكي في ترك مسألة تجاوب اسرائيل مع قرارات الجمعية العامة ، للجنة التوفيق ومؤتمر لوزان .

ولقد حذر المندوبون العرب مرارا من عبثية هذه الامال . وأعلن مندوبون كثيرون أنهم يشاركون العرب في مخاوفهم ، لكنهم اعلنوا مع ذلك أنهم سيفترعون الى جانب قرار القبول .

وخلال المناقشات ، كشف بعض مندوبي دول امريكا اللاتينية التي كانت مهتمة بمصر القدس خاصة لاسباب دينية ، ان اسرائيل اعطت دولهم ، مباشرة او مداورة ، تأكيدات تتجاوز فيما يبدو ايضاحات ابا ايبن امام اللجنة السياسية الخاصة .

وعلى هذا اعلنت بوليفيا انها « تلقت ضمانات بأن اسرائيل ... سوف تنشيء نظاما دوليا في كل منطقة القدس تحت اشراف هيئة الامم المتحدة » . كما أعلن مندوب بيرو انه سيصوت الى جانب القرار ، لان كولومبيا ايضا - بالاضافة الى بوليفيا - تلقت ضمانات وتأكيدات « بانشاء نظام للإدارة الدولية في القدس » .

وبالطبع لا حاجة بنا الى القول ، ان اسرائيل لم تكن مستعدة لا عندئذ ولا في اي وقت لاحق منذ ذلك الحين وحتى الآن ، لتحويل كل منطقة القدس . وعند الاقتراع صوتت ٣٧ دولة الى جانب قبول عضوية اسرائيل ، و ١٢ ضد ، وامتنعت تسع دول .

ومع ان الولايات المتحدة كانت تبذل كل ما اوتيت من جهد لقبول اسرائيل ، ولطأنة الامم المتحدة الى ان اسرائيل ستطبق قرارات الامم المتحدة ، فان الرئيس ترومان ،

ذلك الصديق العظيم لاسرائيل ، أرسل وفدا خاصا الى تل ابيب في نهاية ابريل ليشكو من تصلب اسرائيل في مسألتي القدس واللاجئين .

وكان لدى ترومان ما دعاه الى الشكوى من جديد ، اذ انه بعد قبول اسرائيل في الامم المتحدة بأيام ثلاث ، بعث الى اسرائيل بمذكرة شديدة اللهجة تعبر عن خيبة امله العميقة لان الوفد الاسرائيلي في مؤتمر لوزان لم يقدم اية تنازلات بشأن اللاجئين والحدود ، مما يدل على عدم اكتراث اسرائيل بقرارات الامم المتحدة .

وهكذا ثبت ان الامال التي علقها الولايات المتحدة خلال مناقشات الامم المتحدة ، على مدى تأثير مؤتمر لوزان ، كانت واهمة ومضللة .

والواقع ان موقف اسرائيل حيال لجنة التوفيق الدولية ومؤتمر لوزان كان استغلالا وقحا . فطالما حومت فوق رأس اسرائيل ظلال من الشك بشأن ضمان عضويتها في الامم المتحدة ، فانها كانت تتظاهر الى حد ما بالتعاون لتقديم بعض التنازلات .

وما ان تم قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة حتى تخلت عن بعض الرياء والتظاهر ، واعلنت رفضها لقرارات الامم المتحدة بخصوص القدس واللاجئين ، سواء في لجنة التوفيق الدولية او في مؤتمر لوزان . لقد عبرت بصراحة في كل من اللجنة والمؤتمر عن موقف سلبي لا تزال تنهجه بعناد واصرار حتى يومنا هذا .

وان هذه الحقيقة تكشف لكل ذي عينين ان اشباه الايضاحات او الوعود الخاصة التي بذلتها اسرائيل للمندوبين في الامم المتحدة قبل اجراء الاقتراع على عضويتها ، لم تكن صادقة او نزيهة ، بل استهدفت بكل بساطة تأمين الاصوات الضرورية المطلوبة .

ويتبين من هذا بكل جلاء ان اسرائيل لم تلب الشروط ولم تف بالتعهدات التي الزمها بها قرار قبولها ذاته في عضوية الامم المتحدة .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي

حسين ابو النمل

سعر النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي

أطلب نسختك من قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ - بيروت

## محاولة أولى في أطروحة : شرق الأردن الفلسطينية

عصام سخيني

في الأساس كانت الأرض في القضية الفلسطينية هي محور الصراع . لمن تكون الأرض ؟ هذا هو الجوهر . واستطرادا فإن الأرض في الثورة الفلسطينية المعاصرة هي مسألة النضال ، ذلك أن تحرير الإنسان الفلسطيني من لواجه نموه القومي والاجتماعي لا يمكن فصله إلا اعتسافا عن معنى تحرير الأرض أولا ، وتاريخيا ، عندما نزعنا الهوية الفلسطينية عن الأرض الفلسطينية في العام ١٩٤٨ انتهك الكيان الوطني للشعب الفلسطيني . وعندما أعيد بناء هذا الكيان بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وعزز هذا البناء باعطاء المضمون الثوري له ، بدخول فصائل الثورة في إطار المنظمة ، ظل التعبير عن الكيان تعبيرا مؤسسيا مفرغا من محتوى الأرض . غير أن إحدى نتائج حرب العام ١٩٧٣ كانت أنها أجرت تحولا أساسيا في التفكير الكياني الفلسطيني سمته الأساسية هي ارتداده إلى الجذور في هذه المسألة تحديدا ، وقد تمثل ذلك في ارتباط الكيان بالأرض وهو ما جرى التعبير عنه « باقامة السلطة الوطنية على الأرض الفلسطينية التي يمكن انتزاعها من العدو » .

ان هذه الحقيقة ميزت الفعل النضالي الفلسطيني حتى الآن بأنه ثورة زاحفة — ان جاز التعبير — من « الخارج » إلى « الداخل » ، من خارج الأرض المعنية بالتحرير إلى الأرض ذاتها . ولأن الثورة في الأصل لم تكن ثورة — في — المجتمع وإنما ثورة موجهة لتحرير الأرض فإن ولادتها في « الخارج » ، في المهجر ، لم تكن لتتنقص من ثورتها . وهي ان كانت عملت جهدا لتثوير « الداخل » على الرغم من الظروف الصعبة التي عاكست هذا التثوير ( الكبح الشديد وسيطرة العدو من جانب ، وحالة الاسترخاء الاقتصادية النسبية لجماهير الداخل من جانب آخر ) فإن الثورة ظلت في حجمها الأساسي خارج الأرض المستهدفة بالتحرير ، ولكنها استولدت أساليب قتالية تتناسب مع هذه الحقيقة من جانب وتنسجم مع معنى « الثورة لتحرير الأرض » من جانب آخر .

في ضوء هذا كان من الطبيعي أن تتشدد الثورة قواعد انطلاقها — عسكرية وسياسية — في الاقطار العربية المجاورة لفلسطين . وبعد هزيمة العام ١٩٦٧ كانت شرق الأردن أكثر الاقطار العربية جذبا في هذه الناحية . ولم يكن ذلك اختيارا ذاتيا أو عرضيا ، وإنما كان بالتأكيد محكوما بجملة عوامل موضوعية : ففي شرق الأردن تعيش غالبية الفلسطينيين وهم المعنيون أولا بالثورة وهم مشتتها الخصب . ومن جهة ثانية هي الأرض التي تتأخم القطاع الأطول من الوطن الفلسطيني . وثالثا فإن الهزيمة الحزيرانية جعلت النظام فيها — بالمقارنة مع القوى العربية الأخرى — أوهى من ان يتصدى للصعود الثوري والممارسات التي استتبعها . وكانت الثورة في بنائها قواعدا في شرق الأردن منسجمة تماما مع معنى الثورة الزاحفة من الخارج إلى الداخل والذي

يعني ضمنا ضرورة توفر الارض ذات الظروف المواتية لان تكون مراكز انطلاق لممارسة عملها العسكري .

غير ان الخطأ الذي كاد أن يكون قاتلا ، والذي وقعت فيه الثورة وهي في صدد بناء قاعدة لها في شرق الأردن ، انها اعتقدت بإمكانية تعايش سلطتها على هذه القاعدة ، وهي سلطة أصبحت حقيقة واقعة في المناخ الثوري الذي أشاعته من حولها ، الى جانب السلطة الهاشمية . وكان هذا الخطأ — في تقدير تقرير تاريخي — نابعا في الاساس من ان الثورة لم تفتن للوظيفة الكيانية نفسها لشرق الأردن ، بالإضافة الى الاداة اليومية المعبرة عن هذه الوظيفة الكيانية والمثلة في النظام الهاشمي . ودون الحديث باسهاب عن هذه الوظيفة الكيانية فينبغي التذكير هنا بأن شرق الأردن تحولت من واقع جغرافي بصفتها الاراضي الواقعة الى الشرق من نهر الاردن أو عبره ، الى وحدة ادارية ثم حقيقة كيانية في مؤتمر استعماري عقد في القاهرة برئاسة ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية ، في العام ١٩٢١ ، ثم في لقاء تشرشل — الامير عبدالله في القدس في العام نفسه ، بهدف واضح ومحدد ، أفهمه الامير علنا ووافق عليه ، هو تمكين بريطانيه من تنفيذ سياستها في فلسطين غربي النهر ، ومن ذلك التزاماتها نحو الحركة الصهيونية بانشاء « الوطن القومي اليهودي » . وقد تزامنت هذه الوظيفة مع القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها وبرز أكثر معالمها وضوحا في العام ١٩٤٨ عندما طمس الكيان الاردني الوجود الفلسطيني المستقل بضم فلسطين الوسطى ( الضفة الغربية اصطلاحا ) الى شرق الأردن وتجريد المواطن الفلسطيني من هويته الفلسطينية . وبعد العام ١٩٤٨ مثلت الدولة الاردنية كيانا حاجزا ذا فعل مزدوج : فعل في داخل الكيان نفسه بقمع جميع الاتجاهات الوطنية التي نشأت بعوامل فلسطينية — فلسطينية بمعنى متجهة نحو فلسطين — خلال الفترة التي امتدت ما بين الحربين الفلسطينيتين ، وفعل من واقع ان الكيان — الدولة كان يحمي إسرائيل من أي ممارسة قتالية تأتي من خارج هذا الكيان ، وعبره . وهنا تبغى الإشارة الى ان حلول الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيه في الزعامة الاستعمارية في المنطقة لم يغير من طبيعة هذه الوظيفة الكيانية لشرق الأردن لسبب واحد هو ان إسرائيل ظلت تتمتع بمرتبة « المصلحة الاولى » لأميركه كما كانت بالنسبة لبريطانيه ، وبالتالي فان المحافظة على هذا الحاجز الكياني الممثل في المملكة الاردنية الهاشمية والذي يحول دون ان تتحول الاراضي المتاخمة لإسرائيل الى قاعدة انطلاق أو معبر نحو المس بإسرائيل ، هي مسألة ورثتها الامبريالية الأمريكية عن سالفاتها البريطانية .

هذه الوظيفة الكيانية لم يدخل تحليلها ضمن الفكر الثوري الفلسطيني ، وأقصى ما وصل اليه هذا الفكر هو تحليل دور النظام الهاشمي وموقفه من القضية الفلسطينية دون استتبار العلاقة العضوية بين الكيان والنظام وادراك انها وجهان لعملة واحدة ، بوظيفة محددة رسمت لهما من عشرينات هذا القرن ولم يطرأ عليها تعديل . وكان الشعار الذي رفع في فترة الصعود الثوري في شرق الأردن وهي الفترة التي سبقت مجازر العام ١٩٧٠ ، والذي نص على ان « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » يعني الاعتراف بالسلطة الهاشمية ، واستطرادا إمكانية التعايش معها . وذلك يعني ، بموجب ما ذكرنا ، امكان وجود كيانيين على أرض واحدة يثبت التحليل انها متصادمان ومتناقضان تناقضا أساسيا ما دامت وظيفة كل من الكيانيين متصادمة مع الأخرى : وظيفة الاول متجهة لنقض المشروع الصهيوني ، ووظيفة الثاني صممت ورسمت معالمها لتسهم في أنجاحه واستمراره . ولكن طرح الشعار في حينه كان خطوة متقدمة نحو تثبيت السلطة الفلسطينية .

كان خطأ التحليل والممارسة المبينة عليه باهظ الثمن دفعت الثورة مقابلة تصفية وجودها في شرق الأردن في أيلول ١٩٧٠ . وبجانب هذا الثمن غالي التكاليف فان فقدان الساحة الأردنية تفاعل بنتائجه ومترتباته سلبيا حتى انه يجوز القول ان كل أزمة - هكذا باطلاق وبجزم - تعيشها الثورة رهنًا مرتبطة وثيقا بفقدان ساحة شرق الأردن ونتيجة عن هذا السبب . وتكفي الإشارة للتدليل على ذلك الى الازمات المتلاحقة التي تعيشها الثورة في لبنان والتي هي في جانب منها نتيجة لاضطرار الثورة الى نقل حجمها الأكبر الى الساحة اللبنانية التي تختلف بتركيبها السكاني والاقتصادي والسياسي عن شرق الأردن ، مما ولد أوضاعا جديدة في لبنان اتخذتها القوى المعادية مبررا لانفعال معاركها مع الثورة . كما تكفي الإشارة كذلك الى ان الاختلاف الذي حدث في الصف الفلسطيني بعد المجلس الوطني الثاني عشر كان في احد جوانبه - دون ان تقع في التبسيط - متسببا عن فقدان الساحة الأردنية . فالسلطة الوطنية على الأرض الفلسطينية التي سيجلو عنها العدو نظر اليها « الرافضون » على انها شريحة ستظل تحت رحمة المطرقة الاسرائيلية والسندان الهاشمي ، الامر الذي يثير التساؤل عن مدى نجاعة الشعار من وجهة النظر هذه .

ان تمثل الوظيفة الكيانية لشرق الأردن وعلاقتها بالقضية الفلسطينية ، واتجاه الثورة ، المحكوم لجملة عوامل موضوعية ذكرناها سابقا ، نحو اتخاذ شرق الأردن القاعدة الأساسية لها ، يطرحان ثلاث مقدمات تشكل ضلب التفكير في هذه المسألة :

الاولى : ان الثورة الفلسطينية بحاجة الى قاعدة انطلاق لها ثابتة تحكم سيطرتها عليها في المدى الطويل ما دامت هي تمارس أسلوب حرب الشعب طويلة النفس . وقد أثبتت تجارب الشعوب المعاصرة ان هذه القاعدة ضرورية ضرورة مطلقة لاستمرار الثورة ، أي ثورة ، تستهدف تحرير الأرض . من التجارب الايجابية كانت فيتنام الشمالية هذه القاعدة لضمان انتصار الثورة في الجنوب .

والثانية : ان الدول العربية جميعها لن تكون هذه القاعدة التي تتمتع بالديمومة والثبات والتي تستطيع منها الثورة ان تمارس فعلها النضالي ، لسبب واحد - وننظر ايجابيا للموضوع - هو ان استراتيجية الثورة ستصطدم في المدى البعيد حتما باستراتيجية الدولة فلكل حساباتها الخاصة بها ، حتى الانظمة الأكثر تقدما في المنطقة والأشد نضالية فهي ان طابقت ما بين استراتيجية الثورة واستراتيجية الدولة فان تكتيكاتها وممارساتها اليومية لا تلتقي دائما مع تكتيكات الثورة وممارساتها اليومية . ولان الدولة شكل من النظام مستقر يتمتع بالقدرة فهي ستخضع الثورة لتكتيكاتها وممارساتها اليومية وليس العكس .

والثالثة : ان تغيير النظام في شرق الأردن او اسقاطه كما هو مطروح كشعار لن يحول شرق الأردن الى هذه القاعدة الثابتة للثورة الا اذا كان هذا الهدف خطوة الى تغيير البنية الكيانية نفسها لشرق الأردن . ان احلال نظام بديل للنظام الهاشمي في شرق الأردن دون اقتحام المسألة الكيانية كما هي هناك لا يعني الا خلق « نظام آخر » في سلسلة الانظمة الراهنة ، ستجد الثورة نفسها بعد ان يمكن جذوره في الأرض ، انها باستراتيجيتها من حيث هي ثورة في منطلق مختلف معه من حيث هو دولة . وهكذا فان اسقاط النظام كهدف ينبغي - لاستمرار الثورة - ان يستتبع أيضا الوجه الآخر من العملة : نعتي الكيان نفسه . وهذه النظرة الجذرية هي الكفيلة بكبح تعارض منطلق الدولة ومنطق الثورة بحيث تكون الثورة هي صاحبة المقدرات في شرق الأردن ، ويتم ذلك بخلق الكيان - الثورة وبنائه على أسس سكانية واجتماعية وسياسية تضمن

للثورة استمرارها ، وباطار جغرافي يجعل الارض ( القاعدة — المنطلق ) جزءا أساسيا منه .

المطروح اذن بوضوح هو الغاء الكيان الاردني من جانب وبناء كيان — ثورة بديل من جانب آخر . غير ان السؤال الذي يثار هنا هو هل يمكن لمثل هذه الاطروحة في تصديها للكيانية الاردنية أن تلغي هذا التراث الذي تطاول لمدة تزيد عن نصف قرن وتقفز من فوقه ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تفترض نظرة واقعية — وان بايجاز — الى نمو الكيانية الاردنية وتطورها :

الكيان الاردني كيان طارئ دُخِل على تاريخ المنطقة مبرر وجوده الوحيد كما أسلفنا هو تمكين بريطانيه من تنفيذ سياستها في المنطقة ولم ينفك هذا المبرر عن الاستمرار بتغير الزعامة الاستعمارية . وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي مورست لتكريس الكيانية الاردنية فان أي استعراض لتاريخ شرق الأردن يكشف ان هذه المحاولات كانت تصطدم دائما بحقيقة واحدة هي ان مصالح الجماهير وتطلعاتها في شرق الأردن كانت باستمرار تتجاوز هذه الكيانية الضيقة لانها ادركت منذ البدء انها مصطنعة وبذلك لم تحملها حمل الجد . ومع تأسيس هذا الكيان في العام ١٩٢١ يلاحظ ان الحركة الوطنية العربية التي تمثلت آنذاك بالاستقلاليين الذين لجأوا الى شرق الأردن من دمشق بعد سقوط مملكة فيصل ، اعتبرته قاعدة انطلاق لها لمقارعة الفرنسيين في الشمال . وكان تحالفهم مع عبدالله — قبل رده عليهم — الذي خدع الحركة الوطنية لدى قدومه من الحجاز بمزاعم التصدي للفرنسيين واستعادة عرش فيصل ، مبنيا على هذا الأساس . كما يلاحظ بعد ذلك ان هوموم الحركة الوطنية في شرق الأردن كانت دائما « هوموما غير كيانية » ، ودليل ذلك ان جميع الاحزاب والحركات الوطنية التي نشأت هناك كانت باستمرار امتدادات لحركات وأحزاب عربية . ومقابل ذلك فان « الاحزاب » التي أريد لها أن تكون أردنية بحتة دون امتداد عربي كانت دائما — باستثناءات قليلة — أحزابا مرتبطة بالنظام ( بالعرش نفسه أو بأركان النظام ورموزه ) وبالتالي فان مصطلحتها تكن في تكريس الكيانية . اما الاستثناءات الوطنية انقلية في هذا السياق فلم يكتب لها الحياة وكانت طارئة على مسار تاريخ شرق الأردن ( نشير هنا كأمثلة الى حزب الشباب الذي قاده الدكتور ابو غنيمه من دمشق والحزب الوطني الاشتراكي ) .

ما نريد استنتاجه هنا هو ان الانتمائية الكيانية الاردنية ظلت عائمة على السطح ولم تصبح من تراث الجماهير المتأصل في وجدانها الوطني لفترة طويلة من تاريخ شرق الأردن وان كانت في السنوات الاخيرة قد اتخذت لها شكلا مَرَضيا . وقد بدأ هذا الشكل مع وصفي التل ومدرسته السياسية المعروفة في هذا الصدد الذي حاول منذ ما قبل العام ١٩٦٧ أن يكرس هذه الكيانية ويعصرنها . الا ان الواقع الديموغرافي لشرق الأردن جعل هذه المحاولات تتجه نحو شرق المجتمع الواحد ما بين فلسطيني وأردني الامر الذي تعزز مع أيلول ١٩٧٠ . وقد شهدت المرحلة — ما بعد — الايلولية تحولا ظاهرا في الكيانية الاردنية سمته الأساسية اقليمية شرق أردنية غير سوية ضمن المجتمع الواحد . وقد أثرت هذه الظاهرة حتى على بعض الرموز الوطنية في شرق الأردن الذين تحدثوا ، تحت شعار مراجعة مواقفهم السابقة لمجازر أيلول ، عن « أخطاء » الفترة السابقة وجعلوا احدها تبعية الحركة الوطنية الاردنية للثورة الفلسطينية . واذا كان هذا التقييم صحيحا ، وهو كذلك ، فلم يكن ذلك نتيجة خطأ الثورة أو بذنبها وانما الواقع الموضوعي للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية — التي نميل الى تسميتها بالحركة الوطنية في الأردن — هو الذي أفرز تقدم الثورة وأخذها موقعا ثيابا دون الحركة الوطنية . وهو دليل آخر ، ونتيجة كذلك ، لعدم

تعمق الانتماء الكيانى الاردنى لدى الحركة الوطنية التى أصبحت وهى « اردنية » جزءا من الثورة وهى « فلسطينية » . وبالإضافة الى هذه الرموز الوطنية فقد وقعت بعض فصائل الثورة الفلسطينية فى هذا الشرك عندما أسست برعايتها « أحزابا اردنية » و« جبهات اردنية » تحت تأثير هذا الشرح الاقليمى الذى نشأ فى شرق الاردن .

ليس من جدل فى أن الجماهير فى شرق الاردن لها همومها المحلية المتصلة بحياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وان هذه الهموم من ناحية نظرية تكاد أن تكون مغايرة لاهداف الثورة التى حددت بالوطن الفلسطينى . بيد ان الواقع العملي يفترض ان هموم الجماهير فى شرق الاردن لا يمكن فصلها عن هموم الثورة لسببين : الأول ان الواقع السكانى فى شرق الاردن حيث الغالبية هم من الفلسطينين يفرض على الثورة ان تعالج مسألتهم السياسية والاجتماعية ما دامت تطرح نفسها ممثلة الفلسطينين فى مختلف تجمعاتهم والمعبرة عن حقوقهم ومصالحهم . وبذلك فان من حق الثورة وواجبها فى آن ان تجعل نضالها متلاحما مع نضال الكتلة الفلسطينية الاكثر عددا . والسبب الثانى ان الضرورة العملية التى يفرضها اتجاه الثورة نحو تأمين قاعدة ثابتة لها قادرة من عليها أن تمارس عملها الثورى فى فلسطين ، هذه الضرورة تجعل ادخال الشأن الشرق اردنى ضمن اهتمامات الثورة الاستراتيجية أحد مكونات قدرتها على الاستمرار .

ان هذين السببين اللذين ذكرنا يبرران معالجة الثورة للكيانية الاردنية وتصديها لها فى شكل جذري خاصة بعد أن أصبح تكريس معنى الكيانية بعد ايلول ١٩٧٠ يتخذ له شكلا مَرَضِيَا مَبْنِيَا على اثاره النزعة الاقليمية مما يعنى سيطرة جناح من المجتمع على جناح ، سيطرة الشرق اردنيين على الفلسطينين . وهذا الاتجاه بجانب الكبت الذى يتعرض له الفلسطينيون فى مسألة علاقاتهم بالثورة يعرضهم الى كبت من نوع آخر هو جرمانهم من المشاركة السياسية وتقرير حقوقهم والدفاع عنها ضمن المجتمع الواحد الذى يعيشون فيه . ان الفلسطينين بعد أن تعرضوا منذ العام ١٩٤٨ لحرمانهم من حمل هويتهم الوطنية المستقلة يتعرضون الآن - فوق ذلك ، لحرمانهم من حقوق المواطنة الكاملة . وذلك سبب كاف لان جعل الكيانية فى شرق الاردن تطرح من جديد على بساط البحث كاحدى المهمات المركزية للثورة ، فى ضوء الحقائق التالية :

أولا انه يجب إعادة تصحيح التاريخ لجهتين : الجهة الاولى ان شرق الاردن انشئت وحدة ادارية مستقلة ثم كيانا منفصلا قائما بذاته على ارض فلسطين التاريخية التى تمتد من البحر المتوسط حتى بادية الشام . والجهة الثانية ان من اصطلح على تسميتهم « الاردنيين من أصل فلسطيني » هم فلسطينيون أولا طمست هويتهم بمعزل عن ارادتهم .

ثانيا ان الواقع السكانى فى شرق الاردن يجب أن يؤخذ بالاعتبار لدى كل حديث عن مستقبل الكيان فعالية السكان فلسطينيون ( نحو ٨٥ بالمائة من سكان عمان العاصمة فلسطينيون ) ومن حقهم ان يسهموا فى بناء الكيان على غير الاسس التى طمست هويتهم الوطنية .

ثالثا ينبغى عدم القفز من فوق ما جرى فى شرق الاردن حتى الآن من نمو الاحساس بالكيانية الاردنية للسكان الشرق اردنيين وتكريسها . فهى ان كانت دوافعها منذ البداية لغير مصلحة القضايا العربية فانه ينبغى الاقرار بان انحصارها فى اللاوعى الجمعى للجماهير قد بدأ يأخذ أشكالا واعية من التعبير عن نفسها ، أحيانا بتأثيرات تراثية استمرارية ، وأحيانا أخرى بفعل تحريضي تمارسه الطبقات الاكثر ثراء ونفوذا

في المجتمع والمرتبطة مصالحها بالنظام والتي تعتبر هي والنظام ان استمرارها مرهون بالوظيفة التي جرى الحديث عنها .

ورابعا ان وحدة السكان الفلسطينيين والشرق اردنيين أصبحت ذات التحام عضوي ، فوحدة المصالح والمصير المشترك لم يعودا كلاما للمجاملة وانما حقيقة صلبة ان اعتورها بعض ريب بتأثيرات طارئة فهي في المدى البعيد غير قابلة للفصم .

ان هذه الحقائق — المقدمات تقود الى نتيجة واحدة هي ان شرق الاردن بجانب انها وطن الشرق اردنيين هي أيضا وطن الفلسطينيين لا فرق ، وان « شرق الاردن الفلسطينية » هي الكيان البديل الذي يحمل ضمنا جميع الاعتبارات الراهنة والتاريخية ( الفلسطينية والشرق اردنية ) ولكنه في الوقت نفسه يصوغ هذه الاعتبارات من جديد لتختلف في الوظيفة عما أنيط بالكيان الاردني حتى الآن .

هل نكون في ذلك قد وقعنا في فخ « الوطن البديل » وما تدعو اليه اسرائيل من ان الاردن هو وطن الفلسطينيين وان بإمكانهم اقامة دولتهم على أرضه ؟ ان المنطقين مختلفان لان المنطقتان متناقضتان من الاساس . فبينما « الوطن البديل » هو انهاء للقضية الفلسطينية بالتسليم بالوجود الاسرائيلي وبالتنازل الفلسطيني عن جزء من الوطن مقابل « وطن آخر » ، فان الاساس في « شرق الاردن الفلسطينية » هو بناء الوطن — القاعدة ، الذي هو الخطوة ذات التجسيد العملي نحو فلسطين الكبرى ، وهو الذي يمكن الفلسطينيين من اطراف الارض المرشحة للتحرير في « يتوسعون » من عليها الى الغرب من النهر . وبقاقتباس التجارب المعاصرة هو شمال فيتنام بالنسبة لجنوبها . ومن هنا الحديث عن الكيان — الثورة الذي يخضع منطق الدولة لمنطق الثورة ولبس العكس ، الثورة بخطوطها الاستراتيجية وبممارساتها التكتيكية اليومية . وبذلك فالقصد من الكيان الجديد هو وضعه في مواجهة الصدامية الاولى مع العدو نوعي كامل لدور المجتمع المعسكر وأسس بنيانه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وللشروط المقامة على هذه الاسس التي تضمن استمرار الثورة وعدم تحولها الى مجرد « نظام آخر » في المنطقة . كما ان المقصود من هذا الكيان الجديد — الذي يشترك في بنائه الفلسطينيون والشرق اردنيون — ان يخلق المعادل الموضوعي للتفوق الحضاري الاسرائيلي بأن يكون مركز استقطاب للقدرات الفلسطينية من مختلف أنحاء العالم ، تنتسب اليه هذه القدرات وتسهم في صنع مستقبله الحضاري ، باذراك غير متواضع لقدرات الخلق الحضاري الفلسطيني .

ان « شرق الاردن الفلسطينية » لا تعني نقض الكيان الوطني الفلسطيني كما هو معبر عنه الآن ، فهي جزء منه وتجسيد — بواقع يدخل الارض في مضمونه — لعناه الذي هو حتى الآن تعبير من خلال المؤسسات عن وجوده . بتعبير آخر ان الكيان الوطني الفلسطيني سيجد في « شرق الاردن الفلسطينية » المحتوى الذي افتقده حتى الآن وهو الارض ، بوعي ان هذه الارض ليست هي خاتمة المطاف والنهائية التي يتوقف عند حدودها الكيان وانما هي الجزء المهد ليصبح الكيان الوطني منطيقا تماما على الارض الفلسطينية جميعا .

## الأيبيك وسياسة المجابهة النفطية

رهف بدوي

كجزء من الحملة التي تشنها الدول المستهلكة للبتروول على الأوبيك تتداول الأوساط النفطية أخبارا وحكايات حول امكانية انهيار سياسات التسعير التي تسيطر عليها المنظمة البترولية . ويقول مروجو هذه الأخبار أن انخفاض الطلب على البترول خلال العام ١٩٧٤ والهبوط الذي طرأ منذ فترة قريبة على إنتاج دول الأوبيك ( الذي كان معدله اليومي في ١٩٧٤ ٣٠٠٦ مليون برميل فانخفض الى ٢٦٤٤ مليون برميل خلال الربع الاول من السنة الحالية ) يشكلان دلائل على أن آمال جبهة الدول المستهلكة حول انهيار سياسة الأوبيك التسعيرية ستتحقق .

ولا يتطلب الأمر كثيرا من التدقيق لتبين أن ترويج مثل هذه الأفكار لا يستند الى أية أسس اقتصادية وسياسية جدية ، ولا يتعدى كونه جزءا من الحملة الاقتصادية والايديولوجية والسياسية التي ما فتئت الدول المستهلكة تشنها على منظمة الأوبيك . وكما هو معروف تأتي هذه الحملة ضمن إطار سياسة المواجهة التي تتبعها حاليا جبهة الدول المستهلكة بقيادة الولايات المتحدة ، في حين تدعو دول الأوبيك ( والدول المنتجة للمواد الخام عموما ) كما سنرى ، لاتباع سياسات يكون أساسها التعاون بين الطرفين المعنيين لحل المشكلات الاقتصادية العالمية الكبرى والتي لا تنحصر بالتأكيد بموضوع النفط وحده .

من هنا ضرورة القاء نظرة موضوعية على العوامل الاقتصادية والسياسية المؤثرة في صنع سياسات الأوبيك وفي تضامن اعضائها وفي قدرتها على الوقوف في وجه الحرب المعلنة عليها . وقد برزت القوة الكامنة في التضامن بين دول الأوبيك فيما بينها من ناحية ومع الدول المنتجة للمواد الأولية من ناحية ثانية في فشل المؤتمر التحضيري المنعقد في نيسان ١٩٧٥ في باريس نتيجة الجبهة الصلبة التي واجهت بها دول العالم الثالث محاولات الدول المستهلكة املاء شروط المؤتمر وجدول أعماله . وبما أن هذا التضامن يزعج الدول المستهلكة الصناعية التي اقصى حد ، تقوم اوساطها برسم صورة عن الأوبيك تجعلها لا أكثر ولا أقل من تراست أو كارتل احتكارية عادية . في حين أن سياسات الأوبيك الرئيسية لا تتبلور الا نتيجة مجموعة من الحلول الوسط والتنازلات المتبادلة وبعد مناقشات مطولة وجدل عميق تأخذ كلها بعين الاعتبار مصالح الدول المستهلكة ، وليس في كل هذا أية سمة من السمات التي تتميز بها المؤسسات الاحتكارية الكلاسيكية وأساليب عملها . في الواقع من المآخذ التي يمكن تسجيلها على سياسة الأوبيك هنا مبالغتها في مراعاة مصالح الدول المستهلكة وترضيبتها حتى على حساب مصالح الدول المنتجة . كل هذا واضح في الجهود الكبيرة والمستمرة التي تبذلها المنظمة لتحقيق ما تسميه « بالحوار البناء » بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث بهدف الوصول الى صفقة شمولية متعددة الأوجه تسهم في حل المشكلات الاقتصادية الرئيسية التي يعاني منها النظام الرأسمالي

العالمي . واضح كذلك ان سياسات التهديد والاستفزاز التي سارت عليها جبهة الدول المستهلكة قد دعمت بالضرورة نزعات التضامن بين دول الاوبيك ( والعالم الثالث عموما ) وقربت بين الصقور والحمام داخل المنظمة . في الواقع اخذ معسكر الحمام الذي تقوده المملكة العربية السعودية ( اكثر الدول قوة ونفوذاً داخل الاوبيك والداعية الكبرى للاعتدال ولكبح اندفاع الصقور والسياسات التي يقترحونها ) يشعر بالاحراج . فهناك دلائل تشير انه حتى المملكة العربية السعودية اخذت تدرس امكانيات التخلي تدريجيا عن هذا الدور التقليدي نتيجة تعنت الدول المستهلكة وعدم تجاوبها مع سياسات الاعتدال التي تمكنت السعودية من فرضها حتى الان . وقد ذكرت مصادر سعودية رفيعة انه اذا لم تبد الدول المستهلكة اهتماما جديا في المستقبل القريب باجراء « حوار بناء » مع الدول المنتجة فان السعودية ستعدل سياساتها التقليدية وستماشى بقية الدول الاعضاء في الاوبيك فيما يتعلق برفع اسعار البترول ودعم هذا الاجراء بشيء من الضبط المشترك والمنسق لعمليات الانتاج . وفي حال تفاقم المجابهة بين الطرفين لا يبدو ان السعودية ستتخلى عن شركائها في الاوبيك بل ستتضامن معهم للدفاع عن المصالح المشتركة للدول الاعضاء بكافة الوسائل بما فيها تخفيض الانتاج اذا دعت الحاجة لذلك . خلاصة القول هي ان الاوبيك وليدة الازمات وقد برهنت حتى الان ان الازمات تزيدها قوة وتضامنا بدلا من أن تضعفها مما يكذب الاخبار والاشاعات التي تتداولها وتروجها اوساط الدول المستهلكة حول المنظمة .

من أهم المصادر التي تمد الاوبيك بقوتها ومناعتها طبيعة التوزيع القائم في قدرات أعضائها على الانتاج . فبلدان الاوبيك الكثيفة بالسكان والمحتاجة الى تنفيذ خطط ضخمة للتنمية ( ايران ، الجزائر ، العراق ، فنزويلا ، اندونيسيا ، الخ ) تنفر الى الاحتياطي النفطي الكبير مما يمنعها من الدخول في أية مزاحمة في ميدان بيع النفط عن طريق تخفيض الاسعار اذ أن مثل هذا التخفيض يضر بمصالحها الحيوية . ومن ناحية أخرى نجد أن بلدان الإوبيك التي تملك احتياطيها نفطيا ضخما ونتاجا كبيرا ( مثلا المملكة العربية السعودية ، الكويت ، ابو ظبي ، ليبيا ) قليلة السكان وذات حاجات تنموية محدودة نسبيا مما يعني أيضا انه لا مصلحة لها في خفض الاسعار لبيع المزيد من البترول اذ ان دخلها الحالي يفيض عن حاجاتها . على سبيل المثال لم تتمكن السعودية في ١٩٧٤ من استخدام أكثر من ٤ مليارات دولار في حقول التنمية الداخلية من أصل عائدات نفطها المقدرة بـ ٢٥ مليار دولار . هذا على الرغم من أن المساعدات الخارجية التي تقدمها السعودية تقدر بحوالي ٢ - ٣ مليارات دولار . أي ان السعودية احتفظت بفائض يبلغ حوالي ١٨ مليون دولار في ذلك العام فقط . يضاف الى ذلك ان أي خفض من انتاج البترول السعودي الى حدود ٥،٩ أو ٦ ملايين برميل في اليوم سيكون لصالح السعودية على المدى البعيد . وفي مقابلة مع الصحيفة الأمريكية « الواشنطن ستار » قال وزير النفط السعودي ، أحمد زكي اليمني ، انه بإمكان بلاده تخفيض انتاجها الى حوالي ٢ أو ٣ ملايين برميل في اليوم اذا دعت الحاجة الى ذلك مؤكدا بان الدول المستهلكة غير قادرة وحدها على تخفيض أسعار النفط لان القرار في هذا الشأن هو بيد الدول المنتجة . نستنتج اذن انه لا مصلحة لاي طرف عربي في الاوبيك بخفض الاسعار وزيادة الانتاج خاصة وأن الضغوط الاقتصادية داخل الدول المنتجة لا تعمل بهذا الاتجاه بل بالاتجاه المعاكس ، من هنا رفض دولة محافظة جدا وفي غاية الاعتدال في سياساتها النفطية مثل السعودية اي املاء لمستوى الاسعار من قبل جبهة الدول المستهلكة بقيادة الولايات المتحدة ومقاومتها لمحاولات تحطيم الاوبيك الاتية من جانب وكالة الطاقة الدولية .

وإذا نظرنا الى دولة منتجة كبيرة أخرى هي إيران ، نجد أن انتاجها في ١٩٧٤ وصل الى معدل ٦ ملايين برميل في اليوم في حين ان طاقتها القصوى على الانتاج لا تتعدى ٦٤٥ ملايين برميل . ومن المعروف ان الابقاء على هذا المعدل العلني غير ممكن بدون عمليات الدفع بالغاز ، وهي عمليات مرتفعة التكاليف وتحرم ايران من عائدات تصدير الغاز المستخدم على النحو المذكور . لذلك تتمحور استراتيجية ايران النفطية عن استراتيجية فنزويلا ايضا - حول العمل لرفع الدخل المتأتي من كل برميل الى أقصى حد ممكن ( وليس مجرد زيادة هذا الدخل فحسب ) . ولهذا السبب تأخذ ايران موقفاً متشدداً جداً داخل الاوبك حول موضوعات مثل زيادة الاسعار وربطها بمعدلات التضخم العالمي .

لا بد من الإشارة هنا الى نقطة تفصيلية لان اوساط الدول المستهلكة تريد أن ترى فيها دليلاً على ضعف قائم داخل الاوبك . معروف ان الجزائر والعراق وليبيا تقدم حسومات على مبيعاتها البترولية في البحر الابيض المتوسط عن طريق تقديم شروط أفضل للتسليف والدخول في صفقات متايضة مع دول ثالثة تعود الى بيع البترول في السوق بأسعار مخفضة . فعند تدقيق النظر في هذه الممارسة نجد أنها لا تشكل في الحقيقة نقطة ضعف في جبهة الاوبك لان الدول المعنية تلجأ الى هذا الاسلوب فسي التعامل أحياناً لتفادي اعلان هذه الحسومات بصورة رسمية بحيث لا يجري تدوينها في عقود مبيع البترول الخام . بهذه الطريقة تجعل الدول المذكورة اسعارها قريبة من أسعار بترول دول الخليج التي انخفضت نوعاً ما بسبب الانخفاض الكبير الذي طرأ على نفقات الشحن في ناقلات النفط . بعبارة أخرى عن طريق اجراء حسومات غير رسمية على بعض المبيعات الهامشية تتجنب الدول المعنية الوقوع في فخ تخفيض اسعارها على كافة مبيعاتها النفطية . ومن ناحية أخرى فان اضطراب هذه الدول الى تقديم مثل هذه الحسومات في بعض الاحيان لا بد وان يشكل حافزاً لها للعمل على استعادة خسائرها عن طريق الضغط لربط أسعار البترول في أقرب وقت ممكن بمعدلات التضخم المالي العالمي .

كانت جبهة الدول المستهلكة تزعم دوماً أن انخفاض نسب انتاج البترول بالقياس الى طاقة الانتاج الكلية في كل بلد من البلدان المنتجة سوف يؤدي الى خفض الاسعار بصورة مشابهة للانخفاض الذي طرأ على الاسعار في الستينات . هنا لا بد من التدقيق في هذه المقارنة . في الستينات كان انتاج القسم الأكبر من بترول دول الاوبك خاصاً للشركات الاجنبية صاحبة الامتياز وموظفاً في خدمة مصالحها . وكان الهم الأكبر لهذه الشركات هو استرداد استثماراتها بأسرع وقت ممكن برفع الانتاج حتى لو كان ذلك يعني الحاق الضرر بالحقول . أما اليوم وبعد أن انتقلت سلطة اتخاذ القرار فيما يتعلق بقضايا مثل الاسعار وهامش الارباح العائدة للشركات ومعدلات الانتاج الى حكومات الدول البترولية نفسها فقد توقفت كافة هذه الممارسات الضارة . يضاف الى ذلك ان الحكومات بحكم كونها المالكة الاولى لوسائل انتاج البترول ( اما عن طريق التأميم أو اتفاقيات المشاركة ) لا تهتم بعامل الوقت وتأثيره على الاستثمارات والارباح على طريقة الشركات الاستغلالية . في الواقع ترى بعض هذه الحكومات انه على الرغم من عدم حاجتها الى أية وسائل اضافية لانتاج البترول في السنوات القليلة القادمة من المفيد الاستثمار في هذا المجال الان بسبب الارتفاع المتوقع في النفقات نتيجة التضخم النقدي العالمي .

أما فيما يتعلق بمقدرة الاوبك على مواجهة أي انخفاض في الطلب على البترول ( تفرضه الدول المستهلكة ) بنجاح ومرونة كبيرة فيتضح من الجدول التالي :

| معدل الانتاج للربع الاول بالنسبة للطاقة القصوى | معدل الانتاج العام ١٩٧٤ نسبة الى الطاقة القصوى | ( بآلاف البراميل ) الطاقة القصوى | نسبة التغيير - الطارئة من ١٩٧٤ | معدل الانتاج للربع الاول من ١٩٧٥ ( بآلاف البراميل ) | معدل الانتاج ١٩٧٤ ( بآلاف البراميل ) | البلد                         |
|--|--|----------------------------------|--------------------------------|---|--------------------------------------|-------------------------------|
| ٦٢٤٠٣  | ٧٥٤٧٠  | ١١٢٠٠                            | ١٦٤٧٢-                         | ٦٠٦٠  | ٨٤٧٩                                 | السعودية                      |
| ٨٧٤٢٩  | ٩٦٤٦٣  | ٦٥٠٠                             | ٥٤٧٤-                          | ٥٦٧٤  | ٦٠٢١                                 | ايران                         |
| ٧٢٤٣٣  | ٨٤٤٩٠  | ٣٠٠٠                             | ١٤٤٨٠-                         | ٢١٧٠  | ٢٥٤٧                                 | الكويت                        |
| ٧٨٤١٩  | ٧١٤٩٢  | ٢٦٠٠                             | ٨٤٧٠+                          | ٢٠٢٣  | ١٨٧٠                                 | العراق                        |
| ٥٣٤٤٨  | ٧٤٤٩٥  | ٢٢٤٠                             | ٢٨٤٦٤-                         | ١١٩٨  | ٦٧٩                                  | دولة الامارات العربية المتحدة |
| ٧٤٤٠٠  | ٧٩٤٨٤  | ٦٥٠                              | ٧٤٣٢-                          | ٤٨١   | ٥١٩                                  | قطر                           |
| ٨٨٤٢٦  | ٩٩٤٢٠  | ٣٠٠٠                             | ١١٤٠٢-                         | ٢٦٤٨  | ٢٩٧٦                                 | غنزويلا                       |
| ٧٤٤٥٦  | ٩٠٤٢٤  | ٢٥٠٠                             | ١٧٤٣٧-                         | ١٨٦٤  | ٢٢٥٦                                 | نيجيريا                       |
| ٨٤٤٣٣  | ٩٢٤٨٦  | ١٥٠٠                             | ٩٤١٨-                          | ١٢٦٥  | ١٣٩٣                                 | اندونيسيا                     |
| ٢٨٤٤٠  | ٦٠٤٨٤  | ٢٥٠٠                             | ٣٦٤٨٨-                         | ٩٦٠   | ١٥٢١                                 | ليبيا                         |
| ٧٣٤٤٠  | ١٠٠٤٠٠   | ١٠٠٠                             | ٢٦٤٦٧-                         | ٧٣٤   | ١٠٠١                                 | الجزائر                       |
| ١٠٠٤٠٠   | ٩٣٤١٥  | ١٩٠                              | ٧٤٣٤+                          | ١٩٠   | ١٧٧                                  | العابون                       |
| ٤٤٤٣١  | ٦٩٤٤١  | ٢٥٥                              | ٣٦٤١٥-                         | ١١٣   | ١٧٧                                  | الايكوادور                    |
| ٧١٤٠٦  | ٨٢٤٤٤  | ٣٧١٣٥                            | ١٣٤٨٠-                         | ٢٦٣٩٠   | ٢٠٦١٦                                | المجموع                       |

يبين هذا الجدول ان الانخفاض في الانتاج البالغ ٤٤٢ ملايين برميل في اليوم خلال الربع الاول من ١٩٧٥ ( بالقياس الى معدل الانتاج للعام ١٩٧٤ ) قد توزع على النحو التالي : المملكة العربية السعودية ٣٣ بالمائة . دولة الامارات العربية المتحدة ١١٤٤ بالمائة . ليبيا ١٣٤٣ بالمائة . الكويت ٨ بالمائة . أي ان هذه البلدان الاربعة التي تتمتع بفائض من الرساميل قد تحملت ٦٥٤٧ بالمائة من النقص في الانتاج في حين ان حصتها من مجمل انتاج دول الاوبك تبلغ ٤٦٤٤ بالمائة . وفي كل هذا تخفيض كبير للضغط الذي يمكن ان يتولد على الدول البترولية الكثيفة السكان والتي تنفذ خطط تنموية ضخمة وباهظة التكاليف .

ونلاحظ أيضا من خلال مقارنة معدل الانتاج خلال الربع الاول من ١٩٧٥ مع معدل ١٩٧٤ ان النسبة بين انتاج المملكة العربية السعودية وطاقتها القصوى على

الإنتاج قد انخفضت من ٧٥.٠ إلى ٦٣.٠ ، ليبيا من ٦٠.٠ إلى ٣٨.٠ ، دولة الإمارات العربية المتحدة من ٧٥.٠ إلى ٥٤.٠ ، الكويت من ٨٥.٠ إلى ٧٢.٠ . أما الجزائر فقد كانت نسبة هذا الانخفاض في الفترة المعنية حوالي ٢٥ بالمائة وذلك لاسباب تقنية تتعلق بتدني الضغط في حقول البترول . من ناحية أخرى نجد أن معدل الانخفاض المذكور في البلدان المنتجة الأخرى ( أي الكثيفة السكان والمفتقرة الى فائض في الرأسمال ) كان ادنى بكثير . انخفضت هذه النسبة على النحو التالي : إيران من ٩٣.٠ إلى ٨٧.٠ ، فنزويلا من ٩٩.٠ إلى ٨٨.٠ ، نيجيريا من ٩٠.٠ إلى ٧٥.٠ ، اندونيسيا من ٩٣.٠ إلى ٨٤.٠ . واضح اذن ان الاتجاه العام داخل الأوبك يميل لصالح البلدان المنتجة التي تحتاج الى كل عائداتها بأسرع وقت وبأعلى مستوى ممكن بسبب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية وخططها التنموية والتسليحية . وعلى الرغم من أن شهر نيسان الماضي شهد مزيدا من الانخفاض في إنتاج كل من السعودية وإيران تبين أن هذا الاتجاه قد وصل الى مداه الأقصى . ويتوقع الخبراء بأن يشهد الربيعان الثالث والأخير من ١٩٧٥ ازديادا في إنتاج دول الأوبك بحوالي مليونين الى ثلاثة ملايين برميل في اليوم بحيث يبلغ المجموع حوالي ٢٧٥٠ الى ٢٨٥٠ مليون برميل في اليوم . ويستند هؤلاء الخبراء في توقعاتهم الى العوامل التالية :

( ١ ) . التوقعات القائلة بأن الدول المستهلكة ستشهد تحسنا في نشاطها الصناعي خلال الأشهر الباقية من ١٩٧٥ خاصة الولايات المتحدة والمانيا الغربية مما سيؤدي الى ارتفاع الطلب على البترول .

( ٢ ) . كان الانخفاض المفاجيء على طلب البترول خلال الأشهر الأربعة الأولى من ١٩٧٥ تمويها أكثر منه حقيقة . إذ أخذت الدول الاعضاء في وكالة الطاقة الدولية تعتمد بصورة واسعة على مخزونات النفط لديها كجزء من تكتيكاتها المتفق عليها لضرب سياسة الأوبك التسعيرية . أي لجأت الدول المستهلكة الرئيسية الى التخفيف من مشترياتها للبترول الخام في السوق الدولية على أمل كسر أسعار الأوبك . إلا أن هذا التكتيك لم ينجح إذ على الدول المستهلكة ان تعيد تزويد نفسها بالبترول للحفاظ على مخزونها بمستوياته السابقة . وبما أن مفعول قرار الأوبك بتجميد الاسعار سينتهي في ١ تشرين الاول ١٩٧٥ من المتوقع ان تشتري الدول المستهلكة كميات كبيرة من النفط (من الدول المنتجة طبعا) قبل هذا التاريخ . وحتى لو لم يرتفع الطلب بأكثر من حوالي مليوني برميل في اليوم سيكون لذلك تأثيره الهام لصالح الأوبك لان في هذا الاشارة الحاسمة الى انعكاس الاتجاه السابق نحو الانخفاض في الطلب .

مع ذلك ، حتى لو لم تشهد الدول المستهلكة تزايدا في نشاطها الصناعي واستمر الانخفاض في الطلب على البترول سيبقى موقف دول الأوبك في غاية القوة حتى منتصف ثمانينات القرن على أقل تعديل . وكما سيكون باستطاعة المنظمة ان تلجأ الى عدد من الاجراءات الدفاعية والهجومية لحماية مواقفها ومصالحها . على سبيل المثال بإمكان الأوبك الاسراع في تنفيذ مخططاتها لاصلاح نظامها التسعيري والضرائبي وتصفية أية نزاعات للمنافسة بين الدول المنتجة ( التي تعمل لصالح بعض انواع البترول الخام على حساب غيره ) . كذلك بإمكانها اتباع سياسات معينة لحماية البلدان التي يتعرض بترولها لمقاطعة من قبل الدول المستهلكة في محاولة لاستفرادها وضرب أسعارها واخضاعها . بالإضافة الى هذه الخطوات الدفاعية باستطاعة الأوبك ايضا أخذ زمام المبادرة بزيادة أسعار النفط وربطها اما كليا او جزئيا بمعدلات التضخم وفقا لما تقتضيه ظروف المواجهة مع الدول المستهلكة . واذا دعت الحاجة بإمكان الأوبك

خفض انتاج البترول الى مستوى يقع دون مستوى الطلب العالمي مما سيرفع الاسعار بصورة اوتوماتيكية . بعبارة اخرى تملك الاوبيك القدرة على اتخاذ سلسلة من الاجراءات القوية لمواجهة أي حد مفتعل في الطلب على البترول من جانب الدول المستهلكة .

بالاضافة الى العامل الاقتصادي في قوة الاوبيك ومناعة مواعها هناك العامل السياسي ايضا الذي يستحق بعض المعالجة . اولاً ، نلاحظ ان المملكة العربية السعودية ( وهي أكبر الدول المنتجة واهمها ) قد مرت بتغيرات سياسية هامة منذ بداية السبعينات . لقد تخلت عن سياساتها الانعزالية القديمة ودخلت بشكل قوي في مجرى الاحداث العربية الكبيرة وشؤون الشرق الاوسط على العموم . ووصل هذا التحول الى ذروته في قرار الملك فيصل باستخدام سلاح النفط لدعم الجهود العربي العربي خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ . كما ان وزير البترول احمد زكي اليماني اخذ المبادرة في الوساطة بين العراق وسوريا . وقد تحولت السعودية بذلك الى واحدة من الدول الاربعة الكبرى في العالم العربي واصبح لها وزنها الضخم في تسيير شؤون السياسة العربية العليا . ولا شك ان الارتباطات العربية الجديدة للسعودية والتزاماتها تجاه العالم العربي عموماً تركت آثارها على سياساتها البترولية . فمع أن السعودية نجحت حتى الان في وضع حد لاتجاه الاوبيك نحو رفع الاسعار وفي تأجيل ربط مستوى الاسعار بمعدل التضخم فانها لم تتمكن من تحقيق أي تخفيض في اسعار البترول بسبب ضغط دول عربية اخرى لا تريد السعودية تدهور العلاقات معها . نلاحظ ثانياً تحسن العلاقات العربية - الإيرانية ( داخل الاوبيك وخارجها ) الذي أخذ شكل حل المشكلات العالقة مع العراق بالنسبة للمسألة الكردية وشط العرب وتقرب ايران من مصر ووعدها بمساعدات مالية هامة بالاضافة الى تقريبها من العرب عموماً عن طريق اطلاق التصريحات المناصرة للجانب العربي في النزاع مع اسرائيل . نتيجة لكل ذلك أصبحت ايران قادرة الان على اخذ زمام المبادرة بقوة أكبر في الدفع داخل الاوبيك باتجاه رفع عائدات البترول الى أقصى حد ممكن . وهناك دول اخرى تدعم ايران في هذا الميدان بقوة مثل الجزائر والعراق وليبيا في محاولة لتخطي النزعات المعتدلة التي تصر عليها السعودية . ثالثاً ، هناك عوامل عديدة تفرض على الدول المعنية عدم السكوت على أي انخفاض في عائدات النفط . ومن أهم هذه العوامل الالتزامات المالية المتزايدة للدول العربية المنتجة ازاء الدول العربية الشقيقة والدول النامية الاخرى ، تزايد نفقات التسليح في العالم العربي وايران ، وتصاعد التضخم المالي في الدول الصناعية . رابعاً ، لا شك ان مستقبل أسعار النفط حتى نهاية السبعينات سيعتمد على طبيعة العلاقات بين الدول الصناعية المستهلكة ودول العالم الثالث بما في ذلك دول الاوبيك . ونتيجة سياسة المجابهة التي تتبعها الدول المستهلكة ساءت هذه العلاقات كثيراً كما هو واضح من التهديدات بالاحتلال العسكري لحقول النفط وانهايار مؤتمر باريس المذكور سابقاً .

ننتقل الان لعرض الخطوط العريضة لموقف دول الاوبيك الشمولي وبرنامجه العام لان هذه الخطوط مطروحة كبديل لسياسة المجابهة والتهديد التي تسيير عليها الدول المستهلكة وكسلاح للوقوف في وجه مخططات وكالة الطاقة الدولية لتدمير الاوبيك . يضاف الى ذلك ان هذا البرنامج العام سيحدد السياسات المستقبلية للمنظمة والاتجاه الذي سيسير فيه تطورها ونموها في السنوات القادمة . يبدو لنا ان أفضل مرجع متوفر يطلعنا على هذا البرنامج هو المذكرة التي أعدتها منظمة الاوبيك لتكون أساساً صالحاً للمفاوضات بين الدول المستهلكة من جهة والدول المنتجة للبترول والمواد

الاولية من ناحية ثانية . واستندت هذه المذكرة بدورها الى الاراء والمواقف التي تسم طرحها في المؤتمر الذي عقدهه الاوبيك في الجزائر بين ٢٤ و٢٦ كانون الثاني ١٩٧٥ وحضره وزراء النفط والخارجية والمال للدول المعنية . ويتلخص هذا الموقف كما تبينه المذكرة بالنقاط التالية :

( ١ ) لا تطرأ اية زيادات على أسعار النفط الحقيقية خلال السنوات الست القادمة . وخلال هذه المرحلة الانتقالية يجري ربط أسعار البترول بمعدل التضخم بصورة تدريجية وعلى مراحل من اجل حماية القوة الشرائية للعائدات . ويتحدد أكبر يقول هذا الاقتراح بتجميد أسعار البترول الخام على ما كانت عليه في ١ كانون الثاني ١٩٧٥ خلال السنة كلها على أن يجري رفعه فيما بعد بنسبة تعكس نسبة التضخم في ١٩٧٦ و١٩٧٧ على أن يجري تعديل هذا السعر مجددا ليتماشى كليا مع معدل التضخم بكامل مقداره خلال ١٩٧٨ - ١٩٨٠ . بعبارة اخرى سيطرأ انخفاض على الاسعار الحقيقية للبترول خلال السنوات الثلاث الاولى .

( ٢ ) تضمن الاوبيك تزويد السوق العالمية بكميات النفط التي تحتاجها في السنوات المقبلة .

( ٣ ) وضع خطة لاعادة تدوين البترودولارات عن طريق تقديم اعتمادات الى البلدان الصناعية المستهلكة التي تعاني من مشكلات في ميزان مدفوعاتها ، على أن تشمل هذه الخطة اعتمادات محددة لشراء البترول . أما بالنسبة للدول النامية غير المنتجة للبترول فقد جرى طرح اقتراحات لتقديم مساعدات سخية ومتنوعة لها ، مثلا وضع خطة لتزويد هذه البلدان بالاسمدة الازوتية بأسعار مخفضة جدا .

( ٤ ) تطالب دول الاوبيك في مقابل كل ذلك بما يلي : ( أ ) وضع نهاية سريعة لسياسات المجابهة التي تسير عليها الدول المستهلكة حاليا والانتقال الى « الحوار البناء » على أساس من المساواة بين الدول الصناعية والعالم الثالث الذي تشكل دول الاوبيك جزءا منه . ( ب ) علاقات منصفة بين أسعار البترول وأسعار السلع والخدمات التي تستوردها دول الاوبيك من البلدان الصناعية . ( ج ) بذل جهود جدية من جانب الدول الصناعية - تشرف عليها وتسهم فيها الحكومات بنفسها - لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم الثالث وخاصة تسهيل انتقال التكنولوجيا الحديثة والاموال الى الدول النامية ، وفتح الدول الصناعية لاسواقها امام المنتجات الصناعية الصادرة من العالم الثالث . ( د ) عدم وضع أية قيود على حرية دول الاوبيك في استخدام اموالها السائلة . ( هـ ) تنفيذ سياسات تسعيرية مناسبة فيما يتعلق بالمواد الاولية ( غير البترول ) الصادرة عن العالم الثالث . ( و ) اصلاح النظام المالي الدولي بحيث يتمكن العالم الثالث من المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات في هذا الميدان . بعبارة اخرى تقترح الاوبيك على الدول المستهلكة الكبرى ( خاصة على الولايات المتحدة ) صفقة شمولية متعددة الجوانب تتناول بالاضافة الى البترول والطاقة موضوعات مثل المواد الخام ( بما في ذلك الاغذية ) ، وحماية القوة الشرائية لعائدات البترول والتعاون بين الطرفين في سبيل تنمية الدول المتخلفة واستفادة الأخيرة من التكنولوجيا الحديثة وكل ما يتعلق بمشكلات الاستثمار والنظام النقدي العالمي وضمان اموال الدول المنتجة . ومعروف أن سياسة الدول المستهلكة هي الاصرار على استبعاد كل هذه القضايا - الحيوية بالنسبة للعالم الثالث كله - والتركيز في « الحوار » على الموضوع الوحيد الذي يهم الدول الصناعية أي البترول والطاقة . ومنذ فشل مؤتمر باريس التحضيري لا توجد اية دلائل تشير الى

أن الدول المستهلكة قد أصبحت على استعداد أكبر لتقبل البرنامج الذي تطرحه الأوبك على الرغم من اعتدال مطالبه اعتدالا كبيرا . وما زال خصوم الأوبك يحاولون بكافة الوسائل بما فيها التهديد العسكري « اقتناع » الدول المنتجة بأن ميزان القوى وضغوط السوق تميل لصالح الدول المستهلكة مما يعني أنه بإمكان هذه الدول الانتظار بدلا من الدخول في صفقات شاملة وطويلة الأمد حول أسعار البترول وغيره من المواد الأولية الإستراتيجية مع الدول المنتجة لهذه السلع . وما من شك أن بعض الدول المستهلكة تعد حساباتها للوصول إلى أهدافها على أساس أن الانتظار قد يفك جبهة الأوبك وأن انخفاض الطلب على البترول وتدني أسعاره سيضربان بالضرورة سياسات الأوبك التسعيرية . ومن هنا ضرورة اليقظة والتنبه من جانب الأوبك لتفصيل الحسابات التي يضعها المعسكر الخصم في حربه على الدول المنتجة .

لقد أوضحت مصادر الأوبك بأن برنامجها ومقترحاتها المذكورة قابلة للتفاوض في تفاصيلها ولكن ليس في مبادئها وخطوطها العامة . كما ألححت على إمكانية تمديد تجميد الأسعار الذي فرضته المنظمة حتى نهاية ١٩٧٦ إذا استجابت الجبهة الأخرى استجابة مرضية وجدية على المقترحات أياها .

أما إذا استمرت سياسات المجابهة والتهديد فإن الحد الأدنى لما يمكن أن تفعله الأوبك في ردود فعلها نجده في ما ذكرناه سابقا على لسان السعودية . وقد لا تقف الأمور عند هذا الحد ، كما ألححت إلى ذلك حتى السعودية ، إذ قد تضطر دول الأوبك عندئذ إلى خفض الإنتاج بصورة كبيرة ومنسقة لحماية مواقعها وعائداتها وبترولها . ولا نستبعد أبدا أن يؤدي مثل هذا الإجراء إلى مغامرات عسكرية من جانب الولايات المتحدة ينبغي أن نكون مستعدين لمواجهةها ومنعها من تحقيق أهدافها في السيطرة على حقول البترول .

صدر عن مركز الأبحاث

فلسطين

في مذكرات القاوقجي

١٩٣٦ - ١٩٤٨

اعداد الدكتورة خيرية قاسمية

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف إليها اجور البريد الجوي .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الأبحاث

من ب ١٦٩١ - بيروت

## اسرائيل والاحتكارات النفطية

الدكتور سلمان رشيد سلمان

ان التعرض لدور اسرائيل في الشرق الاوسط يقودنا الى معرفة دورها في المخطط الامريكى والقاضي بالسيطرة على الموارد النفطية وضرب اي تحرك جدي عربي لوضع هذه الثروة المهمة في ايدي اصحابها ، وسيتعرض هذا البحث لدور اسرائيل في هذا المخطط ، وتأثير ازمة النفط على اسرائيل ثم وجهة نظر السياسيين الاسرائيليين في هذه الازمة ، وموقف اسرائيل من هذه الازمة .

لقد فكر قادة الصهيونية وخالفو اسرائيل في جعلها منذ البداية كمتساعدة امامية للاستعمار الغربى والاوربى ولقد ذكر هرتزل في ان واجب اسرائيل « ان تكون مقراسا لاوروبا ضد آسيا ، ان تكون مخفرا اماميا للحضارة ضد البربرية » (١) . وكانت الصهيونية العالمية كريمة في اعطاء الوعود الى كل الدول الاستعمارية التي كانت ستفيدها في اقامة الوطن القومى اليهودي ، فقد ابدي قادة الصهيونية استعدادهم للتعاون مع الدولة العثمانية من اجل اقامة دولة يهودية مقابل اسناد الصهيونية للدولة العثمانية ماديا وكذلك تعاملت الصهيونية مع اطراف عديدة كالمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية (٢) ، ووضعت ثقلها في الحرب العالمية الاولى الى جانب انكلترا وحصلت مقابل ذلك على وعد بلفور القاضي بانشاء الوطن القومى اليهودي في فلسطين . ونتج عن ذلك قيام تحالف بين انكلترا واسرائيل اسفر عن تحرك اسرائيل ضد مصر حينما عملت الاخيرة على تأميم قناة السويس ، الا ان الفشل الذي اصاب انكلترا في هذه الحرب قد عزز مواقع امريكا في الشرق الاوسط وبالتالي فقد اتجهت اسرائيل نحو التحالف مع الجناح الاكثر قوة . ان من الضروري ملاحظة ان هذا الانتقال الاسرائيلي قد صاحبه تزايد في نسبة الاحتكارات النفطية الامريكية على حساب انخفاض الاحتكارات النفطية البريطانية ، حتى بلغت نسبة الاحتكارات النفطية الامريكية ٦٠ بالمائة من مجموع الاحتكارات النفطية العالمية في الشرق الاوسط (٣) .

هذه الاحتكارات التي تعمل لاسناد اسرائيل وليس ذلك بالشىء العجيب فالرأسمالية اليهودية تسيطر على اكبر الشركات والبنوك في اوزوبا الغربية وامريكا ولها حصص كبيرة في معظم الشركات الاحتكارية النفطية ومن هنا فان الدور المتداخل الذي تلعبه اسرائيل في حماية الاحتكارات النفطية وفي الاستفادة منها يغسدو في منتهى التوافق والانسجام ، وقد ذكر هايمان ليومر بعض الحقائق عن الحركة الصهيونية واسرائيل قائلاً (٤) « تتفق على رأس الحركة الصهيونية العاملة اليوم مجموعة متنفذة جدا من الرأسماليين اليهود . . . وهي المجموعة ذاتها التي تزود اسرائيل بحصص الاسد من الهبات الضخمة ، التي تتلقاها من الولايات المتحدة الامريكية كل عام ، وهي المشتري الرئيسى للسندات الاترائيلية ، علاوة على انها هي بالذات التي تستثمر اموالا كثيرة جدا في فلسطين المحتلة وتمارس نفوذا وتأثيرا ايدولوجيين وأسعين في عقر دار الاستعمار الامريكى » .

لقد كان الغرض من اقامة اسرائيل : ١ - السيطرة على اهم منطقة استراتيجية في العالم . ٢ - حراسة موارد النفط الغنية والمهمة في الشرق الاوسط . ٣ - الوقوف ضد حركات التحرر والتي من اهم اهدافها التحرر السياسي والاقتصادي وبالتالي السيطرة الوطنية على موارد النفط .

لقد عبر جرثوم شوكنس عام ١٩٥١ عن الدور الذي ينبغي لاسرائيل ان تلعبه في الشرق الاوسط بهذه الكلمات « ان تقوية اسرائيل يساعد الدول الغربية على المحافظة على التوازن والاستقرار في الشرق الاوسط ، وان على اسرائيل ان تلعب دور كلب الحراسة ، وليس هناك خوف من ان تمارس اسرائيل سياسة عدوانية تجاه الدول العربية اذا كان ذلك يتعارض مع رغبات الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولكن ولاي سبب كان فان فضلت الدول الغربية ان تغلق عيونها مبالامكان الاعتماد على اسرائيل للقيام بمعاينة واحدة او اكثر من الدول المجاورة التي تجاوزت تصرفاتها تجاه الغرب ، حدود اللياقة المسموح بها » (٥).

ولقد لعبت اسرائيل بالضغط الدور الذي انيط بها في سنة ١٩٥٦ وفي حزيران ١٩٦٧ لضرب الانظمة التي ارادت أمريكا ان تعاقبها ومن هنا جاء الاستبشار بنتائج حرب حزيران فقد ذكر أحد الكتاب الأمريكيين بان « عضلات اسرائيل مع مرونة الولايات المتحدة ، اعطت نتائج مرضية ، وكفائدة غير مباشرة لحرب اسرائيل الخاطفة فان الولايات المتحدة ستكون على الاقل في موقع قوي لتضييد الشرق الاوسط ، حتى يمكن تسويق نفطه بصورة رابحة واستعمال مبراته المائتة لفائدة التجارة العالمية (٦) وضح دين راسك بعد حزيران ١٩٦٧ قائلاً « ان نتائج القتال كانت انتصارا للغرب بكل مغني الكلمة » (٧)، اما لجنة الكونجرس الخاصة بالسلام في الشرق الاوسط فقد ذكرت بان « السلام في الشرق الاوسط كان يواجه تهديدا حقيقيا من السياسات التقدمية التي تتبعها الجمهورية العربية المتحدة وحفاؤها والتي كان يعتقد بانها تعمل لاحاق الضرر بالمصالح الامريكية والبريطانية في المنطقة وتساعد على انتشار الشيوعية » (٨).

لقد لخص شموئيل يعري دور اسرائيل في الحقبة الماضية قائلاً بان « اسرائيل ساهمت في استقرار المنطقة التي تعتبر الدول الرجعية دعائمها ، وترسيخ النفوذ الامريكي وطرد النفوذ السوفييتي ، لقد خرج الغرب رابجا في ١٩٦٧ لان اسرائيل حطمت الحربة الناصرية لازالة النفوذ الغربي وانظمة الحكم الموالية للغرب في الشرق الاوسط ، لذلك فان اي تحول في موقف الولايات المتحدة سيؤدي الى اضعاف وضع اسرائيل ازاء مصر سيساعد على تجديد انقضاخ الثوريين العرب والسوفييات من ورائهم ضد الرجعية العربية ومصالح النفط الغربية » (٩).

بدأ الحديث عما يسمى بازمة النفط منذ مطلع ١٩٧٢ ، ولقد دلت الاحصائيات على ان اعتماد الغرب وامريكا واليابان على نفط الشرق الاوسط وشمال افريقيا سيزيد في السنين القادمة ، فالولايات المتحدة تواجه حالة جديدة فهي تستورد الان نحو ٤ ملايين برميل في اليوم عشرها فقط من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا الا ان الولايات المتحدة ستستورد حوالي ١٥ مليون برميل بعد عام ١٩٨٥ معظمها من هذه المنطقة ويقدر خبراء النفط كلفة هذه الكميات من النفط بحوالي ٣٠ - ٣٥ مليار دولار سنويا (١٠)، وسيبلغ احتياج العالم حوالي ١٠٠٠ مليون طن في سنة ١٩٨٠ معظمها من دول الشرق الاوسط ، تستهلك الولايات المتحدة منها حوالي ٦٠٠ مليون طن (١١) ، وذكر السناتور هانس بان امريكا سيتواجه ازمة في الشرق الاوسط للاسباب التالية : ١ - ان الحرب في الشرق الاوسط قد تؤثر على ضخ النفط . ٢ - ان الاعتماد على

النفط سيؤدي الى عجز في ميزان المدفوعات الامريكى . ٣٠ - ان وضع امريكا كقوة عالمية سيصبح مهددا (١٢) .

وصرح نيكسون في اليوم السادس من حرب تشرين قائلا : « ان انفجار الوضع في الشرق الاوسط يذكرنا مرة اخرى بمدى اعتماد الولايات المتحدة واوروبا واليابان على شحنات النفط في الشرق الاوسط » (١٣) .

ان هذا التخوف قد دفع الولايات المتحدة للتحرك دبلوماسيا في الشرق الاوسط في بداية ١٩٧٣ من اجل تجريد الوضع في الشرق الاوسط وفي نفس الوقت اغداق السلاح على اسرائيل لتقوم بدورها في حالة الحاجة اليها ولتد كانت اسرائيل مدركة لهذه المخاوف لذلك توجهت جولدا مئير الى امريكا لتناقش هذه القضية مع نيكسون ولقد اوضح يوئيل ماركوس القضايا التي اثارها مئير مع نيكسون قائلا : « لقد اوضحنا للادارة والجمهور الامريكى انه لن تكون هناك فينتام ثانية وانه لن يسفك الدم الامريكى ، لقد قلنا اعطونا الادوات ونحن نقوم بالمهمة » و اضاف « لقد اوضحنا للامريكيين بان اسرائيل قوية وذات وسائل ردع لن تبعث باليأس في نفوس العرب من الطول العسكرية ، ولن تقرب بالتالي امكان السلام فقط ، بل ستحول دون تحول النزاع الى نزاع عالمي . لقد ادى صمودنا في حرب الاستنزاف الى خروج الروس من مصر خلافا لكل توقع ، لقد بينا بان اسرائيل قوية هي ضمانة للمحافظة على المصالح الامريكى في المنطقة ولقد اوضحنا بان الجيش الاسرائيلى ، بقوته المطلقة لا النسبية ، هو خط الدفاع الاول عن المصالح الامريكى في حوض البحر الابيض المتوسط اكثر من معظم دول حلف الاطلسي ، واننا الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة الاسلامية الموالية لهم في المنطقة ، مهما بيدو الامر غريبا ، فان اسرائيل في نهاية الامر هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب » (١٤) .

اما البعزر ليفنه فقد ذكر الدور الذي ستلعبه اسرائيل في البحر الاحمر قائلا : « دون الجيش الاسرائيلى ذي القوة الكبيرة والقادر على العمل عند الضرورة على اتساع رقعة المنطقة وبها في ذلك مضائق باب المندب ، لن يكون لواشنطن متكافؤ ضد تسلط روسيا على دول النفط ، واذما جمد تعاضم القوة الاسرائيلية فستستقط ايران في فلك موسكو وينخل خلف الاطلسي » (١٥) .

لقد ركز قادة اسرائيل على ضرورة استهوار الاسناد الامريكى لاسرائيل لان الاعتماد على العرب والتخلي عن اسرائيل لن يخدم المصالح النفطية الامريكى بل سيضعها تحت رحمة الثوريين العرب ، ولقد ذكر احد السياسيين الاسرائيليين : « بان دولة اسرائيل هي الحارس الرئيسي لاستمرار تدفق النفط من الشرق الاوسط الى اسواق العالم ، انها هي الضمانة الرئيسية لاستقرار تدفق النفط في شبه الجزيرة العربية وفي الخليج الفارسي - اسرائيل تسميه الفارسي ، لا العربي - ، ولكن المؤسف انه بالنسبة للاوروبيين الغربيين واليابانيين ، وهم الزابحون الاساسيون من ذلك ، تلعب اسرائيل دور الحارس الحياتي ، بينما نظام الحكم الامريكى هو الذي ينظر بتفهم الى الدور الذي يبدو متناقضا في الظاهر والذي تلعبه اسرائيل في ساحة الشرق الاوسط » و اضاف الكاتب قائلا : « في الواقع ان اسرائيل هي التي تحمي وجود الاردن وتدافع عنه ضد اخواتها العربيات ، والاردن ما هو الا دولة حاجز تحمي المملكة العربية السعودية وامارات الخليج من الغزو السوري - السوفييتي من الشمال والغرب ، لانه بعد الاردن يأتي دور السعودية ، ان وجود وامن دولة الحاجز العربية هذه مضمونان بواسطة اسرائيل » (١٦) ، و اضاف : جرشوم شوكنين في هارتس

تأثلا : (١٧) ، « ان امريكا لن تخدم مصالحها اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل دعما لمحتاج ، عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله ، وليس اتفاقا مجددا للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة ، وفي نهاية الامر فالولايات المتحدة تلحق ضررا ان هي تصرفت وكان اسرائيل فقير يقف على بابها » .

واجهت هذه المخاوف الاسرائيلية حملة تطمينات امريكية بدأها الرئيس نيكسون بأن ذكر بأن تجميد الوضع في الشرق الاوسط سيتم الى أن تتوصل الولايات المتحدة الى صحة الاستفتاء عن نفط الشرق الاوسط بعد خمس سنوات وذكر بأنه لن يقبل ان يبقى تحت رحمة الاوضاع في هذه المنطقة (١٨) ، وفي خطاب لنيكسون حول أزمة النفط ذكر نيكسون بأن هؤلاء الذين يتطلعون الى ربط سياسة امريكا نحو اسرائيل بما يحدث في مجال النفط العربي مخطئون وذكر بأن النفط العربي لا قيمة له بدون اسواق (١٩) ، وجاء كيسنجر ليضيف بأنه لن يكون هناك تغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل بسبب أزمة النفط (٢٠) ، وجاءت تصريحات نائب وزير الخارجية الامريكى كينيث رشي في ١٩٧٣/١١/٣٠ والتي جاء فيها (٢١) بأن قدرة اسرائيل على الدفاع عن نفسها تشكل أساسا لاتفاقية السلام ، ولن يكن لفورد - الرئيس الحالي - الا ان يدلي بذلوه في بئر التأييد لاسرائيل فقد ذكر بأن الحزبين الجمهوري والديمقراطي ملزمان بالحفاظ على بقاء اسرائيل وليس في رأيه ان تتفاوض اسرائيل مع الدول العربية من موقع ضعف لان قوة اسرائيل تعتبر الضمان الامثل لبقاء حكومات مسؤولة في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالنفط (٢٢) .

قبل التطرق الى آراء الاسرائيليين في أزمة النفط لا بد لنا ان نتكلم عن دور اسرائيل المباشر في ضرب المصالح النفطية العربية هذا الدور الذي تبلور في قضيتين مهمتين هما :

**١ - خط ايلات - عسقلان :** افتتح هذا الخط في سنة ١٩٧٠ واعلن بأن طاقته ستكون لهذه السنة بحدود ٢٢ مليون طن ، وكل المعلومات تشير الى ان النفط يأتي لهذا الخط من ايران ولقد ذكرت مجلة الايكونوميست البريطانية بأن طهران وتل ابيب تعملان الان جادتين لخلق محور خاص بهما (٢٣) ، لقد اختصر هذا الخط المسافة بالنسبة لنقلات النفط من ٢٠ الف كيلومتر حول افريقيا الى ٢٥٠ كيلومترا (٢٤) ولقد قدرت التوفيرات من جراء استعمال هذا الخط بحوالي ٤٨ و٣٢٥ بالمائة من التكاليف التي تدفع لتسويق النفط عن طريق رأس الرجاء الصالح (٢٥) ، الا ان هذا السبب لم يكن الدافع الرئيسي لانشاء هذا الخط الذي اعتبره زوتشيلد غير اقتصادي ، لان السبب الذي دفع بالشركات ورؤوس الاموال الامريكية للمساهمة بانشاء هذا الخط هو سبب سياسي وهو تكريس اغلاق قناة السويس والتوسع في هذا الخط لكي يكون البديل لقناة السويس حتى لا تمارس الدول الغربية ضغطا على اسرائيل نتيجة الاضرار التي تتع بها بسبب اغلاق القناة ، علاوة على أن هذا الخط سيزيد من نفوذ اسرائيل في البحر الاحمر ، ويجعلها دولة نفطية لتستطيع ان تخدم بصورة افضل المصالح الاحتكارية ، وبالفعل فان اسرائيل في الطريق الى ان تصبح دولة نفطية ، فان طاقة اسرائيل على تكرير النفط قد بلغت الان حوالي عشرة ملايين طن (٢٦) . يوجد الان مصفاةتان ، الاولى في اشدود بطاقة ٢ مليون طن سنويا ، والاخرى في حيفا بطاقة ٦٥ مليون طن سنويا ، في حين تحتاج اسرائيل الى اقل من نصف هذه الكمية والباقي يصدر الى الخارج ، ولقد ذكر بنحاس مسابير بأن طاقة اسرائيل على التكرير ستصبح عشرين مليون طن في ظرف السنتين العشر المقبلة علاوة على ان

اسرائيل قد استفادت في توسيع شبكتها البتروليكيماوية والتي تجني منها الارباح الطائلة .

لقد قدرت الطاقة التي سيعمل بها الخط في ١٩٧٠ كما ذكرنا في حدود ١٢ مليون طن، لكن اسرائيل اعلنت خلال النصف الاول من السنة على ان الخط يضح بحدود ٤٠ مليون طن ، ولقد جرى تقدير الكمية التي يمكن لايران ان تسوقها عن طريق الخط فوجد انها تبلغ نصف طاقة الخط وهذا قاد الى الاعتقاد بان الشركات النفطية هي التي تسوق بقية النفط (٢٧)، ان هذا الخط ما كان ليتمكن ان يصبح حقيقة بدون معونة الاحتكارات النفطية ومعونة ايران في هذا المجال (٢٨) والتي تعتبر ضربة موجة للعرب وتعاوننا مكشوفاً مع اسرائيل والاحتكارات النفطية ضد حقوق العرب المشروعة .

**٢ - نفط سيناء :** وقعت آبار النفط المصرية في سيناء بيد اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ولقد تبين مما نشرته الصحف الاسرائيلية حول فضائح شركة ( نيفي نفط ) سنة ١٩٧٢ بان مدير الشركة موني فريد مان كان قد عين مديراً لآبار النفط في سيناء قبل حرب ١٩٦٧ مما يدل على ان اسرائيل كانت تخطط لاحتلال سيناء ونفط سيناء (٢٩)، ولقد بدأت اسرائيل باستغلال نفط سيناء مباشرة بعد حرب حزيران ولقد حققت اسرائيل ربحاً قدره ٥٠٠ مليون دولار منذ بدأت استغلال هذه الابار (٣٠) وتنتج الابار يومياً نفط قيمته ٧٥٠ الف ليرة اسرائيلية وتبلغ كمية النفط المستخرجة نحو ٥ ملايين طن سنوياً اي ان هذه الكمية تغطي حوالي ٧٠ بالمائة من احتياجات اسرائيل النفطية (٣١)، ولهذا السبب لم تقلق اسرائيل كثيراً عندها كان الجميع يتحدث عن أزمة النفط ، ولقد قدرت كمية النفط الموجودة في آبار سيناء الحالية بحوالي ١٢٠ مليون طن وهذه الكمية ستكفي اسرائيل لمدة عشرين سنة وهذا ما يدفع اسرائيل للاحتفاظ بهذه الابار لان التخلي عن هذه الابار سيكلف اسرائيل مليار دولار كل سنة للتزود باحتياجاتها من النفط في حالة انسحابها (٣٢) ولقد ذكر بعض المعلقين الاجانب بان اسرائيل لن تنسحب من هذه الابار وانها ستجارب من أجل هذا النفط (٣٣)، ولقد ذكر خبير النفط الاسرائيلي يسرائيل كوزلوف بان احد شروط السلام الحقيقية هي تأمين حاجة اسرائيل من النفط من الدول المجاورة وينبغي كنتيجة لذلك الغناء المقاطعة العربية وبدون ذلك ستكون اعادة الحقوق في سيناء مجافية للمنطق وحتى خطرة (٣٤)، اما تسفي دينشتاين ، نائب وزير المال ومفاوض الوقود فقد أكد على ضرورة تزويد اسرائيل بنفط سيناء وان من الضروري ان تسوق الدول العربية الاخرى النفط الى اسرائيل وان تنهي الدول العربية المقاطعة ضد اسرائيل ولن تفعل الدول العربية ذلك الا بعد ان توقف مصر جريها الاقتصادية ضد اسرائيل (٣٥)، وذكر عمير شايير (٣٦) بان سيناء تتحول بفضل معركة النفط الى موقع اقتصادي مهم ومن الممكن ان يؤدي وعي اسرائيل لاهمية حقول النفط الى تصلب في موقفها من محاولات تحقيق حل سلمي الا مقابل تنازلات مهمة لاسرائيل .

ان اسرائيل تساوّم على حق وعلى آبار ليست ملكها من أجل ان تحصل من الدول العربية على أقصى قدر من التنازلات ، منهنسا فتح الاسواق العربية للبضائع الاسرائيلية وبدون ذلك فان اسرائيل ليست مستعدة للتنازل عن نفط سيناء .

### أزمة النفط وردود الفعل الاسرائيلية

مرت اسرائيل بأزمة اقل درجة من تلك التي عانتها بعض الدول الاوروبية ويرجع سبب ذلك الى نفط سيناء ، لقد تشكلت بعد حرب تشرين لجنة وزارية خاصة بالنفط

وفرضت هذه اللجنة قيودا على استهلاك النفط والكهرباء ، وهي: (٢٧) ١ - يمنع استعمال السيارات الخاصة الا في حالات استثنائية . ٢ - تقييد سرعة السيارات خلال ايام الاسبوع ٢٠٠ - خفض قوة الكهرباء التي يستخدمها المستهلكون . ٤ - رفع أسعار مشتقات النفط ورسوم الكهرباء .  
لقد اثارت ازمة النفط ضجة على الصعيد السياسي في اسرائيل وانقسم الرأي بشأنها الى اربعة اتجاهات تتلخص في (٢٨):

١ - الاتجاه الذي لا يرى خطرا عربيا حقيقيا في استعمال النفط كسلاح سياسي حاليا ، ولكنه يحذر من تزايد القوة الاقتصادية العربية نتيجة تراكم اموال كميات النفط الكبيرة المصدرة من الدول العربية ، خصوصا الى الولايات المتحدة ويمثل هذا الاتجاه اسحاق رابين - رئيس الوزراء الحالي - (٢٩) ففي مقابلة مع دافار قال : « ثمة ازمة وقود ، وسيزداد اعتماد الولايات المتحدة على وقود الشرق الاوسط ، ويحتمل ان تستخدم الدول العربية ، من الناحية النظرية ، هذا الاعتماد كسلاح سياسي . وهذا لا يبدو لي ، في هذه اللحظة ، خطرا حقيقيا ، مع انني ارى خطرا جديدا آخر هو ظهور القوة الاقتصادية - المالية للدول العربية نتيجة المبالغ الهائلة التي يتوقع ان تتراكم خلال السنوات المقبلة . وستكون هناك اتفاقيات لاستثمار اموال من الدول العربية في الولايات المتحدة . بسبب رغبة الاخيرة في تجنب ميزان مدفوعات سلبي . واذا تطور ذلك على نطاق واسع فسنرى العالم العربي يظهر كقوة اقتصادية - مالية داخل الولايات المتحدة بمقاييس لم يكن بالامكان التنبؤ بها .

٢ - الاتجاه الذي يعتبر ان اثاره ضجة كبيرة حول ازمة النفط جاء بالاشتراك مع بعض العناصر والجهات الامريكية المؤيدة للعرب والتي تريد استغلال المشكلة للضغط على اسرائيل من اجل التوصل الى اتفاق عربي - اسرائيلي . ولقد عبر عن هذا الاتجاه يهوشع تدمور في دافار (٤٠) وجاء في هذا المقال بأن الشركات الاحتكارية تضغط على نيكسون من اجل اثناء النزاع العربي - الاسرائيلي حتى لو اقتضى الامر الضغط على اسرائيل ، وأيد تدمور دعوة السناتور جاكسون الى الوقوف بوجه الابتزاز العربي ( تسمي اسرائيل استعمال العرب لحقهم الشرعي بالابتزاز العربي ) عن طريق النفط والى تطوير مصادر نفط اكثر ضمانا في العالم العربي والى الاسراع في البحث العلمي حول انتاج الطاقة الذرية واستغلال ونتاج متزايدين للطاقة التي مصدرها الفحم .

٣ - الاتجاه الذي يرى بأن الشركات الامريكية تثير ازمة النفط من اجل زيادة ارباحها . وقد عبر عن هذا الاتجاه البروفيسور نداد سفران في يديعوت ارونوت (٤١) ، وذكر سفران بأن الخطر الحقيقي يكمن في توقف الاستخراج ، فهو الخطوة التي يمكن ان تشمل اقتصاد اوروبا الغربية واليابان ، وان تؤلم الولايات المتحدة لما تشهدها وبصورة اكبر في المستقبل . وذكر بأنه اذا ما اريد ان يكون تأثير النفط ملموسا لكان على الدول العربية ان توقف الانتاج بصورة كلية وذكر بأن المرة الوحيدة التي ظهر فيها أن هناك خطر اضراب عام لمنتجي النفط عندما كان عبد الناصر في قمة قدرته على اثاره المشكلات . فلو تحققت فعلا خطته لتوحيد مصر مع سوريا والعراق ، ولولا فشل مغامرته في اليمن ، ولو نجح في اسقاط حكومة السعودية والسيطرة عليها وعلى الكويت وامارات الخليج ، استطاع حقا ، نظريا ، مسك العرب من عنقه ، انني اؤكد نظريا ، لانه كان سيتلقى ضربة عسكرية ، قبل ان يصبح بإمكانه تحقيق كل هذا ولم يكن لينقذه منها حتى الاتحاد السوفيتي ، الا اذا كان مستعدا للمخاطرة بحرب شاملة . واضاف : وقد يأتي يوم يتكشف فيه ان شبخ الخطر

ذلك هو الذي أدى الى التحول الحالي في سياسة الولايات المتحدة نحو مصلحة اسرائيل .

٤ - الاتجاه الذي يعترف بوجود أزمة نفط ، وان لهذه الأزمة انعكاسات على صعيد الصراع العربي - الاسرائيلي بصورة مباشرة ، خصوصا بالنسبة لنفط سيناء ، ولقد عبر عن هذا الاتجاه الياهو سلفطر في سلسلة مقالات في هارتس (٤٢) . وجاء في أحد هذه المقالات « بأن الشرق الاوسط سيكون سنة ١٩٨٠ ، المصدر لتغطية ٧٧ بالمائة من عجز النفط في العالم الغربي ، وان اوربا الغربية هي التي ستعتمد عليه أساسا ، لا الولايات المتحدة . وستواجه اسرائيل ثلاثة احتمالات : ١ ) ان استغلال اعتماد الغرب على النفط العربي لاغراض الإبتزاز السياسي موجه في الأساس ضد اسرائيل . ٢ ) استعمال فوائض الدخل الكبيرة المتجمعة في يد العرب لاغراض المعركة السياسية . ٣ ) تأمين تزويد اسرائيل بحاجتها من النفط في ظروف منافسة شديدة بين الدول الكبرى ، خصوصا اذا اضطرت اسرائيل الى التنازل عن مصادر النفط في سيناء .

وذكر بأن العرب يستطيعون أن يؤثروا على قوة الدولار بواسطة فوائض الدولارات المتجمعة لديهم (٤٣) ، وذكر بأن أزمة النفط ستسبب انشقاقا داخل المعسكر العربي وربما أدت الى تقويض الحلف الاطلمبي (٤٤) ، كما ذكر بأن الدول العربية تستطيع أن تؤثر من خلال المبالغ المودعة في البنوك المهمة ، وذكر بأن فائض الأموال سيكون العرب من اغلاق تدفق النفط ، وذكر سلفطر (٤٥) بأن الموقف في اسرائيل يتلخص فيما يلي : ١ ) ان ضمان تزويد النفط من سيناء وآسيا سيشكل احد البنود الاكبر-اهمية في أية تسوية سلمية قد تتحقق . ٢ ) توجد لاسرائيل مصلحة حيوية في استمرار الاستقرار في منطقة استخراج النفط من أجل تأمين تدفق النفط من تلك المنطقة .

وناقش سلفطر إمكان استعمال النفط كسلاح في النزاع العربي - الاسرائيلي وذكر بأن ذلك مستبعد لوجود النفط الأمريكي كبديل للنفط العربي . وذكر بأن امريكا نجحت من خلال اتفاقيات المشاركة ان تخلق مصلحة مالية اقوى من الماضي في استمرار ضخ النفط ، وان اعتماد اسرائيل المتزايد على تأييد الولايات المتحدة يقلل من قيمة ضغط عربي مباشر على دول اوربا الغربية التي تعتمد على النفط العربي ، وانتهى سلفطر الى القول : « في السنين التي ستمر حتى ايجاد حل ، سيحاول العرب طبعيا استخدام القوة الكبيرة ، ولكن المؤقتة ، التي لديهم من جراء امتلاكهم كنوز النفط هذه ، بهدف ابتزاز سياسي . . . يجب ان يكون هدف السياسة الاسرائيلية ، في هذا المضمار تمزيق اوراقهم ، وتقليل ضغطهم قدر الامكان » (٤٦) .

### آراء اسرائيلية لمواجهة ضغط الدول العربية

ان اهم الآراء التي طرحت لمواجهة أزمة النفط ، والضغط العربي تتلخص فيما يلي :

١ - الرأي القائل بان من الأفضل ان تعمل اسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة لتجميد الوضع في الشرق الاوسط حتى يتسنى لأمريكا واسرائيل ايجاد مصادر بديلة للنفط في السنين القادمة ، ولقد دعا الكثير من علماء اسرائيل الى جعل اسرائيل مركزا للبحوث العلمية لاكتشاف مصادر طاقة بديلة للنشاط ، للتخلص من الضغط العربي ويرجع هؤلاء الى قول وايزمن في اهمية جعل اسرائيل المركز الذي يكسر الاحتكار النفطي والذي جاء فيه « ان مسألة النفط التي تحوم فوق المشكلة

الصهيونية كما تحوم ولا ريب فوق مشكلات العالم بأسره ، هي مسألة علمية جزء من مسألة المواد الخام التي شغلتنى عشرات السنين كعالم وصهيوني ، فقد كان من رأبي دوما ان بالامكان جعل فلسطين مركزا للتطور العلمي الجديد الذي سيخلص العالم من الصراع الناشئ عن الوضع الاحتكاري للنفط « (٤٧) .

وتعمل الان عدة مراكز للبحوث في اسرائيل في هذا المجال لاستغلال مصادر الطاقة البديلة وهي : (٤٨) ( ١ ) الطاقة الذرية . ( ٢ ) الطاقة الشمسية . ( ٣ ) استعمال الفحم لتوليد الطاقة . ( ٤ ) طرق اخرى كاستعمال الطاقة الجيو حرارية وخلايا الوقود .

ولقد دعا علماء اسرائيل الولايات المتحدة والغرب الى توظيف اموالهم في هذه المشاريع وفي ذلك يقول آلوف هوريف رئيس التخنيون (معهد التكنولوجيا الاسرائيلي) بأن التخنيون يعد مشروعا كاملا لاجاد مصادر للطاقة وهو يتوقع ان يوظف العالم الغربي أمواله في هذه البحوث لان البحوث في اسرائيل تكلف أقل مما هي عليه في امريكا (٤٩) ، ولقد ساهمت فعلا عدة شركات امريكية في هذه البحوث وأوصى المجلس الاقتصادي الاستشاري في واشنطن بتحويل نحو ١٠ - ١٥ مليون دولار من شركات امريكية الى اسرائيل للقيام ببحوث في هذا المجال ، وذكر المشتركون في المجلس بأن احدى ميزات اسرائيل في هذا الموضوع هي أنها خارج مجال النفوذ المالي لشركات النفط وهذه الحقيقة تحرر اسرائيل من الضغط في هذا المجال وتمكن من تحويلها الى مركز بحث لاجاد مصادر طاقة بديلة عن النفط (٥٠) .

٢ - الرأي الثاني والذي يدعو الدول الغربية وامريكا بغسدم الانصياع للضغط العربي ويهاجم حاملو هذا الرأي اليابان والدول الغربية لانها أصبحت لينة تجاه هذا الضغط (٥١) ويقول اصحاب هذا الرأي بأن الغرب سيخسر كل نفوذه اذا ما تخلى عن اسرائيل ، ودعا اصحاب هذا الرأي الى استعمال الضغط المعاكس ضد العرب ، وهو منع القمح والآلات عن العرب (٥٢) . ويوضح يوئل اليشور هذا الرأي قائلا « ان كل من سوريا ومصر والاردن والسعودية والكويت تستورد ما يقارب ستمين بالمائة من مجمل كميات القمح التي تستهلكها وتستورد عشرات المواد الاستهلاكية الغذائية الحيوية . كما ان الغرب يزودها بمعدات الكترونية ومعدات صناعية ، وان الضرر الذي يمكن ان يلحق بمصر نتيجة لايقاف تصدير القمح اليها يفوق الضرر الذي يلحق بالولايات المتحدة نتيجة لوقف ضخ النفط اليها » (٥٣) . وقد وجد هذا الرأي قبولا كما يبدو في امريكا فقد هدد فورد بقطع القمح عن العرب ان هم استمروا في قطع النفط عن امريكا (٥٤) .

٣ - اما الرأي الثالث فقد دعا الى استعمال القوة في حالة فشل الاسلحة الاخرى ضد العرب ، وأن تقوم اسرائيل بهذا العمل فقد ذكر ارئيل غيناي « بأن وجود اسرائيل قوية معناه ان هنالك خطرا دائما في امكان القيام بعمل عسكري تشارك فيه اسرائيل في حالة وصول الامور الى حد محاولة العرب شل الصناعة في الغرب عن طريق وقف ضخ النفط » (٥٥) . أما حفاي أشد فقد ذكر بأن من واجب اسرائيل ان توضح لشركات النفط التي ستتستجيب للضغط العربي بأن في امكانها ان تعرقل سير النفط بصورة كاملة او جزئية كما حدث في الماضي ، وفي امكانات محدودة ، وان العتاب سيوجه الى شركات معينة ودول معينة (٥٦) .

٤ - الرأي الرابع يكمل بقية الآراء ويدعو أصحابه الى ايجاد الخلاف بين الدول العربية والدول الاخرى خاصة الدول الافريقية والاسيوية ، وذلك بأن تجعل اسرائيل من نفسها المدافعة عن هذه الدول نتيجة زيادة اسعار النفط ويهدف هذا الموقف الى

تحقيق عدة نتائج أهمها : أ - أحداث فجوة بين العلاقات العربية - الإفريقية لكي تخسر الدول العربية تأييد هذه الدول . ب - إعادة العلاقات الإسرائيلية - الإفريقية ذات الأهمية الخاصة بالنسبة لإسرائيل . ج - إضعاف الجانب الإفريقي المؤيد للعرب وتقوية الجانب الإفريقي المؤيد لإسرائيل في أفريقيا والممثل في كينيا وأثيوبيا ودول أخرى وبدأت إسرائيل تحقق بعض النتائج الإيجابية على هذا الصعيد .

وكمثال على المقولات التي تطرحها الصحف الإسرائيلية لاستغلال الوضع ضد العرب هو ما ذكرته صحيفة الجيروسليم بوست من أن الدول النامية ستحتاج إلى السهماء التتروجيني ، المشتق من النفط ، ونتيجة لارتفاع الأسعار فسيكون من الصعب لهذه الدول الحصول على هذه المادة الضرورية وستكون النتيجة موت الملايين من هذه الدول (٥٧) .

وذكرت الصحف الإسرائيلية بأن الدول المتقدمة لن تستطيع أن تقدم معونات للدول النامية كما كانت تفعل من قبل نتيجة زيادة هذه الأسعار وكمثال لذلك فإن اليابان كانت تقدم ١٧٠ مليون دولار لكوريا في السنين الماضية ونتيجة لازمة النفط فإن اليابان قدمت هذه السنة ٩٠ مليون دولار فقط ، كما أن الدول النامية ستتعرض إلى تفاسد نقدها الأجنبي نتيجة لشراء النفط بهذه الأسعار الغالية (٥٨) . إن الصحف الإسرائيلية تعرف جيدا من الذي يستغل الشرق الأوسط والدول العربية من أجل زيادة الأرباح ، أن الولايات المتحدة تجني كنتيجة مباشرة من استغلال النفط العربي أكثر من مليار دولار سنويا ، عدا الأرباح الناجمة من تصنيع هذه المواد النفطية والتي تزيد عشرات المرات عن الأرباح المباشرة .

إن على الدول العربية أن تعي أهمية الدول النامية في معركتها من أجل النفط ولقد نبه كثير من الكتاب إلى أهمية كسب الدول المنتجة للنفط تأييد بلدان العالم الثالث (٥٩) . لأن من المستحيل أن تصل الدول المستهلكة النامية إلى استعمال أي إجراء جدي ضد الدول المنتجة في حالة تأييد دول العالم الثالث لهذه الدول علما بأن دول العالم الثالث تشترك والدول العربية بنفس المشاكل وتواجه نفس العدو ، ومن هنا فإن من الضروري الضغط على الشركات العاملة لبيع النفط إلى هذه الدول بأرخص الأسعار ، علاوة على أن من واجب الدول ذات الاحتياطي الهائل من النفط كالعربية السعودية والكويت استغلال جزء أكبر من هذا الاحتياطي من أجل مساعدة هذه الدول في إعطائها قروض طويلة المدى . كما ينبغي على الدول العربية شن حملة إعلامية تؤكد فيها على الدور الذي تلعبه إسرائيل في تعزيز استغلال الدول العربية والدول المنتجة للنفط في الشرق الأوسط لتكون هذه الحملة مدخلا إلى تمكين العرب من استعمال سلاح النفط بصورة مباشرة كسلاح في المعركة ضد إسرائيل وضد الدول التي تتقف مع إسرائيل ضد حقنا الشرعي في استغلال ثروتنا . كما إن من الضروري شن حملة عالمية لتوضيح الضجة التي أثارها الدول المتقدمة حول ما يسمى بأزمة النفط ولعلنا لا ننسى تصريحات ممثلي الشركات العاملة في الشرق الأوسط من أنهم حققوا أكبر قدر من الأرباح في الأشهر التي تلت حرب تشرين .

لقد كان غرض هذا البحث تسليط الضوء على دور إسرائيل وإسنادها للمصالح والشركات النفطية ودورها في محاربة أي تحرك من قبل أي نظام عربي من أجل وضع الثروة الوطنية بيد أصحابها .

## الحواشي :

- ٢٦ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،  
عدد ١٤ ، ص ٤٤٥ ، ١٦/٧/١٩٧٣ .
- ٢٧ - يوسف الصانع ، جريدة النهار ، بيروت ،  
١٧/٦/١٩٧١ .
- ٢٨ - عاطف سليمان ، إسرائيل والنفط ، مركز  
الابحاث ، ١٩٦٨ .
- ٢٩ - نشرة الارض ، دهبشق ، عدد ٧ - ٨ ،  
ص ٢٥ ، ٢١/١٢/١٩٧٣ .
- ٣٠ - دافار ، ٥/٤/١٩٧٣ .
- ٣١ - معاريف ، ٢١/٨/١٩٧٣ .
- ٣٢ - جيوسليم بوست ، ص ٤ ، ١٨/١/١٩٧٤ .
- ٣٣ - واشنطن بوست ، ص ٢٢ ، ١٤/١/١٩٧٤ .
- ٣٤ - معاريف ، ٢١/٨/١٩٧٣ .
- ٣٥ - معاريف ، ٢٢/١١/١٩٧٣ .
- ٣٦ - نشرة م. د. ف. ، عدد ١٩ ، ص ٦٠٦ ،  
١/١٠/١٩٧٣ .
- ٣٧ - معاريف ، ٩/١١/١٩٧٣ ،
- ٣٨ - نشرة م. د. ف. ، ملحق عدد ١٠ ، ص  
٣٠٧ ، ١٦/٥/٧٣ .
- ٣٩ - دافار ، ٢/٢/١٩٧٣ .
- ٤٠ - دافار ، ٥/٢/١٩٧٣ .
- ٤١ - يديعوت أحرونوت ، ٢٣/٢/١٩٧٣ .
- ٤٢ - هآرتس ، ٢/٢/١٩٧٣ .
- ٤٣ - هآرتس ، ١٢/٢/١٩٧٣ .
- ٤٤ - هآرتس ، ٧/٢/١٩٧٣ .
- ٤٥ - هآرتس ، ١٠/٢/١٩٧٣ .
- ٤٦ - هآرتس ، ١٦/٢/١٩٧٣ .
- ٤٧ - جيوسليم بوست ، ١٨/١/١٩٧٤ .
- ٤٨ - سلمان رشيد سليمان ، دراسات عربية ،  
عدد ٨ ، حزيران ١٩٧٤ .
- ٤٩ - جيوسليم بوست ، ١٩/١٢/١٩٧٣ .
- ٥٠ - معاريف ، ٢٢/٥/١٩٧٣ .
- ٥١ - معاريف ، ٢٩/١١/١٩٧٣ .
- ٥٢ - جيوسليم بوست ، ص ٨ ، ٣/١/١٩٧٤ .
- ٥٣ - معاريف ، ١٧/١٠/١٩٧٣ .
- ٥٤ - رصد إذاعة إسرائيل ، بيروت ، عدد ٤٣ .
- ٥٥ - هآرتس ، ١٠/٦/١٩٧٣ .
- ٥٦ - دافار ، ١٦/٧/١٩٧٢ .
- ٥٧ - جيوسليم بوست ، ص ٩ ، ١٥/٢/١٩٧٤ .
- ٥٨ - جيوسليم بوست ، ص ٩ ، ٤/٤/١٩٧٤ .
- ٥٩ - مايكل تانز ، الندوة العلمية العالمية ،  
عدد ١ ، بغداد ، ص ٣٠ ، ١١/١١/٧٢ .

- ١ - مكسيم رودنسون ، النزاع العربي  
الإسرائيلي ، ص ١٤ .
- ٢ - سلمان رشيد سلمان ، المتايا النازية  
والتضحية الفلسطينية ، شؤون فلسطينية ، عدد  
٣١ ، آذار ١٩٧٤ .
- ٣ - ريتشارد بارنت ، حروب التدخل الأمريكية  
في العالم ، ص ١٥ ، دار ابن خلدون ،  
١٩٧٤ .
- ٤ - E. Yevesegev, Zionist Capital,  
*International Affairs*, Oct. 1970.
- ٥ - هآرتس ، ٣٠/٩/١٩٥١ .
- ٦ - مجلة نيوزويك ، ١٩/٦/١٩٦٧ ، ص ٧ .
- ٧ - طالب يونس ، سياسة أمريكا الخارجية ،  
شؤون فلسطينية ، عدد ٢٦ .
- ٨ - نفس المصدر السابق .
- ٩ - معاريف ، ١٤/٣/١٩٧٣ .
- ١٠ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،  
ملحق عدد ٣ ، ١/٢/١٩٧٣ .
- ١١ - جيوسليم بوست ، ص ٩ ، ١٤/١٠/  
١٩٧٣ .
- ١٢ - نشرة م. د. ف. ، ملحق عدد ٣ ، ١/٢/  
١٩٧٣ .
- ١٣ - نشرة م. د. ف. ، ملحق عدد ٢٧ ، ١/١١/  
١٩٧٣ .
- ١٤ - نشرة م. د. ف. ، ملحق عدد ٦ ، ١٦/٣/  
١٩٧٣ .
- ١٥ - هآرتس ، ١١/١١/١٩٧٣ .
- ١٦ - دافار ، ٥/٤/١٩٧٣ .
- ١٧ - هآرتس ، ٢٣/١١/١٩٧٣ .
- ١٨ - جيوسليم بوست ، ص ١ ، ٩/١٠/١٩٧٣ .
- ١٩ - جيوسليم بوست ، ص ١ ، ٦/١٠/١٩٧٣ .
- ٢٠ - جيوسليم بوست ، ص ٤ ، ٩/١٠/١٩٧٣ .
- ٢١ - ريتشارد بارنت ، ص ٣٨ .
- ٢٢ - رصد إذاعة إسرائيل ، مركز الابحاث  
الفلسطينية ، بيروت ، عدد ٥٢٤ ، ٤/٥/  
١٩٧٤ .
- ٢٣ - *The Economist*, June 8, 1968. —
- ٢٤ - نشرة م. د. ف. ، عدد ٨ ، ص ١٤٢ —  
١٤٤ ، ١/٧/١٩٧١ .
- ٢٥ - اللواء ، بيروت ، عدد ٦٥٣ ، ص ٥ ،  
١٠/١١/١٩٧١ .

## دور القرى الامامية العربية في مواجهتنا مع العدو الاسرائيلي

العميد الركن محمد الشاعر

دفاعية ) الى وحدة اجتماعية ريفية متماسكة وهذا يعني القضاء نهائيا وبأقل ما يمكن من الزمن على الوجه المتخلف للقرية العربية على الحدود التي تواجهها قرية يهودية عصرية تدتضارع القرية الاوربية من حيث اسلوب المعيشة واستقبال الالة على نطاق واسع في كل مجالات العمل الزراعي والانتاج الريفي بوجه خاص .

وهذا يقتضي خلق علاقات اجتماعية جديدة لسكان القرى الامامية تتلاءم مع معركتنا المصرية وصمود قريتنا الامامية وتحديها لقوى العدوان الغادر . ويمكن تحقيق ذلك بالتوصل للاهداف الخمسة التالية : خلق علاقات اجتماعية بين سكان القرى الامامية تتلاءم مع المعركة المصرية ، تحصين هذه القرى وتزويج كل وسائل الصمود لسكانها ، توفير العمل المستمر النتج لبناء هذه القرى ، تأمين الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق الحيوية كالمياه والكهرباء ، استصلاح الاراضي وازالة جميع الصعوبات المتعلقة بهذا الموضوع . ويتم تحقيق هذه الاهداف بتنسيق العمل بين الوزارات المختصة سيما وان الكثير من الخدمات الاجتماعية هي من اختصاص وزارات متعددة كوزارة الدفاع والصحة والشؤون البلدية والقروية وغيرها .

ان المنطلق الذي تستند عليه فكرة اعتبار القرية الامامية وحدة دفاعية اقتصادية كما ورد في مواضع مؤتمر التنمية الاقتصادية للتنمية والدفاع الذي انعقد في دمشق صيف ١٩٦٨ كان صحيحا ومنطبقا تمام الانطباق على واقعنا الاجتماعي وظروفنا الموضوعية التي نمر بها في أصعب مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي لبلداننا العربية التي تخلصت ولا تزال تتخلص من عبء التخلف

اذا كان اقتصاد السلم الريفي يهدف أساسا الى اشباع الحاجات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي على الصعيدين الفردي والجماعي فان الاقتصاد الريفي يهدف في المقام الاول الى تحقيق النصر الذي لن يتحقق بدون ازالة آثار الاحتلال الصهيوني لاراضينا العربية . من هذا المنطلق تطمح الجماهير الشعبية العربية لجعل الجهود الاقتصادية في المدينة والقرية أساس الجهود الحربية وتخصيص جزء أكبر من الموارد الانتاجية في المجتمع للاستهلاك والاستثمار الحربيين ( بالنسبة للحرب النظامية والحرب الشعبية ) وذلك على حساب التوسع في الطاقة الانتاجية للمجتمع وعلى حساب الاستهلاك المدني .

واذا كانت ظروفنا الاقتصادية في قطاعها الزراعي ( وهذا ما يتعلق في بحثنا ) نتيجة للاحتلال الصهيوني تقتضي اتخاذ العديد من الاجراءات لتعبئة الفائض الاقتصادي الزراعي واعطائها عناية خاصة ليس فقط لاهميتها الاقتصادية دائما كذلك لان أية حرب تحريرية لا يمكن ان تستمر الا اذا اتخذت جماهير الفلاحين قاعدة متمسكة لها تزود الحرب بالعدد الأكبر ممن يقومون بالقتال في الحرب النظامية وكذلك بالمواد الغذائية والمواد الأولية وتمثل أساس حرب التحرير الشعبية في ريف دول المواجهة بشكل خاص وريف الدول العربية بوجه عام .

نقول اذا كانت ظروفنا الاقتصادية تدفعنا لتحقيق هذه الاجراءات فان القرية الامامية على الحدود المؤقتة تدفعنا كذلك وبقوة أكبر لتحقيق مدة اجراءات اقتصادية وعسكرية وبمعنى أوسع قلب القرية الامامية التي نطلق عليها مجازا ( قرية

الرأسمالي : وهو طريق لا يمكن أن يقبل في بلادنا بعد الآن لأنه لا يتلاءم مع السلطة الشعبية ولن يطالبنا الفلاحون تطبيقه بعد أن ناضلوا ضده على مر عشرات السنين . أما الطريق الثاني — فهو طريق توحيد الجهود ، طريق العمل الجماعي هذا الطريق الذي لا يؤدي الى افتقار الفلاحين وانتسابهم الى أسياد وعبيد ، الى أرباب عمل وأجراء ، الى مستثمرين ومستثمرين . هذا الطريق الذي يستند على تجميع الأراضي والأدوات الزراعية من أجل العمل المشترك والتوزيع العادل للموارد بين الفلاحين حسب العمل الذي يقدمه كل منهم ، وإذا كنا نحن بحاجة لأن نختار طريق الانتاج التعاوني لقرانا الداخلية وقد خُطت سوريا الثورة وغيرها من الدول العربية خطوة واسعة في هذا المجال فما أحوجتنا في هذه المرحلة الى تطبيق طريق استثمار الأرض الجماعي ضمن إطار التعاونيات الزراعية لقرانا الامامية التي تصف سدا مغيبا امام هجبة الصهيونية والاستعمار .

من هنا يجب علينا أن لا نتساءل او نتردد عندما نقرر المضمون الاجتماعي والجهري الاقتصادي للقرية الامامية التي سنبنينا في هذه الظروف التي اعتمد فيها شعبنا على الكفاح المسلح طريقا لتحرير الأرض المغتصبة والعمل على خلق المجتمع الريفي الجديد الذي سيلعب دورا فعالا في معركتنا القادمة التي لا بد ان نخوضها حماية للوجود العربي المهدد من قبل الصهيونية والاستعمار .

### القرية التعاونية الزراعية الدفاعية

ان القرية التعاونية الزراعية الدفاعية هي ظروف قرانا الامامية هي الشكل المقترح الذي سيسود هذه القرى . ان المضمون الاقتصادي للتعاونية الزراعية يستند على اقامة مؤسسة زراعية جماعية كبيرة وهي تتشكل من توحيد الفلاحين الفقراء والمتوسطين من قرية واحدة او عدة قرى متجاورة ، بعد أن قرروا ان يبنيوا تطبيق الاسس الريفية الاشتراكية في القرية بجهودهم المشتركة ، ومن البديهي ان مثل ذلك لن يتحقق اذا لم تقم السلطة في كل قطر عربي على الصعيدين الشعبي والحزبي بنشاط فكري وعلى مستوى الدعاية والتعريف وفقا لبرامج توعوية مدروسة وعملية تتلاءم وعقلية فلاحينا الذين يعيشون في مرحلة صعبة ويعانون أزمة مادية ومعنوية

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بعد ان عانى السنين الطوال مآسي ومصاعب النظام الاقطاعي النصف رأسمالي وأشدد على وصف النظام بالنصف رأسمالي لان معظم ثورتنا الاجتماعية ولدت وهي تحمل أعباء ومشاكل اقتصادية لنظام متأرجح غير متكامل يعاني نقصا نادحا في كل قطاعاته الاقتصادية وبصورة خاصة القطاعين الرئيسيين : الصناعة والزراعة . أضف الى ذلك تركة ثقيلة من الطباقات البشرية المعياء في الحقول غير المنتجة وكادرا من الموظفين والمهمل الفنيين الذين يشكلون في مجملهم عددا كبيرا وكثيفا من حيث الكم أما من حيث النوع والمتدرة على العمل والانتان فمعظمهم دون الوسط ولا أخفي عليكم انه اتيح لي قبل عامين ان اتقوم بدراسة تقريبية لوضع موظفي بعض الوزارات الفنية لبلد عربي فكانت النتيجة كالتالي : ١٥٪ من الموظفين بدون عمل محدد ، ١٠٪ معاون فرع او مكتب او ورشة لرئيس لا يتطلب عمله وجود معاون ، ٢٠٪ يمكن الاستغناء عن خدماتهم بدون أن ينقص الانتاج على الصعيدين المكتبي والانتاجي ، ١٥٪ مخربون وغير راضون عن عملهم ، ٤٠٪ موظفون مثتجون الا ان معظمهم يشكي ويتظلم ويتالم من وجود الغلات المذكورة .

وعندما نذكر مثل هذا الوضع قد يترأى للبعض ان في ذلك خروجا عن فكرة موضوعنا الاساسي ، غير ان ذلك غير صحيح وعلو ذلك ان القرية الدفاعية التي نطمح بانشائها في أقصر زمن وأقل كلفة قد تتعثر وتسير الخطى بكل صعوبة وثقل بفعل العمى والحجارة التي توضع أمام دولاب العمل ومع ذلك نعود الى موضوعنا الاساسي من الزاوية الاقتصادية قبل الزاوية الدفاعية على اعتبار ان الاقتصاد هو القاعدة الاساسية الذي يستند عليه كل عمل سياسي او عسكري او اجتماعي .

ان توائين التطور الاقتصادي لمجتمعنا الذي يضع اسس بناء الاشتراكية بصورة خاصة في القرى الامامية تتطلب منا أن نطرد من أذهان فلاحينا فكرة البقاء على الزراعة المجزأة ذات الردود الضئيل . لان هذه التوائين تحتم علينا ايجاد مزارع كبيرة ممكنة على مستوى رفيع من الممكن انشاؤها بطريقتين : الاولى — الطريق

للتعاونيين والمصالح الاجتماعية من جهة وبين مصالح التعاونية ، ومصالح الدولة من جهة ثانية . وما هو مفيد للتعاونية والتعاونيين ، يجب ان يكون مفيدا للمجتمع بكامله .

٦ - ابقاء تظمة ارض وحيوانات زراعية لكل عائلة تعاونية وذلك بهدف انشاء جزرة خاصة مساعدة ، وفي الحدود التي يسمح بها النظام الداخلي للتعاونية .

#### القاعدة التكنيكية للنظام التعاوني في القرى الامامية :

ان عملية التحويل التعاوني للزراعة في القرى الدفاعية يجب ان تبني على اساس زيادة انتاجية العمل في الزراعة وتربية المواشي وهذا يتطلب توحيد القوى ووسائل الانتاج في المزارع الخاصة الجزاة وتوزيع العمل في داخل المزرعة التعاونية ذلك الاسلوب الذي سيؤدي الى نتائج ايجابية . ان العمل اليدوي الشكل السائد في معظم قرى الحدود والتكثيف البدائي لا يمكننا الوصول الى نجاحات كبيرة . ان الضرورة تقتضي تجهيز المزارع الكبيرة المستحدثة بتكنيك حديث . وهنا يبرز الحاجة الماسة الى توفير الاموال للمزارع المستحدثة بغية شراء المكينات وتأمين الملاكات ( الكوادر ) التي تستطيع ادارة المكينات الزراعية ومثل هذا الوضع وفي ظروف قرانا المتخلفة تكنيكا يقتضي اقامة محطات مكينات وتراكاتورات .

ان الفكرة التي سادت ولا تزال تسود حول انشاء القرية والتركيز على تأمين البيت الريفي للفلاح بشكل فيلا دون التركيز على ما هو اهم من البيت وحتى من المرافق العامة وتعني وسائل الانتاج والتحصين والتدريب العسكري للسكان المقيمين في قرى الحدود نقول ان هذه الفكرة يجب ان تزول فالبيت الصحي للعائلة الريفية ليس هو الهدف المنشود في المراحل الاولى من بناء القرية وتطويرها . ان خلق ظروف العمل وايجاد الجو المناسب الذي يربط الفلاح بالقرية والارض هو الهدف الرئيسي والنقطة الاساسية التي يجب ان تركز عليها جميع الجهود . من هنا تأتي اهمية وضع البرنامج وتوزيع ميزانية الوزارة او المؤسسة التي تخصص ببناء وادارة قرى الحدود انطلاقا من مبدأ البدء بالاهم ثم المهم وعلى سبيل

تطلبان اتخاذ اجراءات فورية وحاسمة ورفد هذه القرى بمناضلين حزبيين وغير حزبيين الى القرى الامامية لتحقيق مهام عديدة اهمها : المساهمة مع سكان القرى في عمليات التحصين ، الاشتراك مع السكان في عمليات الانتاج ، عقد ندوات توعية لسكان هذه القرى حول مفهوم صراعنا مع العدو وطبيعة المعركة التي تخوضها الجماهير العربية وارادة الصمود التي تحقق النصر وأهم العوامل التي تثبت المواطنين في الارض .

#### المبادئ الاساسية لانشاء القرية التعاونية الزراعية الدفاعية وتطويرها :

١ - الطوعية : يمكن لكل فلاح صغير ومتوسط ان يصبح عضوا في التعاونية بعد ان يقتنع بفوائد الاستغلال التعاوني الكبير للارض وأن يرغب بنفسه في الانضمام غير أن السلطة قد تضطر للمصلحة الدفاعية وللمسرفي تطبيق الخط الاشتراكي وخاصة في القرى الامامية التي تقع عليها اعباء دفاعية ونتاجية من اتخاذ تدابير صارمة ضد أولئك الذين يتعرضون لخرق الانظمة والاهداف التي وجدت من أجلها فكرة انشاء وتطوير القرى الامامية .

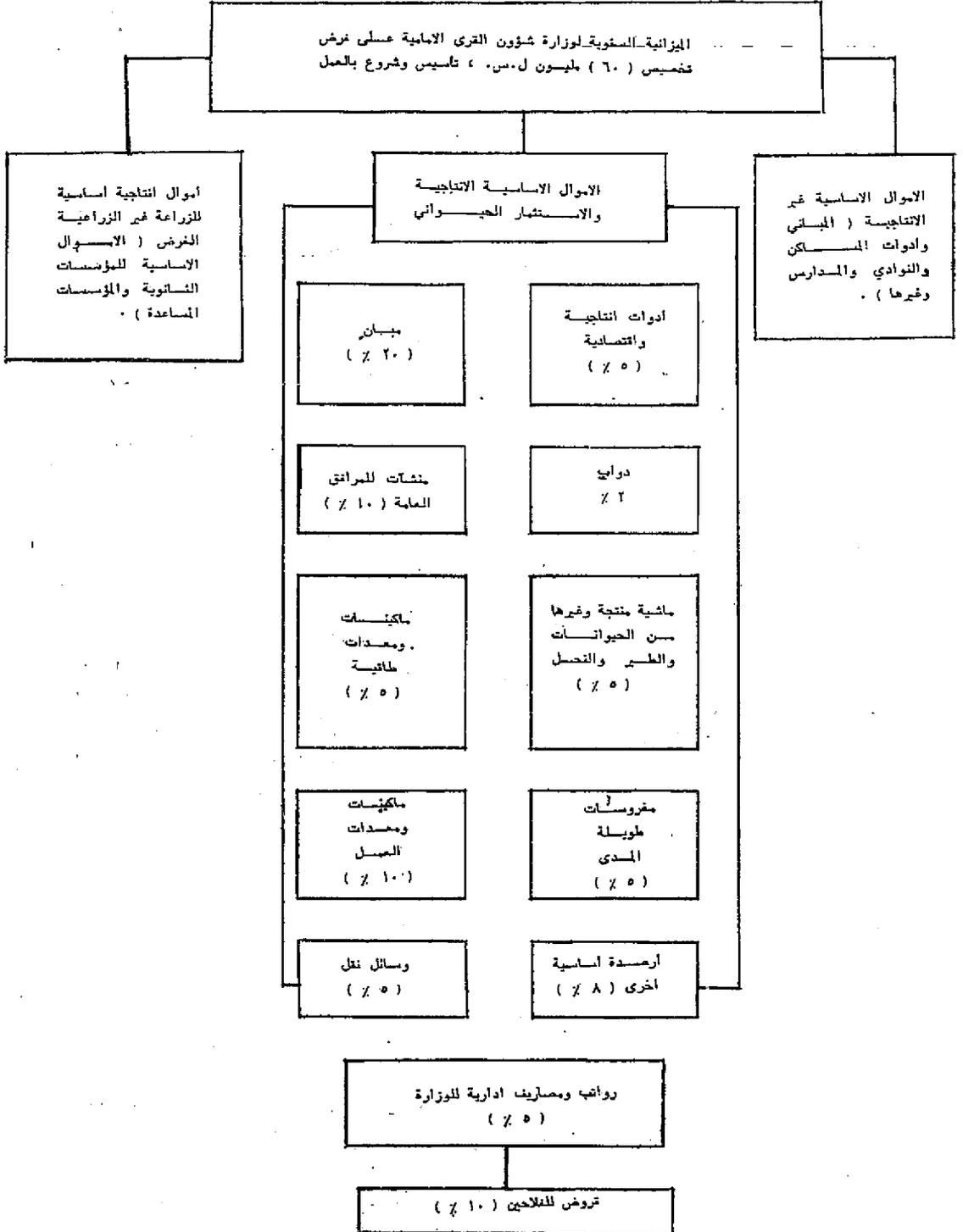
٢ - ملكية جماعية لا تجزأ لوسائل الانتاج والارض بعد أن كانت ملكية خاصة للفلاحين الذين انضموا للتعاونية .

٣ - العمل باستمرار على زيادة وتحسين الممتلكات الاساسية والدورية للتعاونية وزيادة الانتاج . ولهذا الغرض تخصص سنويا الاموال من موارد التعاونية لشراء مكينات جديدة وحيوانات منتجة ولتوسيع المزرعات الدائمة ، ولتشبيد الابنية ومنظومات الري وغير ذلك مع مراعاة الناحية الدفاعية في كل منشأة او بناء يجري تنفيذه ويتم ذلك وفقا لتعليمات العسكريين الإخصائيين في وزارة الدفاع .

٤ - المبدأ الاشتراكي لتوزيع الموارد . بموجب هذا المبدأ يتقاسم اعضاء التعاونية الدخل السنوي الذي يبقى لدفع اجور العمل ، وذلك حسب العمل الذي يقدمه كل فرد والنتائج التي يحصل عليها . هذا الامر يشجع افراد التعاونية ماديا على تقديم منتوجات أكثر بمصاريف أقل .

٥ - التوفيق المناسب بين المصالح الشخصية

## توزيع الميزانية المقترحة



العدو هذه المحطات ؟ . والإجابة على ذلك  
تتلخص بالتالي :

- ان محطة الماكينات والتراكتورات في «إسرائيل»  
تشكل شخصية حقوقية مستقلة ويشرف عليها مدير  
يدير المحطة على أسس القيادة المركزية والانضباط  
الحكومي وهذا سائد في الكيوترات ويساعد المدير  
مجلس اداري يشترك فيه مهندس زراعي رئيسي  
والمهندس الميكانيكي الرئيسي ورئيس المحاسبة وقادة  
المنظمات الاجتماعية في المحطة والقائد العسكري  
ويشارك في ذلك المجلس الانتاجي للكيوتز او  
الموشاف . وغير ذلك من الافراد والهيئات ذات  
الملاقة الانتاجية . تخصص كل فرقة من فرقة  
التراكتورات لتعاونية زراعية معينة وتعتبر الفرقة  
وحدة انتاجية أساسية عندما تكون التعاونية  
الزراعية كبيرة تخصص لها فرقتان او أكثر من فرق  
التراكتورات .

يقوم رئيس الفرقة وفقا لتوجيهات رئيس  
التعاونية الزراعية باعداد برنامج لعمل التراكتورات  
وينظمان العمل المشترك لسائقي التراكتورات  
والتعاونيين .

### نحن والعدو على الصعيد الاقتصادي الريفي

ان الموقف الذي نحن فيه الان بعد ان خضنا  
مع العدو اربع حروب خلال مدة ربع قرن يحتم  
علينا ان ندرس عدونا دراسة موضوعية تستند  
على العلم والواقع الصحيح . وانا كانت مثل هذه  
الدراسة تتركز على النواحي العسكرية بشكل  
خاص فنحن أحوج ما نكون لان نعيد النظر ونطور  
دراستنا لتصبح شاملة وموضوعية تتناول جميع  
مرافق الحياة والفاعليات الاجتماعية والاقتصادية  
والسياسية التي يمارسها عدونا والريف  
« الاسرائيلي » بسكانه الذين يؤلفون ما يقارب  
الـ ٢٠ ٪ من اليهود في الارض المحتلة يحتل  
حيزا أساسيا في المجتمع اليهودي لان هذه النسبة  
من سكان الريف تلعب دورا هاما على الصعيدين  
الاستعماري الاستيطاني والاقتصادي والعسكري  
من ناحية وعلى الصعيد السياسي والثقافي من  
الناحية الأخرى .

**الموشاف والكيوتز :** وفي الريف « الاسرائيلي »  
يسود شكلان من المؤسسات الريفية هما :  
الكيوترات والموشافات وعددها يكون ٩٨ في المئة

المثال لو قدرنا ان الميزانية لمثل هذه الوزارة او  
المؤسسة بحدود ٦٠ مليون ل.س. والمطلوب انجاز  
( ٢٠ ) قرية خلال عام نقترح ان توزع المخصصات  
حسب النسب المبينة في الجدول السابق .

من مجمل هذا الجدول المقترح يتضح لنا  
تخصيص أكثر من ٦٥ ٪ من مجموع الميزانية لتأمين  
وسائل الانتاج والغروض للفلاحين وهذا أقل ما  
يمكن تخصيصه لبناء القرى الامامية وتطويرها .

### محطات الماكينات والتراكتورات :

وقد خصص  
لها في الجدول المقترح أكثر من ٢٠ ٪ وذلك يعود  
لعدة اسباب اهمها مكنة الزراعة والشاعة الآلة  
بصورة متتالية وفقا للامكانات المالية مما يلعب دورا  
حاسما في رفع انتاجية العمل وبالتالي ارتفاع  
مداخيل الفلاحين .

ان محطات الماكينات والتراكتور هي عبارة عن  
مؤسسات زراعية اشتراكية ضخمة ، مخصصة  
لمساعدة الفلاحين في عملهم من أجل فلاحه أفضل  
للارض ، ومن أجل محاصيل أكثر وانتاجية عمل  
أعلى .

عن طريق تأمين هذه الماكينات والتراكتورات  
للقرى الامامية تقدم الدولة للفلاحين مساعدة  
اقتصادية وتكنيكية وتنظيمية أكثر فعالية وبعبارة  
ادق تضع الدولة بصورة مباشرة القاعدة المادية  
والتكنيكية للنظام التعاوني المنطلق الرئيسي والارض  
الصلبة التي يمكن منها الوقوف أمام مستوى ريفي  
متقدم يتمثل بالكيوتز والموشاف الشكليين السائدين  
للمزارع في الاراضي المحتلة من قبل الصهيونية  
والاستعمار .

ان التركيز على موضوع القاعدة المادية التكنيكية  
للقرى الامامية والذي يتمثل بخلق هذه المحطات  
الآلية له من الاهمية بمكان لان العدو عندما نشر  
التراكتور في القرية اليهودية بقدر ما نشر الدبابه  
او الطائرة او المصاروخ فكان مقتنعا بأن قيمة  
الاولى من الناحية الانتاجية وحتى الدفاعية لا تقل  
عن الثانية ، من هنا تبرز لنا كثرة حوادث انفجار  
الالغام تحت التراكتورات اليهودية التي تحرث كل  
شبر من أرض وطننا السليب هذه الالغام التي  
يبثها أبطال المقاومة العرب وابطاؤنا الفدائيين .  
ومن هنا يبرز أيضا سؤال مضمونه كيف ينظم

هذه المحاكم بالقضايا المتعلقة بالعضوية فسي  
الهيستدروت واحيلت القضايا الاخرى الى المحاكم  
المدنية .

٣ ) حقوق وواجبات الاعضاء : ان اعطاء  
ارض لعضو الموشاف لا يعطيه بموجب الدستور  
حق بيعها او تأجيرها او زراعتها بواسطة عمال  
بأجر ، ان بصورة مؤقتة ، او دائمة ، ولا يجوز  
استخدام العمال بأجور الا بموافقة خاصة .

عدا عن واجبات اخرى تتعلق بدفع اكاليف  
الخدمات العامة التي تقدم في القرية وضرورة  
زراعة الارض حيث ان كل عضو يفشل في زراعة  
ارضه بعد خمس سنوات من اقامته في الموشاف  
يُطرد منه اذا رأت الادارة ذلك .

وهناك العديد من الاسس منها ما يتعلق بالاباء  
والابناء ومشاكل تزايد العائلة وعدم تجزئة المزرعة  
والارث ومسؤولية المرأة في الموشاف ، وعمال  
الموظفين العاميين وغير ذلك من القضايا الاقتصادية  
والاجتماعية .

الكيبوتز : ان كلمة كيبوتز تعني بالعبرية -  
جماعة - وقد تطور معناها فأصبحت ترمز الى  
جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا في مزرعة  
جماعية ، وتمتاز ظروف المعيشة في الكيبوتز  
بالتكثف وفقدان الحياة الخاصة . فمسكان الكيبوتز  
يظنون البيوت الصغيرة القريبة من بعضها بعضا ،  
فالشقة الواحدة تتكون من أربع وحدات سكنية  
وتحتوي كل وحدة على غرفة واحدة تسكنها عائلة  
- أي رجل وامرأة - وفي بعض الحالات يوجد  
رواق يستعمل كغرفة ثانية في الصيف . بيد أن  
النمو الاقتصادي في بعض المستعمرات الجماعية  
( الكيبوتزات ) سمح بتوزيع الوحدات السكنية  
المخصصة للمتزوجين . أما الهجاء والمنافع والمطبخ  
وغرفة الغسيل فتعتبر خدمات وامكان جماعية فلا  
يوجد حمامات خاصة مثلا ، بينما يتناول الجميع  
الطعام في صالة الاكل العامة ( المطعم في الكيبوتز )  
ويتم تنظيف الثياب وكبها في بيت الغسيل العام  
للكيبوتز . وبالإضافة الى ذلك يوجد بيت للخياطة  
ومخزن عام ومكتبة عامة . أما الاطفال فانهم لا  
يعيشون مع آبائهم .

ولا يخفى على زائر الكيبوتز او على من يطالع  
الكتب المنتشرة عن هذه المؤسسة انها مجتمع

من المستعمرات القروية ويقيم فيها حوالي ثلثي  
سكان المستعمرات القروية وقد دون في آخر  
احصاء مفصل صدر عام ١٩٦٤ ان عدد الموشافات  
تضاعف ثلاث مرات ونصف المرة على ما كان عليه  
عند اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ . وتضاعف  
سكان هذه الموشافات اربع مرات بينما تضاعف  
عدد الكيبوتزات في الفترة نفسها مرة وثلث المرة ،  
وتضاعف عدد سكانها مرة ونصف المرة فقط وفي  
لغة الارقام بلغ عدد الكيبوتزات في عام ١٩٦٤  
حوالي ٢٣٠ كيبوتزا يقيم فيها حوالي ٨١ الف  
يهودي وعدد الموشافات في احصاء نفس العام  
٢٦٧ موشافا يقيم فيها حوالي ١٣٤ الف يهودي  
ومن المنتظر انه بنهاية هذا العام ( ١٩٧٥ ) تكون  
هذه الارقام - خلال مدة عشر سنوات - قد  
زادت بنسبة ١٥ - ٢٠ ٪ .

ولا تسبح مثل هذه الدراسة التوسع في دراسة  
جوهر وطبيعة هذين النوعين من المؤسسات  
الريفية الا اننا يمكن ان نعطي بعض الملامح الهامة  
لهما .

الموشاف : مع بداية القرن العشرين بدأ شكل  
جديد من الزراعة الجماعية يشق طريقه الى الظهور  
في الاوساط اليهودية في فلسطين بالإضافة الى  
الشكل الذي كان قد برز الى حيز الوجود وهو  
الكيبوتز وكان هذا الشكل الجديد من الزراعة  
التعاونية مزيجا من العناصر الجماعية من جهة ،  
والعناصر الفردية من جهة أخرى ، وعرف باسم  
الموتشافيم أي « المستعمرات الزراعية لصغار  
الملاك » .

١٠ . المبادئ : تشكل الزراعة الاساس الذي  
يقوم عليه موشاف هوديم وتعتبر الارض التابعة  
للموشاف ملكية عامة اما طريقة حياة الافراد فمبنية  
على العمل الذاتي والمساعدة المتبادلة والشراء  
والبيع التعاونيين ، ويشكل الموشاف جمعية  
منظمة لها هدف مشترك تسمى ضمن حدودها  
لتأمين مصدر عمل وعيش افرادها .

٢ ) التحكيم : تتبع الهيستدروت محاكم خصاصة  
للبيت في جميع الخلافات والنزاعات التي تنشأ بين  
المؤسسات التابعة له ومن اعضاء هذه المؤسسات  
وتكون قراراتها ملزمة اذا قبل الطرفان تحكيمها  
وبعد قيام « اسرائيل » عام ١٩٤٨ حصرت صلاحيات

المستعمرات والقرى الامامية تقوم بهما المخاطر الامامية « لاسرائيل » وهي أشبه بجرس الإنذار التي تقوم بهمة قتال الاعاقة للجيش النظامي وتشكل بمجموعها نسق التغطية الاول تدعمها القوات العسكرية المتمركزة قريبا منها ، فاذا كانت القوة الضاربة الرئيسية تشكل قلب الجيش الاسرائيلي تتمركز وراء الحدود لتقوم بهمة الامن الاستراتيجي للدولة فسان المستعمرات والقرى الامامية يقع عليها عبء الامن المحلي والدفاع والقيام بهما تعبوية واستراتيجية وفقا لامكانياتها ومواقفها .

نظمت المستعمرات والقرى الدفاعية الامامية على اساس نقاط استنادا تشكل بمجموعها جزءا من الخطة الدفاعية وتتعاون اكثر هذه القرى والمستعمرات بالنار وبشكل تستطيع معه الواحدة ان تدعم الأخرى بمدافع الهاون والرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات .

ان تنظيم الدفاع فيها بني على الاسس التالية:

١ - ان كل مستعمرة او قرية امامية تشكل نقطة دفاع متماسكة مع النقاط القريبة منها ، وهي محصنة تخصنا قويا وقادرة على الصمود امام الهجمات مدة من الزمن لا تقل عن ( ٦ - ١٢ ) ساعة حتى وصول النجدة اليها في احوال الاحوال .

٢ - كل مستعمرة او قرية امامية تحاط بالالغام والاسلاك الشائكة وقادرة على الدفاع عن نفسها من جميع الجهات وقد تطور تحصنها مؤخرا وبصورة خاصة مستعمرات الجليل الاعلى في فلسطين حيث زودت بشبكات معدنية شائكة بعضها مكهرب وبعضها مزود بالاجهزة الالكترونية التي تساعد على كشف الفدائيين وتحدد أماكن دخولهم للحدود العامة او الخاصة بالمستعمرة يضاف الى ذلك ترك زئار رملي بعرض ٦ - ٨ أمتار بين صفين من الاسلاك الشائكة لطبع اقدام المتسللين داخل الارض المحتلة على الرمل اضافة لاجهزة الرصد والاكتشاف الالكتروني .

٣ - الاكتفاء الذاتي من حيث السلاح والذخائر والتموين .

٤ - تبنى معظم المستعمرات بشكل دائري . تقام البيوت على المحيط ثم عليها المزارع . أما

مغلق يحيا حياة نقشف راقت الكيبوتز منذ ولادته في مطلع القرن الحالي ، وفرضتها آراء «رواده» الذين اتخذوا من الاسبارطيين وحياتهم مثلا أعلى حاولوا تقليده . والعمل في الكيبوتز إجباري لا مهرب منه ولا تسويق فيه ومن هنا كان تنظيم العمل وتوزيعه مهمة في غاية الاولوية ، ولا مجال لمخالفة هذا التنظيم ، والذي يشبه التنظيم العسكري في صرامته ، لان العقوبة هي الطرد والتشهير على نطاق واسع .

وتتصف الحياة في الكيبوتز بدرجة عالية من الجماعية فلا يوجد ملكية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ان الانتاج والعمل والاستهلاك يتم او يفترض ان يتم على اساس جماعي ويحظر القيام بنشاط اقتصادي فردي ، ولا يحتاج مسكن المستعمرات الجماعية الى استعمال النفوذ داخل المستعمرة اذ ان حاجات الفرد في الكيبوتز مؤمنة بموجب مبدأ من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته .

ان الغاء الملكية الخاصة الغاء تاما هو أحد مبادئ الكيبوتز الرئيسية ، فالملكية الجماعية تشمل وسائل الانتاج والارض والابنية والبضائع الاستهلاكية ...

فلا توجد أية أسهم ، ولا توزع قطع الارض على اعضاء الكيبوتز . ان الملكية الموجودة تابعة للمجتمع ككل .

وفتقر في الاعضاء الجدد تحويل ما يمكن من ممتلكاتهم الى مجتمع الكيبوتز ، كما يفترض في اعضاء الكيبوتز الذين يسمح لهم بالعمل خارج المستعمرة ان يحولوا معاشهم بتمامه الى الكيبوتز ومن ثم يحصلون على مخصصات تكفي لسد حاجاتهم المعيشية .

### التخطيط العسكري للقرى والمستعمرات

#### الامامية في « اسرائيل »

#### انظر المخطط رقم ١

انشئت المستعمرات والقرى الامامية في « اسرائيل » لمهام اقتصادية وعسكرية ولتؤدي عملا زراعيا واخر عسكريا دفاعيا ، وتسكنها عائلات يهودية فلاحية تتمتع بالروح العسكرية واشراك ابناءها رجالا ونساء في الدفاع وان هذه

ان المهمة الاساسية لهذه المستعمرات والقرى الامامية هي كسر حدة هجوم القوات العربية المهاجمة ليسهل تعيين اتجاه محاور الجهود الرئيسية للهجوم حتى تتمكن القوات الاسرائيلية من تجميع قواتها وتوجيه الضربة في المكان والزمان المناسبين .

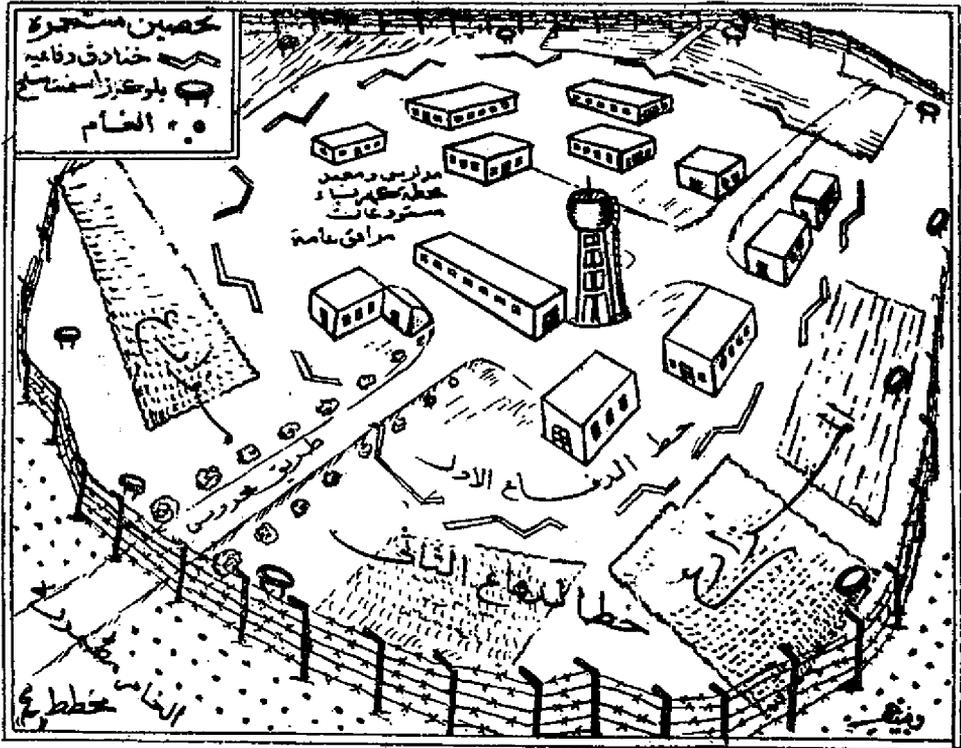
وتفيد هذه المستعمرات والقرى الامامية الجيش الاسرائيلي في حالة الهجوم لاستعمالها قواعد لحشد القوات والتموين وحماية خطوط المواصلات ودعم المؤخرات .

المراقب العامة (مراكز صحية ومدارس ومستودعات ... الخ ) . فتقام في الوسط .

٥ - تحمي المستعمرة او القرية بخطين دفاعيين ينشأ الاول امام البيوت والثاني ينشأ امام المزارع وتحفر خنادق مواصلات بين هذين الخطين .

٦ - كل عائلة تسكن في وحدة سكنية ولها مزرعتها وتقع عليها مسؤولية الدفاع عن القطاع الذي يقع امام بيتها ومزرعتها ، مشكلة بذلك تقاطع نيران بين القطاعات المتجاورة ، ومؤمنة دفاعا دائريا متماسكا من جميع الجهات ، تحاط هذه المستعمرات بالاسلاك الشائكة والالغام .

#### طريقة تحصين المستعمرة اليهودية



مخطط رقم ( ١ )

- ينشأ الخط الثاني امام المزارع
- تحفر خنادق مواصلات بين هذين الخطين
- تحاط المستعمرة بحقل من الالغام والاسلاك الشائكة
- تحمي المستعمرة او القرية بخطين دفاعيين
- ينشأ الخط الاول امام البيوت

رأينا ان لا صحة لما يفهم خطأ من وجود نظام اشتراكي في بعض المستعمرات . فالنظام الاشتراكي في مجتمع من المجتمعات لا يمكن تطبيقه تطبيقاً علمياً صحيحاً الا اذا كان البلد او الدولة بمجموعها سائترة في هذا الخط . فالنظام الاشتراكي من الوجهة الاقتصادية يقوم بالدرجة الاولى على بناء قاعدة مادية تكتيكية ، وجعل وسائل الانتاج ملكية عامة وغير ذلك من الاجراءات والتدابير السياسية والاجتماعية المتعلقة بوضع الطبقات وتنظيم السلطة وادارة الانتاج واسلوب التوزيع .

أما أن تبني مستعمرة تعرف باسم كيبوتس يدعى سكانها تطبيق المبادئ الاشتراكية ، بينما هم يعيشون وسط مستنقع من التناقضات والنواقص الاقتصادية والاجتماعية والتفشي الخلقي وقلب دولة رأسمالية خلقتها الصهيونية والامبريالية العالمية لتتجسد فيها الرأسمالية الاحتكارية في الشكل والمحتوى ، فهذا اعتقاد خاطئ لا يتفق مع مبادئ التطبيق الصحيح للاشتراكية العلمية ان النظام القائم في بعض المستعمرات التي يطلق عليها الكيبوتس والذي يستند على تجميع عدد من المواطنين في كيان زراعي تحت ظل مفهوم سياسي واحد ، هدفه خلق جيل من سكان الريف مشبعين بالروح العسكرية والعدائية ، هو مخالف للنظم الاشتراكية الصحيحة .

ان الحياة في مستعمرات الكيبوتس هي اشبه بحياة الجنود داخل المعسكرات . فالاشتراكية لا تعني فتح مطابخ جماعية ومدارس حضارة ومحلات عامة فقط ، ثم يعمل الفرد لقاء الملبس والمأكل والنامية لتحقيق هدف سياسي عسكري معين . ان مثل هذه التدابير قد تكون من حيث الشكل اشتراكية ، اما من حيث المستوى فليس للاشتراكية فيها أي معنى باعتبار ان حكاه اسرائيل هم الحرك الرئيسي والعنصر الحاسم الذي يدير دفة الحياة للاستقرار في التسير عبر بحر الرأسمالية .

ومهما تنوعت اساليب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات والقرى الزراعية في اسرائيل فان الأهداف الرئيسية لها تتلاقى جميعا في هدف واحد وهو الحفاظ على دولة اسرائيل وتحويلها الى اقوى دولة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري في منطقة الشرق الاوسط . ويوجد في اسرائيل عدة أنواع من المستعمرات اهمها :

### الحياة في الريف الاسرائيلي واسلوب الانتاج :

ان تنظيم المستعمرات في اسرائيل بني على أساس علمي يهدف الى توزيع سكان الريف توزيعاً يتفق والاستثمار الامثل لكل جزء من أرض فلسطين سواء كان سهلاً ام جبلياً ، مع اعطاء الناحية الدفاعية أهمية تصوى للمحافظة على هسذه المستعمرات والتوفيق بين خطط التنمية الاقتصادية والخطط العسكرية في الدفاع وعلى هذا الاساس اتجه الاستيطان في الريف ووزعت المستعمرات نسي المناطق التالية :

أ - مستعمرات الجبال : وتشكل خطاً دفاعياً تويها في مناطق الحدود . وقد انشأت اسرائيل خلال السنوات العشر الماضية اكثر من ١٥٠ مستعمرة .

ب - مستعمرات السهول : تقع في منطقة لاخيش وتمتد من اطراف الجليل قرب بيت جبريل الى ساحل البحر قرب مجدل وعسقلان ، وفيها نحو ٣٠ مستعمرة ذات موقع عسكري جيد ومسيطر على محاور الطرق الهامة .

مستعمرات منطقة تيناع : تقع بين العفولة ومدينة بيسان وتبلغ مساحتها ٣٢٠ الف دونم .

ج - مستعمرات منطقة يفتاح : وتقع عند نهاية وادي عربة ، وفيها يقع ميناء ايلات . وظروف الحياة قاسية في هذه المنطقة مما دفع بحكومة اسرائيل لجعل أكثر النشاط فيها مقصوراً على وحدات من المجندين يقضون خدمة زراعية اجبارية فيها .

د - المستعمرات الساحلية : التي تهتم بصيد الاسماك ويبلغ عددها حوالي ٤٠ مستعمرة موزعة بين حيفا وتل أبيب وعكا .

ويعتبر مستوى الحياة في الريف الاسرائيلي مالياً اذا ما قورن بالريف العربي ، لان الفرق بين الحياة في المدينة والقرية وخاصة في القرى القريبة من المدن شبه معدوم ، فقد عمت الكهرباء جميع المستعمرات الاسرائيلية كما ان طرق المواصلات وتعددتها ساعد على سهولة التنقل ، ويندر وجود مستعمرة يبلغ سكانها ٢٥٠ نسمة بدون مدرسة .

ويبلغ عدد المستعمرات في اسرائيل حوالي ١٤٠٠ مستعمرة يعيش فيها السكان حياة تختلف اختلافاً جزئياً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، ونسي

الامر في شراء أدوات الانتاج كالتراكتورات والحصادات وغيرها ، والنوع الثاني يتيح للفرد الذي يعمل فيها علاوة على امتلاك المزرعة ، تشغيل عمال بالاجرة وتسمح له بالعيش حسب رغبته ( يوجد مثل هذا النوع في يوغوسلافيا ) ، والنوع الثالث نظم على أساس توزيع المستعمرة بشكل اسهم للمزارعين لا يجوز بيعها لانها ملكية مشتركة .

وفي مقدمة كتاب بلدانية فلسطين المحتلة للدكتور انيس صايغ يذكر شرحا وافيا وجيدا لانواع المستعمرات وفقا للاحصاءات والتعاريف التالية : ان النوع السائد، الاكثر شيوعا، في بلدان فلسطين المحتلة ، اليهودية ، هو الكيبوتز . والكيبوتز ( وهي كلمة عبرية تعني لم الشمل ) قرية جماعية . أرض القرية ومبانيها وأدواتها كلها ملك جماعي للقرية . ولذلك فالحياة فيها مشتركة : فيها مبان لسكن الاولاد واخرى لسكن المتزوجين ، واخرى للطعام او اللهو او النوادي . وقد برز هذا النوع من المستعمرات الى حيز الوجود خلال موجة الهجرة اليهودية الثالثة الى فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، أي حوالي ١٩١٨ - ١٩٢١ . وهو تطوير أساسي لنوع اخر من المستعمرات كان قد ظهر منذ ١٩١٠ وسمي الكفوتزا ( أي « الجماعة » بالعبرية ) ، وهي جماعة زراعية تعاونية تعمل في مزرعة مشتركة على أرض وطنية يكون الانتاج والشراء فيها جماعيين ويرتكز الاستهلاك على مبدأ ارضاء الاحتياجات ضمن القدرة الاقتصادية، ويتحمل الكفوتزا مسؤولية الاسكان والتعليم والتطبيب . وبالتدريج تطور هذا النظام الى الكيبوتزات الشائع حاليا ، وهو أوسع مفهوما من النظام السابق ، بحيث يشمل الصناعة والعمل المأجور ولا يضع حدا لحجم الجماعة .

للكيبوتزات ولاءاتها السياسية . وهي بالتالي تنضم الى واحدة او اخرى من مؤسسات جماعية تشرف عليها . أشهرها الكيبوتز الموحد ( هاكيبوتز هاينلوحد ) الذي تأسس ١٩٢٧ . وهو يشكل النواة الرئيسية لحزب احدوت فاعانودا ( الذي تأسس ١٩٥٤ منشقا عن حزب المابام ) . وهو يسيطر على ٦٠ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٢٥٠٠٠ شخص . قاعدته في عين حارود . يأتي بعد

المستعمرات المستقلة ( موشاف ) وهذا النوع من مجموعة من المستعمرات الكبيرة يغلب الطابع الاوروبي على سكانها لان معظمهم جاؤوا اليها خلال عهد الانتداب البريطاني من أوروبا ، وقد انشأتها جمعيات صهيونية وقسمتها الى اراض بيعت بأسعار معتدلة للاغنياء والنفقات متوسطة الدخل ، لاقامة المزارع والبيوت الخاصة بهم .

يتكون سكان الكبوتس من مجموعة من الناس يخضعون لنظام اقتصادي سياسي واجتماعي موحد ، طبق طيهم نظام شبه اشتراكي عسكري يعتبر نوعا خاصا باسرائيل . ويعمل أهل هذه المستعمرات لقاء الحصول على الطعام والسكن والملبس وتأمين بعض الخدمات الاجتماعية . ويوجد في كل مستعمرة ( كبوتس ) مرافق عامة مشتركة كالمطابخ والحمامات والمدارس ودور الاطفال . أما وسائل الانتاج فقد جعلت ملكية تعاونية ، وطريقة دفع الاجور تكون وفقا لايام العمل التي يقوم بها المزارع مع الحفاظ على مبدأ دفع الراتب الاساسي لكل من يشارك في الانتاج ، ويوجد عدة انواع من الكبوتس فرضتها النزاعات السياسية باعتبارها هي الاساس التي يرتكز عليها نظام الكبوتس ، ومن هذه الانواع :

الكبوتس الموحد : وهي تابعة لحزب الماباي وعددها ٩٠ .  
كيبوتس العامل المزارعي : وهي تابعة لحزب المزارعي واملاكها تعود للوكالة اليهودية ويبلغ عددها ١٥ .

وكيبوتس حيروت : وهي مستعمرات عسكرية تابعة لحزب حيروت وهي محدودة لا تتجاوز العشر مستعمرات وتقع قرب الحدود ، وغسبر ذلك من الكيبوتسات المختلفة الانظمة والنزعات السياسية ويبلغ عدد الكيبوتسات على مختلف أنواعها ٢٥٠ كيبوتزا ويوازيها ما يعادل ٤٠٠ موشافا .

المستعمرات الاشتراكية التعاونية : يرتكز الاساس الاقتصادي لها على الملكية التعاونية لوسائل الانتاج الا ان اسلوب العمل فيها وشروط المعيشة في المستعمرات التعاونية سبب وجود ثلاثة انواع منها : فالنوع الاول قائم على توزيع مزارع متساوية في المساحة لكل أسرة ، وتشترك هذه

التحرير الفلسطينية في بيروت : الكيبوتز ، للاستاذ عبد الوهاب كيالي ، رقم ٤ من سلسلة دراسات فلسطينية ، ١٩٦٦ ، والمؤشاف للاستاذ ابراهيم العابد ، رقم ٢٦ من السلسلة نفسها ، ١٩٦٨ .

أشهر أنواع الموشافات هو الموشاف عوفديم ، أي القرية التعاونية . وهي قرية تتركز على المساعدة المتبادلة وتكافؤ الفرص ، لكل عضو فيها مزرعة ، على قطعة صغيرة من الأرض ، يعمل فيها العضو مع عائلته ، الا ان التعاونيات المركزية هي التي تتولى بيع المحصول وشراء المؤن والبذار والادوات . اما ملكية الأرض فتعود الى الصندوق القومي اليهودي ، كما أن القرية تهلك ، ككل ، بعض الاليات الزراعية . وهي ، عادة ، مستعمرة زراعية صرف ، يتراوح سكانها بين ١٠٠ و ١٠٠٠ عضو . وتتنمي جميع موشافات هذا الصنف الى حركة المستوطنات (تنوعات هاموشافيه) ، التي تأسست ١٩٢٨ وتضم حوالي ٢٥٠ موشافا يعمل فيها حوالي ١٠٠٠٠٠ شخص .

أما أنواع الموشافات الأخرى فتتنمي الى عدد من المنظمات ، أكبرها المؤسسة الزراعية (مجمعيترا هيكلات) التي تأسست عام ١٩٣٣ وتضم ٥٣ موشافا يعمل فيها حوالي ١٦٠٠٠ شخص ، وعمال حزب اسرائيل ( يوغالي اجودات اسرائيل ) تضم ١١ موشافا يعمل فيها حوالي ٣٠٠٠ شخص ، وحركة حيروت ، تضم ١١ موشافا يعمل فيها حوالي ٢٠٠٠ شخص .

هذه هي المنظمات الرئيسية التي تنتمي اليها غالبية المستعمرات اليهودية في فلسطين ، سواء كانت من الكيبوتزات او الموشافات . لكن هناك منظمات أخرى ، صغيرة الحجم والنمو نسبيا ، لعدد من المستعمرات . فهناك حركة الفلاح العامل الاميركية ، وجنعية الشبان الصهيونيين ، ويبي برث ، والجادناح ، والنساحال ، والهداساه ، واتحاد المزارعين ، وحركة المكابي - وكلها مؤسسات صهيونية يسيطر الواحد منها على عدد محدود من المستعمرات .

والكيبوتزات والموشافات هي غالبية المستعمرات اليهودية في فلسطين المحتلة . ففيها اليوم حوالي ٢٥٠ كيبوتزا (أي ضعف عددها في ١٩٤٨) وحوالي ٤٠٠ موشافا ( أي أربعة أضعاف عددها ١٩٤٨ ) .

الكيبوتز الموحد ، في الاهمية ، الكيبوتز الوطني ( كيبوتز هارتزي هاشومر هتسفير ) الذي تأسس في ١٩٢٧ أيضا . وهو يضم الكيبوتزات التي تستمر في فرض القيود على عدد اعضاء الكيبوتز الواحد ومساحتها دون أن ترفض الايدي العاملة المأجورة ولا الصناعة . وتقوم عقيدة الكيبوتزات «الكيبوتز الوطني» على جمع قريب بين الصهيونية والاشتراكية الماركسية . وهي توالي حزب المابام . وعددها ٧٥ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٢٠٠٠٠ شخص . وقاعدتها في مرجفيا . أما الكيبوتزات التي استمرت تفرض القيود على العضوية وتتجنب العمل المأجور من الخارج ، والتي حافظت على تقاليد الكوتزات في الانتقائية ، فانها تنضوي تحت لواء منظمة ثالثة هي اتحاد الكيبوتزات ( ايحود هاكوتزات في هاكيبوتزيم ) . وقد تكون هذا الاتحاد بشكله الحاضر في ١٩٥١ . وهو غير مرتبط بحزب معين . الا ان معظم اعضاءه من حزب الماباي . وهو يسيطر على ٧٥ كيبوتزا يعمل فيها حوالي ٢٥٠٠٠ شخص . وهناك منظمة رابعة تسيطر على ١٠ كيبوتزات يعمل فيها حوالي ٤٠٠٠ شخص ، هي العامل الشرقي التي تنتمي الى حركة المستعمرات المتدنية ( هاكيبوتز هاداتي ) ، وهي فرع من حزب هيوغيل همزراحي . وما يميز الكيبوتزات التابعة لهذه المنظمة هو تسكها بالاشكال الدينية التقليدية ، ومحافظة الشديدة . والمنظمة الخامسة هي العامل الصهيوني المعروف (هتسيوني ) . التي تأسست ١٩٣٥ وتضم ٦ كيبوتزات يعمل فيها حوالي ١٥٠٠ شخص . وهي ترتبط بحزب الأحرار .

التظام الثاني من المستعمرات اليهودية في فلسطين هو الموشاف . والموشاف مستعمرة ملاكي اراض صغار . نشأت في الاصل عن الموشافا ( أي المستعمرة ، بالعبرية ) وهي قرية عمل ، أي قرية عادية تقوم على ملكية الأرض الخاضعة والمجهود الفردي . وقد بدأت بالظهور منذ الهجرة اليهودية الاولى الى فلسطين ( ١٨٨٢ - ١٩٠٤ ) . والموشاف على انواع . ولم نهتم في هذه الدراسة بذكر الانواع الجزئية الا عند الضرورة . ( اهيل القاري ، الذي يجب التوسع بسندرس مؤسستي الكيبوتز والموشاف في اسرائيل ، الى دراستين في الموضوع صدرتا عن مركز الابحاث في منظمة

وبهذا يصبح الطريق مجهزا لضربات قواتنا النظامية ، قوات الجيش المحاربة .

وهناك وجه آخر من أوجه دفاع القرى والمدن الإمامية له وجاهته وقيمته وقوته ، ان العدو قد يكون مدريا على ألا يضرب رأسه في المعازل الحصينة ، بل يتفادها في البداية ويبيل السى اختراق النقاط الضعيفة والاستيلاء عليها . وبهذا فان القرية او المدينة الصغيرة ، اذا اظهرت مقاومة عنيفة عالية فان العدو سيصاب حتما بالخيبة ولو كان متقدما بكل قواته المروعة ، ولا يمكن الاستيلاء على المواقع ، اذا كانت قد وضعت خطة محكمة للدفاع تمتاز بسهولة التنسيق والتنفيذ بشكل سليم وحاسم .

ان الاعداد الجيد زمن السلم لكل الاعمال الهندسية بدءا من ملاجئ حياية النساء والاطفال والشيوخ اثناء قصف القرية بالمدفعية او الطيران وتحصين مراكز المقاومة التي ستحتلها وحدات الجيش الشعبي للدفاع حتى الموت وحفر خنادق المواصلات كل ذلك سيلعب دورا حاسما في مقاومة القرية او المدينة الصغيرة ويكبد العدو خسائر فادحة عندما يحاول احتلالها ويكسر من حدة موجات هجماته المحبولة او المدرعة . وتعطي قرى لبنان الجنوبية مثلا سينا للقرية الضعيفة الغير معدة عسكريا او اقتصاديا للصبود امام هجمات العدو المتكررة الامر الذي يتطلب القيام بحملة على مستوى الوطن العربي لتحصين هذه القرى واعداد سكانها عسكريا واجتماعيا واقتصاديا ليصبحوا على مستوى الصبود امام هجمات العدو المتكررة .

ان وضع الخطة الدفاعية للقرية الإمامية هو من اختصاص القيادة العامة للجيش الشعبي بالتنسيق مع القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة للجيش النظامية . الا ان هناك بعض الاعمال الدفاعية والتي هي جزء من الخطة العامة يقع عاتق تنفيذها على القادة المحليين للجيش النظامي او الشعبي نذكر منها على سبيل المثال انشاء المراكز الدفاعية الصغيرة والاستحكامات والخنادق والتي يجب ان تكون بوجه عام : قادرة على الدفاع من جميع الجهات ، محددة المواقع بحيث تغطي المناطق الحيوية ، يساند بعضها البعض الاخر .

ولكن هناك أنواعا أخرى من المستعمرات ، أقل شيوعا ، من الكيبوتزات والموشافات : المعبرة ( وهي مخيم للمهاجرين الجدد فقط ) ، ومثلها موشاف المهاجرين ، والمستوطن البلدي ، والمستوطن القروي ، والمستوطن الصناعي ، والمؤسسة الثقافية والمدرسة الزراعية، والمزرعة، والمزرعة الاختبارية ، والمركز الزراعي ، ومعسكر العمل ، ومنشآت العمل ، والمصح ، والمتنجم ، ودار النقاة ، والضاحية المستقلة او شبه المستقلة .

وتهتم بشؤون الزراعة عدة منظمات أهمها :

١ - منظمة الكيرن كاييت : ومعناها الصندوق القومي اليهودي : كانت مهمتها شراء الاراضي من العرب وبيعها الى السكان اليهود . وقد بدأ انشاؤها عام ١٩٠١ وتقوم الان بعمدة نشاطات منها استصلاح الاراضي وادارة المشاريع الزراعية الكبيرة .

٢ - منظمة الهستدروت ( الاتحاد العام لنقابات العمال ) تضم عدة منظمات ويبلغ عدد المنتهين اليها ١٨٠.٠٠٠ نسمة يقطنون ٥٠٠ مستعمرة ويستثمرون اراض تقدر مساحتها بـ ٣٧ مليون دونم وينتجون ٧٥ - ٨٠ ٪ من مجموع حاصلات البلاد .

### المبادئ والاسس التي يتركز عليها تحصين القرى الإمامية ( أسلوب الدفاع عن القرية )

ان اسلوب الدفاع عن الاعماق للبلاد او بمعنى اخر الدفاع عن القرى والمدن الصغيرة المتناثرة في أنحاء الريف وخاصة على الحدود هو المفهوم الجديد الذي ينتشر على نطاق واسع بعد تكرار الاعتداءات الصهيونية وبعد ان ثبت ان العدو عندما يهاجم بلادنا يقرأها ومدنها المتناثرة فان المدافعين من أبناء المدن والريف سيكون لهم دور كبير في المعركة . ان مركز المقاومة يعترض طريق العدو في خط سيره ويبطئ من تقدمه كما يجعله مضطرا لاستهلاك جزء كبير من قوة هجومه واذا كانت مراكز الدفاع هذه موزعة على طريق تقدم العدو وفتا لتوزيع القرى والمدن الصغيرة فان العدو تبيل توغله في ارض الوطن سيضطر كذلك الابطاء في خطوات تقدمه وهجومه فضلا عن فقدان حماسه .

السطح خبائثة ولو كانت سماكته ٤٠ سم - ٥٠ سم مع تقطيتها بطبقة ماثلة من القزب .

أما ان تستطقتنايل العدو ( سواء أكانت من الطائرات او المدفعية ) فوق الملجأ مباشرة فهذه حالة خاصة قد لا تصيب الملجأ واخذ في الالف عندها تنصف عشر طائرات مقبلة مساحة من الارض لا تزيد عن ٢٥٠ x ٢٥٠ مترا ولدة خمس دقائق .

ان المواطن الذي يجلس في حفرة بعمق ١٥٠ - ٢٠٠ سم في مثل هذه المساحة المقصوفة من الارض قد ينجو ٩٥ ٪ وخاصة اذا كانت الحفرة موجهة جيدا وسطحها مغطى بغطاء اقتصادي كان يكون من الواح التوفياء والخشب فوقه طبقة عازلة من القزب بسماكة ١٠ - ١٥ سم للحماية من قنابل النابالم وشظايا القنابل ( تجارب الفيتناميين في الملجأ الشعبية الرخيصة الكلفة والسهلة التنفيذ ) .

اننا عندما نذكر ذلك فهذا لا يعني بأي شكل من الاشكال اننا ضد اسلوب التحصين واقامة الملجأ بالاسمنت المسلح . لا ليس المقصود ذلك انما الغصد هو ( الواقعية ) في التنفيذ وامكانية حماية المواطن متطلعين من الامكانات المتوافرة وقدرتنا الاقتصادية والمالية .

ان اسلوب التحصين بالبيتون العالي التسليح والملجأ المسبقة الصنع قد يستعمل على نطاق محدود للمراكز العسكرية . والنقاط الحساسة المعلمة التي يتوقع ضربها من قبل العدو ١٠٠ ٪ .

ولو أردنا ان نعم اسلوب التحصين واقامة الملجأ بالبيتون العسادي او العالي التسليح وأجرينا الحساب على ان نشيد مثل هذه الملجأ لنصف سكان سوريا مثلا في أسوأ الأحوال تخرج بالنتيجة التالية : كلفة ملجأ اسمنتي مع تجهيزاته لعشرة أشخاص هي ١٠٠٠٠ ل.س. يبلغ عدد سكان سوريا ( ٦٣ ) مليون نسبة . عدد الملجأ اللازمة للسكان ( سعة ١٠ افراد ) هي ٢٧٥٠٠٠ ملجأ . تبلغ كلفتها ٣١٥٠٠٠ x ١٠٠٠٠ = ٣١٥٠٠٠٠٠٠ ل.س. أي أكثر من ثلاث مليارات ليرة سورية .

وهذا المبلغ تعجز عن تأمينه « إسرائيل » للصرف على مثل هذا العمل اذف الى ذلك ان « إسرائيل »

ان اعمال التحصين في المدن والقرى بوجهه خاص يجب ان تنفذ بالطريقة الاقتصادية وبالاسلوب الشعبي المبسط وان يستفاد من المواد المحلية . ان فكرة انشاء جميع التحصينات من الاسمنت المسلح هي فكرة خاطئة وغير ممكنة للتنفيذ لنشرها على نطاق واسع لحماية الجماهير الواسعة من أبناء شعبنا .

ان المهندس العسكري الواقعي والذي يربط القضايا العسكرية بالواقع الاقتصادي والسياسي لبلدنا يبتكر احسن الطرق ويفتش عن أرخص التكاليف لانشاء الملجأ لحماية المواطن او الحصن للمقاتل ، والارض خير واق واقوى ملجأ اذا ما احسن استعمالها وخاصة الاستفادة من المساور والجروف والهياكل الطبيعية الحاكمة وغير ذلك .

ان الملجأ كتعمدة عامة تكون اما خفيفة او ثقيلة وكلها تكون بشكل حفر تحت سطح الارض . تكون الاولى بالعمق ( ٢ - ٢٥ ) م والثانية أي الثقيلة بعمق اربعة امتار وتزود بمجموعة تصفية وتهوية .

ان النوع الذي يهنا هو الملجأ الخفيفة التي تؤمن حدا مقبولا لحماية ارواح المواطنين على نطاق واسع ولا تحتاج الى المال الكثير والجهيد الكبير وتقلل من الاعمال الالية . يمكن عند الحاجة استخدام الملجأ المسبقة الصنع من الاسمنت المسلح والخشب او الصفائح المعدنية القوية ومن أكياس الرمل وفي بعض الاحيان من البلاستيك .

ان الملجأ الخفيفة لا تؤمن الواقية من القصف الجوي او الارضي فحسب بل انها تؤمن الواقية من العوامل التدميرية للأسلحة النووية .

١ - الملجأ الخفيف ( ٣٠٠ - ٤٠٠ ) م من مركز الانتحار .

٢ - الملجأ الثقيل ( ١٠٠ - ١٥٠ ) م من مركز الانتحار .

ان انشاء الملجأ من النوع المسلح ان هو الا وسيلة مرتفعة التكاليف تهدف الى اسناد جوانب التربة وتغطية البناء تحت سطح الارض بطبقة من البيتون المسلح قد لا تصلح في معظم الاحيان لحماية المواطن الرابض تحتها اذا ما سقطت القنبلة ( وخاصة العيار المتوسط والثقيل ) فوق

من الالتفاف والاحتلال المفاجيء للقربة من الجنبات والمؤخرة .

يجب ان تنشأ المواضع الدفاعية الداخلية بالعمق ويعود عدد هذه المواضع وأبعادها لعدة أمور منها أبعاد ابنية القربة والوسائط المتوفرة . والوقت والامكان المأهولة وغير ذلك وينظم الدفاع على اساس نسق اول ونسق ثاني ... . واساس الانساق هو عقد الدفاع المتقاطعة بالنيران .

ولتأمين الدفاع الدائري تقسم القربة الكبيرة الى قطاعات يتوقف عددها على ابعاد القربة ووجود الاتجاهات المهمة وعدد تسليح الوحدات المخصصة للدفاع عن القربة ويمكن للسرية من الجيش الشعبي عند تعزيزها الدفاع عن نقاط دفاعية ( شكل نقطة استناد ) عرضها من ( ٤٠٠ - ٨٠٠ ) متر وعمقها من ( ٣٠٠ - ٦٠٠ ) متر . أما كتيبة الجيش الشعبي فيمكنها ان تدافع داخل وخارج القربة ضمن مساحة تتراوح بين ( ١٥٠ - ٢٠٠ ) كم بالعرض وبين ( ١٠ - ١٥ ) كم بالعمق .

ان ابنية القربة الكثيفة البنيان والمحاطة بالاشجار تحد كثيرا من مجال الرؤية والرمسي وتجزيء اعمال القتال الى سلسلة معارك محلية وتهدف الى الحفاظ على عقد الدفاع ونقاط الاستناد . لهذا تضعف الاكاثات القتالية للقوات المدافعة عن القربة اذا تورتت بالاعمال الحربية في الاراضي الميدانية .

قد يستخدم العدو الاسلحة الذرية لتدمير الاهداف المهمة والقوات المدافعة لذا يجب انشاء الملاجئ والمسائر للاليات عند تنظيم الدفاع ويستناد كثيرا من المفاور على نطاق واسع والاطبية والمسائر الطبيعية .

### القربة الامامية

#### من حيث الوظيفة والتنظيم والانشاء

كان من آثار عدوان الخامس من حزيران الذي رسمت مخططاته في مكاتب الاستخبارات للدول الرأسمالية الاستعمارية ونفذته قاعدة الاستعمار الحديث « اسرائيل » على وطننا العربي عامة وعلى سورية العربية خاصة قيام حدود جديدة بيننا وبين العدو ( لقد جرى عليها تعديلات طفيفة نتيجة لحرب تشرين التحريرية كما جرى تعديل اوسع على الحدود الجنوبية في جبهة سيناء بعد تحطيم خط

نفسها لا تستند على الاسمنت المسلح في اعمال التحصين على نطاق واسع حتى لاكثر المستعمرات المنتشرة على الحدود الا على نطاق محدود . . .

وكتحصيل حاصل يمكن ان ينشأ ملجأ يكتفي لحماية عشرة اشخاص بالطريقة التالية وبكثايف لا تتعدى ٦٠٠ - ١٠٠٠ ليرة سورية على النحو التالي :  
١ - تختار ارض مستوية وأرضها غير صخرية ان يمكن لتجنب استعمال الآلات والمتفجرات . ٢ - يؤخذ بعين الاعتبار تصريف المياه ٣٠ - حجم الحفرة ينفذ بالقياس التالي : العمق ( ٢ ) متر ، العرض ( ١٥ ) متر ، الطول ( ٤ ) امتار .  
٣ - تحفر الجدران للحفرة بشكل مائل بنسبة ١٠ - ١٥ ٪ لمنع انهيار التراب . ٥ - تستند جدران الحفرة بقوالب الطين المجهول بالطين او قطع التوتياء والخشب البالي او الحصى والخشب . ٦ - يغطي سطح حفرة الملجأ بخشب الحور والتوتياء ويردم فوقه التراب بسماكة ١٠ - ١٥ سم . ٧ - يوده سطح الملجأ بصورة جيدة ويترك فتحة للهوية متابلة للدخل .

### اسس ومبادئ الدفاع عن القربة :

ان الدفاع عن القربة او المدينة الصغيرة يرتبط ارتباطا عضويا بالنقاط التالية : ١ - مساحة القربة وابعادها . ٢ - موقعها على الارض كأن تكون في ارض مكشوفة او قريبة من الخواجز الطبيعية والهينات الحاكمة . ٣ - مكان القربة وعلاقتها بالمخطط الدفاعي كأن تكون ضمن نطاق الحيطه الامامي او بعمق الدفاع او متحركة في عقدة مواصلات ... الخ . ٤ - نوع ابنية القربة واسلوب توزيعها وقوة تحمل الابنية وامكان اتخاذ بعضها كمراكز للدفاع بعد ادخال تعديلات وغير ذلك .

عندما تكون القربة على الحد الامامي مباشرة او في عمق الدفاع يمكن ان ينظم الدفاع على مشارتها او بداخلها . ان الهدف من انشاء المواضع الدفاعية هو ايقاف العدو المهاجم وانهك قواته قبل وصولها الى القربة وخلق الشروط المناسبة للدفاع عن القربة ، تجهيز المواضع الدفاعية بالاستخدام العتلاتي للمرتفعات والانهار والهينات الطبيعية الحاكمة وينظم الدفاع على اساس دائري لمنع العدو

عليها .

٢ - احصاء بشري للسكان يتناول النقطات الاتية : عدد العائلات ، حجم العائلة الوسطي ، عدد اليد العاملة في العائلة الواحدة ( تحسب على اساس وحدة العمل في العائلة الواحدة باعتبار وحدة العمل تساوي ما ينتجه عامل زراعي واحد في يوم العمل ) ، الدخل الوسطي الحالي للعائلة الواحدة ، مصادر الدخل المختلفة للعائلة ، الروابط الاساسية لمجموعات السكان وخاصة ما يتعلق منها بالنواحي العشائرية والعائلية والدينية .

٣ - دراسة حجم المزرعة الواجب تخصيصه للعائلة الواحدة التي تحقق دخلا وسطيا لا يقل بآية حال عن الدخل المتوسط الحالي للعائلة ، وبضمن لها حياة اقتصادية متوازنة وضمن امكانيات عمل افراد العائلة على مدار السنة .

٤ - تحديد عدد القرى على ضوء نتائج الدراسات للتقريتين ( ١ و ٢ ) اعلاه ، وذلك بعد دراسة حجم القرية الواحدة من حيث عدد العائلات في كل قرية وعلى ضوء المساحات الزراعية التي ستخصص لها مع مراعاة التوزيع حسب الشروط الاقتصادية والعسكرية .

٥ - وضع نظام اداري - اقتصادي على اساس تشكيل القرية التعاونية كوحدة زراعية متكاملة مع كل ما يلزم لتنظيم الاستثمار على مثل هذا الاساس .

٦ - انتقاء المستوطنين بموجب شروط محدودة تحقق ما يلي : الاختيار الطوعي ، الاساس الطبقي حيث تعطى الافضلية للفلاحين الاجراء والنصف اجراء اي الذين يقومون بخدمات في مزارع الغير ، لتأمين حياتهم مع وجود ملكية يستثمرونها لانفسهم ولا يكتفي انتاجها لوحده لاعاشتهم ، توفر نسبة معينة من المتعلمين وأنصاف المتعلمين من سكان القرى ، توفر عدد معين من اليد العاملة الفنية ( حرف مختلفة - مسانتي جرارات - وشاحنات ميكانيكية ... الخ ) ، اعطاء الافضلية للعائلات التي لديها اكبر قدر من قوة العمل ، الوعي الوطني والنشاط في الانتاج .

ان القيام بجميع ما تقدم ذكره ، يجب ان يستفاد من نتائجه لوضع نظام اقتصادي للقرية الامامية

بارليف ونقل الخط الدفاعي المصري الرئيسي لداخل سيناء ومع ذلك فان هذه الحدود تتميز بشكل رئيسي بتهديدها المباشر من قبل العدو وضرورة القيام بكل ما يمكن وبالسعة الكلية بتحويلها الى جبهة محصنة قادرة على الصمود في وجه اية مغامرة جديدة يقوم بها العدو ضد بلادنا ، ولهذا الهدف أصبحت قضية تنظيم سكان مناطق الحدود في مجموعات اقتصادية دفاعية لدعم الجهود العسكري النظامي عملا ذي اهمية بالغة الخطورة ، ولا شك بان الشكل التنظيمي الامثل لتأدية مثل هذه الوظيفة هو انشاء القرى الامامية على طول خط وقف اطلاق النار الحالي ولا يعتبر هذا العمل اعترافا بالحدود القائمة اذ ان حدودنا عندما تتقدم وتحرر اراض جديدة فنكون بذلك قد استصلحنا اراض جديدة كانت شبه خالية وقوينا عمقنا الدفاعي بخلق قواعد سكانية جديدة .

ان هذه القرى الدفاعية التي ستناط بها مهمة بلورة الجهد الاقتصادي والدفاعي لسكان مناطق الحدود وصبه في افضل الاشكال التنظيمية لتحقيق خطوط دفاعية صامدة تلتحم فيه ارادة المواطنين الشريف ، اي الدفاع عن ارضه واستثمار خيراتها ، والجهد العسكري النظامي المرابط في خنادقه الامامية .

**القرية الامامية - الوظيفة :** ان الوظيفتين الاساسيتين للقرية الامامية تنحصران في تحقيق الجهدين الاقتصادي والدفاعي ولتحقيق هذين الجهدين سنحاول القاء نظرة تفصيلية لشرح الخطوط الرئيسية لكل منهما .

**اولا - الوظيفة الاقتصادية للقرية الامامية :** ان الهدف الاقتصادي من انشاء القرى الامامية في مناطق الحدود لدول المواجهة بشكل خاص ولحدود البلدان العربية بشكل عام يتلخص في تنظيم جهود سكان مناطق الحدود والنازحين من الاراضي المحتلة في تنظيم اقتصادي عصبه الرئيسي الزراعة التي تقوم عليها حياة سكان كل المنطقة . ولتحقيق هذا الهدف يقترح قيام هذا التنظيم على المبادئ الاتية :

١ - حصر الاراضي الموجودة في المنطقة موضوع البحث ، وتحديد نوع الملكية فيها ، واحصاء انتاجية هذه الاراضي والزراعات الاساسية القائمة

الوقوع من جانب العدو بحيث يصعب تدميرها ويقل الخسائر الناجمة عن مثل هذه الاغارات الى اقل حد ممكن .

ب - دفاعية : وتتعلق بحماية سكان القرية وذلك بتأمين ملاجئ وخنادق طوارئ يلجأ اليها السكان وخاصة الاطفال والنساء والشيوخ عند الضرورة وتوزع هذه الملاجئ والخنادق داخل القرية وفي أماكن الانتاج والعمل بحيث تتأمن اسرع امكانية للجوء اليها عند الحاجة .

ولا بد من الاشارة هنا ، الى ان اي تحصين مقبول من الناحية الاقتصادية ، لا يمكن أن يؤمن حماية كاملة في جميع الاحوال ، ويبقى مبدأ القبول بوقوع خسائر بأقل الحدود الممكنة مبدأ عاما ، وذلك لتجنب هدر الاموال في اقامة ملاجئ تصمد للاغارة المباشرة عليها ، والتي لا تبرر اكلها في جميع الاحوال ميزاتها الدفاعية ، ولذلك يفضل اللجوء الى الخنادق الدفاعية المحفورة في أماكن محددة في القرية وخارجها مع تغطيتها بالمواد المتوفرة محليا والتي يمكن ان يقوم بها السكان انفسهم مع اقامة عدد محدود للغاية من الملاجئ المحصنة جيدا للغاية منها حماية الاطفال والوثائق والمؤن وغيرها من المواد الضرورية .

٤ - الجيش الشعبي : ويقوم على اسلح الانضواء الطوعي الذي يقبل به سكان القرية عند الاختيار ويعتمد على تدريب جميع القادرين على حمل السلاح من رجال ونساء القرية بجميع اشكاله وبأفضل الاشكال الممكنة مع توزيع السلاح على المتدربين ، بالاضافة الى تأمين كل ما يلزم لاغراض الدفاع المدني مع تدريب عدد كاف من سكان القرية على مثل هذا العمل .

وبشكل عام يجب ان يكون مجتمع القرية جزءا من الجهد العسكري والدفاعي على طول الحدود مع تحديد مهامه وواجباته وشرحها شرها كافيًا وبشكل مستمر لسكان القرية ومن الأفضل ربط هذا المجتمع بنوع من العلاقات المرنة مع القيادات العسكرية في المنطقة وخاصة مع الحرس الوطني او بالشكل الذي يضمن استيعاب المواطن لدوره في المعركة ومسؤوليته تجاه الارض التي يعيش عليها .

٥ - التعاون والتفاعل بين سكان القرية

يقترح ان يعتمد اساسا على المبدأين الاتيين :

١ - القرية كتنظيم اقتصادي هي تعاونية زراعية . الامر الذي يستدعي ملكية الملاكين لجميع مصادر الانتاج ووسائله في نطاق التعاونية مع حقهم الكامل في ادارة تعاونيتهم ادارة ديموقراطية لها كامل الصلاحية في ادارة الانتاج من جهة ووضع الضوابط اللازمة لنجاحه وتطويره وتلتزم هذه الادارة بتوجيهات الدولة عامة فيما يتعلق بنوعية الانتاج الذي يجب ان تخصص به ( نوع الزراعات ) واية تعليمات تتعلق بوظيفة القرية التعاونية الدفاعية .

٢ - القرية الامامية ليست تدبيرا مؤقتا مرتبطا بوضع معين قائم حاليا وتطلبه ضرورات الجبهة بطروفتها الراهنة وحسب . بل هي جزء لا يتجزأ من التجربة الاشتراكية في القطاع الزراعي على نطاق البلد بكامله ، تتفاعل مع نتائج هذه التجربة مؤثرة ومتأثرة ، مما يعلمي المجتمع القائم في تلك المناطق صلة الديمومة ويعطي الانتاج صفتة الاجتماعية المتكاملة .

ثانيا - الوظيفة الدفاعية للقرية : اذا قبلنا بالوظيفة الاقتصادية للقرية الامامية على الاسس التي بينهاها فيما سبق فان الوظيفة الدفاعية للقرية الامامية تصبح مهمة من المهام الاولى لمجتمع القرية ، يفترض تحقيقها شروطا معينة من اهمها الدفاع عن الارض والتشبيث بها ولتحقيق هذه الشروط يستلزم ما يلي :

١ - نوعية سكان القرية : من حيث وعيهم وادراكهم لواجبات الدفاع عن اراضيهم والتشبيث بها وامكانياتهم الفعلية للقيام بذلك ، ولا شك بأن اعتماد الانتماء الطبقي اساسا ، وتمليك الارض يخلق الشروط الاقتصادية والاجتماعية السلبية لتحقيق هذه الاهداف .

٢ - موقع القرية : ويرتبط بالتخطيط العسكري لخط الجبهة الامامية مع مراعاة الوظيفة الاقتصادية للقرية عند انتقاء الموقع .

٣ - تحصين القرية : ويعتمد على ناحيتين :

١ - تنظيمية : تتناول شكل توزيع المساكن في القرية بحيث يتحقق تبعثر هذه المساكن وتوزعها ضمن مساحة معقولة لا تفقد القرية شكلها الاجتماعي وتؤمن حماية مقبولة ضد اية اغارة ممكنة

وسطي ، حيث ستوجد في القرية عائلات يتفاوت عدد أفرادها تفاوتاً محسوساً ، إلا أن اعتبار الرقم الوسطي لغرض التخطيط والتصميم أمر يمكن القبول به ، مع مراعاة حل يقبل بعض التعديلات التي تناسب الاحتمالات الممكنة في هذا المجال .

وسنشرح فيما يلي الخطوط العريضة للحل الذي وضعناه والذي أوضحناه في المخططين المرفقين رقم ( ٢ ) . ورقم ( ٤ ) .

أولاً - تنظيم القرية : يبين المخطط رقم ( ٢ ) قرية أمامية نظمت بأخذ جميع الافتراضات السابقة بعين الاعتبار وتبميز هذا الحل حسب اعتقادنا بما يلي :

١ - وزعت القرية على ثلاث مجموعات تتألف كل مجموعة من حوالي العشرين بيتاً ريفياً ، وتتألف كل مجموعة من سلسلة متناسقة من وحدات تضم كل منها ثلاثة بيوت أو أربعة وقد حققت الميزات الاقتصادية والدفاعية في هذا التنظيم كما يلي :

أ - خصص لكل بيت مزرعة خاصة مساحتها نصف هكتار ، بحيث تضمن للزراع مساحة كافية لزراعة بعض الخضراوات والأشجار المثمرة التي تكتفي وأسرتها ، والتي يمكن استثمارها بعمله بعض الأوقات الإضافية مع أفراد أسرته ، وتساعد على تحسين دخله وتخفيض نفقات معيشته .

ب - يحافظ هذا الحل على الترابط التنظيمي الضروري للقرية من حيث الشكل والتوزيع مع مراعاة التبعر والانتشار الكافي لبيوت القرية لتأمين الحماية الكافية لها ونقل من أضرار الغارات قدر الإمكان .

ج - يفترض هذا الحل أن أراضي القرية الزراعية تقع على مقربة من القرية بحيث لا تقع منازل القرية ضمن الأراضي الزراعية ، وهذا الحل يتناسب مع وظيفة القرية الدفاعية من حيث إمكانية إقامتها في جوانب المرتفعات وفي الأماكن التي تناسب طبيعتها وطبوغرافيتها هذه الوظيفة دون ربط مباشر مع الأراضي الصالحة للزراعة والتي تستثمرها القرية .

هذا بالإضافة إلى أن وقوع البيوت في المساحات الزراعية يزيد في تبعر القرية ويفقد شكلها

الأمامية والوحدات النظامية المرابطة في الجوار : ويمكن لهذا التعاون أن يأخذ أشكالاً متنوعة ومرنة حسب ظروف القرية وموقعها وحجم الوحدات المرابطة في الجوار وإمكاناتها ومهامها ، والهدف من مثل هذا التعاون ربط مجتمع القرية بالموقع الدفاعي عن الأرض بشكل خاص والبلاد بشكل عام بحيث يبقى الحس الوطني والإدراك العميق بالمسؤولية مع القناعة الكلية بالواجب عوامل مسيطرة على حياة القرية .

ومن المفيد في مثل هذا المجال مشاركة الوحدات المرابطة في بعض الأعمال التي يقوم بها سكان القرية ، كحصاد بعض الزراعات الذي يشكل ضغطاً كبيراً على اليد العاملة في القرية ، والمساهمة في أعمال التحصين للقرية والإشراف عليها وتوجيه سكان القرية لاتخاذ أشكال انشائها والمعمد بالعكس من حيث تكليف سكان القرية ببعض الأعمال المتعلقة بالجهود الحربية في المنطقة وتخصيص مناطق محددة يقع عبء إمدادها بالخضار الطازجة والمنتجات الحيوانية على عاتق سكان القرية إلى آخر هذه الأشكال المتنوعة التي تعزز من علاقات الواجب المشترك في الدفاع عن الأرض وتقييمها على أسس من الإخاء والتعاون الصادق الواعي .

### القرية الأمامية وأسس تنظيمها وانشائها

باعتبار الإسس الاقتصادية والدفاعية العامة التي شرحتها حتى الآن ، وبهدف وضع حل يمكن اتخاذه كمثل للمناقشة . افترضنا بعض المعطيات الأساسية التي تساعد على تنظيم قرية أمامية ، مع مراعاة كون هذه الافتراضات أقرب ما تكون إلى الصحة من جهة ، وقابلة للتطبيق العملي كأساس مع مراعاة شكل الأرض والموقع لكل قرية على حده من جهة أخرى .

وتتلخص هذه الافتراضات في المعطيات الآتية :

١ - حجم القرية : تتألف القرية وسطياً من حوالي ( ٦٠ ) عائلة ، ويتناسب هذا الحجم مع حجم القرى الشائع في المنطقة موضوع البحث ، كما يساعد على قيام استثماره تعاونية زراعية بشروط ملائمة للتطبيق العملي .

٢ - تكوين العائلة : تتألف العائلة وسطياً من سبعة أفراد ، وهذا العدد يجب أخذه كرقم

اللازمة لهذا الغرض .

ثانياً - وحدة السكن في القرية :

١ - المخطط : يبين المخطط رقم ( ٤ ) وحدة السكن في القرية للعائلة الواحدة وقد وضع هذا المخطط على مراعاة ما يلي :

أ - مساحة السكن بحدود ( ١٠٠ ) م<sup>٢</sup> ويمكن تخفيضها الى ( ٧٠ ) م<sup>٢</sup> كحد أدنى نظراً لارتفاع كلفة الثمن يضاف الى ذلك ان استعمال مسواد البناء الريفية الرخيصة ( اسلوب البناء الشعبي المتطور أمراً يجب ان يؤخذ بالحسبان عند عدم توفر الاموال اللازمة ) .

ب - يتألف المسكن من غرفتين ومطبخ ومستودع ومدخل صغير ودورة مياه .

روعي في مساحات البيوت ملاعبة الاحتياجات الضرورية لسكن عائلة مؤلفة من سبعة افراد .

ج - وضع المخطط بحيث يمكن تعديله للملاعبة متطلبات سكن الاسرة التي ستخصص به ، وقد افترضنا امكانية بناء عدد من النماذج في القرية الواحدة تتألف البيوت للعائلات الكبيرة من بيوت تنطبق مع المخطط رقم ( ٤ ) أما في حالة العائلات الاصغر عدداً فيمكن حذف احدى الغرفتين او المستودع او اجراء مبادلة بين موقع المطبخ والمستودع وذلك دون ادخال اي تعديل أساسي على المخطط .

د - صممت الفتحات ( النوافذ ) بحيث تكون تكاليفها اقل ما يمكن فلم تفتح الا نافذة واحدة في الغرفة الواحدة ، اما اتجاه هذه النوافذ فيمكن التكيف به بحيث يتلاءم مع الموقع واتجاه الريح المسيطرة في المنطقة للحصول على القدر الكافي من الانارة والتهوية .

٢ - مواد البناء : ان مواد البناء القابلة للاستعمال في مثل هذه الأنواع من البيوت يمكن ان تكون :

١ - جدران طينية مع سقف من الاخشاب والحصير والطين : وهي اقل انواع البناء كلفة وشائعة الانتشار في قرى الريف السوري . الا ان مثل هذا الانتشار يجب تجنبه بقدر المستطاع رقم قلة تكاليفه وذلك لقلة متانته وقصر عمره والحاجة الى ترميمه بشكل دائم .

التنظيمي والترابط الضروري . كما يزيد من نفقة المرافق العامة ويتنافى مع الشكل التعاوني المقترح لحياة القرية الاقتصادية والتي تستلزم تنظيم العمل على اساس كابل المساحات المخصصة للقرية لا على اساس الملكية الخاصة للأرض لكل مزارع على حده .

د - روعي توزيع المنشآت ذات الخدمة العامة توزيعاً عقلانياً حيث وضعت في مركز متوسط تقريبا بالنسبة لبيوت القرية مما يسهل وصول جميع سكان القرية الى هذه المنشآت ويعطي القرية مركزاً يستقطب الحياة العامة في القرية وهذه المنشآت هي المدرسة والنادي والسينما ومخازن البيع .

اما المستودعات فقد تسهت على مستودعين وضع كل منها في زاوية من زوايا قاعدة القرية مما يسهل استعمالها من قبل سكان القرية من جهة ويمنع مركزة المستودعات في كل مجمع يؤدي تدميره الى الحاق الضرر الكبير بالقرية ، كما وضعت مولدات الكهرباء في مؤخرة القرية لتحقيق أكبر قدر من الحماية لها ، ومن الامثل توزيع الوحدات الكهربائية على مجموعتين من التوليد في موقعين متقاربين في المؤخرة لضمان عدم تدميرها في وقت واحد .

هـ - افترضنا ان الملاجيء ستكون من حفر او خنادق تنشأ في المساحات الغير مزروعة قرب المنازل وتسقف بالاخشاب وتردم بطبقة كافية من التراب مع ممرات جانبية تصل البيوت بهذه الخنادق ويقوم بتنفيذها سكان القرية وفق تخطيط تضعه السلطات العسكرية حسب موقع القرية ، كما افترضنا انشاء ملجأ ارضي بمساحة لا تتجاوز ( ٥٠ ) م<sup>٢</sup> لاطفال القرية ، ويقترح اقامته في البناء المجاور للمسجد او الكنيسة لتقليل احتمالات قصفه الى الحدود الدنيا .

٢ - يسمح الشكل الذي تم بموجبه تنظيم بيوت القرية بتطبيقه حسب طبوغرافية الموقع الذي سيتم اختياره لانشاء القرية الامامية حيث يمكن عن طريق توزيع مجموعات البيوت حسب الشكل المرغوب باحداث انزياحات اختيارية في خطوط القرية الأساسية للتلائم مع شكل الأرض والموقع .

٣ - لم نتعرض لدراسة وتخطيط الطرق والمساحات في القرية لعدم توفر المعطيات الأساسية

اية حمولات في مثل هذا الإنشاء الا ان هذا النوع من البناء يفضل في حالة الابنية الطابقية ولا تبرر اكلانه استعماله في بيوت الطابق الواحد .

و - البناء المؤلف من قطع مسبقة الصنع : ويتراوح عمل هذا النوع من الانشاء من استعمال قطع قياسية من البيوت المسبق الصنع في الجدران الخارجية مع سقوف تصب في الموقع الى تصنيع كامل اجزاء البناء ، وقد يوشر في تطبيق هذه الطريقة على نطاق واسع في الحالات التي تتميز بما يلي : وجود عدد كبير من الابنية المتشابهة ، سرعة التنفيذ وشموهه ، تصنيع البناء والتوفير في اليد العاملة .

وقد حقق هذا النوع من الانشاء في مثل هذه الشروط نتائج بالغة الاهمية . واصبحت تكاليفه في مثل هذه الصالات تنافس ارض انواع الانشاء المعرونة . ( تجربة انشاء البيوت المسبقة الصنع في قرى مشروع سد الفرات الرائد في سوريا ) .

٣ - نوع الانشاء المستعمل : لعدم توفر دراسة لشروط الارض والموقع من حيث توفر مواد البناء وعدد القرى المطلوب انشاءها اعمدنا المخطط رقم ( ٤ ) بناء جدرانته من البلوك الملان الحامل بسماكة ٢٠ سم ، مع سقف البيوت المسلح بسماكة ١٠ سم ، ويتقوم البناء على قاعدة من البناء الحجري بسماكة ٤٠ سم او من البيوت المتجوس او من البيوت المسلح ( شيناج ) وذلك تبعاً للارض التي سيشتاد عليها البناء من حيث تحملها وثباتها .

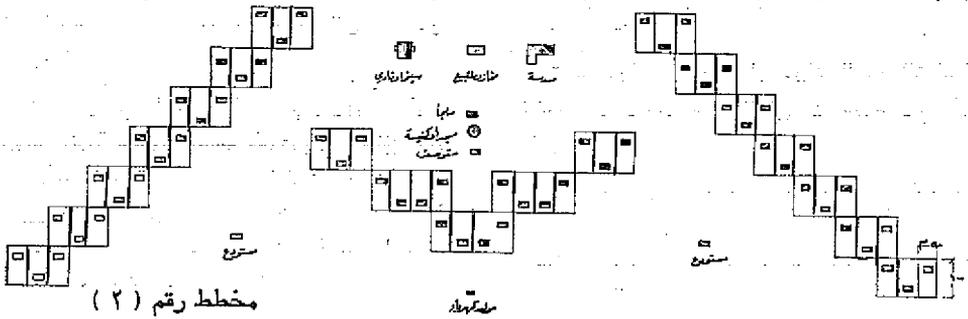
ب - جدران حجرية مع سقف من البيوتون المسلح : وتلي من حيث الكلفة النوع الاول ، وتميز بالمتانة اللازمة الا ان اعتمادها يتطلب توفر ابحار البناء في الجوار للقرية ونظرا لعدم تأكدنا من هذا الواقع فلم نلجأ الى مثل هذا الاحتمال ولو انه ينصح به في انشاء القرى التي تتوفر في جوارها ابحار البناء السهلة القطع والشغل .

ج - جدران من البلوك الحامل مع سقف من البيوتون المسلح : وتعتبر حتى الان من اكثر انواع الانشاء ملائمة من حيث الكلفة والمتانة لسهولة التنفيذ وسرعته ، ويمكن تطبيقها في جميع ظروف الارض حيث يمكن تأمين الرمل اللازم لصنع البلوك بسهولة ، ويصبح هذا الحل مناسباً بصورة عامة في الابنية الريفية او السكن الشعبي المؤلف من طابق واحد لقلّة الحمولات في مثل هذا النوع من البناء .

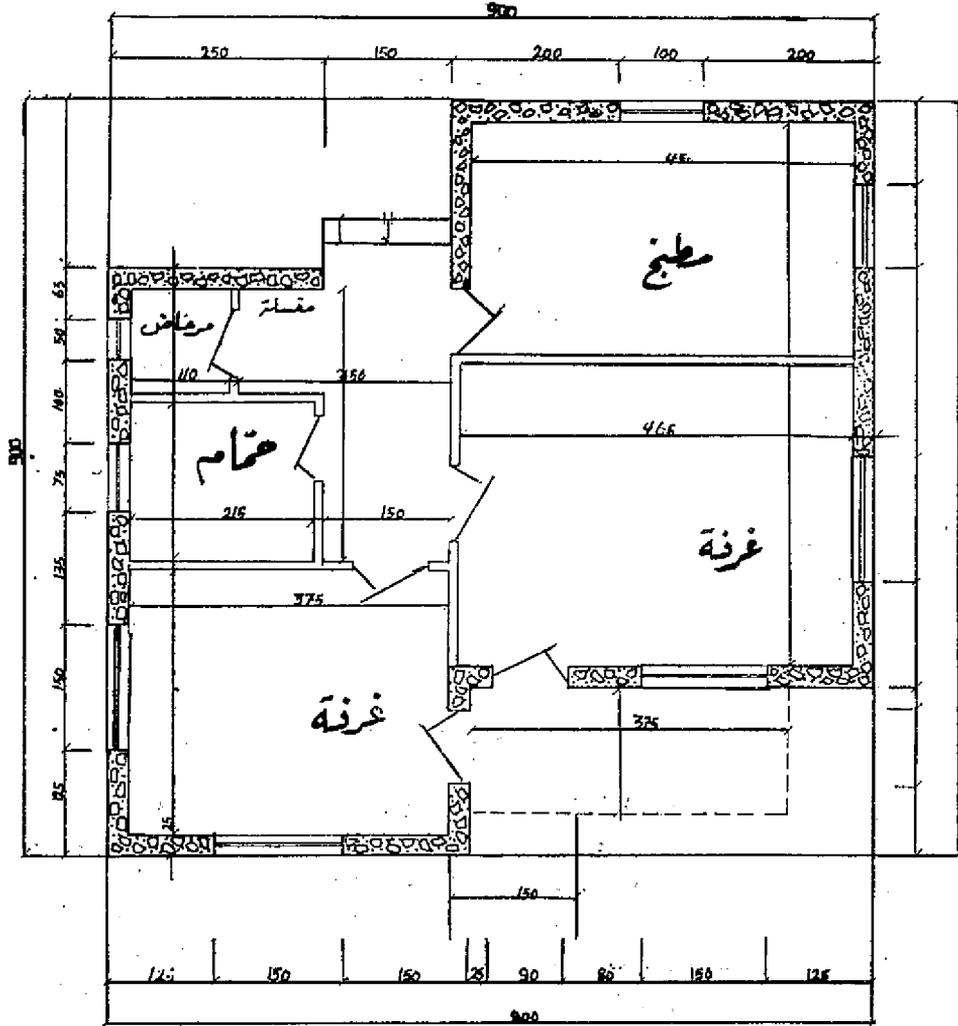
د - جدران من البيوتون المتجوس بالقالب مع سقف من البيوتون المسلح : ويعطي هذا الشكل من الانشاء بناءً متيناً وتكاليفه تزيد قليلاً على تكاليف النوع السابق بسبب ضرورة استعمال القالب ، الا انه يتميز بالمتانة وقد يكون من المناسب تبني هذا الحل عند الرغبة في زيادة متانة البيوت وتصميمها على اساس مقاومة نيران الاسلحة العادية والمتوسطة .

هـ - البناء الهيكلي : ويتألف من اعمدة من البيوتون المسلح ترتكز عليه بلاطة السقف وتبلا الفراغات بين الاعمدة بالبلوك المفرغ الذي لا يتحمل

### مشروع قرية دفاعية نموذجية



مشروع بيت نموذجي  
في قرية دفاعية



المخطط الأفقي  
مخطط رقم ( ٤ )

عن طريقها الوصول الى فكرة صحيحة عن التكاليف والمقارنة بين نوع من الانشاء ونوع اخر ، وسنعمد للحصول الى كلفة المتر المربع من المساحة الميينة الى حساب كلفة المسكن الواحد حسب المخطط رقم ( ٢ ) ثم حساب كلفة المتر المربع الواحد على اساس ذلك .

أولاً : كلفة المسكن الواحد :

القرية الامامية تكاليف الانشاء

لا يمكن في هذا المجال اعطاء تقديرات دقيقة وذلك لجهلة من الاسباب اهمها شكل الدراسة الاولية ، وكل ما يمكن تقديره تقديرات أولية تماماً قد تفيد في الغاء الضوء على الحلول المقترحة .

ويجب تقدير التكاليف على اساس كلفة المتر المربع من مساحة البناء وهي افضل طريقة يمكن

|                   |   |               |
|-------------------|---|---------------|
| البلوك            | $330 \times 100 \text{ ل. سن} =$  | ٢٥٠٠ ل. سن    |
| البيتون المسلح    | سقف + شيناج + عتبات + عمود<br>م ٢ × ٢٧٠ ل. سن =   | ٤٠٥٠ ل. سن    |
| الارضية           | بلوكاج بسماكة ١٥ سم وصبه بسماكة ٨ سم بعيار<br>٢٠٠ كغ اسمنت سعر المتر المربع ١٧ ل. سن<br>$102 \times 17 =$ | ١٧٢٤ ل. سن    |
| المنجور           | م ١٨ × ٢ × ٧٥ ل. سن =   | ١٢٥٠ ل. سن    |
| الرشة الخارجية    | م ١٢٢ × ٨ ل. سن =   | ١٠٦٤ ل. سن    |
| الطينة الداخلية   | م ٢٥٠ × ٢ × ٦ ل. سن =   | ١٥٠٠ ل. سن    |
| طرشة كلس داخلية   | م ٢٥٠ × ٢ × ١٤٢٥ ل. سن =  | ٢١٢٤٥ ل. سن   |
| اساس (ركه)        |   | ٧٠٠ ل. سن     |
| الاعمال الصحية    |   | ١٤٠٠ ل. سن    |
| كهرباء            |   | ٤٠٠ ل. سن     |
| المجموع           |   | ١٦٠١٠٤٥ ل. سن |
| حوالك ١٠ ٪ تقريبا |   | ١٨٢٩٤٥ ل. سن  |
|                   |   | ١٧٨٥٠٤٥ ل. سن |

كلفة المتر المربع من البناء  $102/17850 = 175 \text{ ل. سن (تقريبا)}$ .

كلفة ابنية القرية فتكون كلفتها حوالي ٢٧٠٠٠٠ ل. سن .  
 $270000 + 200000 + 108000 = 158000 \text{ ل. سن}$

الخلاصة : لا بد من الاشارة في مجمل هذه الدراسة الى ان ما اوردناه لا يمكن اعتباره الا خطوطا عريضة تحتاج الى الكثير من الدراسة والتحصيل . وككل عمل هندسي او دراسة اقتصادية يتطلب التوصل الى اقتراح مقبول عمليا ، عملا جماعيا يشارك فيه المهندس والخبير الاجتماعي والخبير العسكري والخبير الزراعي وخاصة في مثل هذه الدراسة التي تتناول جانبا حيويا من حياة سكان الحدود ومستقبل تطورهـم بالإضافة الى اهميتها الدفاعية الملحة .

طريقتان لبناء القرية الدفاعية النموذجية

هناك طريقتان للبناء : ١ - الطريقة

والكلفة متعادلة تقريبا في حالة استعمال جدران خارجية من البيتون المغسوس بسماكة ٣٠ سم وداخلية من البلوك بسماكة ٢٠ سم ، ويفضل هذا الحل الذي يعطي البناء متانة اكبر ومقاومة اكثر فعالية ضد الرماية المعادية .

ثانيا - كلفة القرية : اذا اعتبرنا المساحات المبنية كمرافق ماجة في القرية من مستوصف ومستودعات ومدرسة وندوة مع سنيينا ومخازن ومسجد او كنيسة وملجا تعادل حوالي ١٠٠٠ م<sup>٢</sup> فان كلفة هذه المرافق تعادل تقريبا مبلغ ٢٠٠٠٠٠ ل. سن .  
وتكون تكاليف منازل القرية التي عددها ٦٠ منزلا

$60 \times 18000 = 1080000 \text{ ل. سن}$

وبفرض ان الطرق والخدمات العامة ( اشارة

- مياه - كهرباز ) تصل تكاليفها الى ٢٥ ٪ من

ونقل وتكثيف سكان جدد لتقوى الحدود على الخطوط الامامية للدفاع عن الارض التي يجب ان تملك اليهم ) .

٢ - امكانية تخفيض سعر البناء وذلك بسبب انتاج البيوت المشابهة والاقبال من اليد العاملة .

٣ - السرعة في انجاز العمل وتجنب فتح ورشات كبيرة في الظروف الحالية على طول خطوط النار مما يستلزم تأمين الحماية لهم .

٤ - ان اليد الفنية التي تستطيع العمل في مناطق الحدود قليلة جدا ولا نستطيع انهاء مثل هذه المشاريع الكبيرة والسريعة بالوقت المحدد لها .

٥ - ان وجود ( ٨ - ١٠ ) مصانع لانتاج المساكن اللازمة حاليا لانتاج ما تحتاجه القرى الامامية لدول المواجهة كأفضلية أولى في التنفيذ من مساكن لتوطين النازحين والسكان الجدد المتولين لتعزيز الدفاع لا يعني انتهاء عملهم بانتهاء المشروع وإنما يبقيان وبشكل دائم لانتاج ما تحتاجه البلاد من مساكن نموذجية صغيرة وخاصة لذوي الدخل المحدود .

٦ - ولا مجال هنا للمقارنة بين البناء السذي يقوم المهندس ببنائه مستخدما فنه وعبقريته ليخلق بيتا يعيش فيه أمر او برجوازي ناسيا الغالبية الكادحة من شعبنا التي يهملها بالدرجة الاولى ان تعيش ضمن سكن يقيه حر الصيف وبرد الشتاء ، ولا يعني هذا بحال من الاحوال ان هذا المسكن حاليا من الحياة الانسانية الكريمة بل على العكس فهو بالدرجة الاولى صحي وبسيط وبعيدا عن التزويقات الخارجية التي يجب ان يكون بعيدا عنها .

ونظرا لعدم التمكن من انشاء مصانع في المدى القريب لانتاج القطع المسبقة الصنع للبناء في الظروف الحاضرة مع انه يبقى الحل الافضل للقيام بمثل هذه المشاريع فانتنا نعود للطريقة الاولى في البناء لتناقش على أساس الاسس التي يجب ان تبنى بها القرى الامامية النموذجية .

تدل جميع الاحصائيات التي قامت وتقوم في دول مختلفة من العالم مقدما او متخلفا ان ٢/٣ من المواطنين لا يرتاحون من الامانة في ابنية جماعية ، وخاصة الطبقة الكادحة من شعبنا من عمال

الكلاسيكية المعروفة التي تعتمد على اليد العاملة كعنصر اساسي ووحيد تقريبا في اشادة البناء .  
٢ - الطريقة الصناعية ( القطع المسبقة الصنع ) والتي تعتمد على انتاج الآلة أولا واخيرا في عمليات البناء .

وقبل ان أشرح الطريقة الاولى والتي سوف تتبع لاشادة القرى نظرا لعدم توفر المصانع اللازمة لانتاج القطع المسبقة الصنع ولعدم امكانية جلب مصانع وتركيبها وتجهيزها بوقت قصير للظروف التي تمر بها بعض الاقطار العربية ولعامل الزمن الذي يأخذ الدور الافضل حاليا .

لذلك كله فانتني سأشرح الطريقة الثانية مع العلم بأنه لا يمكن تنفيذها حاليا فقط للاطلاع والمقارنة .

من الطبيعي ان الظروف التي تحيط بالانسان وكذلك تقدمه العلمي والحضاري واملوب تفكيره هما الذين يتودان خطأ في طريقة استغلال موارده لبناء حياته الخاصة والعامة ولتأمين رفاهيته ومعيشته . وان التقدم العلمي والتكنولوجي في القرن العشرين والتزايد المحوظ في الانتاج لم يكن يتحقق لولا فضل الآلة وبصورة اهم التقدم التكنيكي الذي أصبح اساس جميع الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في عصرنا .

وللاسف فان البناء وحده لم يزل يتبع الطرق البدائية في الانتاج ذات المردود الضعيف بالكيفية وبأسعار مرتفعة . ورغم الضرورات المتزايدة يتزايد السكان والحاجة الماسة لتأمين السكن اللازم لهم . فلم تزل الآلة بعيدة بكل البعد عن ان تدخل ميدان البناء وخاصة في الدول المتخلفة حيث انه بدأت الآلة تدخل بشكل اساسي في تصنيع البناء وفي بعض الدول المتقدمة .

ولا أريد الدخول في مناقشة فكرة تصنيع البناء وبحث ظواهر التخلف ، هذا لان البحث يطول ولا مجال هنا لمناقشة ذلك ، واكتفي بالميزات العامة لفكرة تصنيع البناء وخاصة في سورية وبالظرف الحالي بالذات .

١ - الضرورة الملحة والعاجلة لبناء كميات كبيرة من المساكن وفي فترة قصيرة لغايات دفاعية واجتماعية واقتصادية ( وذلك بتوطين النازحين

البيت إلا انه لهذا العمل سيئاته وخطاره وخاصة عند التصف المباشر للطائرات المغيرة حيث تعلمنا التجربة من العدو الصهيوني تركيز ضرباته المباشرة على البيوت بالتقابل المتوسطة والثقيلة والصواريخ الحارقة .

٦ - يراعى في تصميم وتنفيذ البيوت وبالتالي القرية النواحي الاقتصادية بالدرجة الاولى بحيث يوفر ما يستطيع توفيره لتخفيف تكاليف البيوت الواحد وبالتالي القرية ككل .

ونبحث الان بالتفصيل الطرق الاقتصادية وكيفية بناء القرية الريفية النموذجية .

### ٢ - البيت الريفي : شروطه :

١ - يتألف البيت من غرفتين مساحة كل منهما ٢٠ م<sup>٢</sup> تقريباً ومن مطبخ بمساحة ٨ م<sup>٢</sup> تقريباً وحمام ومرحاض بمساحة ٥ م<sup>٢</sup> ويفضل اضافة مستودع بمساحة لا يقل عن ٧ م<sup>٢</sup> خاص بالبيت وهو لا غنى عنه في البيوت الريفية ، وبذلك يكون مجمل مساحة البيت مع الممرات اللازمة في حدود ٧٠ م<sup>٢</sup> .

٢ - يحيط البيت مزرعة في حدود الهكتار الواحد ان امكن يعيش عليها افراد العائلة واذا لم تتوفر الارض الصالحة لذلك ، تعطى لهم أرض في مكان آخر .

٣ - يجب ان يكون تكاليف البيت أرخص مما يمكن ويتحقق ذلك بدراسة الطول الاقتصادية في البناء ، وايجاد المواد الاولية المحلية اللازمة لعملية البناء .

٤ - ان تؤمن البساطة في التصميم وبخطوط مستقيمة وواضحة توفيراً في الانشاءات المسلحة ويراعى ما يمكن ان تكون البيوت متشابهة او قريبة الشبه من بعضها لان تكرار البيت الواحد يوفر في الحسابات والمواد اللازمة للعمل .

انطلاقاً من هذه الشروط غنيناك طريقتان اقتصاديتان لبناء القرى النموذجية - الاقتصادية ولكل منها مزاياها وسيئاتها .

١ - استعمال البيوت المبنية بمساحة ٢٥ سم للجدران الخارجية والقرميد بمساحة ١٠ سم للقواطع الداخلية .

٢ - استعمال البلوك الملى بمساحة ١٥ سم مع البناء الهيكل للجدران الخارجية والقرميد

وفلاحين حيث يرغبون بالاستقلال في بيت خاص بهم وضمن حياة اجتماعية فيما بينهم . ويفضل كذلك في كل بيت حدائقه الخاصة ضمن المدن ، ومزرعته الخاصة في الريف . لذلك عند التفكير في بناء القرى الريفية يجب الاخذ بعين الاعتبار النواحي التي تؤمن للسكان العيش براحة تامة وتأمين مواردهم بشكل طبيعي وتمكينهم من الدفاع عن ارضهم التي يعيشون عليها .

من هذا كله نستطيع وضع بعض النقاط الاولى لبناء القرى الامامية وبشكل خاص قرية نموذجية ريفية تتألف من العناصر التالية :

١ - تستوعب القرية في حدود ( ٦٠ ) بيتاً ريفياً يسكن كل بيت عائلة يتألف عدد افرادها بالمتوسط ( ٧ ) اشخاص ويتألف البيت وهو بشكل اقتصادي من غرفتين ومناطعها .

٢ - يفضل توزيع البيوت ضمن القرية بشكل يكون فيه لكل بيت مزرعة خاصة به في حدود الهكتار الواحد الى جانب مشاركة كل عائلة بالملكية الجماعية او التعاونية للقرية وكذلك يكون التوزيع العام للبيوت اخذاً الطابع الاجتماعي والدعائي بأن واحد .

٣ - يفضل عدم الانتشار كثيراً بتوزيع البيوت على الطبيعة بحيث لا تأخذ القرية اكثر من مساحة ثلث او نصف كم<sup>٢</sup> وذلك توفيراً في المرافق .

٤ - تخصيص للقرية المباني التالية الاجتماعية والثقافية : أ - مدرسة ، ب - مستوصف ، ج - مخازن للبيع ، د - مستودعات ويفضل ان يكون لكل بيت مستودعه الخاص ، خزان مياه ، نادي ثقافي ، مكان للعبادة ، بعض المرافق العامة الاخرى الضرورية .

٥ - يراعى في توزيع البيوت ضمن حدود القرية النواحي الدفاعية ولهذه الغاية يفضل حفر خندق لكل بيت وتغطيته بشكل متقطع من الخشب او التوتياء فوقه ما لا يقل عن عشرين سنتيمتر من التراب كحماة ضد الغارات الجوية وبحيث يؤمن الحماية لامراد العائلة الواحدة ويكون متصلاً مع البيت بخندق صغير ومكشوف ، ويترك للمالك حفر هذا الخندق وتجهيزه بعد اعطائه التعليمات اللازمة .

ويلجأ البمض لانشاء ملجأ يقع مباشرة تحت

٢ - ٣٠ ل. س. اسمنت على اعتبار ان العيار  
٢٥٠ كغ للمتر المكعب .

ب - ٢٠ ل. س. بحص ورمل مع نقله الى  
أماكن العمل وعلى اعتبار ٨٥٠ ليقتر .

ج - ٣ ل. س حجر ٣٠ ليقتر اجر الجمع والنقل .

د - ٤٤ ل. س. اجرة صب .

هـ - ٣ ل. س ثمن مياه .

١٠٠ ل. س ثمن المتر المكعب من البيبتون  
المغموس .

٢ - البلوك المليء وبسماكة ١٠ سم للتواطع :

أ - ٢٤ ل. س ثمن رمل وبحص .

ب - ٢٤ ل. س ثمن اسمنت عيار ٢٠٠ كغ .

ج - ٢٠ ل. س اجرة صب .

د - ٢٠ ل. س اجرة بناء .

هـ - ٣ ل. س ثمن مياه .

٩١ ل. س ثمن المتر المكعب من البلوك .

٣ - الاسمنت المسلح للسقف سماكة ١٠ سم .

١٠٥ ل. س ثمن حديد ٧٠ - ٨٠ كغ .

٣٦ ل. س اسمنت ٣٠٠ كغ .

٢٤ ل. س ثمن بحص ورمل .

١٠ ل. س اجرة صب البيبتون .

٥ ل. س اجرة مياه .

٢٧٠ ل. س ثمن المتر المكعب من البيبتون

المسلح .

٤ - ثمن المتر المربع من المنجور الخشبي

٧٥ ل. س .

٥ - ثمن المتر المربع من البلاط ١٥ ل. س .

٦ - ثمن المتر المربع من التوريقه ٦ ل. س .

وبدراسة نموذج واحد لبنت ريفي اقتصادي  
مع اضافة المتفرقات العامة عليه من تدييدات  
صحية وكهربائية تبين ان سعر المتر المربع من  
البناء بشكل عام لا يتجاوز ٢٠٠ ل. س باعتبار  
ارتفاع البنت ٢٤٠ مسم و ٣٠٠ ل. س للابنية  
العامة .

بسماكة ١٠ سم للقطع الداخلية .

### — اما الطريقة الاولى فمميزاتها :

١ - خصه خاصة وان الاحجار اللازمة للبيبتون  
متوفرة بكثرة وبدون ثمن سوى جمعها من الارض .

٢ - لا حاجة للبناء الهيكلي من اعمدة وجسور  
( اذا كان التصميم يسمح بذلك ) اذ ان الجدران  
الخارجية منها تعتبر حاملة .

٣ - عازلة للرطوبة والرشح والحرارة وكتيبة .

٤ - مقاومة للاسلحة الخفيفة .

اما سيئاتها :

١ - بطيئة اذ تحتاج لكميات كبيرة من الخشب  
لعملية الصب وبالتالي لوقت طويل لعملية الفك  
والتركيب .

٢ - تحتاج لفتح ورشات كبيرة وهي عملية غير  
مرغوب فيها في الوقت الحاضر في الخطوط الامامية  
اما الطريقة الثانية فمميزاتها :

١ - سريعة الانجاز حيث يمكن فتح ورشة واحدة  
لصب البلوك يوزع فيها على بقية الورشات التي  
يجري انجاز البناء فيها .

٢ - لا تأخذ مساحة كبيرة في البناء اذ ان  
سماكة الجدران الخارجية ١٥ سم بدلا من ٢٥ سم  
في الطريقة الاولى .

— اما سيئاتها :

١ - غير مقاومة ، وغير كتيبة للرشح  
والرطوبة .

٢ - تحتاج لبناء هيكل من البيبتون المسلح  
( اعمدة وجسور ) لانها غير حاملة .

نلاحظ ان الطريقة الاولى مفضلة على الثانية  
في هذه الحالة ولنفس شروط البناء في جميع  
النواحي ، لذلك نرى اعتماد الطريقة الاولى  
بالتفويض والتي سيجري عليها الحسابات .

### ١ - بناء البيت الريفي من البيبتون المغموس

ان تحليل الاسعار لبناء بيت واحد من البيبتون  
المغموس والترמיד تبين ما يلي :

١ - البيبتون المغموس والمؤلف من ٧٠٪ بيبتون  
و ٣٠٪ حجر .

وعلى هذا الأساس يمكن حساب كلفة الابنية .

وصف البيت الريفي :

١- صُمم البيت بشكل بسيط وبمعيد عن التعقيدات وبخطوط مستقيمة واضحة بحيث لا يحتاج الى اعمدة مطلقا بل يركز السقف على الجدران الخارجية الحاملة ويمكن الاستغناء عن الجسور الداخلية فوق الفواطع نظرا لعدم البناء على السطح وفي الحالة المعاكسة يجب وضع الجسور ويفضل وضعها لاحتمال بناء طابق ثان فوق الاول .

٢- الجدران الخارجية من الببتون المعروس بمساحة ٢٥ سم وتعتبر جدران حاملة بنفس الوقت ٧٠٪ بيتون ٢٠٪ حجر عيار ٢٥٠ كغ .

٣- الجدران الداخلية الفواطع من القرميد المعادي ٤٠ × ٢٠ × ١٠ سم وعيار ٢٠٠ كغ .

٤- تلبس الجدران من الخارج والداخل بطبقة اسمنتية سوداء وترش بالكلس .

٥- تلبط الارضية بالبلاط الموزايك المعادي .

٦- تكون الفتحات ١٠٠ × ١٢٠ سم والابواب ١٠٠ × ٢٠٠ سم وذلك لاغراض دفاعية واقتصادية ويركب عليها منجور خشبي ، ويفضل ان يضاف اليه شبك معدني بسيط للحماية من السرقات وغيرها .

٧- التمديدات الكهربائية مكشوفة وبسيطة، والتمديدات الصحية الحلوة اذا توفرت للحمام والمطبخ والمرحاض والاسيقة الى خيرة فنية تبعد عن البيت ما لا يقل عن ( ٤ ) م .

٨- يترك للسقف ميول يركب بنهايتها بالوعبة نصب في ميزاب واحد اما يترك ليصب في الارض الزراعية حول البيت او يعمل له بئر صغير للتجميع للاستفادة منه في سقاية الحيوانات في فصل الصيف وان كان لا يفضل ذلك نظرا لان البئر يكون مجعنا للبعوض والحشرات وغيره .

٩- ان مساحة البيت التقريبية ٧٠ م<sup>٢</sup> وبذلك يكون مجمل سعر البيت بشكل تقريبي ١٤٠٠٠ ل.س. واذا كانت هناك ظروف خاصة في البناء بالجبهة ربما وصل السعر الى ١٧٠٠٠ ل.س .

١٠- الارتفاع الكلي للبيت ٤٠٠ سم يرتفع عن الارض بمقدار ١٥ - ٢٠ سم وارتفاع داخلي

٢٤٠ سم وستارة فوق السطح ٥٠ سم .

٢- المدرسة : وتتألف من اربعة غرف بمساحة كل منها ٢٠ م<sup>٢</sup> تقريبا ومنافع وممرات وغرفة للمعلمين مساحة ٢٠ م<sup>٢</sup> ، تقدر مساحة المدرسة بـ ١٨٠ م<sup>٢</sup> يضاف اليها ساحة للعب وملعب صغير وتقدر تكاليف المدرسة بـ ٥٤٠٠٠ ل.س .

٣- مستوصف : يتألف من غرفتين ومنافعها وممر مع صالون انتظار بمساحة عامة ١٠٠ م<sup>٢</sup> تقدر تكاليفه بـ ٣٠٠٠٠ ل.س .

٤- نادي ثقافي : يتألف من اربعة غرف وصالون ومنافع وممرات بمساحة اجمالية ٢٥٠ م<sup>٢</sup> وبكلفة تقريبية ٧٥٠٠٠ ل.س .

٥- مكان للعبادة : عبارة عن حرم ومساحة ومنافع بمساحة قدرها ١٥٠ م<sup>٢</sup> تقدر تكاليفه بـ ٤٥٠٠٠ ل.س .

٦- مخازن للبيع : ٦ مخازن بمساحة اجمالية ١٢٠ م<sup>٢</sup> وبكلفة قدرها ٢٤٠٠٠ ل.س .

٧- مركز توليد كهربائي كامل : مؤلف من صالة للمولدات واخرى للمراقبة والحراسة وخزان وقود وغير ذلك مع المولدات اللازمة وتقدر تكاليفه بـ ١٠٠٠٠٠ ل.س .

٨- خزان مياه مع التمديدات : مؤلف من خزان بارتفاع عشرة امتار تقريبا او في مكان عال في هضبة مثلا وغرفة للمحرك مع بئر ارتوازي اذا لم تتوفر المياه من مكان قريب جاهز شبكة تمديدات وتقدر تكاليفه بـ ٢٥٠٠٠٠ ل.س .

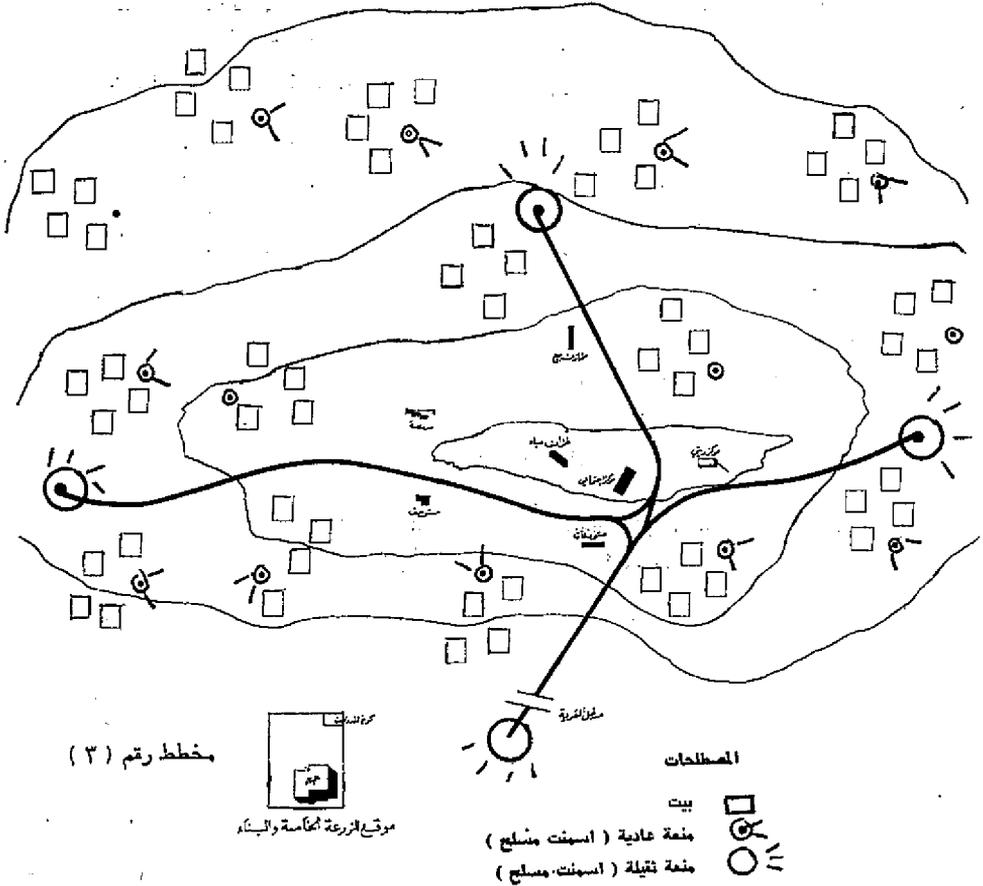
٩- مستودعات عامة : مؤلفة من ٦ مستودعات بمساحة عامة ٣٠٠ م<sup>٢</sup> وبكلفة قدرها ٦٠٠٠٠ ل.س .

١٠- مركز صغير للشرطة : مؤلف من غرفتين ومنافعها بمساحة ٧٠ م<sup>٢</sup> وبكلفة قدرها ١٤٠٠٠ ل.س .

وبذلك يكون مجموع المبلغ اللازم للابنية مع المرافق العامة عدا الطرقات والتحصينات الدفاعية ٢٤٣٦٨٥٠ ل.س .

تخطيط القرية النموذجية والتحصينات الدفاعية التابعة لها :

مخطط عام لقرية دفاعية الاسلوب المبعثر للابنية  
مشروع قرية دفاعية نموذجية  
- المخطط العام -



الدفاعية في هذه الحالة فيحفر خنادق دفاعية قرب الشوارع العام وفي وسط الساحات ان وجدت . ويترك لكل بيت ملجأ صغير لانفراد العائلة الواحدة . وهذا النوع يخضع للارض المبسطة .

٢ - الطريقة المبعثرة على غير نظام وهو خاضع لطبيعة الارض ، هضبات ، سفوح ، جبال منحدرات وغير ذلك ولا يمكن تخطيط القرية الا على الطبيعة ، يراعى بالدرجة الاولى النواحي الدفاعية ويترك لكل بيت مزرعته الخاصة .

ويمكن التوصل الى النتائج التالية :

١ - الطريقة المنتظمة وتكون البيوت بشكل

نظرا للاغراض التي من اجلها تنشأ القرية الريفية وهي بالدرجة الاولى لاغراض دفاعية فاني ارى ان تخطط هذه القرى على هذا الاساس وليس على اساس تخطيط المدن العام المعروف بشكله وجماله .

لهذا السبب فهناك طريقتان لتخطيط القرية المذكورة بكل نوع من انواع البيوت .

**النوع الاول لكل بيت مزرعة خاصة :**

١ - الطريقة المنتظمة والتي توزع فيه البيوت بشكل منتظم ولكل بيت مزرعته الخاصة وتكون إما مجمعة او مبعثرة بشكل نظامي ، أما الاغراض

- مجمعات ( تفصل البيوت عن بعضها بخنادق صغيرة  
او غير ذلك ) حسب طبيعة الارض .
- ٢ - الطريقة المبعثرة وتوزع البيوت على غير  
هدى خاضعة للاغراض الدفاعية .
- النوع الثاني ليس للبيت مزرعة خاصة :**
- ١ - ان تخطيط القرية يتبع بالدرجة الاولى  
لطبيعة الارض ونوع التوزيع .
- ٢ - يفضل بالدرجة الاولى بعد معرفة طبيعة  
الارض ان تؤمن النواحي الدفاعية .
- ٣ - يفضل ان يؤمن لكل بيت مزرعة الخاصة  
ان امكن .
- ٤ - يجب ان لا تزيد مساحة القرية عن نصف  
كيلو متر مربع .
- ٥ - يفضل وضع المرافق العامة في مناطق  
متوسطة من القرية وقرب الساحات .
- ٦ - يؤمن للقرية الخنادق اللازمة لتأمين الدفاع  
عنها .
- ٧ - يجب ان يؤمن اما بواسطة صاحب البيت  
او الدواة ملاجئ صغيرة لكل عائلة عبارة عن  
تق مسقوف بالتوتياء او الخشب ، فوقه طبقة  
لا تقل عن ٢٠ سم من التراب قريبة من البيوت  
سواء اتيها عند سماع اول غارة .
- ٨ - يترك امر الشوارع والممرات للمستقبل  
اذا لم يكن بالإمكان تأمينها حاليا .

### كشف تقديري عام

| نوع البناء                                 | المساحة التقريبية<br>م <sup>٢</sup> | سعر المتر المربع<br>ل. س. | السعر الاجمالي<br>ل. س. |
|--|-------------------------------------|---------------------------|-------------------------|
| ٦٠ بيتا ريفيا                              | ٤٥٠٠                                | ٢٠٠                       | ٩٠٠٠٠٠                  |
| مدرسة                                      | ١٨٠                                 | ٣٠٠                       | ٥٤٠٠٠                   |
| مسقوف                                      | ١٠٠                                 | ٣٠٠                       | ٣٠٠٠٠                   |
| نادي ثقافي                                 | ٢٥٠                                 | ٣٠٠                       | ٧٥٠٠٠                   |
| مكان للعبادة                               | ١٥٠                                 | ٣٠٠                       | ٤٥٠٠٠                   |
| ٦ مخازن للبيع                              | ١٢٠                                 | ٢٠٠                       | ٢٤٠٠٠                   |
| خزان مياه مع التمديدات وحفر<br>بئر ارتوازي |                                     |                           | ٢٥٠٠٠٠                  |
| مركز توليد كهربائي                         | ١٢٠                                 |                           | ١٠٠٠٠٠                  |
| مركز شرطة                                  | ٧٠                                  | ٢٠٠                       | ١٤٠٠٠                   |
| مستودعات عامة                              | ٣٠٠                                 | ٢٠٠                       | ٦٠٠٠٠                   |
| المجموع                                    |                                     |                           | ١٥٥٢٠٠٠                 |
| يضاف ١٥ ٪ على التكاليف للتخصيمات وغير ذلك  |                                     |                           | ٢٣٢٨٠٠                  |
| يصبح مجموع تكاليف القرية الفئام            |                                     |                           | ١٧٨٤٨٠٠                 |

## هجرة المهندسين العرب والمعمركة

الدكتور الياس زين

تعاني الاقطار العربية ، في الوقت الحاضر ، ظاهرة خطيرة ، هي نزوح ذوي الكفاءات العلمية والفنية والتقنية ، وفي مقدمتهم فئة المهندسين ، من هذه البلاد الى البلدان المتقدمة . ويأتي ذلك في الوقت الذي تحتاج الامة العربية الى هذه الطاقات والكوادر العلمية والتقنية ، في معركتها ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية من جهة ، وضد التخلف والجهل من جهة ثانية .

والغاية من هذا البحث ، كما يدل العنوان ، ان نتصدى لقضية هجرة المهندسين العرب من حيث علاقة الهجرة بالمعمركة التي تخوضها الامة العربية . فاننا ننطلق في بحثنا هذا من الافتراض القائل : ان المهندس يمثل دورا بارزا في المعمركة . وعليه فسنبدأ اولاً بتحديد بعض المصطلحات الواردة في البحث ، ثم نعرض هجرة المهندسين بالارتقام ، وبعدها نبين حاجة البلاد العربية اليهم ، نعدد دور المهندسين في المعمركة ، نحلل أسباب النزوح ودوافعه ، نلقي نظرة سريعة على تدابير الحكومات العربية للحد من النزوح ، وأخيراً نقدم اقتراحات عملية لمواجهة الهجرة المستعصية .

ونقصد هنا بالهجرة عامة ، نزوح المهندسين من البلاد العربية الى البلدان الاجنبية ، وخاصة المتقدمة والصناعية منها ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وكندا ، سعياً وراء العمل والعيش . والهجرة ، كما هو معلوم ، ليست جديدة في التاريخ العالمي . انها قديمة قدم التاريخ نفسه . ولنا من الشعب اللبناني مثل حي على ذلك . الا ان الهجرة التي سنتكلم عنها ، في هذا البحث ، هي هجرة جديدة من نوعها ، اي هجرة الطاقات البشرية المتدربة في حقل من اهم الحقول ، في خدمة التنمية والتقدم . ولا يمكن تحقيق مشاريع التنمية ، التي تصبو اليها الدول العربية ، الا بتهيئة العناصر البشرية ، وفي مقدمتهم فئة المهندسين .

وفي هذا البحث ، سنتناول نوعين من الهجرة : الخارجية والداخلية . ما المقصود بذلك ؟ نقصد بالهجرة «الخارجية» نزوح المهندسين والعلماء وغيرهم من الاختصاصيين من البلاد العربية الى البلدان المتقدمة سعياً وراء العيش . الا ان الهجرة «الداخلية» تعني سوء استخدام المهندس المناسب ، المقيم في بلده ، في المكان المناسب او عدم استخدامه . ونذكر على سبيل المثال ، ان احد المهندسين ، المختص في الزراعة ، يعلم اللغة الانكليزية . وسنركز في هذا البحث ، على الهجرة «الخارجية» ، نظراً لتوافر الاحصاءات والمعلومات عنها .

وهنا لا بد من الاشارة الى اننا سنتحدث عن «استنزاف» المهندسين العرب الى الخارج وليس عن «هجرتهم» . ورب سائل يقول: ما الفرق بين الهجرة والاستنزاف؟ فهجرة المهندسين تعني ، ان هناك عدداً فائضاً overflow من هؤلاء في مجتمعهم ، الذي لا يحتاج اليهم ، الامر الذي يؤدي بهم الى الهجرة للخارج . بيد ان مفهوم «الاستنزاف»

العلمي drain يعني ، ان المجتمع يحتاج الى علوم وخبرات هؤلاء ، في الوقت الذي ينزحون الى مجتمع اخر - فيكسبهم . وبما ان المجتمع العربي اليوم يعاني نقصا فادحا في عدد المهندسين ، كما سنرى ، فان حركة نزوح هؤلاء يفضل أن تعتبر «استنزافا» وليس « هجرة » . بيد أننا سنستعمل كلمة ، هجرة ، في معظم الاحيان ، في هذا البحث ، كمرادف لاستنزاف .

ويمثل مفهومنا « للمعركة » ، في هذا البحث ، ميدانا واسع النطاق ، أي ان « المعركة » لا تشمل النزاع مع العدو الاسرائيلي والصهيونية والامبريالية العالمية فحسب ، بل تشمل المعركة ضد التخلف ، بكافة اوجهه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، وما الى ذلك .

ولا ريب في أن شمة علاقة وثيقة وترابطا عضويا بين هذين النوعين من الهجرة . فالهجرة الداخلية مثلا ، تشجع الهجرة الى الخارج وتغذيها ، كما سنرى . فالمهندس ، الذي لا يعمل في حقل اختصاصه ، والذي لا يشعر انه يخدم بلده بعلمه وخبرته ، او انه لا ينمو مهنيا وهندسيا وعلميا ، فهو مرشح للهجرة الى الخارج ، لا محالة .

ولا بد لنا ، في معرض حديثنا عن استنزاف المهندسين العرب ، من أن نذكر ، بعض الشيء ، عن أهمية هؤلاء في المعركة ، ضد التخلف بكافة اوجهه ، وضد العدو الاسرائيلي - الصهيوني . وقد بات من المؤكد في الوقت الحاضر ان أغلى الثروات القومية تكمن في الكفاءات العلمية والفنية والتقنية . ولا ريب في أن فئة المهندسين تأتي في طليعة رجال العلم والتكنولوجيا . وعليه ، فالمهندسون هم العمود الفقري في التنمية الاقتصادية والعلمية والتقنية ، وبالتالي في كسب المعركة ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية . أي أن المهندسين يمثلون دورا بارزا في المعركة ، بمعناها الاقتصادي والعسكري . ومن هنا فان تفسير هذه الطاقات الانسانية العلمية والتقنية الى الخارج ، او حتى عدم استثمارها بطريقة فعالة في الداخل ، في تطوير المجتمع وانمائه ، يعني انه ما من ثروة مادية او طبيعية يمكن ان تعوض عن هذه الخسائر الفادحة ، في الكفاءات نفسها وفي الخسائر المالية .

- وكدليل على أهمية المهندسين في المعركة ضد اسرائيل مثلا ، فقد كان من أحد مقررات المؤتمر الصهيوني الذي عقد في سويسرا عام ١٩٥٨ ، إشارة واضحة الى ضرورة العمل على تهجير المهندسين السوريين . ورب سائل : لماذا فئة المهندسين بالذات ؟ ان التركيز من قبل المؤتمر الصهيوني على تهجير المهندسين السوريين تظهر أهمية المهندسين الذين هم خط الدفاع الاول ضد اسرائيل . هؤلاء ، في الواقع ، هم المحور والعمود الفقري ، في تطوير البلاد وانمائها ، اقتصاديا وعلميا (١) .

- ويجدر بنا هنا ان نذكر تجربة فرنسا في حربها ضد المانيا ايام نابليون بونابرت . فقد أدرك الالمان ، بعد هزيمتهم من قبل الفرنسيين ، ان القائد نابليون بونابرت ، لم يحاربهم بالاستلاح فحسب ، بل حاربهم ايضا بالادمغة المتمثلة بالمهندسين الذين كانوا يعملون في جيشه . وقد كانت غالبيتهم من خريجي معهد البوليتكنيك (٢) . ولا غرابة ان نذكر انه في المانيا النازية كانوا يضربون التحية للمهندسين ، اسوة بالضباط . وما أصدق ما أوصى به أحد العظماء ، رجال دولتهم عندما خاطبهم قائلا : « المهندسون ، هذه الفئة النادرة ، حافظوا عليها ، حفاظكم على بؤبؤ اعينكم . فهم عماد التنمية ، وحجر الرص ، في تقدمها الاقتصادي » (٣) .

وفي هذا المجال صرح العالم الهندي م . س . شاكرا ، رئيس « مؤتمر الامم المتحدة لدراسة تطبيق العلم والتكنولوجيا لمنفعة المناطق الضئيلة النمو » في عام ١٩٦٣ :

« ينبغي ألا نضن بأي مال أو جهد ، لارساء هذا الركن ( من اركان الانماء ) .  
فالعلماء والباحثون العلميون المرسسون **والمهندسون الكفاء** والتقنيون الحاذقون ، هم  
في الحقيقة سادة الانماء القومي » (٤) .

واما في معركة **التنمية الاقتصادية** ، فيمثل المهندسون دورا قياديا في عملية التطوير  
والتقدم . فهم محركون للثورة الانمائية ، نظرا للمؤهلات والخبرات العلمية والفنية  
والتقنية المنتشرة لديهم . ويذكر ان خطة التنمية القومية الشاملة والمتكاملة تعتمد ، في  
تنفيذها ، على جهود المهندسين الخلاقة وعلى علومهم وخبراتهم وكنائهم ومدى  
تواجدهم في المصانع والحقول والمزارع . ومدى مساهمتهم بكافة المراحل ، ابتداء  
من اجراء البحوث ووضع الدراسات والاستقصاءات ووضع التصاميم ، وانتهاء  
بالنشر والاشراف على عمليات التنفيذ ، ثم التشغيل والصيانة ، للحصول على المستوى  
الانتاجي المطلوب . لذا فانجاح الثورة الزراعية مثلا ، يعتمد على المكنتنة ، اي تهئية  
الوسائل الحديثة واستعمالها في الري واستصلاح الاراضي ومكافحة الحشرات  
بالمبيدات الحديثة ، واعداد الكوادر الفنية والزراعية . ومن هنا يتضح دور المهندسين  
الذي هو ، بالاجاز ، العمود الفقري لهذه الاعمال كلها .

واما دور المهندسين في معركة التصنيع ، فهو بارز ايضا لانهم هم الاساس الذي  
يعتمد عليهم تطوير هذا القطاع وانماثه . فهم المصممون والمخططون للنهضة  
الصناعية ، ولا يمكن انجاح عملية التصنيع بغير المهندسين . فمساهمة المهندسين ،  
طبعا ، الى جانب الفنيين والعاملين في المصانع والحقول ، من شأنه زيادة الانتاج  
الزراعي والصناعي وتطويرهما وتحقيق اهداف التنمية القومية (٥) . لذلك فلا غرابة ان  
نجد الدول قد اصبحت تفتخر ، بمقدرة كلياتها وجامعاتها على تخريج المهندسين ، مقياسا  
من مقاييس التقدم والقوة . ولا غرابة ايضا ان يسمى هذا العصر بـ « عصر  
المهندسين » (٦) . واصبحت الامم اليوم لا تقيس عظمتها بمساحة اراضيها او بعدد  
سكانها او بثرواتها الطبيعية او بماضيها العريق ، بل بعدد المهندسين والعلماء  
لديها . فالاتحاد السوفياتي مثلا ، يفتخر بأنه يملك وحده اكثر من ربع عدد المهندسين  
في العالم اليوم ، وكذلك يملك ربع علماء العالم .

وهكذا يتضح ان المهندسين ، فئة مرغوب فيها دوليا . لذا نرى الدول المتقدمة  
تسعى بشتى الطرائق لاجتذابها ، ايمانا منها بان الحصول على اكبر عدد من  
المهندسين ، يعني كسبا علميا وتقنيا ، وبالتالي تقدما اقتصاديا . فالمهندسون اذن  
ذخيرة عظيمة ، في أي امة ، وهم حجر الاساس في النمو الاقتصادي ومظلة واقية  
للامة . فهم بالاحرى « انبياء » التكنولوجيا .

### هجرة المهندسين بالارقام والحقائق

بعد هذا العرض العام للبحث ، نأتي الى صلب الموضوع ، اي هجرة المهندسين  
بالارقام والحقائق . ويمكن تقسيم الهجرة الى قسمين : الهجرة الى الخارج والهجرة  
الداخلية .

١ - **الهجرة الى الخارج** : نتيجة البحث تبين ان بعض الاقطار العربية تخسر ،  
عبر الهجرة ، عددا كبيرا من المهندسين ، وان فئة المهندسين اكثر الفئات العلمية  
هجرة .

## جدول رقم (١) : هجرة المهندسين الى الولايات المتحدة وكندا (٧)

| اسم البلد      | الولايات المتحدة ١٩٦٢-١٩٦٩<br>(العدد) | كندا ١٩٦٢-١٩٦٧<br>(العدد) |
|----------------|---------------------------------------|---------------------------|
| مصر            | ٥٦٤                                   | ١١٦                       |
| لبنان          | ٢٧٧                                   | ١٩                        |
| العراق         | ١٦٥                                   | ١٣                        |
| سوريا          | ١٢٩                                   | ٥                         |
| الأردن وفلسطين | ١١٧                                   | —                         |
| المغرب         | ١٨                                    | ٤                         |
| الجزائر        | ٩                                     | —                         |
| تونس           | ٤                                     | —                         |
| المجموع        | ١٢٨٣                                  | ١٥٧                       |

يتضح من الجدول الاول ان عدد المهندسين ، المهاجرين من ثماني دول عربية ، الى الولايات المتحدة الاميركية وحدها ، بلغ ١٢٨٣ مهندساً ، ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٩ ، والى كندا ، من خمس دول عربية ، ١٥٧ مهندساً ، ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٧ . كما هاجر من اسرائيل الى الولايات المتحدة ٦٠٦ مهندسين ، والى كندا ١٠ مهندس ، خلال الفترتين المذكورتين (٨) . وبالإضافة الى ذلك ، فان المهندسين الذين منحوا اجازات عمل في فرنسا ، ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٦ ، بلغ عددهم من ستة بلدان عربية ٤٥٣ مهندساً ( لبنان ١٢٩ ، المغرب ١٢٩ ، تونس ٩٤ ، سوريا ٥٦ ، مصر ٤٤ ، العراق واحد فقط ) . وعدد الاسرائيليين الذين منحوا اجازات عمل في فرنسا بلغ ١٦٩ مهندساً . هذا واقاد احصائية شملت مهن اعضاء احد النوادي الاجتماعية للجالية العربية في مدينة مونتريال بكندا ، ان عدد المهندسين الاعضاء فيه ، بلغ ٤٤ من اصل ٢٦٧ عضواً ، اي بنسبة ١٨ بالمائة . وجاء في بحث مخصص لخريجي الجامعة الاميركية في بيروت فقط ، انه من بين خريجي الهندسة من اللبنانيين ، ثمة ٦٥ بالمائة منهم ، قد هاجر الى بلدان متقدمة ، مقابل ٦٠ بالمائة فقط يعملون في البلاد العربية (٩) .

ويجدر بنا ان نذكر بعض الشيء عن هجرة المهندسين في اوائل السبعينات . لم نستطع الحصول على معلومات حول ذلك ، حتى من دائرة الهجرة الاميركية ، لانها ، على ما يبدو ، قد توقفت عن نشر مهن اصحاب الاختصاص المهاجرين الى الولايات المتحدة ، كما كانت تفعل في الماضي . الا انها تذكر عددهم تحت عنوان « الاختصاصيين والفنيين » . لذا اضطررنا ان نقدر عدد المهندسين المهاجرين الى الولايات المتحدة ، للعامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ ، بنسبة معدل المهاجرين في عقد الستينات . ويلاحظ ان نسبة المهندسين بلغت ١٣ بالمائة لمجموع الاختصاصيين والفنيين المهاجرين الى الولايات المتحدة ، ما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٣ . واذا حافظت النسبة المذكورة على حالتها السابقة في اوائل السبعينات مثلاً ، يمكننا ان نقدر عدد المهندسين المهاجرين خلال ١٩٧٢ — ١٩٧٣ الى الولايات المتحدة وحدها ، بحوالي ٢٨٠ مهندساً عربياً ، من اصل مجموع ٢٤٩٢٤ اختصاصياً وفنياً (١٠) .

ولا بد من الإشارة الى ان فئة المهندسين اكثر الفئات الاختصاصية هجرة . فقد هاجر الى الولايات المتحدة ٢٤٣٢٦ من المهندسين والاطباء والعلماء خلال ١٩٦٢ — ١٩٦٩ . ومن بين هؤلاء ، بلغ عدد المهندسين ١٤٢٨٣ ، يليهم الاطباء ٤٨٣ ، فعلماء الطبيعة ٤٨١ ، فعلماء الاجتماع ٨٩ . هذا يعني ان اكثر من نصف هؤلاء ( ٥٥ بالمائة ) هم من المهندسين ، مقابل ( ٢١ بالمائة ) من الاطباء و ( ٢١ بالمائة ) لعلماء الطبيعة ، كما بلغت نسبة المهندسين ، الذين هاجروا الى كندا ، ٣٧ بالمائة ، مقابل ٣٨ بالمائة ، للاطباء و ٢٤ بالمائة لعلماء الطبيعة (١١) .

وتعاني سوريا استنزافا هائلا لمهندسيها . فقد نقل مراسل « هيئة الاذاعة البريطانية » في دمشق ، عن لسان نقيب المهندسين السوريين ، في حديث له في ندوة حول هجرة الادمغة ، ان حركة استنزاف المهندسين السوريين الى الخارج قد تفاقمت في السنتين الماضيتين ، بشكل أصبح يدعو الى القلق الشديد ، الامر الذي قد يؤدي الى كارثة وطنية وعلمية . وكشف النقيب عن ان هناك ما لا يقل عن ٨ الاف مهندس سوري حاليا في الخارج ، من اصل ١٣ الف مهندس سوري ، أي ان ثلثي المهندسين السوريين يعملون خارج القطر السوري (١٢) .

٤ — **هجرة خريجي الهندسة** : هذا وبلغت نسبة المهاجرين من خريجي فروع الهندسة ، من البلاد العربية الى الولايات المتحدة وكندا نسبة عالية جدا ، كما يتضح من الجدول الثاني . فقد نزح اكثر من ٥٦ بالمائة من الخريجين في الهندسة من سوريا ٣٥ بالمائة من لبنان و ٩ بالمائة من العراق و ٢ بالمائة من مصر ، مقابل ١٤ بالمائة من اسرائيل .

جدول رقم ( ٢ ) : نسبة المهاجرين الى الولايات المتحدة وكندا من خريجي الهندسة ١٩٦٢—١٩٦٦ (١٦)

| البلد  | نسبة المهندسين |
|--------|----------------|
| سوريا  | ٪ ٥٦٥٥         |
| لبنان  | ٪ ٣٥٥٥         |
| العراق | ٪ ٩٤٢          |
| مصر    | ٪ ٢٤٠          |

ب — **بقاء الطلاب في اميركا** : يبدو ان فئة الطلاب التي تدرس في الولايات المتحدة هي مصدر كبير للهجرة الى تلك البلاد . ويظهر ان عددا كبيرا من هؤلاء الطلاب يتخذون ، من الدراسة في الولايات المتحدة ، وسيلة او خطوة اولى للهجرة النهائية . يستفاد من أحدث الاحصاءات ، ان عدد الطلاب العرب في الولايات المتحدة بلغ ٦٤٨٠٤ العام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ، يمثلون ١٨ قطرا عربيا . فمن هؤلاء نجد اكثر من الثلث بقليل ، أي ٢٤٥٦٥ طالبا ( ٣٤ بالمائة ) يتخصصون في مختلف فروع الهندسة . ومن بين هؤلاء ثمة ١٤٢٧٦ طالبا يحملون اشارة سمة دخول « فيزا » هجرة ، أي ١٧ بالمائة ، منهم ٢٨٩ طالبا في الهندسة أي ٤ بالمائة خلال العام المذكور .

وعلى صعيد الطلاب الاسرائيليين ، الذين يدرسون في الولايات المتحدة ، فقد بلغ

عدددهم ٢٠٢١٣ طالبا ، منهم ٤٨٦ في الهندسة ( ٢٢ بالمائة ) ومن بين طلاب الهندسة ، كان عشرون طالبا من هؤلاء يحملون سمة دخول او « فيزا » هجرة ( أي اقل من واحد بالمائة ) ، خلال العام الدراسي المذكور .

ويذكر ان ٢٢ بالمائة من مجموع الطلاب الاجانب في الولايات المتحدة يدرسون العلوم الهندسية ، منهم ١٦ بالمائة يحملون سمة دخول « فيزا » هجرة .

مما تقدم يتضح ان فئة الطلاب العرب التي تلتحق بالدراسات الهندسية ، نسبيا ، أكثر من الطلاب الاجانب ، بمن فيهم الاسرائيليون . الا ان نسبة الطلاب العرب الذين يحملون سمة دخول « فيزا » هجرة ، تفوق نسبة الطلاب الاسرائيليين بكثير ، كما تفوق مجموع نسبة الطلاب الاجانب بقليل (١٤) .

**ج - هجرة المهندسين العرب والاسرائيليين - مقارنة :** ويجدر بنا ان نجري مقارنة خاطفة بين هجرة المهندسين العرب والاسرائيليين ، وذلك بغية معرفة الهوة او الثغرة بين الفريقين . ونتيجة البحث والتحليل ، نستخرج الحقائق الآتية : ان اسرائيل تضم ، نسبيا ، عددا اكبر من المهندسين . ففي اسرائيل ما لا يقل عن خمسة عشر الف مهندس ، كما ان هناك سبعة الاف مهندس وعالم يعملون في البحث العلمي (١٥) . ويلاحظ ان عدد المهندسين الاسرائيليين آخذ في الازدياد ، سنة بعد سنة ، على الرغم من نزوح عدد كبير منهم الى الخارج ، نتيجة الهجرة اليها من البلدان المتقدمة . فاسرائيل تعوض او تكسب اضعاف ما تخسره من المهندسين ، كل عام ، عن طريق الهجرة اليها . تفيد الاحصاءات انه قد هاجر من اسرائيل ٤٧١ مهندسا ، الى الولايات المتحدة وكندا ، كما منح ١٦٩ مهندسا اجازات للعمل في فرنسا . ومن جهة ثانية نجد ان اسرائيل كسبت ١٤٤٣ مهندسا ، خلال ١٩٦٢ - ١٩٦٨ (١٦) .

**٢ - هجرة المهندسين « الداخلية » :** بعد ما عرضنا بالارقام والحقائق هجرة المهندسين الى الخارج ، سنلقي نظرة سريعة على هجرة من نوع آخر ، أي هجرة المهندسين « الداخلية » ، والتي تعني سوء استخدام المهندسين في مراكز التخصص المناسبة لهم . ولا بد من الاشارة الى اننا لم نعتز حتى الان على دراسة حول هذا الموضوع ، الا ان اطلاعنا واتصالاتنا الشخصية تشير الى ان هناك عددا من المهندسين العرب يقومون باعمال لا تمت بصلة الى اختصاصهم . ونعتبر ذلك هجرة . فما الفرق بين المهندس الذي يهاجر ويغيب عنا جسديا من جهة ، وبين المهندس الذي يقيم بيننا ، ولكنه لا يعمل في حقل تخصصه . فهو اذن غائب عنا هندسيا ، لان البلاد لا تستفيد من علومه الهندسية . وهناك قصص لا تصدق عن مهندسين ، من الذين درسوا في الخارج وفي الداخل ، ويعملون حاليا في مهن لا تمت بصلة الى تخصصهم .

جدول رقم ( ٣ ) : المهندسون المهاجرون الى اسرائيل ١٩٦٣ - ١٩٧١ (١٧)

| عدد المهندسين | السنة       |
|---------------|-------------|
| ٢٤٨٤          | ١٩٧٣        |
| ١٤٥٤          | ١٩٧١        |
| ١٣٣٨          | ١٩٧٠        |
| ١٤٢١          | ١٩٦٨ - ١٩٦٣ |

وبيين الجدول الثالث ان عدد المهندسين المهاجرين الى اسرائيل يتصاعد ، وخاصة في السنوات الاخيرة ، ففي عام ١٩٧٣ وحدها هاجر اليها ٢٤٤٨٤ مهندسا ، مقابل ١٤٤٢١ مهندسا ، لمجموع السنوات ١٩٦٣ - ١٩٦٨ . وتشكل فئة المهندسين وحدها ١٠ بالمائة من مجموع الاحتصاصيين والفنيين المهاجرين الى اسرائيل ، وقد بلغ عددهم مثلا ، ٦٤١٨٩ في عام ١٩٧١ .

وينبغي الاشارة الى ان المهندسين المهاجرين الى اسرائيل هم من الفئة الشابسة والناشطة والمنتجة . تفيد احديت الارقام للعام ١٩٧٢ ان اكثر من ثلث هؤلاء المهندسين المهاجرين ، كانوا ما بين ٢٠ و ٢٩ من العمر ، و ٤٢ بالمائة ما بين ٢٠ و ٤٤ سنة ، ١٥ بالمائة ما بين ٤٥ و ٥٤ سنة . هذا يعني ان ٩٠ بالمائة من المهندسين ، الذين هاجروا الى اسرائيل في سنة ١٩٧٣ ، كانوا ما بين ٢٠ و ٥٤ من العمر ، اي في السنوات الاكثر نشاطا و انتاجا وفتوة (١٨) .

وبكلام أوضح ان اسرائيل ، ككيان مبني في أساسه على المهاجرين من الخارج ، تستطيع ، بشتى وسائل الاعلام ، ان تجتذب او تستقطب ، فئات المهندسين المدربين من الخارج ، باعلان في الصحف او ببناء او بتصريح مسؤول في الدولة الصهيونية او عن طريق المنظمات الصهيونية او البعثات الاسرائيلية في الخارج .

واما على الصعيد العربي ، فيبدو ان الحالة مخالفة تماما للوضع الاسرائيلي . فبالرغم من الاغراءات المادية والعلمية ، التي يوجهها بعض الحكومات العربية الى العلماء والمهندسين والاطباء المهاجرين ، من انبلاذ العربية والمقيمين في الخارج ، فاننا نجد القليل جدا من هؤلاء يعود الى ارض الوطن ، للعمل في مشاريع التنمية . والغريب في الامر ان الذين يعودون من الخارج ، للعمل في ارض الوطن ، سرعان ما يرحلون الى الخارج . لذا تضطر الاقطار العربية الى استخدام المهندسين والخبراء الاجانب في مشاريع التنمية . فلبنان ، هذا البلد ، الذي يعاني أكثر من غيره ، هجرة المهندسين ، نسبيا ، نجد ١٢٤ مهندسا اجنبيا يعملون في لبنان في عام ١٩٧٣ (١٩) . وعلى ذكر المهندسين الاجانب ، فلا بد من ان نذكر ان تكاليف المهندس الاجنبي في السنة الواحدة تصل الى حوالي ٨٠ ألف دولار ، بالإضافة الى تكاليف السفر بالدرجة الاولى والامتيازات الاخرى (٢٠) .

ولا يخفى ان اعداد المهندسين الواحد وتدريبه يستغرق ما لا يقل عن ٢٥ الى ٣٠ سنة . وهذه فترة طويلة جدا ، في هذه الظروف الصعبة ، التي تمر بها الامة العربية ، في معركتها ضد اسرائيل والصهيونية العالمية و ضد التخلف والجهل والرجعية .

### الحاجة الى مهندسين ومجالات استخدامهم

بعد كل ما تقدم من حقائق وأفكار ، فان الاسئلة ، التي تتبادر الى الذهن ، هي : هل نحن في البلاد العربية بحاجة الى مهندسين ؟ هل هجرة المهندسين تعني ان لدى البلاد العربية فائضا من هؤلاء ؟ لا شك في ان هناك حاجة ماسة الى المزيد من المهندسين ، في كافة الاختصاصات ، وان الهجرة ليست دليل الفائض من المهندسين ، بل دليل التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، السائد في البلاد العربية . فهناك مجالات واسعة النطاق لاستخدام المهندسين العرب في المعركة ، سواء في القطاع العسكري او في القطاع المدني ، في المعركة ضد اسرائيل والامبريالية العالمية ، و ضد التخلف والجهل بكافة اوجهه . ومما ينبغي الاشارة اليه هو انه لا يمكن الفصل بين المعركتين المذكورتين ، لان المعركة ضد التخلف والجهل تعتبر أساسية ، لدعم المعركة المصرية ضد اسرائيل والامبريالية العالمية .

تعاني البلاد العربية نقصا فادحا في عدد المهندسين الذين نحتاج اليهم هذه البلاد . ففي ندوة حول هجرة الادمغة ، كشف نقيب المهندسين السوريين النقيب عن ان سوريا تحتاج الى نحو ٢٠ ألف مهندس للعمل في مشاريعها الإنمائية للعام الحالي ، في حين لا يتوافر من هؤلاء سوى حوالي ٥ آلاف مهندس فقط .

ولمعرفة الحاجة الماسة الى المهندسين ، في مختلف الاختصاصات ، يكفي ان نلقي نظرة سريعة ، على الاعلانات في الصحف والمجلات الصادرة في البلاد العربية ، لنجد ، عن كتب ، الطلبات المتزايدة على هذه الفئة النادرة من الاختصاصيين . وهذه الاعلانات تصدر عن المؤسسات العامة ( الحكومية ) والمؤسسات الخاصة .

تفيد أحدث الإحصاءات المتوافرة لبعض الاقطار العربية ، ان معدل العلماء والمهندسين ، لكل عشرة آلاف نسمة من السكان ، منخفض جدا في البلاد العربية ، بالمقارنة مع بعض الدول المتقدمة واسرائيل . فاحصاءات اليونسكو تشير الى ان هناك مثلا ٥٣٥ عالما ومهندسا لكل عشرة آلاف نسمة في الكويت ، و٣٤ في البحرين ، و١٩ في لبنان ، و١٥ في الأردن ، و٨ في العراق مقابل ١٢٤ عالما ومهندسا لكل عشرة آلاف نسمة في اسرائيل و٢٩٨ في الاتحاد السوفياتي ، و١٩٩ في فرنسا ، و٨٥ في الولايات المتحدة (٢١) . كما ان معدل العلماء والمهندسين العاملين في البحوث العلمية ، لكل عشرة آلاف نسمة ، منخفض كثيرا . فالمعدل هو اثنان في مصر ، وواحد في لبنان ، وأقل من واحد في بقية الاقطار العربية . بيد ان المعدل مرتفع في الدول المتقدمة واسرائيل بحيث نجد ان هناك ٤١ عالما في الاتحاد السوفياتي ، و٢٧ في تشيكوسلوفاكيا ، و٢٦ في الولايات المتحدة ، و١٢ في فرنسا و١٠ علماء في اسرائيل (٢٢) .

هذا ويعمل في اسرائيل سبعة آلاف عالم ومهندس في مجالات البحوث المختلفة (٢٣) .

واما عدد المهندسين في البلاد العربية ، فيبلغ ما لا يقل عن ٦٠ الفا . الا ان هذه البلاد ، اذا ارادت حقا ان تتطور وتتقدم ، لتصبح مجتمعا حضريا فعلا ، نحتاج ، على حد تقدير أحد الخبراء العرب ، الى ما لا يقل عن مليون ونصف المليون من المهندسين (٢٤) . فكيف يمكننا ان نحصل على هذا العدد الكبير ؟ يعتقد الخبر نفسه ان باستطاعة العرب ، في غضون ١٥ عاما ، الحصول على الرقم المطلوب فقط ، اذا أنشئت جامعات وكليات لهذا الغرض فورا . ولا ريب في أن الدول العربية النفطية تملك الموارد المالية الضخمة ، لانشاء كليات وجامعات ومعاهد من الدرجة الاولى وتمويلها . ولا يخفى ان تأمين هذا العدد الكبير ، في غضون ١٥ سنة ، من شأنه في النهاية ان يساعد العرب كثيرا في حريهم ، التي لا هوادة فيها ، ضد الصهيونية والامبريالية ، وضد التخلف بكافة أوجهه .

ولا بد من الاشارة الى ان عدد طلاب الهندسة في ١٣ قطرا عربيا ، بلغ ٤٧٦٧ طالبا من أصل ٣٩٦٤٤٥ في الجامعات في البلاد العربية . اي ان نسبة طلاب الهندسة للمجموع ١٢ بالمائة ، مقابل ١٣ بالمائة في اسرائيل و٣٦ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا و١٤ بالمائة في المملكة المتحدة ، وذلك لاحد الأعوام ١٩٦٨ — ١٩٧٠ . واما عدد خريجي فروع الهندسة في ١١ قطرا عربيا ، فيبلغ ١٦٣٩ مهندسا ، من أصل ٢٠٢٩٨ خريجا ، في كافة التخصصات والفروع ، اي ٨ بالمائة فقط يخرجون في الهندسة في البلاد العربية ، مقابل ١٦ بالمائة في اسرائيل و٣٢ بالمائة في بولونيا و٢٢ بالمائة في المانيا الديمقراطية و٢١ بالمائة في اليابان و١٦ بالمائة في المانيا الاتحادية و١٥ بالمائة في المملكة المتحدة (٢٥) .

وهكذا يتضح ان خريجي الهندسة في اسرائيل هو ضعيفا نسبة الخريجين في البلاد

العربية . أي أن البلاد العربية ، التي تحتاج الى مهندسين عددا ونوعا ، لا تعد حاليا سوى القليل من هؤلاء ، في حين نجد أن اسرائيل وبعض الدول المتقدمة ، التي تملك ، نسبيا ، عددا أكبر من المهندسين ، فانها لا تزال تعد المزيد منهم . وما أصدق القول : « فمن معه يزداد ومن ليس معه يؤخذ منه » . فالخسارة العربية مزدوجة هنا ، بهجرة المهندسين والنقص الكبير في اعداد ما تحتاجه البلاد من مهندسين ، في الوقت الحاضر وفي المستقبل .

### دور المهندسين العرب في المعركة

بعد ما علمنا بعض الشيء عن حركة استنزاف المهندسين ، على الرغم من الحاجة الماسة اليهم ، تأتي الى تسليط الاضواء على المهام التي يمكن ان يقوموا بها في المعركة . فهناك مهام وأدوار كثيرة يمكن للمهندسين القيام بها في الوقت الراهن والعمل على ايجاد الحلول العلمية والعملية لها . وسنقدم لمحة موجزة عن دور المهندسين في حرب ١٩٧٣ ، ثم دور المهندسين الفلسطينيين واللبنانيين ودور المهندسين المغتربين ، في المعركة ، وبعدها نتطرق الى مهام المهندسين ضد التخلف في الحقول الهندسية والاقتصادية والعلمية والسياسية والاجتماعية .

والجدير بالذكر ان دور المهندس ينبع من طبيعة علمه وتدريبه العالي . فطبيعة عمل المهندس ، في المرحلة المصرية من تاريخ الامة العربية ، هو التصدي للقضايا التي تعترض المجتمع العربي الذي يعيش فيه والسعي الى معالجتها ولحلها بطريقة علمية وعملية . فلا يمكن للمهندس اليوم أن يقف مكتوف الأيدي أمام التحديات التي تواجه مهامه العربية . فدوره ، بالاختصار ، كامل في النضال والبناء والإنماء والاعلام والسياسة .

**دور المهندسين في المعركة ضد العدو :** ان مهمة المهندس في المعركة ضد العدو ، هي مهمة عسكرية قتالية ضمن اطار تخصصه العلمي والتقني ، كمهندس ، وكذلك المهمة الاعلامية التي لا تقل أهمية عن مهمته الاختصاصية .

١ — **الدور العسكري في حرب ١٩٧٣ :** تجدر الاشارة الى انه كان للمهندسين العرب دور طليعي ، الذي أثار اعجاب العالم كله ، في حرب تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣ . فقد ساهم المهندسون العاملون في القوات المصرية مساهمة كبيرة من خلال المسؤوليات الكبرى التي القيت على عاتقهم . ومن أبرز تلك الاعمال : انشاء السدود والموانع والتحصينات وحفر الخنادق ، تنظيم عملية العبور التاريخية ، اقامة الجسور عبر القناة في ساعات قليلة جدا ، اقامة المعابر فوق « خط بارليف » ، شق الثغرات في خط بارليف ، زرع الالغام في حقول العدو وابطال مفعول الغمامه الموقوتة ، انشاء مواقع الدفاع الجوي ، اقامة نظام مضاد للدبابات ، فضلا عن تجهيز مراكز القيادة والملاجيء المحصنة الخ .

تفيد تقارير القادة العسكريين المصريين ان سلاح الهندسة قام بدور أساسي في حرب اكتوبر ١٩٧٣ . فقبل الحرب مثلا ، كان سلاح الهندسة في القوات المصرية يعمل بعنف وقسوة طيلة السنوات الست التي سبقت الحرب ، بحيث كان المهندسون يعملون ٢٤ ساعة . وكان سلاح الهندسة يبذل مجهودا قبل المعركة لا يقل اطلاقا عن الجهود في اثنائها . وكانت المشكلة الرئيسية امام المهندسين على ضفة قناة السويس هي كيفية فتح الثغرات او الممرات في الساتر الترابي في خط بارليف الذي اقامه العدو على الضفة الشرقية والذي بلغ ارتفاعه في بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ، فضلا عن الخط الترابي المصري على الضفة الغربية . وقد أجريت محاولات عديدة مستخدمة شتى الوسائل

بغية اقتحام خط بارليف ولكن بغير جدوى . اتجه التفكير أول الأمر مثلا الى فتسح الثغرات بواسطة التفجير ، بحيث استمرت نظرية التفجير هذه سائدة طيلة خمس سنوات ، اي حتى منتصف عام ١٩٧١ . وقد أجريت ما يزيد على ٣٠٠ تجربة على امتداد السنوات المذكورة لفتح هذه الممرات بالمدفعية ، وبكل أنواع المفرقات والصواريخ والالغام ، لكنها فشلت جميعها . الا ان المشكلة قد حلت من قبل احد المهندسين وهو ضابط شاب كان اهتدى الى فكرة استخدام مدافع المياه ، التي استطاعت بواسطتها القوات المصرية فتح ٨٥ ممرًا في الساتر الترابي خلال خمس ساعات فقط . وتتلخص نظرية التجويف هذه باستخدام المياه المندفعة من خراطيم ، تحت ضغط عال ، في ازالة الرمال ، من السد الرملي . ومما يجدر التنويه به ان قوات المهندسين العسكريين قد وضعت حوالي مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب ١٩٧٣ . وفي خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى ، كان حجم قوات المهندسين العسكريين ، فوق سطح الساتر الترابي وفوق صفحة القناة ، قد تجاوز خمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات . وهكذا ينضح ان جهود المهندسين وابتكاراتهم كانت فعلا وراء النجاح الكبير الذي حققته القوات المصرية في عملية العبور العظمى (٢٦) .

٢ - دور المهندسين الفلسطينيين : كان ذلك عن دور المهندسين المصريين ، والان نأتي الى اعطاء لمحة عن دور المهندسين الفلسطينيين في المعركة التي يخوضها الشعب الفلسطيني المناضل بجانب الشعب العربي الشقيق . فمن المعلوم ان المهندسين الفلسطينيين يمثلون دورا طليعيا من أجل انجاح الثورة ودعم الصمود الفلسطيني والعربي . ومن يلقي نظرة سريعة على حركة النضال الفلسطيني يجد بوضوح ان المهندسين هم من فصائل الطليعة النضالية في المعركة ، وقد قاموا بأعمال بطولية . يكفي ان يكون اول من أطلق شرارة الثورة الفلسطينية المهندس ، ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام للثورة الفلسطينية . هذا وقد ساهم عدد كبير من المهندسين الفلسطينيين في دعم الثورة الفلسطينية ، فمنهم مثلا من حملوا البندقية ، وناضلوا في صفوف الثورة وجماهيرها ، مقدمين امثلة رائعة في البطولة والتضحية والشهادة . ومنهم من حمل السلاح في صفوف المقاتلين ، أمثال وليم نصار وكمال النمري ، ومنهم من استشهد ، أمثال كمال عدوان ، أحمد حبش ، ربحي مسوسي ، مازن ابو غزالة ، خالد الشيرطي ، عبد الفتاح حمود .

ودعما للثورة الفلسطينية ، فقد الف الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ، يضم المهندسين من فلسطين العاملين في البلاد العربية . وللاتحاد فروع في الوقت الحاضر في ستة اقطار عربية . ومن أهداف الاتحاد ، على الصعيد الدولي ، توضيح حقيقة القضية الفلسطينية للمهندسين في العالم ، والمساهمة ، على الصعيد العربي ، الفعال والمباشر في نضال جماهير الأمة العربية ضد أعدائها الامبرياليين والصهيانية . والسعي ، على الصعيد الفلسطيني ، لتجميع الطاقات الهندسية الفلسطينية وحثها للدفاع عن وطنها والقيام بمهامها الانتاجية في الوطن العربي .

هذا ومن أبرز ما قام به الاتحاد مؤخرا ، توجيه الدعوة الى عقد ندوة حول « دور المهندس العربي في معركة الصمود » في بغداد ( ١٤ - ١٨ / ٤ / ١٩٧٥ ) . وانعقدت الندوة تحت شعار : بالعلم وبالبنديقية تستمر الثورة المسلحة . وقد قدمت في الندوة دراسات قيمة حول دور المهندس العربي في معركة الصمود . وتقوم فروع الاتحاد بتصميم الملاجئ وبنائها في المخيمات بغية حماية ارواح المواطنين الامنين ، فضلا عن انشاء التحصينات والاستحكامات العسكرية للمقاتلين . ولا ريب في ان الملاجئ هذه

عنصر أساسي في تقليل عدد الإصابات بنسبة كبيرة جدا ، ابان الغارات وفي أعقابها أيضا (٢٧) .

٣ — **دور المهندسين اللبنانيين** : ويقوم المهندسون اللبنانيون أيضا بدورهم في خدمة معركة لبنان ضد اسرائيل . نظرا لتكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قرى لبنان الامامية ، الموجودة على خط المواجهة مع العدو الاسرائيلي ، قررت نقابة المهندسين في لبنان الشمالي ما يأتي : اتخاذ قرار لبناء ملاجئ في القرى الامامية ، وضع كامل امكانيات المهندسين للمساهمة في تحقيق المشروع ، اتخاذ كافة التدابير والوسائل الممكنة المتوافرة لانجاز المشروع بأسرع وقت ممكن . ولتنفيذ القرار ، اتخذت تدابير مالية وفنية وادارية ، كما ألفت لجنة من المهندسين للإشراف على المشروع وتنفيذه . وبالإضافة الى ذلك ، فقد تعهدت اللجنة الشعبية لدعم المجهود الحربي ، التي ألفت في سنة ١٩٧٤ ، أن يكون التخطيط والانفاق بإشراف نقابة الشمال . وقد ساهمت النقابة بوضع التصميم المعماري ، والتصميم الانشائي ، والدراسات المعمارية والانشائية ، الاتصال ببعض المؤسسات الصناعية لتأمين مواد البناء ، فضلا عن الاشراف على التنفيذ والادارة المالية (٢٨) .

٤ — **دور المهندسين في دنيا الاغتراب** : كان هذا عن دور المهندسين المقيمين في الوطن العربي بصفة عامة ، ويجدر بنا الان ننسى الدور البارز الذي يمكن ان يقوم به المهندسون المغتربون ، وخاصة في حقل الاعلام ، في المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد اسرائيل والصهيونية العالمية ، والامبريالية وخاصة في مواجهة الحرب الاعلامية والحرب النفسية المعلنة ، من قبل تلك الفئات ضد العرب ، وخاصة بعد حرب اكتوبر المجيدة . يبدو ان المعركة التي تخوضها الامة العربية اليوم قد امتدت كثيرا ، وأصبحت تشمل الساحة الدولية ، بالإضافة الى الساحة العربية والشرق اوسطية نفسها .

ونطلق من استخدام المهندسين المغتربين في المعركة من المبدأ القائل : اذا لم نستطع استرجاع المهندسين المغتربين كافة ، فيجب استخدامهم في دنيا الاغتراب ، في حقل الاعلام ، كسفراء للقضية العربية .

ومما ينبغي الاشارة اليه هو أن مجالات استعمال مواهب المهندسين المغتربين واسعة النطاق في الحقل الاعلامي ، الذي أصبح حقلًا واسعًا ومهما جدًا والذي يتطلب علما وخبرة وجهداً وتضحياً . فهؤلاء الجنود المناضلون ، في الساحة الدولية ، يستطيعون ان يقدموا خدمات عظيمة للقضية العربية ، بالقيام بالنشاطات الآتية :  
 أ — القيام باتصالات فردية مع الشخصيات والمواطنين وخاصة فئة المهندسين من هؤلاء .  
 ب — الاشتراك في الندوات والمؤتمرات والحلقات الهندسية وغيرها واثارة القضية العربية وحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه .  
 ج — القاء محاضرات وأحاديث في النوادي والكنائس والتجمعات الهندسية والاجتماعية والثقافية .  
 د — كتابة رسائل الى الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون ، مدافعين عن الحق العربي ، وناقلين التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي الى المجتمع الغربي .

وعليه ، فينبغي تزويد المهندسين المغتربين بأحدث المعلومات والاحصاءات المتعلقة بتطوير البلاد العربية وتقديمها ، وكذلك المتعلقة بالقضية الفلسطينية واللجوءين الفلسطينيين . فالهندس المغترب ، كما نذل خبرتنا في اميركا ، يحتاج الى معلومات واحصاءات وارقام ، كي يقنع الشعب الاميركي ، مثلاً ، بالحق العربي .

**دور المهندسين في المعركة ضد التخلف** : بعد ما ذكرنا بعض الشيء عن المهمات التي

المهني والعلمي . ولعل هذا الدور يتمثل في وضع التصاميم الخاصة بالمنشآت يقوم بها المهندسون العرب في خدمة المعركة ، نأتي الآن الى تقديم لمحة موجزة عن الادوار التي يمكن للمهندسين ان يقوموا بها ضد التخلف بكافة أوجهه .

١ — **الدور الهندسي** : ان الدور الهندسي هو طبعا من صميم اختصاص المهندس الهندسية ، القدرة على الصمود أمام اعتداءات العدو وغاراته ، — بعد اجراء الدراسات اللازمة لها — كبناء البيوت الآمنة ، وفق تصميمات خاصة يمكنها التقليل من الخسائر البشرية والمادية في المخيمات وفي المدن أيضا ، وكذلك بناء بيوت بعيدة عن بعضها البعض ، وبناء الملاجئ في كل بيت ، فضلا عن ايجاد الحلول العلمية للمجاري المكشوفة وللأخطار الناجمة عن عوامل الطبيعة ، كتصميم المجاري والقنوات الآمنة اللازمة . ومنع تلوث البيئة والمحافظة على جمال الطبيعة ، الخ (٢٩) .

٢ — **دور المهندسين العلمي** : لا يختلف اثنان حول ما للعلم وللتكنولوجيا من دور حاسم في المعركة ضد العدو وضد التخلف ، والدليل على ذلك واضح في كافة المجالات . ففي حرب ١٩٧٣ مثلا ، استطاع المهندسون المصريون ان ينجزوا في يوم واحد ، ما كان يعجز عن القيام به في الماضي آلاف الرجال . ولا يخفى ان صراع الامة العربية مع اسرائيل ليس صراعا عسكريا فحسب ، بل صراعا علميا وتكنولوجيا ايضا . فالعدو ، الذي ينقصه العدد الكافي في الرجال ، يعوض عن ذلك بالعلم والتكنولوجيا . فمن المعلوم ان المكاسب التي يحققها العدو في الصناعة وفي الحرب مثلا ، تعود أجمالا الى تفوقه العلمي والتكنولوجي . وما المهندس الا « نبي » العلم والتكنولوجيا ، وقد يكون خلاص الامة على يديه .

ولعل من أبرز ما يمكن المهندس القيام به في مجال الإنماء العلمي يتمثل في : العمل على بناء عقلية علمية جديدة ، تعتمد على الطريقة العلمية والتفكير الموضوعي لفهم الحقائق والامور ، استخدام النظرة العلمية في كافة الاعمال ، القيام بالبحث والتنقيب والتجارب للمساهمة في التقدم العلمي والتقني ، تبسيط العلوم من خلال الكتابة في الصحف والمجلات والاحاديث في الاذاعة والتلفزيون ، نشر العقلية الهندسية العلمية بين العاملين معه في العمل ، السعي لرفع المستوى العلمي والثقافي العام في الشعب (٣٠) .

٣ — **الدور الاقتصادي** : ان امام الكوادر الهندسية العربية مهمات ومسؤوليات واسعة النطاق في مجال التنمية الاقتصادية . فالمهندسون ، بفضل طاقاتهم العلمية والتقنية ، وما يتمتعون به من ثقافة عالية ، محركون اقتصاديون لهم اهميتهم . ويمكن حضر دور المهندسين في خطط الإنماء الاقتصادي بالاعمال الآتية : المساهمة في وضع سياسة تنمية صحيحة واتسعية ، وفي التخطيط والتصميم ، معالجة قضايا التنمية المطروحة واتجاهاتها ، المشاركة في وضع أسس لصناعات متعددة ، مشاريع هندسية مختلفة ، اجراء الدراسات الهندسية ، الاشراف على الخطط وتنفيذها وادارتها ، رسم سياسة لتصنيع الوطن العربي ، تدريب الكوادر الفنية الواسطة والماهرة (٣١) .

ولا يمكن لهذه الامة ان تنهض من التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، الا برسم خطة اقتصادية شاملة ومتكاملة على صعيد الوطن العربي ، تكون بمثابة « مشروع مارشال عربي » . ولا ريب في ان مثل هذا المشروع الضخم يستوعب عشرات الآلاف من المهندسين العرب في كافة الاختصاصات الهندسية .

٤ — **دور المهندس السياسي والاجتماعي** : وللمهندسين واجبات اساسية ايضا في التنمية السياسية والاجتماعية . فالمهندس كما هو معلوم ، طاقة في التغيير السياسي

والتحويل الاجتماعي . وعليه فالسؤال الذي يطرح الان هو : هل تشكل مهنة الهندسة بحد ذاتها مساهمة واضحة وإيجابية ، في كل من الكم والكيف ، فيما يتعلق بعملية التحويل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ؟ يبدو ان ثمة وعيا كاملا واعتقادا راسخا في الوقت الحاضر في وجوب تحقيق واجبات اساسية ، للمهندسين ، في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ناحية ، وكذلك وجوب تحقيقها من ناحية اخرى . ويمكن ان يتم ذلك بالاشتراك مع افراد اللجان والتنظيمات والتقابلات . ولا ريب في ان هذه المهمة لا تقل اهمية عن المهام السابقة التي تقع في صميم اختصاصه (٣٢) .

وجملة القول ، يستطيع المهندسون ان يساهموا اسهاما بارزا في خدمة المعركة ، سواء كانت ضد العدو او ضد التخلف . ويتزايد دور المهندسين - المدنيين والعسكريين - نتيجة للتطور العلمي والتقني . فقد حقق المهندسون المصريون في حرب ١٩٧٣ انجازات رائعة ، وكذلك المهندسون الفلسطينيون في خدمة الثورة الفلسطينية ومعركة الصمود ، ويساهم المهندسون اللبنانيون في دعم القرى الامامية ، هندسيا وفنيا واداريا . وعلى صعيد المعركة ضد التخلف ، يستطيع المهندسون العرب ان يقوموا بادوار هامة في الحقول الهندسية والاقتصادية والعلمية والسياسية .

### اثر هجرة المهندسين واطارها

يقودنا الحديث عن هجرة المهندسين بطبيعة الحال الى السؤال الاتي : ما هو اثر هجرة المهندسين واطارها العلمية والمادية ومضاعفاتها على المعركة ؟ لا يخفى على الشخص الواعي ان للهجرة اثرا سلبيا على المعركة بشقيها : المعركة ضد اسرائيل ، والمعركة ضد التخلف . فهي اذن تعتبر **خسارة** في خيرة رجال العلم والتكنولوجيا ، الذين هم محور التقدم والتنمية والقوة وركنها ، وكذلك خسارة في المال الذي انفق على تعليم هؤلاء وتدريبهم .

١ - **خسارة علمية وهندسية** : لعل الخسارة الفادحة ، المتأتية من الهجرة العلمية هي ، في الاساس خسارة في العلم والتكنولوجيا ، المتمثلة هنا في المهندسين ، **فهؤلاء الرجال ثروة وطنية لا تنضب** . فهم مفاتيح التطوير والتغيير والانماء ، لان العلم وخاصة العلم التطبيقي هو اساس لاي عملية تطوير اقتصادي واثراء اجتماعي . وهناك اعتقاد سائد في العالم اليوم بان **ثروة الامة وتقدمها يكمنان في رجال العلم والتكنولوجيا** ، وعلى راسهم فئة المهندسين . واصبحت قوة البلاد الاقتصادية والعسكرية والقتالية تقاس اليوم بعدد المهندسين والعلماء والتكنولوجيين والفنيين العاملين في القوات المسلحة وفي القطاعات المدنية المختلفة . فثمة علاقة وثيقة ومباشرة بين عدد المهندسين وغيرهم من رجال العلم والاختصاص ، وبين قوة البلاد وتقدمها . ففي الاتحاد السوفياتي وحده ، مثلا ، نجد انه يضم اكثر من ربع عدد المهندسين في العالم ، وكذلك ربع العلماء في العالم (٣٣) . وكذلك نجد ان عدد المهندسين ، في البلدان المتقدمة ، مرتفع جدا ، وهذا دليل واضح على اهمية فئة المهندسين في تقدم الامم الحديثة . فلا غرابة ان نجد الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول المتقدمة تحاول ، بشتى الطرائق والاساليب ، اجتذاب المهندسين من الخارج للعمل فيها . وبكلمة وجيزة ، فان وجود فئة المهندسين ، بالاضافة الى غيرهم من الرجال المتعلمين والمدربين في البلاد ، اصبح يعتبر عالميا ، جزءا حيويا لا يتجزأ من التنمية الوطنية ، كما يعتبر غالبا الجزء الاكثر حيوية . ما اصدق قول الرئيس الاميركي السابق ، هربرت هوغر ، الذي كان مهندسا للتعيين ، عندما قال : « ان المهندسين والعلماء

هم اثنان يمتلكان القومية» (٣٤). كما اعرب العالم الهندي مالكولم اديسيشيا ، نائب المدير العام لليونسكو ، بقوله : « أن العلماء والمهندسين والاطباء الذين يهاجرون الى العالم المتقدم هم دعامة التنمية وعوامل تكاثرها . وهم الاصل في كل تغيير وتطوير » (٣٥).

وقد حذرت صحيفة « الثورة » ( دمشق ) من ان هجرة الاف الخبراء والفنيين والعلماء والاختصاصيين لا يعني كارثة علمية وفنية فقط ، انما ايضا كارثة سكانية . كما حذر المدير العام لليونسكو من ان هجرة العلماء تؤخر لعشرات السنين تنمية الجامعات العربية ، كمراكز للامتياز العلمي .

هذا ويوافق ٧٠ بالمائة من الطلاب والاختصاصيين الاردنيين والفلسطينيين في امريكا ، كما جاء في دراسة حول هجرة الطلاب الاردنيين والفلسطينيين الى الولايات المتحدة ، ان رحيل الرجال المؤهلين جامعيًا ، سوف يؤخر تقدم الاقطار العربية ، كما يؤخر تطويرها وانماؤها . ولهذا فان المحاولات الدولية ، الرامية لسد الثغرة ، بين البلدان الغنية والفقيرة ، قد اصابتها الخيبة ، من جراء استنزاف الادمغة ، من البلدان الفقيرة الى البلدان الغنية (٣٦).

وفوق ذلك فان نزوح المهندسين العرب الى الخارج يعتبر خسارة لاثمن ثروة علمية وتكنولوجية تسعى اسرائيل لاستنزافها من الوطن العربي بثنتي الاساليب . وبكلام اخر ان استنزاف المهندسين العرب الى الخارج يخدم اغراض اسرائيل الرامية ، منذ زمن بعيد ، لتهجيز هذه الفئة العلمية والتقنية ، وخاصة من دول المواجهة لانها تعتبر هؤلاء خط الدفاع الاول ضد اسرائيل .

٢ — خسارة مالية : في الواقع ان الخسارة المادية ، من جراء هجرة المهندسين الى الخارج ، تتجاوز كل تقدير بالدولار او بالدينار . فان تكاليف اعداد المهندس وتدريبه آخذة في الازدياد سنة بعد سنة . وقد افادت احداث الاحصاءات بأن تكاليف اعداد المهندس وتدريبه للعام ١٩٧٤ — ١٩٧٥ ، في الجامعة الامريكية في بيروت مثلا تبلغ ٣٣٠٠ دولار للطالب الواحد في السنوات الاولى من الجامعة ، بينما تصل الى ٨٤٠٠ دولار للطالب الواحد في السنة المذكورة في الدراسات العليا (٣٧) . هذه طبعا التكاليف المادية الظاهرة ، واما التكاليف غير الظاهرة ، فلا يمكن لاحد ان يعرفها .

وهكذا يتبين ان حركة استنزاف المهندسين هي خسارة لاغلى ثروة قومية تملكها الامة ، أي الطاقة العلمية والتقنية ، التي هي الاسباس لتطوير البلاد وانماؤها ، وكذلك خسارة في المال الذي يستثمر لتعليم هؤلاء وتدريبهم .

### اسباب نزوح المهندسين ودوافعها

بعد ما ذكرنا هجرة المهندسين بالارقام ، واثر الهجرة وخطارها على المعركة والامة العربية ، فمن البديهي ان نتبادر الى الازهان الاسئلة الاتية: ما هي اهم اسباب نزوح المهندسين العرب ؟ وما هي العوامل الاساسية المؤدية لذلك ؟ ما هي الدوافع للهجرة وحوافزها ؟ لا بد من الاشارة اولا الى ان من احد الاسباب ، المسؤولة عن النزوح ، تعود الى عوامل شخصية . أي ان قرار المراء النزوح من بلده ، للعمل في بلد اخر والعيش فيه ، هو في الاساس قرار شخصي ، يتوقف الى حد بعيد على الظروف الخاصة للفرد ، الذي يتخذ هذا القرار . الا أنه ، بالإضافة الى ذلك ، ثمة عوامل ودوافع اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية وحضارية — كلها — ترتبط ارتباطا

وثيقا ومباشرا وعضويا بهجرة المهندسين والعلماء. فهناك عوامل خارجية « جاذبة » ، يقابلها عوامل داخلية « ضاغطة » او « دافعة » للنزوح .

ومن ابرز العوامل **الخارجية** ، التي تجتذب المهندسين وغيرهم من رجال العلم ، هي : الرواتب المرتفعة والمغرية ، تشريعات الهجرة الجديدة التي تقدم تسهيلات وامتيازات عديدة للمهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات العلمية ، فرص العمل الواسعة في مجالات الهندسة على انواعها ، اجواء العمل المؤاتية واساليبه التي تعتمد على انكفاء العملية والانتاج في الترقية ، الاستقرار السياسي ، الدراسة في الخارج ، الزواج من اجنبيات ، تأمين اسباب الراحة في كل من العمل والعيش ، احترام شخصية الفرد كإنسان ، وغير ذلك .

ويقابل هذه العوامل الخارجية ، عوامل **داخلية** مماثلة مضادة . ويمكن تلخيصها بكلمة واحدة ، وهي : **التخلف** . ومن ابرز هذه العوامل : الرواتب المتدنية ، سياسة التوظيف التي تعتمد اكثر على انتماءات الفرد العائلية والعشائرية والاقليمية منها على المؤهلات والكفاءات العلمية ، اجواء العمل غير المناسبة ، اساليب الترقية الرجعية ، الادارة المركزية الجامدة ، التخلف التربوي والعلمي العام ، ضيق مجالات العمل وفرص الترقية ، عدم الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الاوسط عامة ، العادات والتقاليد والخرافات الشرقية السائدة في البلاد العربية ، الخ .

وتعزيزا لما تقدم ، يجدر بنا ان نذكر بعض اهم النتائج ، التي توصلت اليها دراسة استقصائية حديثة اجريت في الولايات المتحدة ، حول هجرة الطلاب والاختصاصيين الاردنيين والفلسطينيين ، الى تلك البلاد . فالدراسة المذكورة تعطينا صورة حية ، عما يجول في اذهان ٢٢٣ طالبا واختصاصيا ، الذين اجابوا على استمارة الاستقصاء . ونتيجة هذا البحث تبين ، ان الاسباب الرئيسية لهجرة هؤلاء ، تعود الى عوامل سياسية واجتماعية وعلمية .

١ — **العوامل السياسية** : كشفت الدراسة المذكورة النقاب على ان القضايا السياسية تأتي في المرتبة الاولى المؤدية لهجرة الطلاب والعلماء . فقد ذكر ٣٧ بالمائة من هؤلاء ، انهم لا يرجعون ، نظرا للاوضاع السياسية السائدة في الوطن الام . ومن بين اهم العوامل ، التي سجلت على ورقة الاستفتاء ، تتلخص بالنقاط الآتية : الزعامة الرجعية ، كبت الحرية السياسية ، غياب الحكومات الشعبية ، عدم كفاءة عدد كبير من الزعماء ، عدم اخلاص الزعماء للجماهير ، الانظمة العسكرية الحاكمة ، النظام الملكي ، نزوح الامة السياسي غير كاف ، عدم الاستقرار ، اضطهاد المثقفين من قبل الحكومة ، اقوال بغير افعال ، نقص في الديمقراطية .

٢ — **العوامل الاجتماعية والحضارية** : وانت العوامل الاجتماعية والحضارية في المرتبة الثانية . فقد عزا ٢٥ بالمائة من هؤلاء ، ان من بين اسباب بقائهم في الولايات المتحدة ، الاوضاع الاجتماعية والحضارية ، السائدة في البلاد العربية وهي : الجهل ، نقص في التعليم ، انتشار الامية ، الخرافات ، نقص في التعليم المختلط . واقاد ١٨ بالمائة ان النزوح يعود الى الفقر ، البطالة ، ظروف معينة ، تحديد المركز الاجتماعي للشخص بصدقاته السياسية والشخصية . وعبر ١٥ بالمائة عن اعتقادهم بان **الشخصية العربية مسؤولة عن الهجرة** . ومن ابرز ما ذكروا من صفات الشخصية العربية المتخلفة ، هي : نقص في النقد الذاتي ، الانانية ، عدم وجود ثقة ، عدم القدرة على التعاون ، كثرة الزعماء وقلة الرعايا ، فجوة بين الاقوال والافعال ، نقص الوعي السياسي ، نقص في النظرة الواقعية ، ضعف وسائل الاتصال ، العاطفة ، نقص في

الابداع الفردي ، نقص في الدوافع والرغبة والحس بالهدف كأمة . وافاد ١.١ بالمائة بان العوائد والتقاليد السائدة ، والانتماء العائلي ، والعيش في الماضي ، الشعور القبلي ، تدخل العائلة في الزواج ، كانت — كلها — من بين العوامل الاجتماعية والحضارية التي دفعت بهؤلاء للهجرة .

ويؤمن الذين اشتركوا في الدراسة ، ان نزف الادمغة العربية ، ليس سببا ، ولكن نتيجة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتخلفة في الشرق الأوسط . ويعتقد هؤلاء انه حتى ، لو عاد حامل دكتوراه في علم حديث مثلا ، الى وطنه الام في وضعه الراهن من التخلف، فسوف يواجه مشاكل عديدة، في استخدام علمه في البلاد، وذلك نظرا **للتخلف** ولعدم وجود **الرؤية** اللازمة في البلاد ، التي يمكن ان تتصور اهمية العلم والعلماء في التقدم (٣٨) .

ومن اسباب هجرة المهندسين العوامل الاخرى الاتية : الدراسة في الخارج وخاصة في البلدان الغربية ( كما ذكرنا ) ، النقص في الشعور القومي والوطني ، النقص في ايجاد رؤية قومية واقتصادية عربية ، عدم شعور المهندس العربي بانه سيد افكاره في اثناء عمله في البلاد العربية، القيود الادارية البيروقراطية المتبعة في الوزارات والدوائر الرسمية ، معادلة الشهادات الاجنبية ، الاوضاع السياسية غير المستقرة في المنطقة العربية ، تفضيل المهندس الاجنبي على المهندس العربي في معظم الاحيان ، نقص في التدريب المستمر للنمو المهني ، عدم ايلاء المهندسين دورا قياديا في الجيوش العربية ، وغير ذلك من العوامل المشابهة .

### تدابير الحكومات العربية

يتزايد القلق في الوقت الحاضر ، في البلدان العربية ، من استنزاف الكفاءات العلمية ، وفي طليعتهم المهندسون ، لان نزوح هؤلاء من شأنه ان يهدد التنمية ، ويستنزف **رصيدا حيويا** جدا في المعركة . وقد بدأ العرب مؤخرا بالتحرك ، عبر حملات مركزة ، لاجتذاب المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات من الخارج ، ولتفع هجرة هؤلاء الى الخارج . فازدادت دعوات كبار المسؤولين العرب ، من أجل اقتناع المهندسين العرب في الخارج ، بالعودة للقيام بدورهم في تنمية اوطانهم ، لان مهاراتهم وعلومهم وخبراتهم تشكل رصيذا وطنيا حيويا .

وانتخذت بعض الاقطار العربية كالعراق وليبيا وسوريا والكويت والجزائر اجراءات وخطوات ايجابية لاستعادة المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات العلمية المهاجرة، ولتفع هجرة المهندسين المقيمين (٣٩) .

**١ — العراق : قانون رعاية الكفاءات :** وكان القطر العراقي الاول في اخذ المبادرة في الحملة لاعادة الكفاءات العراقية والعربية المهاجرة في الخارج ، وذلك عندما اصدر مجلس قيادة الثورة « قانون رعاية الكفاءات » في اواخر العام الماضي . وقد نشر في معظم الصحف والمجلات العربية ، في اوائل هذا العام . وبموجب القانون ، فتح العراق ابوابه للادمغة العربية ، مقدما لهم شتى الاغراءات والامتيازات والتسهيلات المادية والمعنوية ، للعمل والعيش في العراق وللحصول على الجنسية العراقية ، بكافة امتيازاتها .

هذا وقد شكلت لجنة لهذا الغرض تدعى « هيئة رعاية الكفاءات » . وسافر بعض اعضائها الى اوربا الغربية واميركا ، لشرح اهداف القانون الجديد للعلماء والطلاب العراقيين والعرب ، المقيمين في البلدان الغربية (٤٠) .

٢ - **سوريا : عمل لكل مهندس :** وفي السباق ذاته ، أبدت سوريا رغبتها في بدء شهر شباط / فبراير الماضي ، عن الحد من هجرة الكفاءات والخبرات الى الخارج . فاصدرت قانونا جديدا يمنع بموجبه خروج السوريين من اصحاب الكفاءات والخبرات من الاراضي السورية ، وتنظيم حملة لاعادة الخبراء السوريين في الخارج ، كما تمنح فيه المهندسين امتيازات واغراءات عديدة ، اذا عملوا داخل القطر السوري او في الوطن العربي . وتتعهد الحكومة السورية على تأمين اعمال للمهندسين خلال شهرين من تخرجهم . ويقيد القانون الجديد خروج السوريين ، من اصحاب الكفاءات العلمية والفنية ، الى الخارج (٤١) .

٣ - **ليبيا : ترحب بالكفاءات :** وعلى خطى العراق ، فقد اصدر مجلس قيادة الثورة الليبي ، « قانون تشجيع الخبرات » في ١٩٧٥/٢/٦ ، مستهدفا استقطاب اصحاب الكفاءات والخبرات العلمية والفنية العربية ، لاغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وفسر القانون معنى الهجرة بالاقامة الدائمة ، بقصد الحصول على الجنسية (٤٢) .

٤ - **الكويت تمنح الجنسية للكفاءات :** وقررت حكومة دولة الكويت ايضا ، تسهيل منح الجنسية الكويتية ، لاصحاب الكفاءات العربية ، من ذوي المؤهلات والخبرات الفنية العالية ، والتي تعمل خارج المنطقة العربية ، وذلك لاحتياج قوة العمل اليها في المستقبل . كما اعطت الاولوية ، بشأن منح الجنسية ، لهذه الكفاءات والخبرات ، التي تعمل وتخدم في الكويت نفسها . وتقرر تسهيل اجراء منح دخول البلاد والاقامة ، وحق الملكية الخاصة لغير الكويتيين (٤٣) .

٥ - **الجزائر : ترحب بالكفاءات :** وتسمى الجزائر ، منذ زمن بعيد ، لاجتذاب الكفاءات والخبرات الجزائرية والعربية العاملة في الخارج ، وكذلك الادمغة الاجنبية ايضا . فماتخذت الحكومة اجراءات لجذب الكفاءات سواء من الاقطار العربية نفسها ، او من الدول الاجنبية .

بعد هذا ، ينبغي القول ، ان الدول العربية قد ادركت اهمية الكفاءات والخبرات لتحقيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فراحت تفتح لهم ابوابها ، مرحبة بهم ومقدمة لهم شتى الاغراءات المادية والمعنوية (٤٤) .

### وسائل الحد من هجرة المهندسين

بعد ما ذكرنا أسباب هجرة المهندسين والعوامل الدافعة لها، نسعى الان الى ايجاد الوسائل للحد من استنزاف المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات . فمن المعلوم انه لا يمكن الحد من هجرة المهندسين بسهولة ، اي بمجرد نداء او اعلان في صحيفة او تشريع جديد ، وانما الحلون تكمن في **تحديث المجتمع العربي وتطويره وانماه** ، كي يصبح مجتمعا متقدما . لذا فاننا نعتقد ان كافة الوسائل ، الرامية للحد من الهجرة باطله ، ما لم ننطلق من الفكرة القائلة ، بان الحد من هجرة الادمغة ومكافحتها ، يتوقف الى حد بعيد ، على **تنمية المجتمع العربي** . وعليه فان المسألة تتطلب اجراء حلول قصيرة او بعيدة المدى وعلى قيام تعاون وتنسيق بين الاقطار العربية من جهة ، وبين البلدان المتقدمة ، من جهة اخرى .

لذلك يحسن بنا ان ننطلق على الشكل الاتي :

١ - **زيادة الرواتب :** من أبرز أسباب هجرة المهندسين وغيرهم من اصحاب

الكفاءات ، الرواتب المتدنية وخاصة في القطاع العام . ولا يمكن الحد من هجرة هؤلاء او اجتذاب المهاجرين منهم ، الا بزيادة ملحوظة في الرواتب . هذا ما فعله ويفعله بعض الدول العربية والنامية ، وحتى المتقدمة ، التي تعاني هجرة الادمغة .

٢ — **اصلاح سياسة التوظيف** : والحديث عن زيادة الرواتب يطرح قضية اصلاح سياسة التوظيف القائمة حاليا ، وتبني سياسة تقدمية حديثة ، بحيث يمكن للمهندس وغيره ، ان يحصل على مركز ، بناء على كفاءته وخبرته . لذا نقترح انشاء مكتب توظيف للمهندسين ، في كل بلد عربي ، يهتم بوضع المهندس المناسب في المركز المناسب ، وقيام تنسيق بين كافة المكاتب في الاقطار العربية .

٣ — **انشاء دائرة لرصد الكفاءات الهندسية** : لعل من الوسائل المفيدة في عملية استعادة المهندسين المغتربين استحداث دائرة في كل سفارة وقنصلية عربية في الدول المتقدمة وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية وبلدان اوروبا الغربية ، يناط بها مهمة رصد المهندسين في الخارج ومحاولة اجتذابهم الى الوطن الذي يحتاج الى علومهم وخبرتهم . ومن مهام هذا المكتب ايضا تزويد المهندسين المغتربين بالمعلومات اللازمة عن مجالات العمل المتاحة حاليا ومستقبلا ، في الوطن العربي .

ويذكر ان السفارات الاميركية تنظم مكاتب فيها ، لرصد الكفاءات الاجنبية ومحاولة اجتذابها للعمل ، في الولايات المتحدة الاميركية .

٤ — **دعوة المهندسين المغتربين للوطن** : ومن الوسائل المفيدة ايضا توجيه دعوات الى المهندسين العرب المغتربين لزيارة الوطن الام ، بين الحين والآخر ، للوقوف على اوجه التطورات وابداء الرأي بذلك . ويمكن توجيه الدعوات لهؤلاء لحضور مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية . ثم يجدر ان توجه نداءات الى المهندسين المغتربين لخدمة وطنهم الام ، سنة على الاقل ، بحيث يطلق عليها « سنة العودة » . ومن المعلوم ان مجالات العمل قد تكاثرت بعد حرب ١٩٧٣ ، نتيجة خطط التنمية الاقتصادية .

٥ — **اجراء دراسة شاملة عن اوضاع المهندسين** : في الواقع ، لا يوجد هناك دراسة علمية شاملة لاوضاع المهندسين العرب ولهجرتهم . فكل ما هنالك احصاءات معظمها اعتدت على مصادر اجنبية ، عن حركة نزوح المهندسين الى بعض البلدان الصناعية . فالطوب اذن اجراء دراسة ميدانية شاملة وموضوعية ، تتناول مسح شامل للمهندسين العرب وهجرتهم الخارجية والداخلية والاسباب الدافعة للهجرة والعوامل الجاذبة لها ، وابعاد الهجرة وانعكاساتها ، ثم ايجاد الحلول الجذرية المناسبة لكافحتها .

٦ — **انشاء سوق عربية مشتركة** : من المعلوم ان بعض البلاد العربية تحتاج الى مهندسين اكثر من غيرها ، وتسهلا لحركة توظيف المهندسين في الاقطار العربية التي تحتاج اليهم ، نقترح انشاء نوع من السوق العربية المشتركة للمهندسين ، بحيث يفتح المجال واسعا امام المهندسين ، للعمل في اي قطر عربي ، حيث تدعو الحاجة ، بقطع النظر عن القيود والشروط القانونية والادارية الجامدة ، التي تفرض عادة على المواطنين الغريباء .

٧ — **تطوير كليات الهندسة وانشاء كليات جديدة** : ينبغي تطوير كليات الهندسة في البلاد العربية وتحديثها وتوسيعها ، كي تصل الى مستوى متقدم ، وانشاء كليات جديدة ممتازة للعلوم الهندسية ، تقدم مناهج في الدراسات العليا الهندسية . وبهذه الطريقة نستطيع ان نحد من هجرة الطلاب الى الخارج ، سعيا وراء التخصص .

والجدير بالذكر ان اكثر من خمسين بالمائة ، من الطلاب والعلماء الاردنيين والفلسطينيين ( الذين سبق القول عنهم ) ، لا يسعون في الغالب للدراسة في الولايات المتحدة : اذا كان هناك جامعات اكثر في البلاد العربية ، اذا كان ثمة أساتذة مقتدرين ، اذا وجدت تسهيلات افضل من قبل الجامعات ، اذا كان هناك اختيار أوسع في البرامج ، اذا استطاع الطلاب تمويل دراستهم في أثناء التعليم ، وذلك بأعمال يقومون بها لقاء اجور معينة . كما هو الحال مثلا ، في الولايات المتحدة .

٨ - **اعتماد خطة انماء اقتصادية شاملة** : ولعل الوسيلة الجيدة ، على المدى البعيد ، في الحد من هجرة الادمغة ، وفي القضاء على التخلف ، وتحقيق النصر في المعركة ، يتمثل في اعتماد خطة انمائية اقتصادية واجتماعية شاملة ومتكاملة ( مشروع مارشال عربي ) ، لتطوير المجتمع العربي وتحديثه . ولا يمكن انجاح هذه الخطة ، الا بتأمين جيش كبير من المهندسين والعلماء والخبراء وغيرهم من رجال العلم والتكنولوجيا . وقد برهنت تجارب الأمم المتقدمة على ان هناك علاقة وثيقة ، بين نمو الاقتصاد وازدهاره ، وبين انخفاض نسبة المهاجرين من المهندسين والعلماء وغيرهم من رجال الاختصاص .

وبالاضافة الى ما تقدم ، هناك اساليب اخرى لاستقطاب المهندسين وللحد من استنزافهم الى الخارج . ومن اهمها : اجراء اصلاحات جذرية في أنظمة التربية والتعليم ، تشجيع البحث العلمي ، تأمين اجواء علمية مناسبة ، تعديل قوانين الهجرة والدراسة في الخارج ، رفع المستوى الثقافي والعلمي لعامة الشعب العربي ، وغير ذلك .

ومن هنا ، ينبغي القول ، انه ليس المهم تقديم اقتراحات ، للحد من استنزاف الادمغة او لاجتذابها ، الى الوطن الام ، ولكن الالم من ذلك : **كيفية تحقيق هذه الاقتراحات او تنفيذها** . فما هي اذن الخطوات اللازمة لتنفيذ المرغوب فيه ؟ اليكم اهم الخطوات التي ينبغي الاسترشاد بها :

١ - **تأمين المال اللازم** : ان الحد من استنزاف المهندسين وتأمين أعمال لهم ، في البلاد العربية ، يتطلب أموالاً ضخمة . لذا نقترح تخصيص نسبة ، ما لا يقل عن واحد بالمائة من عائدات النفط ، لضمان المال اللازم . وهذا النوع من التثمين هو افضل انواع الاستثمار واجداها .

٢ - **ازالة القيود بين الاقطار العربية** : تسهيلات لاجتذاب المهندسين ، يجب ازالة القيود على السفر والتنقل والهجرة بين الاقطار العربية من جهة ، وبين البلدان العربية وشتى البلدان المتقدمة ، الغنية بالطاقات العلمية والتقنية ، من جهة اخرى .

٣ - **التوعية العلمية** : ان انجاح اي مشروع اليوم يتطلب توعية لكسب التأييد اللازم ، من قبل المسؤولين وبقية المواطنين العاديين . ولعل من افضل الوسائل لتحقيق ذلك ، استخدام وسائل الاعلام الجماهيرية ، من اذاعة وتلفزيون وجرائد ومجلات .

٤ - **تأمين اجواء عمل مناسبة** : لا يستطيع المهندس ، مهما اوتي من ذكاء وخبرة وصبر وحماسة لبلاده ، ان ينتج ، بغير تأمين ، اولا ، ظروف عمل مناسبة واجواء علمية ونفسية مؤاتية .

٥ - **انفتاح علمي** : لا يستطيع المهندس الناجح اليوم ان يعيش في بلد مغلق على نفسه علميا ، لان المهندس الماهر يحتاج الى الاطلاع الدائم على احدث التطورات

العلمية في حقل تخصصه . لذا ينبغي تأهيل أحدث الكتب والمجلات والدوريات العلمية والهندسية الصادرة في اللغات العالمية الحية .

٦ — **النمو المهني** : هذا وينبغي إتاحة الفرص الكاملة ، لأنماء المهندسين مهنيًا . فالمعرفة العلمية والتقنية تتضاعف مرة كل سبع سنوات . فالمهندس الذي لا يطالع أحدث التطورات في حقل اختصاصه ، فإنه يتخلف عن مواكبة عصر العلم والتكنولوجيا . لذا ينبغي تنظيم دورات تدريبية وعلمية لتطوير الكادر الهندسي ، ليتمكن من مواكبة التطور المتصاعد في حقله .

٧ — **تأمين الحرية الأكاديمية والشخصية** : هذه نقطة مهمة جدًا . فالدول المتقدمة ، التي تجتذب المهندسين العرب ، تؤمن لهم حرية أكاديمية وشخصية . هذا ما فعلته الصين الشعبية مثلًا ، في محاولاتها لاستعادة علمائها المهاجرين ، بعد سنة ١٩٤٩ .

٨ — **ديمقراطية المجتمع العربي** : من الملاحظ أن الأوضاع السياسية في المنطقة العربية مسؤولة ، بالدرجة الأولى ، عن استنزاف المهندسين . فهؤلاء يفضلون العمل والعيش في بلاد يسودها الاستقرار السياسي ، وبالتالي الديمقراطية السياسية الحرة . لذا ينبغي العمل على إنشاء مجتمع عربي ديمقراطي حديث .

٩ — **تحديث الإدارة** : أن الإدارة عامة ، في البلاد العربية ، ما زالت تقليدية ، أي أن أساليبها وأدواتها البيروقراطية المتبعة ، تعرقل تنفيذ المشاريع والمخططات في الوقت المحدد . فالإدارة الحديثة أصبحت اليوم علمًا قائمًا بذاته . ومن أبرز عناصر الإدارة الديمقراطية الحديثة : الأهداف الواضحة ، التخطيط ، التنظيم ، تفويض السلطة ، قيادة حكيمة ، التنسيق ، التقويم ، والتنفيذ .

١٠ — **تحديث العقلية** : أن التخلف هو عادة تخلف في العقلية أو الذهنية ، وكذلك التقدم ، فإنه تقدم في العقلية أو الذهنية . فالعقلية الانفتاحية أو المتقدمة ، هي ثروة كبيرة . فمن هذا المفهوم نطلق . في الواقع لا يمكن العمل والحصول على نتائج فعالة ، إلا في إطار عقلية متطورة ومتقدمة .

### خاتمة

وخلاصة القول أن البلاد العربية تخسر أعز ما لديها من الطاقات البشرية المدربة ، وفي مقدمتها ، فئة المهندسين وغيرهم من العلماء والاطباء ورجال العلم ، عبر عملية استنزاف إلى الدول المتقدمة ، وفي طبيعتها الولايات المتحدة الأمريكية . ولا شك في أن نزوح المهندسين يعتبر ، في الوقت الحاضر ، **كارثة وطنية** ، من حيث أنها ، **خسارة علمية وتكنولوجية** ، من جهة ، وخسارة في المال ، الذي استثمر في أعداد هؤلاء وتدريبهم ، من جهة أخرى . والغريب في الأمر أن نزوح المهندسين يأتي إبان المعركة ، التي تخوضها الأمة العربية ، ضد إسرائيل والصهيونية العالمية ، وضد التخلف والجهل . والغريب أيضًا أن البلاد العربية ، لا تستطيع استخدام المهندسين العرب في مشاريع التنمية ، على الرغم من قلتهم ، نسبيًا ، نظرًا للتخلف المهيمن على العرب حاليًا ، هذا بالرغم من أن العرب يملكون موارد مادية واقتصادية هائلة . وترتبط الهجرة بعوامل داخلية وخارجية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وعلمية .

ويمكن الحد من هجرة المهندسين وغيرهم ، بزيادة الرواتب وتحسين أساليب التوظيف وأحوال العمل والمعيشة ، وأجراء دراسة علمية شاملة عن أوضاع

المهندسين ، وتطوير كليات الهندسة وتحديثها ، وانشاء كليات جديدة من الدرجة الاولى .

ولتحقيق هذه ، ينبغي ان تتخذ خطوات تنفيذ جريئة في تحديث العقلية العربية ، ونشر الوعي لاهمية العلم والتكنولوجيا المتمثلة بالمهندسين ، وتطوير الادارة الحالية واصلاحها واعادة تنظيمها على اساس لا مركزي ، تأمين احترام الشخصية الانسانية للفرد وضمن الحرية العلمية والاكاديمية .

وبالاختصار ، فان الحل الاوحد ، في رأينا ، لقضية هجرة المهندسين وغيرهم من رجال العلم ، يكمن ، في التغلب على التخلف الذهني والعقلي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعلمي ، المهيمن على العالم العربي حاليا . وسنظل الأمة العربية ، تعتمد على الدول المتقدمة ، في معركتها ضد اسرائيل وضد التخلف ، ما لم تبدأ ، فوراً ، بتطوير المجتمع العربي وانمائه ، كي يصبح مجتمعاً حديثاً ، عصرياً ، متقدماً .

بعد كل ما تقدم من حقائق وافكار ، السؤال الذي يطرح الان هو : ماذا يعني استنزاف المهندسين العرب الى الخارج ؟ في اعتقادنا ، ان حركة استنزاف الطاقات الهندسية العربية تدل على ما يأتي :

١ - تعد حركة استنزاف المهندسين ، من البلاد العربية الى البلدان المتقدمة ، « هرباً » من المعركة المصرية ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية من جهة ، وضد التخلف والجهل من جهة ثانية .

٢ - يعتبر نزف المهندسين العرب الى الخارج « نصراً » لاسرائيل في معركتها ضد الأمة العربية ، لان من اولى اهدافها « تهجير » هذه الفئة الممتازة والمختارة من العرب . في حين ان بقاءهم في الوطن يعد كسباً للعرب ولكن خسارة للعدو .

٣ - تنظر اسرائيل الى فئة المهندسين كعدوها الاكبر . لماذا ؟ لانها فئة متعلمة ، تمثل اعظم مظاهر التقدم والتطور والقوة في العالم الحديث ، واثمن ثروة بشرية لدى الأمة العربية ، لذا فهي تعتبر اقوى سلاح لدى العرب ، اذا ما استخدم بطريقة فعالة .

٤ - تستخدم هجرة المهندسين اغراض اسرائيل بطريقة غير مباشرة ، وذلك لانها ترغب في ان تبقى العرب في وضع متخلف ومتأخر : علمياً وحضارياً واقتصادياً ، لانها تحرمهم من « خميرة » الانماء و « رسل » التقدم والقوة .

٥ - ان حركة استنزاف المهندسين العرب ، ليست عملية عابرة او هامشية ، تسير بغير هدف ، بل عملية استغلال هذه الطاقات لتطوير اقتصاديات البلدان المتقدمة في الغرب ، على حساب الاقطار العربية النامية .

٦ - ان ادراك الاقطار العربية لاهمية المهندسين وغيرهم من اصحاب الكفاءات ، والجهود التي تبذل حالياً لاجتذاب المهاجرين من هؤلاء ، لدليل ساطع على دور هذه الطاقة البشرية العلمية في المعركة ، ضد اسرائيل وضد التخلف .

٤ - صروف ، فؤاد ، أوراق علمية ١٩٦٨ -

١٩٧١ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ص

٣١٩ - ٣٤٨ .

٥ - فرحان ، محمد حكمت ، « دور المهندس في

خطط التنمية » ، صوت المهندسين ، بغداد ،

١ - جريدة « البعث » ، دمشق ، ٢٨/٢/١٩٧٥ .

٢ - زين ، الياس ، هجرة الادمغة العربية ،

بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

١٩٧٢ .

٣ - البعث ، المصدر السابق .

- لبنان) ، المجلد ١٢ ، آب ١٩٧٤ ، ص ٢٠ .
- ٢٠ - Zahlan, Antoine B., «Strategies for the Utilization of High level Man Power in the Arab Countries», in *Population Bulletin of the United Nations Economic Commission for Western Asia*, no. 7 (Beirut, July, 1974), pp. 125-131.
- ٢١ - المصدر الرقم ١١ .
- ٢٢ - المصدر السابق نفسه .
- ٢٣ - المصدر السابق نفسه .
- ٢٤ - المصدر الرقم ٢٠ .
- ٢٥ - المصدر الرقم ١١ .
- ٢٦ - أبو جياب ، محمد ، « المهندس والحرب » ، مجلة **الطلائع** ، دمشق ، ١٩٧٥/٣/١٨ .
- اتحاد المهندسين العرب ، الامانة العامة .
- « دور المهندس في معركة الصوم العربية » ، وثيقة من صفتين قدمت في ندوة « دور المهندس العربي في معركة الصوم » ( بغداد في ١٤ - ١٨/٤/١٩٧٥ ) .
- جريدة « **الاهرام** » ، ١٩٧٣/١٢/١١ ، ١٩٧٤/١٠/١٠ .
- جريدة « **المستقبل** » ، بيروت ، الاعداد : ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
- مجلة « **قضايا عربية** » ، بيروت ، « رواية الشاذلي في عملية العبور » ، تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٧٤ ، ص ١٨٧ - ١٩١ .
- ٢٧ - اتحاد المهندسين العرب ، « الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين » ، « دور المهندس العربي في معركة الصوم » ، ( نشرة صغيرة وزعت في ندوة بغداد المذكورة سابقا ) .
- صبيح ، رفعتي ، « دور المهندس العربي في دعم مخيمات العودة » ، ( بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا ) .
- ٢٨ - عكاري ، عبد الفتاح ، « دور المهندس العربي في تخصيص مخيمات العائدين ضد الغارات الصهيونية في دول المواجهة » ، ( دراسة قدمت في ندوة بغداد المذكورة سابقا ) .
- ٢٩ - صبيح ، المصدر السابق .
- ٣٠ - بدران ، المصدر السابق .
- ٣١ - البني ، صريح ، « دور المهندس في التنمية القومية » ، ( بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا ) .
- كانون الثاني ١٩٧٥ ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- ٦ - الراوي ، عفيف ، مجلة **صوت المهندسين** ، بغداد ، شباط ١٩٧٥ ، ص ٥ - ٨ .
- ٧ - زين ، المصدر السابق .
- ٨ - زين ، الياس ، **هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** ، بيروت ، مركز الابحاث في م.ت.ف.ا. ، ١٩٧١ .
- ٩ - زين ، المصدران السابقان .
- ١٠ - U.S. Department of Justice, Immigration and Naturalization Service, Annual Report 1973. U.S. Department of Justice, Immigration and Naturalization Service, Annual Report 1972.
- ١١ - United Nations General Assembly. *Outflow of Trained Personnel from Developing Countries* (5 November 1981, A/7294).
- UNITAR. *The Brain Drain from Five Developing Countries*: New York: United Nations Institute for Training and Research, 1971.
- U.S. Department of Justice, Immigration and Naturalization Service. *Annual Indication of Immigration to the United States of Aliens in Professional and Related Occupations (1966-1969) Chart 3.*
- ١٢ - هيئة الإذاعة البريطانية ، لندن ، تقرير باللغة العربية لرامسل الهيئة حول هجرة المهندسين السوريين ، اذيع في صباح ١/٩/١٩٧٥ .
- ١٣ - زين ، المصدران السابقان .
- ١٤ - OPEN DOORS 1973. Report on International Exchange, New York: Institute of International Education, 1973.
- ١٥ - Facts About Israel 1973. Jerusalem: Ministry of Foreign Affairs.
- ١٦ - زين ، المصدران السابقان .
- ١٧ - Statistical Abstract of Israel 1972. Jerusalem: Central Bureau of Statistics, 1972. Statistical Abstract of Israel 1974: Jerusalem: Central Bureau of Statistics, pp. 130-131.
- ١٨ - زين ، المصدر السابق نفسه .
- ١٩ - النشرة الإحصائية الشهرية ، ( تصدر عن مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التصميم العام

dent», 1974-1975, *AUB Bulletin*, Vol. XVIII, no. 4, (November 21, 1974), p. 4.

- ٣٨ - المصدر الرقم ٣٦ .
- ٣٩ - مجلة « المصارف » ، بيروت ، آذار (مارس) ١٩٧٥ ، ص ١٥ .
- جريدة « النهار » ، بيروت ، ١٥/٢/١٩٧٥ .
- ٤٠ - الجمهورية العراقية ، رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية ، هيئة رعاية أصحاب الكفاءات ، بغداد . قانون رعاية أصحاب الكفاءات ، الرقم ١٥٤ ، السنة ١٩٧٤ .
- وكالة الأنباء العراقية ، ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، ص ٦ - ٧ .
- « النهار » ، ١٩٧٥/٢/٤ .
- ٤١ - « النهار » ، ١٩٧٥/٢/٤ .
- « النهار » ، ١٩٧٥/٢/١٥ .
- ٤٢ - الجمهورية العربية الليبية ، وكالة أنباء الثورة الليبية ، نشرة البث الخارجي .
- « قانون الرقم ١٣ لسنة ١٩٧٥ » بتشجيع الخبرات العربية اللازمة ، ٩ شباط (فبراير) ١٩٧٥ .
- « السفير » ، ١٩٧٥/٢/٧ .
- ٤٣ - « السفير » ، ١٩٧٥/٤/١١ .
- ٤٤ - « المصارف » ، آذار (مارس) ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

بدران ، ابراهيم ، « دور المهندس في التنمية القومية » ، ( بحث قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا ) .

عمر ، محمد بالحاج ، بحث بغير عنوان قدم في ندوة بغداد المذكورة سابقا .

فرحان ، محمد حكمت ، « دور المهندس في خطط التنمية » ، مجلة « صوت المهندسين » ، بغداد ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، ص ٢٤-٢٥ .

عمر ، المصدر السابق .

٣٢ - البني ، المصدر السابق .

صبح ، المصدر السابق .

٣٣ - جريدة « الأخبار » ، بيروت ، ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ ، ص ٣٦ .

٣٤ - صروف ، المصدر نفسه .

٣٥ - اديسيشيا مالكولم ، « هجرة الكفاءات من

العالم العربي » ، صحيفة التخطيط التربوي

في البلاد العربية ، بيروت ، كانون الثاني -

نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤ - ٢٢ .

٣٦ - JAFFARI, LAFI IBRAHIM, «The Brain Drain to the United States, the Migration of Jordanian and Palestinian Professionals and Students». *Palestine Studies* (Beirut), Vol. III, no. 1, (Autumn 1973), pp. 119-131.

«Cost of Education for a Stu- — ٢٧

## النمو الحضري في فلسطين

الدكتور عبد الإله أبو عيَّاش

يتفاوت مفهوم التحضر بين دولة وأخرى كما تختلف المعايير والتعاريف المتبعة لتحديد حضرية المكان ، ويحدد الكتاب السنوي الديمغرافي للأمم المتحدة عدة مفاهيم تستخدم كأسس لتحديد المكان الحضري (١) .

١ — يعرف مكان ما بأنه حضري على أساس حجم السكان ، ويتفاوت الحجم السكاني بين ٢٥٠ نسمة في الدنمرك و ٤٠ ألف نسمة في كوريا .

٢ — تحدد بعض الدول حضرية المكان على أساس حجم السكان ونوعية الوظائف والفعاليات الاقتصادية التي يؤديها ذلك المكان .

٣ — تعرف دول أخرى حضرية المكان على أساس نوعية الوظائف والنشاطات الاقتصادية التي يقوم بها المكان بغض النظر عن حجم سكانه .

وقد تبنت الأمم المتحدة معيارا لتحديد حضرية المكان يقوم على تحديد الأماكن التي يزيد عدد سكانها على ٢٠ ألف نسمة (٢) . ويعتبر التعريف الإحصائي القائم على تحديد حجم السكان أهم المعايير المستخدمة وأكثرها شيوعا بين الدول لتعريف حضرية المكان (٣) . وكما ذكرنا فقد اختلفت هذه المعايير بين الدول ، فقد كانت أيزلنده تعتبر المكان حضريا أو مدينة إذا زاد حجم التجمع السكاني عن ١٥٠٠ نسمة ، وفي فرنسا ونثسيكوسلوفناكيا وتركيا أخذ حجم السكان ٢٠٠٠ نسمة كحد أدنى لتعريف المكان الحضري ، وفي هولنده واليونان اعتمد الرقم ٥ آلاف نسمة . وما بين عامي ١٩١٠ و ١٩٤٠ كانت الولايات المتحدة تعتبر أي تجمع سكاني يزيد عن ٢٥٠٠ نسمة مدينة أو مركزا حضريا وكذلك فعلت المكسيك (٤) . وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن هذه هي المعايير التي كانت سائدة في الثلاثينات والأربعينات في أوروبا وأمريكا رغم تغيرها في الوقت الحاضر وان تعريف الأمم المتحدة لحضرية المكان على أساس ٢٠ ألف نسمة لم يكن موجودا في تلك الفترة لانه تعريف حديث ، وبما أننا نركز في هذه الدراسة على مقارنة حضرية فلسطين مع بقية الدول في العالم على أساس المعايير والتعاريف التي كانت سائدة في تلك الفترة — أي قبل عام ١٩٤٨ — ، فإننا نستطيع القول أن جميع الدول الأوروبية والأمريكية تكاد تتفق فيما بينها على أن المكان الحضري هو ما زاد حجم سكانه على ٥ آلاف نسمة . وأنني أميل إلى تبني المعيار الأوروبي — الأمريكي لانه أكثر المعايير شيوعا ، ثم لأن الكثير من الحقائق عن فلسطين شوهدت من خلال أجهزة الاعلام الأوروبية والأمريكية التي استغلت ببراءة من قبل الدعاية الصهيونية ، ثم لأن فلسطين كانت خاضعة للانتداب البريطاني الذي كان يطبق معايير تتبنى وجهة النظر الأوروبية في تحديد حضرية المكان .

تشير كل الحقائق التاريخية صراحة إلى أن فلسطين عاشت لآلاف السنين كمنطقة امتازت بجماعات تبنت الحضرية والاستقرار أساسا لحياة سكانها ، ولهذا ظهرت مدن

تجارية وموانئ مهمة ، وكانت فلسطين تمثل بشكل عام همزة وصل تجاري بين أوروبا والشرق . وقد استمرت فلسطين حتى الفترة الحاضرة تتمتع بنمو ودرجة عالية من التحضر تفوق العديد من الدول الأوروبية . وتشير الإحصائيات الى أنه في الوقت الذي وصلت فيه نسبة السكان الحضر في فلسطين الى ٤٧ ٪ من مجموع السكان لعام ١٩٤٥ ، وصلت في النرويج الى ٢٨ ٪ فقط لعام ١٩٤٦ ، و ٣٣ ٪ في سويسرا لعام ١٩٤١ ، و ٣١٫٧ ٪ في الاتحاد السوفييتي لعام ١٩٣٩ ، كذلك فاقت نسبة السكان الحضر في اليابان التي وصلت الى ٣٨ ٪ عام ١٩٤٠ (٥) . كذلك تشير الإحصائيات في الجدول ( ١ ) الى أن نسبة التحضر في فلسطين كانت أعلى من نسبتها في السويد ، وبلا حظ من الجدول أيضا أن كندا والولايات المتحدة وفرنسا فاقت درجة التحضر في فلسطين بنسبة بسيطة .

وإذا ما قارنا درجة التحضر في فلسطين مع معدل درجة التحضر في العالم فإننا نجد أن نسبة السكان الحضر في فلسطين تزيد عن ضعفي معدل هذه النسبة بالنسبة لدول العالم كلها ، ففي الوقت الذي وصلت فيه هذه النسبة الى ٤٧ ٪ في فلسطين فإنها وصلت فقط الى ١٩ ٪ بالنسبة لبقية العالم (٦) .

جدول ( ١ ) : مقارنة بين نسب السكان الحضر في فلسطين وبعض دول العالم

| الدولة            | السنة | نسبة الحضر |
|-------------------|-------|------------|
| كندا              | ١٩٤١  | ٥٤٫٣ ٪     |
| الولايات المتحدة  | ١٩٤٠  | ٥٦٫٥ ٪     |
| فرنسا             | ١٩٤٦  | ٥٣ ٪       |
| النرويج           | ١٩٤٦  | ٢٨ ٪       |
| السويد            | ١٩٤٠  | ٤٤٫٤ ٪     |
| سويسرا            | ١٩٤١  | ٣٣ ٪       |
| الاتحاد السوفييتي | ١٩٣٩  | ٣١٫٧ ٪     |
| اليابان           | ١٩٤٠  | ٣٨ ٪       |
| فلسطين            | ١٩٤٤  | * ٤٧ ٪     |

المصدر : Peter Hall, The World Cities, p. 19.

\* مأخوذة من A Survey of Palestine, p. 818.

جدول رقم ( ٢ ) : مقارنة بين نسب السكان في المدن المائة الفية في فلسطين وبعض الدول العربية ( ١٩٣٢ - ١٩٣٧ )

| الدولة       | ( السكان بالآلاف ) | نسبة السكان |
|--------------|--------------------|-------------|
| سوريا ولبنان | ٦٠٩                | ٢٠٫٤٣ ٪     |
| فلسطين       | ٢٦٥                | ٢٠٫٤١ ٪     |
| العراق       | ٣٠٠                | ٩٫٤١ ٪      |
| مصر          | ١٤٢٣٠              | ١٣٫٤٣ ٪     |

المصدر : جمال حمدان ، المدينة العربية ، ص ٢٢ .

كذلك فإن نسبة التحضر في فلسطين كانت قد فاقت الكثير من دول العالم عدا الدول الأوروبية آنفة الذكر . فعلى سبيل المثال بلغت نسبة التحضر في الخمسينات في افريقيا حوالي ١٠ ٪ في المعدل ٤٠ كما تفوق نسبة التحضر في فلسطين في الاربعينات نسبة السكان الحضر في عدة دول أمريكية لاثينية حسب احصائها لعام ١٩٦٠ كبوليفيا التي وصلت فيها النسبة الى ١٥ ٪ وكوستاريكا والسلفادور وهايتي وهندوراس التي وصلت النسبة فيها حوالي ١٠ ٪ (٧) . وإذا ما قارنا وضع فلسطين مع بعض الدول العربية نجد أن نسبة سكان المدن الكبرى فيها كانت تزيد عن نسب كل من العراق ومصر ومساوية تقريبا لنسب لبنان وسوريا (٨) وكما هو واضح في الجدول ( ٢ ) .

وإذا اعتدنا تعريف جست وفافا (٩) كأساس لقياس نسبة التحضر والذي يعتمد على أخذ نسبة عدد سكان المدن المائة الفية فاننا نستطيع تصنيف فلسطين بكل سهولة ضمن المناطق ذات النسب العالية من التحضر على أساس أن سكان المدن المائة الفية تزيد عن ٢٠ ٪ من مجموع السكان . والواقع أنه إذا نظرنا الى احصاء ١٩٤٥ لوجدنا أن هذه النسبة تزيد عما كانت عليه في الثلاثينات إذ أن مجموع سكان المدن المائة الفية في فلسطين وهي القدس وحيفا وتل أبيب وصل الى ٤٦٢ الف نسمة أو ٢٦ ٪ من سكان فلسطين ( جدول ٣ ) ، بالإضافة الى ذلك يبدو حسب الاحصاءات المتوافرة والتقديرات الواردة في الجدول ( ٤ ) الى أنه في الوقت الذي كانت فيه نسبة سكان الحضر تتزايد كان هناك انخفاض مستمر في نسبة سكان المناطق الريفية مما يشير الى نوع من الهجرة البطيئة من الارياف الى المدن . فبينما كانت نسبة سكان الحضر في ١٩٣١ تصل الى حوالي ٤١ ٪ ارتفعت حسب التقديرات الى ٤٧ ٪ في عام ١٩٤٤ . ومن جهة أخرى انخفضت نسبة سكان الريف لنفس الفترة من ٥٣ ٪ الى ٤٩ ٪ .

ويلاحظ أن النسبة التقديرية للسكان الحضر لا تتفق تماما والارقام الصادرة في جدول ( ٥ ) والذي يشير الى أن نسبة سكان الحضر في ١٩٤٥ كانت ٤٢ ٪ . والواقع أن الفارق بين الرقمين يمكن أن يعزى لعاملين الأول أن النسبة ٤٧ ٪ هي نسبة تقديرية بينما النسبة ٤٢ ٪ هي نسبة احصائية فعلية . أما العامل الثاني فيمكن أن يعزى الى اختلاف في مفهوم وتعريف حضرية المكان بين المصدرين فمثلا يصنف مصدر الرقم الأول حضرية المكان على أساس حجم سكاني مقداره ٥ آلاف نسمة فما فوق (١٠) ، ولذلك لا نستطيع ان نعتبر مدينة جنين على أساس هذا التعريف مكانا حضريا ، إلا أن مصدر الرقم الثاني يدخل جنين ضمن المناطق الحضرية على أساس أنها مركز اداري لقضاء جنين (١١) ( انظر جدول ٣ و ٤ ) .

ورغم هذه الاختلافات البسيطة وحتى لو أخذنا النسبة ٤٢ ٪ أساسا لمقارنتنا فسيكون لدينا ما يكفي من الأدلة والشواهد الاحصائية لاثبات النقطة الرئيسية في هذه المناقشة وهي أن فلسطين لم تكن كما شوهدتها وصورتها أجهزة الدعاية الصهيونية على أنها صحراء مقفرة دخلتها قطعان نائمة من البدو وإنما كانت من أكثر دول العالم تقدما وتطورا إذ أن تركيز السكان في مناطق حضرية يشير في كثير من الاحوال الى تطور وسائل الخدمات والصناعات والتجارة والإدارات المحلية ذات المهارات العالية التي تمتلك قدرًا كافيًا من التقدم العلمي القادر على تسيير أمور هذه التجمعات السكانية . وحتى تبقى الحقيقة واضحة نقول انه كان هناك بدو في فلسطين إلا أن نسبة هؤلاء من السكان لم ترد عن ٦ ٪ من مجموع السكان كما هو واضح في الجدول ( ٤ ) .

جدول ( ٣ ) : أعداد ونسب السكان العرب واليهود في المراكز الحضرية الرئيسية بفلسطين

| النسبة | السكان اليهود | النسبة | السكان العرب | مجموع السكان | المركز            |
|--------|---------------|--------|--------------|--------------|-------------------|
| % ٦٢   | ٩٧٠٠٠         | % ٢٨   | ٦٠٠٨٠        | ١٥٧٠٨٠       | القدس             |
| % ٥٥   | ٧٥٥٠٠         | % ٤٥   | ٦٢٨٠٠        | ١٣٨٣٠٠       | حيفا              |
| % ٧٠   | ٦٦٢١٠         | % ٣٠   | ٢٨٠٠٠        | ٩٤٢١٠        | يافا              |
| % ٩٩٤٩ | ١٦٦٠٠٠        | % ٠٠٠٤ | ٦٦٠          | ١٦٦٦٦٠       | تل أبيب           |
| % ٠٠٠٤ | ٥٠            | % ٩٩٤٩ | ١٢٣١٠        | ١٢٣٦٠        | عكا               |
| % ٠٠٠٢ | ٨٠            | % ٩٩٤٩ | ٢٤١٧٠        | ٢٤٢٥٠        | غزة               |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٥٥٧٠         | ٥٥٧٠         | بئر السبع         |
| —      | —             | % ١٠٠  | ١٥١٦٠        | ١٥١٦٠        | الرملة            |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٢٤٥٦٠        | ٢٤٥٦٠        | الخليل            |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٨٠٠٠         | ٨٠٠٠         | رام الله — البيرة |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٨٠٩٠         | ٨٠٩٠         | طولكرم            |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٢٣٢٥٠        | ٢٣٢٥٠        | نابلس             |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٢٩٩٠         | ٢٩٩٠         | جنين              |
| —      | —             | % ١٠٠  | ١٤٢٠٠        | ١٤٢٠٠        | الناصرة           |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٥١٨٠         | ٥١٨٠         | بيسان             |
| % ٥٣   | ٦٠٠٠          | % ٤٧   | ٥٣١٠         | ١١٣١٠        | طبرية             |
| % ٢٠   | ٢٤٠٠          | % ٨٠   | ٩٥٣٠         | ١١٩٣٠        | صنف               |
| % ٩٩٤٩ | ١٧١٠٠         | % ٠٠٠٩ | ١٥٠          | ١٧٢٥٠        | بتاح تكفا         |
| % ٠٠٠١ | ٢٠            | % ٩٩٤٩ | ١٦٧٦٠        | ١٦٧٨٠        | اللد              |
| —      | —             | % ١٠٠  | ١١٢٢٠        | ١١٢٢٠        | خان يونس          |
| % ٩٩٤٩ | ١٠٠٠٠         | % ٠٠٠٢ | ٢٠           | ١٠٠٢٠        | راحيبوت           |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٩٩١٠         | ٩٩١٠         | المجدل            |
| —      | —             | % ١٠٠  | ٨٨٢٠         | ٨٨٢٠         | بيت لحم           |
| % ٠٠٠٣ | ٢٠            | % ٩٩٤٩ | ٧٨١٠         | ٧٨٣٠         | الخصيرة           |
| % ١٠٠  | ٥٠٧٠          | —      | —            | ٥٠٧٠         | ناتانيا           |
| % ١٠٠  | ٨١٠٠          | —      | —            | ٨١٠٠         | ريشون صهيون       |



جدول رقم (٥) : توزيع السكان الحضري في فلسطين حسب الإقضية لسنة ١٩٤٥

| القضاء    | مجموع السكان | عدد السكان الحضري | نسبة السكان الحضري |
|-----------|--------------|-------------------|--------------------|
| عكا       | ٦٨٢٢٠        | ١٢٢٦٠             | ٪ ١٨               |
| بئر السبع | ٥٢٧٠٠        | ٥٥٧٠              | ٪ ١٠               |
| بيسان     | ٢٢٥٩٠        | ٥١٨٠              | ٪ ٢٢               |
| قزة       | ١٢٧١٨٠       | ٥٥٢٨٠             | ٪ ٤٠               |
| حيفا      | ٢٢٤٦٢٠       | ١٤٩٧٧٠            | ٪ ٦٧               |
| الخليل    | ٨٩٦٥٠        | ٢٤٥٦٠             | ٪ ٢٧               |
| بافا      | ٢٧٢٨٠٠       | ٢٠٢٧٦٠            | ٪ ٥٤               |
| جنين      | ٥٦٨٨٠        | ٢٩٩٠              | ٪ ٧                |
| القدس     | ٢٤٦٦٥٠       | ١٦٩٦١٠            | ٪ ٦٩               |
| نابلس     | ٨٩٢٠٠        | ٢٣٢٥٠             | ٪ ٢٦               |
| الناصرة   | ٤٦١٠٠        | ١٦٥١٠             | ٪ ٣٦               |
| رام الله  | ٤٧٢٨٠        | ٨٠٠٠              | ٪ ١٧               |
| الرملة    | ١٢٧٢٧٠       | ٣٢٢٨٠             | ٪ ٢٦               |
| صنف       | ٥٣٦٢٠        | ١١٩٢٠             | ٪ ٢٢               |
| طبرية     | ٢٩٢٠٠        | ١١٢١٠             | ٪ ٣٩               |
| طولكرم    | ٨٦١٤٠        | ١٣١٦٠             | ٪ ١٥               |
| المجموع   | ١٧٦٤٥٢٠      | ٧٤٦٦٢٠            | ٪ ٤٢               |

المصدر : Sami Hadawi, Village Statistics, p. 39.

### التباين الجغرافي في توزيع السكان الحضري

كما هو الحال في كل دول العالم هناك تباين جغرافي واضح في انتشار وتوزيع السكان الحضري في فلسطين حسب المناطق الرئيسية . فقد كانت فلسطين مقسمة الى ستة عشر قضاء كما هو مبين في شكل ( ١ ) ، وإذا ما نظرنا الى نسب التحضر في هذه المناطق الإدارية الست عشرة لوجدنا أن هناك مناطق تتميز بتركز عال للسكان الحضري بينما هناك مناطق تتميز بنسب منخفضة . ويعتبر قضاء القدس أكثر المناطق تحضرا في فلسطين إذ وصلت نسبة السكان الحضري فيه الى ٦٩ ٪ من مجموع السكان بينما يعتبر قضاء جنين من أقل المناطق تحضرا إذ لم تزد نسبة السكان الحضري فيه عن ٧ ٪ . ويمكننا بشكل عام تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق جغرافية رئيسية على أساس

نسبة التحضر . فهناك المناطق التي تقل فيها نسبة السكان الحضر عن ٢٠ ٪ من مجموع السكان وتشمل خمسة أفضية كما هو مبين في الجدول ( ٥ ) والشكل ( ١ ) وهي عكا ، جنين ، طولكرم ، رام الله ، و بير السبع ، وتغطي في هذه المناطق وخاصة الأفضية الثلاثة الأولى حرفة الزراعة بينما ترتفع نسبة السكان البدو في القضاء الخامس اي في بئر السبع . وهناك المناطق التي تمتاز بنسب متوسطة من التحضر تتراوح بين ٢٠ — ٤٠ ٪ من مجموع السكان وتقل في هذه المناطق نسب الذين يمتنون الزراعة بينما ترتفع نسب الذين يمارسون حرفا أخرى كالصناعة والتجارة والخدمات ، وتشمل هذه المناطق أفضية صفد ، طبرية ، بيسان ، الناصرة ، نابلس ، الرملة ، والخليل . وتعتبر مدينتا نابلس والخليل أهم مركزين للصناعة والتجارة ضمن هذه المناطق . اما مناطق المجموعة الثالثة فتمتاز بنسب عالية من التحضر وتشمل أربعة أفضية هي حيفا ، يافا ، القدس ، وغزه . وتعتبر منطقتا القدس وحيفا أكثر المناطق تحضرا اذ تصل نسبة التركز الحضري في الأولى الى ٦٩ ٪ وفي الثانية ٦٧ ٪ ، بينما تعتبر غزه أقل منطقة حضرية ضمن هذه المجموعة اذ أن النسبة فيها ٤٠ ٪ . وتتسم هذه المناطق بتركيز شديد على الفعاليات والنشاطات التجارية والصناعية والخدمات بينما تنخفض الفعاليات الزراعية فيها بشكل كبير . ومما يلفت النظر ان هذه الأفضية شملت على حوالي مليون نسمة من مجموع سكان فلسطين الذي بلغ في تلك الفترة حوالي ٧ مليون نسمة ، وبشكل آخر يمكن القول ان الأفضية الأربعة تشمل على حوالي ٥٥ ٪ من مجموع سكان فلسطين .

### التباين الجغرافي لتوزيع السكان الحضر العرب واليهود

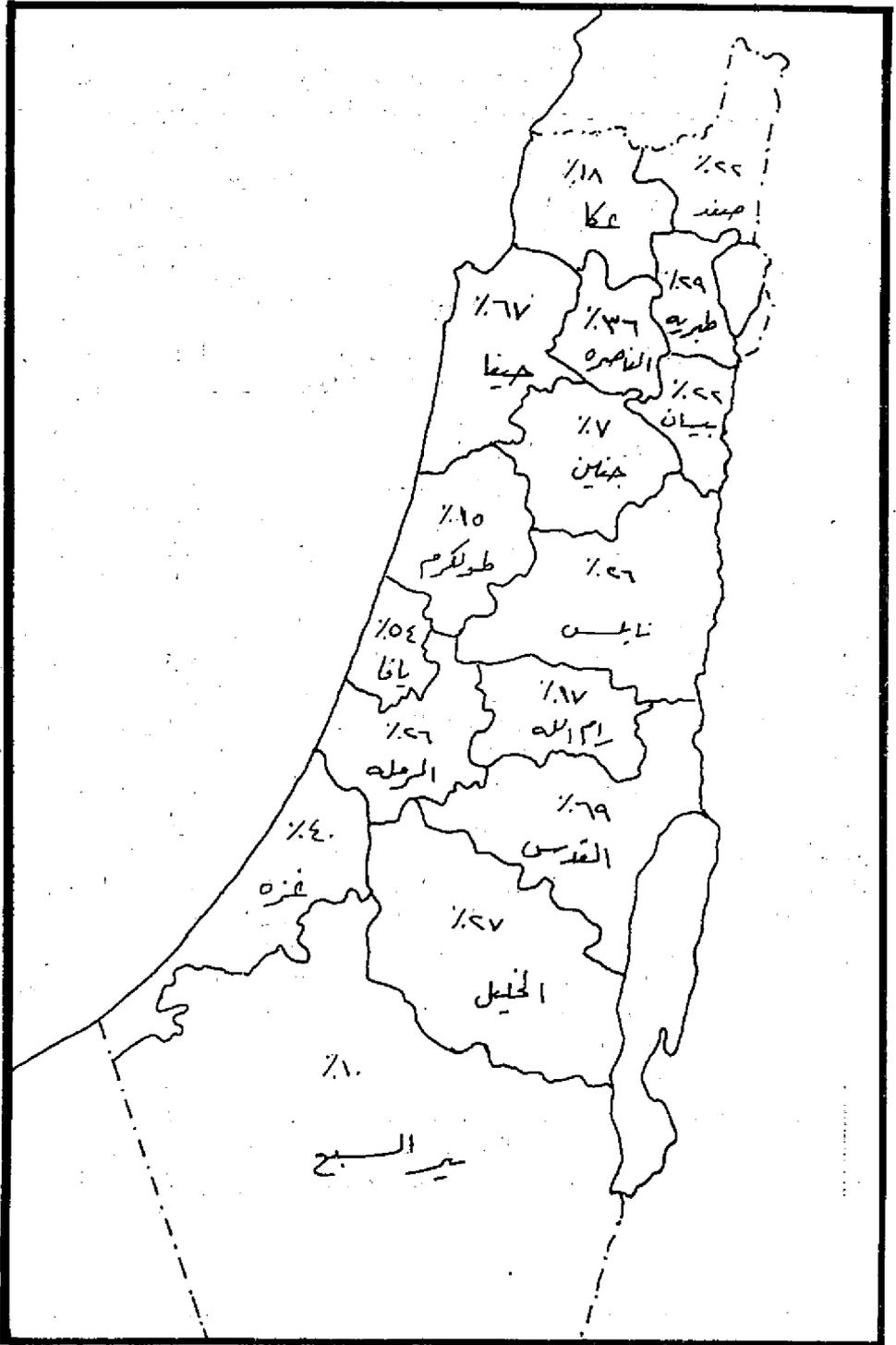
يلاحظ في التوزيع الجغرافي للسكان تباين واضح في طبيعة انتشار وكثافة التركز السكاني بين العرب واليهود في المراكز والمناطق الحضرية الرئيسية ، كما يلاحظ أيضا من الجدول ( ٤ ) ان السكان اليهود كانوا يتركزون بشكل عام بنسب أكبر في المدن والمناطق الحضرية من الفلسطينيين العرب . الا انه تجدر الإشارة ان نسبة التحضر بين المسيحيين الفلسطينيين كانت أعلى نسبة بين أصحاب الديانات الثلاث اذ بلغت نسبة التحضر بين المسيحيين ٨٠ ٪ وبين اليهود ٧٥ ٪ وبين المسلمين ٢٩ ٪ . ويمكن ان يعزى هذا التركز الحضري اليهودي العالي الى عدة عوامل :

( ١ ) ان معظم اليهود جاؤوا مهاجرين وكانوا كما يبدو يفضلون الإقامة في مدن تتمتع بنسبة كبيرة من اليهود لان عامل الامن والطمانينة النفسية عنصر مهم في اختيار المهاجرين لمناطق سكنهم الجديدة .

( ٢ ) تركز معظم اليهود في حيفا ويافا لانهما كانا الميناءين الرئيسيين لاستقبال المهاجرين ، ويبدو أيضا ان الكثيرين من المهاجرين اليهود لم يرغبوا في الانتقال من هذه المدن في فترة كان الريف الفلسطيني وبقية المناطق تشكل مصدر عداوة ومقاومة لطلائع الحركة العدوانية الصهيونية .

( ٣ ) ان معظم المهاجرين اليهود كانوا من ذوي الخبرات والكفاءات الحضرية التي لم تكن تلائمها البيئات الريفية ، ففضلوا البقاء في مراكز حضرية تتوفر فيها الأعمال الملائمة لخبراتهم .

( ٤ ) ان رقعة الأرض الزراعية المملوكة من قبل اليهود كانت تشكل نسبة قليلة من مجموع الأرض الفلسطينية اذ أنها لم تزيد عن ٦ ٪ ولم تكن هذه الرقعة قادرة على إعالة الأعداد الكبيرة للمهاجرين الجدد .



شكل (1) : نسب توزيع السكان الحضري في اقصية فلسطين

والواقع ان التركيز الحضري لليهود في فلسطين هو استمرار لنمط تميزت به التجمعات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة حيث ان الاغلبية الساحقة من اليهود تتجمع في المدن والمراكز الحضرية الرئيسية ، وأفضل مثال يؤخذ من الولايات المتحدة اذ ان حوالي ٨٠ ٪ من اليهود يتركزون في بضع مدن أمريكية كنيويورك ، شيكاغو ، سان فرانسيسكو ولوس انجلوس ، وميامي . ومن جهة أخرى فان ارتفاع نسبة الريفيين بين المسلمين في فلسطين يعكس الانتشار الواسع والارتباط الطويل الأمد بين السكان العرب الفلسطينيين الذين كانوا يمتلكون معظم الأراضي كما يعكس من ناحية ثانية قلة اهتمام المهاجرين اليهود بالزراعة رغم كل المغريات التي قدمتها الحركة الصهيونية لجذب الايدي العاملة اليهودية للعمل في الزراعة .

وتدل احصائيات الجدول ( ٣ ) ان نسبة تركيز اليهود في بعض المدن كتل ابيب وناثانيا وريشون صهيون كانت عالية جدا اذ أنها زادت عن ٩٩ ٪ من مجموع السكان فيها ، كما ان هناك مدنا أخرى مثل اليهود فيها النسبة الغالبة من السكان الحضر كما هو الحال في يافا والقدس وحيفا وطبرية . الا انه في نفس الوقت تميز الكثير من المدن الفلسطينية بغياب السكان اليهود منها بشكل مطلق كما هو في مدن بير السبع ، الرملة ، الخليل ، رام الله ، البره ، طولكرم ، نابلس ، جنين ، بيسان ، خان يونس ، المجدل ، وبيت لحم . وهناك مدن أخرى كانت الاغلبية فيها عربيا كاللد وصفد وغزه وعكا ، وبشكل عام نستطيع القول ان معظم المراكز الحضرية كانت فيها اغلبية فلسطينية .

وإذا ما قارنا بين توزيع السكان الحضر العرب واليهود في فلسطين على أساس الإقضية فانه تبرز صورة أخرى مشابهة للتوزيع السابق والقائم على أساس المراكز الحضرية . فالسكان اليهود شكلوا نسبة كبيرة في اقصية حيفا ويافا والقدس والرملة وطبرية . وتدل المقارنات المبينة حسب الجدول ( ٦ ) والشكل ( ٢ ) ان هناك بعض المناطق التي تزيد فيها نسبة التحضر بين السكان العرب عنها بين السكان اليهود . فعلى سبيل المثال وصلت نسبة التحضر بين السكان العرب في قضاء بيسان الى ٣١ ٪ من مجموع السكان العرب الذين بلغت نسبتهم في القضاء ٧٠ ٪ ، الا ان نسبة التحضر بين السكان اليهود في هذا القضاء كانت معدومة على الرغم من ان نسبة السكان اليهود في القضاء بلغت ٣٠ ٪ من السكان ، وهذا التوزيع يعكس نوعية النشاط الاقتصادي للمجموعات اليهودية في هذا القضاء والذي كان يعتمد على الزراعة ضمن مستوطنات الكيبوتز والموشاف . وهناك مثال آخر مشابه هو قضاء الناصرة حيث زادت نسبة السكان الحضر العرب عن نسبة السكان الحضر اليهود ، فبينما وصلت النسبة بين العرب الى ٤٠ ٪ كانت بين السكان اليهود ٣٠ ٪ . ويمثل قضاء عكا وقضاء غزة مثالين آخرين للمناطق التي زادت فيها نسبة السكان الحضر العرب عن نسبة السكان الحضر اليهود . الا أنه في نفس الوقت كانت هناك اقصية كالقدس والرملة ويافا وطولكرم تمتاز بنسب مرتفعة من السكان الحضر اليهود ، ويبرز هذا واضحا بشكل رئيسي في القدس اذ وصلت نسبة السكان الحضر اليهود الى ٩٧ ٪ من مجموع السكان اليهود في هذا القضاء ، كما وصلت الى ٧٦ ٪ في قضاء يافا و٧٢ ٪ في قضاء حيفا .

### الخلاصة

اننا حينما نحث ظاهرة التحضر في فلسطين فاننا لا نحاول دراسة تحضر الدولة على اساس التمييز بين السكان سواء كانوا من اديان او اجناس متعددة ، وانما نقارنها وفق النسبة العامة الآخذة بنظر الاعتبار مجموع السكان . فنحن عندما نتحدث



شكل (٢) : نسب السكان الحضرية العرب واليهود حسب الإقضية  
 الرقم الدول في كل قضاء يمثل العرب والرقم الثاني يمثل اليهود

جدول ( ٦ ) : توزيع السكان العرب واليهود الحضر في فلسطين حسب الإقضية لسنة ١٩٢٥

| القساء    | مجوع السكان العرب | نسبة السكان العرب | مجوع السكان الحضر | نسبة العرب الحضر | مجوع السكان اليهود | نسبة السكان اليهود | مجوع اليهود الحضر | نسبة اليهود الحضر |
|-----------|-------------------|-------------------|-------------------|------------------|--------------------|--------------------|-------------------|-------------------|
| مكلا      | ٦٥٢٨٠             | ٪ ٩٦              | ١٢٢١٠             | ٪ ١٩             | ٢٥٥٠               | ٪ ٤                | ٥٠                | ٪ ٢               |
| بر المسبح | ٥٢٧٠٠             | ٪ ٩٩٤٧            | ٥٥٧٠              | ٪ ١٠             | ١٥٠                | ٪ ٠٤٢              | —                 | —                 |
| بيسان     | ١٦٥٩٠             | ٪ ٧٠              | ٥١٨٠              | ٪ ٣١             | ٧٠٠٠               | ٪ ٣٠               | —                 | —                 |
| عزة       | ١٢٤٢٩٠            | ٪ ٩٨              | ٥٥٢٨٠             | ٪ ٤١             | ٢٨٩٠               | ٪ ٢                | ٨٠                | ٪ ٣               |
| حيفا      | ١٢٠٠١٢٠           | ٪ ٥٢              | ٧٤٢٤٠             | ٪ ٦٢             | ١٠٤٥١٠             | ٪ ٤٧               | ٧٥٥٢٠             | ٪ ٧٢              |
| الخاليل   | ٨٩٥٧٠             | ٪ ٩٩٤٩            | ٢٤٥٦٠             | ٪ ٢٧             | ٨٠                 | ٪ ٠٤١              | —                 | —                 |
| بنا       | ١٠٩٧٠٠            | ٪ ٢٩              | ٨١٠٠              | ٪ ١٠             | ٢١٤١٠              | ٪ ٧١               | ٢٠١٩٥٠            | ٪ ٧١              |
| جنين      | ٥٧٨٨٠٠            | ٪ ١٠٠             | ٢٩٩٠              | ٪ ٧              | —                  | —                  | —                 | —                 |
| القدس     | ١٤٢٧٥٠            | ٪ ٦٠              | ٧٢٣١٠             | ٪ ٤٩             | ١٠٠٠٢٠٠            | ٪ ٤٠               | ٩٧٠٠٠             | ٪ ٩٧              |
| نابلس     | ٨١٢٠٠             | ٪ ١٠٠             | ٢٢٢٥٠             | ٪ ٢٦             | —                  | —                  | —                 | —                 |
| السامرة   | ٢٨٥٠٠             | ٪ ٨٤              | ١٤٢١٠             | ٪ ٤٠             | ٧٦٠٠               | ٪ ١٦               | ٢٣٠٠              | ٪ ٣٠              |
| رام الله  | ٤٧٢٨٠             | ٪ ١٠٠             | ٨٠٠٠              | ٪ ١٧             | —                  | —                  | —                 | —                 |
| الرملة    | ٩٧٨٥٠             | ٪ ٧٧              | ١٥١٨٠             | ٪ ١٦             | ٢٩٤٢٠              | ٪ ٢٣               | ١٨١٠٠             | ٪ ١٢              |
| مسجد      | ٤١٩٤٠             | ٪ ٨٨              | ٩٥٢٠              | ٪ ٢٠             | ٦٧٠٠               | ٪ ١٢               | ٢٤٠٠              | ٪ ٣١              |
| طوبية     | ٢٦١٠٠٠            | ٪ ٦٧              | ٥٢١٠              | ٪ ٢٠             | ١٢١١٠٠٠            | ٪ ٣٢               | ٦٠٠٠              | ٪ ٤١              |
| مولاكم    | ٧١٢٤٠             | ٪ ٨٢              | ٨٠١٠              | ٪ ١١             | ١٤٩٠٠              | ٪ ١٧               | ٥٠٧٠              | ٪ ٢٤              |
| الجموع    | ١٢١٠٩٢٠           | ٪ ٦٩              | ٢٤٥٥١٠            | ٪ ٢٩             | ٥٥٢٦٠٠             | ٪ ٢١               | ٤٠٨٤٨٠            | ٪ ٧٤              |

المصدر : Sami Hadawi, Village Statistics, p. 39.

عن التحضر في الولايات المتحدة مثلا فاننا نعني التحضر بين جميع السكان من بيض وسود مسيحيين ويهود . والمقارنات التي أجريناها هنا بين فلسطين وبقية دول العالم انطلقت من هذا المفهوم . وحينما لجأنا الى المقارنة بين اليهود والعرب فقد أردنا ان نوضح انه حتى اذا أراد البعض استخدام الجنس والدين للتبيان على حضرية فلسطين فان الاحصائيات التي وردت ضمن هذه الدراسة اشارت الى ان عرب فلسطين كانوا على درجة عالية من التحضر اذا ما قورنت مع كثير من الدول الاوروبية والافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية . ولئن تميز السكان اليهود بدرجة عالية من التحضر فافتت درجة التحضر بين العرب الفلسطينيين فلأنهم جاؤوا وهاجروا من مناطق كانت تؤهلهم بخبرات وكفاءات لا تصلح في الغالب الاحياء المدن ، ومن هنا جاء تركيزهم في مراكز حضرية رئيسية محدودة . والواقع ان هذا التركيز الحضري الشديد من قبل اليهود كان مخالفا لاهداف الحركة الصهيونية التي أرادت ان يشغل معظم المهاجرين في الزراعة ليتسنى لهم السيطرة على الارض التي خططوا لاحتلالها بالقوة والعدوان .

ومع ذلك لاحظنا ان هناك أفضية عديدة زادت فيها نسبة السكان الحضريين العرب عن السكان الحضريين اليهود كما هو الحال في بيسان والناصرة وغزه ، كما ان هناك أفضية أخرى انعدم فيها وجود اليهود كأفضية جنين ونابلس ورام الله . كذلك ظهرت هناك بعض الأفضية التي ارتفعت فيها نسبة الحضريين العرب ونماقت نسبة الحضريين العرب كما هو الحال في أفضية حيفا ويافا والقدس . وبالرغم من ان نسبة السكان اليهود الحضريين في فلسطين كانت أعلى منها من نسبة السكان العرب الحضريين فقد جاء ذلك نتيجة عدة عوامل عكست بشكل رئيسي خبرات ومهارات حصل عليها اليهود وخاصة أولئك القادمون من أوروبا ، ولم تتوافر ظروف مماثلة للعرب الفلسطينيين للحصول عليها . ثم ان ارتباط الفلسطينيين الشديد بأرض يمكن ان يكون تفسيراً لارتفاع نسبة السكان الريفيين بين عرب فلسطين . ومجمل القول فاننا نستطيع التأكيد معتمدين على قواعد وأدلة احصائية متعددة الى ان فلسطين كانت منطقة عمرانية مزدهرة ، نهي الى جانب انتشار المجتمعات المستقرة فيها وانتشار الزراعة في أراضيها ، فقد تميزت بنسب عالية من سكانها بممارسة فعاليات ونشاطات تجارية وصناعية وادارية تركزت في مناطق حضرية ضاهت في نسبها واعداد سكانها الكثير من دول العالم .

طرابلس ، ١٩٧١ ، ص ٥٢ .  
 ٧ - نفس المصدر ، ص ٢٣ .  
 ٨ - د. جمال حداد ، المدينة العربية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦٤ ، ص ٢٢ .  
 ٩ - السنواتي ، المصدر السابق ، ص ١٥ .  
 ١٠ - A Survey of Palestine, Prepared in Dec. 1945 and Jan. 1946 for the Information of the Anglo-American Committee Inquiry, Vol. II, Palestine, the Government Printer, p.818.  
 ١١ - Sami Hadawi, Village Statistics, 1945, Beirut, Palestine Research Center, 1970, pp. 13-14 and 40-77.

1 - United Nations, Demographic Yearbook, New York, 1960, p. 34.  
 ٢ - David Herbert, Urban Geography; A Social Perspective, New York, Praeger Publishers, 1973, p. 25.  
 ٣ - د. جمال حداد ، جغرافية المدن ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٠ ، ص ٥٤ .  
 ٤ - نفس المصدر ، ص ٥٥ .  
 ٥ - Peter Hall, The World Cities, New York, McGraw-Hill Book Co., 1969, p. 19.  
 ٦ - د. هيفاء السنواتي، ظاهرة النمو الحضري، في كتاب النمو الحضري في الوطن العربي ، ادارة الشؤون الاجتماعية والشباب ، ليبيا ،

## الأرض في الحكاية الشعبية الفلسطينية

خليل السواحري

مصطلح الأرض في هذه الدراسة لا يعني مجرد « المكان » بمعناه الفني ، على غرار الزمان والحدث والبطل في الحكايات أو القصص الصغيرة . ولكنه يعني هنا بالإضافة الى الدلالة الفنية لمصطلح المكان ، الأرض بكل معانيها وظلالها انه يعني « الوطن » بكل ما يتفرع عن هذه الكلمة من دلالات متنوعة ، وعليه فان مصطلح الأرض حيثما يرد في هذه الدراسة يعني « الوطن » وتلك هي الغاية الأساسية التي استهدفتها هذه الدراسة .

مرت الحكاية الشعبية الفلسطينية ، خلال الفترة منذ عام ١٩٤٨ وحتى الان ، بتغيرات شبة جذرية يمكن معها ان نقسم هذه الحكاية الى نمطين مختلفين وان لم يكونا متغايرين ، وهذان النمطان هما : أ - الحكايات التي رويت وما تزال تروى فوق الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ او الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ وبالامكان تسمية هذا النوع من الحكايات « بالحكايات المقيمة » . ب - الحكايات التي رويت وما تزال تروى خارج الأرض الفلسطينية في المنافي والمهاجر ورواة هذه الحكايات هم أبناء فلسطين المتقدمون في السن ممن حفظوا هذه الحكايات اثناء وجودهم ، في فلسطين قبل النزوح الاول او النزوح الثاني ويمكن تسمية هذا النوع « بحكايات المنفى » .

وقد تعرض النوع الاخير من « الحكايات » الى تأثيرات متعددة سلبت بشكل او بآخر مصطلح الأرض فيها من ايحاءاته الواقعية ، وقد وجدت نفسي مضطراً ورغم كل هذه التحفظات الى الاعتماد على « حكايات المنفى » في تقصي مفهوم الأرض في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، وذلك لصعوبة الحصول على الحكايات المقيمة من جهة ، وفي محاولة لمعرفة الاثار التي خلفتها تجربة الاغتراب والمنافي على الحكايات المهاجرة . وقد حاولت قبل ان اشعر في كتابة هذه الدراسة ان اقرأ كل ما امكنتي الحصول عليه من حكايات شعبية فلسطينية(١) ، وتبين لي ان عددا لا يستهان به من هذه الحكايات يصر على تحديد ماهية المكان الذي ينحرك فوقه أبطال هذه الحكايات ، وتلك ميزة لم أجدها في الحكايات الشعبية الفلسطينية كلها كما لم أجدها في معظم الحكايات الشعبية غير الفلسطينية ، وربما كان ذلك راجعاً بشكل عام الى ان الحكايات الشعبية ، على اختلاف انواعها ، لا تصر على تحديد ماهية المكان بقدر ما تحصر اهتمامها في شخصية البطل والحدث والاسقاطات الطبقيّة التي يمثلها البطل(٢) .

واذا كان ثمة سمة أساسية تحدد ملامح الحكايات الشعبية في بلد ما فهي ، كما هو معروف علمياً وبحكم هجرة الحكايات من بلد الى آخر ، ليست مسألة الاطر الجغرافية للمكان ولكنها مسألة الاطر الحضارية والثقافية والانتروبولوجية للشعب الذي يقطن هذا المكان ، ومن هنا جاء الاختلاف في الحكايات الشعبية بين شعب وآخر

وجاء التشابه بين الحكايات الشعبية لمختلف مناطق الوطن العربي ، وقد حاولت في هذه الدراسة ان اغض النظر عن كل عوامل التشابه ، بقصد التأكيد على ابراز الجانب المتميز في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، راجيا ان اتبه الى ان مسألة ذكر الحدود الجغرافية في الحكايات الشعبية الفلسطينية ليست ميزة فريدة وخاصة بهذه الحكايات ، ولكن وبالنظر الى كون هذه الحكايات من النوع المهاجر ( الذي روي ويروي خارج الارض الفلسطينية ) وبالنظر الى الاصرار الواضح في هذه الحكايات على ايراد أسماء الاماكن والمدن والقرى الفلسطينية واعطاء التحديدات الصارمة الجغرافية لهذه الارض وحتى أسماء النباتات والاشجار فيها ، فقد رأيت ان في ذلك دلالة واضحة على أصالة هذه الحكايات وعلى كونها — ما دامت تروى في المهجر — قد ظلت مشدودة الى المناخ الجغرافي والحضاري الذي أفرزها . ولسوف أورد فيما يلي بعض النماذج من هذه الحكايات التي تحدد فلسطين على خارطة العالم العربي كمكان لوقوع أحداثها وتحرك أبطالها :

١ — في حكاية تحمل اسم « مصر الجاني » (٢) وتروي قصة امرأة قتل زوجها في بلاد الشام فهربت الى فلسطين حفاظا على عرضها نجد هذا التحديد الواضح لاماكن تحرك المرأة من الشام الى فلسطين : « فتضايقت المرأة من هذا الجو الخانق ، الذي لم تجد فيه من تشكو اليه ورحلت من الشام الى فلسطين باولادها » ، وفي موضع لاحق من الحكاية ترد هذه العبارة : « وحينها وصلت المرأة الى جسر على نهر بين الشام وفلسطين » .

٢ — وفي حكاية ثانية اسمها « ملك السكرية » (٤) نجد ان السكرية رمز لفلسطين او احدى المناطق فيها ، حيث تكون هذه البلاد مغبرا للقوافل التي تنتقل بين الشام ومصر ، وتحدد هذه المسألة بداية الحكاية التي ترد على النحو التالي « كان ملك في بلاد السكرية يقال له الاسد ، ولما جلبوا من بلاد الشام اربعين حمل زعفران وناموا عنده في تلك الليلة قال لهم : ما هذا ؟ قالوا زعفران ، قال : الى أين تريدون ؟ قالوا : الى ملك مصر » .

٣ — وفي حكاية ثالثة تدعى « حكاية منصور » (٥) نرى الشاب البدوي الفلسطيني يحب ابنة عم له ويتغزل بها ، وكعادة العرب ، يرجل بها اخوتها الى مكان مجهول من فلسطين فيخرج للبحث عنها في مكان يقع شمال فلسطين ويدعى « عين السويداء » :

حيث عين السويداء مع الضحى اتتني بنات واردات على ماها

وحيث يعلم اخوتها بمقدمه يرطلون باختهم الى بلاد الشام « ثم شدوا على دوابهم واخذوا اختهم وارتحلوا بها من ذلك المكان وقصدوا بلاد الشام » . أما الشاب فقد ضل في بحثه عنها حتى وصل الى مصر ، حيث يقال له هناك :

صاحبك في دمشق يا ولسد في مدينة يخرج عليها وكيها

شفتاه بعيونا في دمشق يا ولد ... الخ .

ومن الملاحظ ان هذه الحكاية البدوية الفلسطينية حصرت اماكن تنقل أبطالها داخل فلسطين من جانب وخارجها الى مصر والشام من جانب آخر .

٤ — وفي حكاية أخرى حملت اسم « بنت تايه الراي » (٦) نجد بالإضافة الى تحديدها جنسية والد الفتاة ( شامي ) نوعا آخر من التحديد لهوية الرجل الفلسطيني الذي أراد أن يتزوج بهذه الفتاة ، ففي محاولة هذا الرجل للزواج بابنة صديقه الشامي نراه يقدم لها اشتراطات هي في مجملها تحديد لهوية المرأة الريفية الفلسطينية يقول بها :

تسموف تحملين قربة الماء على ظهرك .

فتقول : لا مانع عندي من ذلك .

فيقول لها : وتحملين الفأس للتحطيب .

فتحجب : افعل كما تفعل بنات البدو .

ويقول : وتحبزين على الصباح وتحلبين النعاج .. الخ وتلك هي نماذج مما تقوم به المرأة الفلسطينية في بادية فلسطين ومعظم قرى الجنوب الفلسطيني .

ويطول بنا الاستشهاد بهذه الأنماط من الحكايات ، وهي جميعها تحدد كما لاحظنا الأرض الفلسطينية كموقع مكاني لإحداثها على خارطة العالم العربي ، وهو موقع يتوسط الشام ومصر ويتنقل الأبطال عبره بين هذين القطرين ، وينتمي أغلبهم الى فلسطين رغم ان بعضهم ينتمي الى الشام ( المرأة في حكاية مصير الجاني والزوجة في حكاية بنت تايه الراي ) ، وبعضهم ينتمي الى مصر كما جاء في حكاية « عايق الشام وعايق مصر » وبطلا هذه الحكاية رجلان أحدهما مصري والثاني شامي يلتقيان في فلسطين ، وباستثناء « حكاية منصور » كان ترحال أبطال الحكايات يتم بين الشام ومصر عبر فلسطين ، إلا ان هناك نمطا من الحكايات يجعل من فلسطين المكان الرئيسي لحركة الأبطال بالإضافة الى التأكيد السابق على عراقية التواصل الجغرافي بين الأقطار الثلاثة الشام وفلسطين ومصر . ومن ذلك على سبيل المثال الحكاية التي تدعى « ثار الاخت » (٧) ففيها نرى العائلة تنتقل داخل فلسطين من مكان الى آخر « وفي مضارب ثانية وثالثة الى السادسة ، فقيل لهم : لم يبق الا عزيان زي ما تقول ناحية فلسطين ، ناحية حيفا ، ناحية يافا .. الخ » .

وفي حكاية أخرى حملت اسم « المال في النهر » (٨) نجد بداية الحكاية على النحو التالي : « كان في قديم الزمان وسالف العصر والإوان رجلان ، كان واحد ساكنا في الشام والثاني ساكن في فلسطين » وأثناء زيارة الأول للثاني ترد هذه الفقرة في وصف أماكن التحرك « عندما أصبح الصبح ، مشى ابو سعيد حتى انه قرب يوصل فلسطين ، وصل عند « الشريعة » وعندما أراد ان يقطع الشريعة زلقت فرسه » .

وفي حكاية تدعى « حكاية عيشه وام عيشه » (٩) ترد على لسان الراوي هذه الفقرة في بداية الحكاية « كان هناك رجل زوج ابنته غرييبة ، زي ما تقول من ساريس لخلده — ومن المعروف ان ساريس هي إحدى قرى قضاء القدس وخلده هي إحدى قرى قضاء الرملة — وهذه الحكاية كما هو واضح تحدد اسمي قريتين فلسطينيتين كما سبق ان حددت حكاية ثار الاخت اسمي مدينتين فلسطينيتين — حيفا ويافا .

وقبل أن نتجاوز هذا النمط من الحكايات — الترحال داخل فلسطين وذكر أسماء المدن والقرى والمواقع — أريد أن أؤكد بحقيقة كون معظم حكايات الترحال تنتمي الى أصول بدوية فلسطينية يؤكد ذلك « حكاية منصور » وحكاية « ثار الاخت » . إلا أنني وجدت مع ذلك ان هناك حكاية قدمت لنا نمطا من ترحال الفلاح / المزارع وهو الذي يفترض فيه أن يكون ملتصقا بالأرض لا مرتحلا عنها ، وحتى تبرر الحكاية مسألة ترحال هذا الفلاح ربطت ذلك بمعتقد خرافي زواج بين الحظ والنحس وإيراق الشجر وجفافة ، ففي الحكاية التي سميت « تزوجت ابنتها » (١٠) والتي بنيت فيما يبدو على معتقد خرافي مهاجر (١١) — المعتقد الذي قامت عليه مسرحية أوديب — نجد بطل الحكاية ، بعد أن فقد أولاده ينتقل داخل فلسطين ليعمل بستانيا ، « اشتغل اول السنة في بلدة مثل القدس وفي وقت الربيع أوزقت كل الأشجار الا شجرته لم تدر فيها الحياة ولم يخضر

عليها ورق ، فترك المكان الى غيره ، وشد ما كان عجبه حينما كان يرى ان الشجرة التي يصطفها لنفسه هي التي لا تخضر ، وفي كل سنة يتحول الى بستان جديد حتى تعددت عليه السنون وكثرت الى ان انتهى الى بلاد غزة ، وفي غزة اشتغل بستانيا في احدى البيارات وانتقى له شجرة معينة فيها وكانت دهشته بالغة حينما رأى ان شجرته قد اخضرت مع سائر الاشجار ، ابتهج بالمنظر ثم قال : — البلاد طلبت أهلها .

وميزة هذه الحكاية ليست في ذكرها لاسماء المدن الفلسطينية فحسب ولكن في ربطها القدرى والميتافيزيقي بين ابراق الشجر وعودة الانسان الفلسطيني الى أرضه ، ومثل هذا الربط بين الشجرة والपालع يؤكد على مدى اصالة الارتباط بالارض وجعل ذلك موازيا للقدر — العودة الى الارض مرهونة بابراق الشجرة التي هي الارتباط الحميم بالارض — وليس ذلك فقط ، فهناك حكاية أخرى شبيهة بهذه الحكاية جعلت الشجرة مرادفا للحياة — الاحتفاء بالشجرة للمحافظة على الحياة احتفاء خرافيا ولا معقولا — ففي الحكاية التي تسمى « الاخت الغولة » (١٢) نرى البطل يحتمى بالشجرة انفاذا لحياته ، ونرى الشجرة ليست مجرد مخبأ مرتفع لا تتمكن الغولة من ان تطل البطل منه ، ولكنها شجرة اسطورية تحمل نوعا من الدلالة الزمنية للانتفاء التاريخي للارض ، فهو حين يهرب الى الشجرة نراه يقول « اوطي يا شجرة أمي وابوي ، فتنصر الشجرة فيصعد اليها ، ثم ترتفع عالية في السماء » .

واذا كانت ظاهرة التأكيد على الارض الفلسطينية ( فلسطين بشكل عام وموقعها بين الشام ومصر او بشكل خاص المواقع والمدن والقرى الفلسطينية ) هي احدى السمات البارزة في حكايات المنفى ، فان ثمة سمة أخرى لا تقل أهمية ، تبدو واضحة في هذه الحكايات التي ما تزال في التجمعات الفلسطينية خارج الارض المحتلة ، فهي بالاضافة الى احتفاظها باسماء المواقع والاماكن الفلسطينية ، وتشبث ذكرة رواتها بهذه الاماكن تؤكد من جانب آخر على العودة الى هذه الاماكن ، وتجعل من هذا الامل هاجسا أساسيا لا يظالها وسمة رئيسية من سماتهم ، كما ان رواة هذه الحكايات يجعلون من العودة أمنية يرددونها سواء في بداية الحكاية او نهايتها ، ولايضاح ذلك فانني سأورد فيما يلي بعض النماذج :

١ — في الحكاية التي تسمى « خروف بخروف » (١٢) والتي تلقي ضوءا على بعض جوانب التطور الاجتماعي في الريف الفلسطيني — التناقض بين المجتمع الرعي والمجتمع الزراعي — نرى ان الدافع الاساسي للهجرة كان الصراع الذي نشب بين المزارع صاحب الارض ، وبين الراعي صاحب المواشي ، وقد أدى هذا الصراع الى جريمة قتل جلا بسببها المزارع عن أرضه فهاجر الى منطقة شرقي الاردن ملتجئا عند مثقال الفايز شيخ عشائر الصخور — لاحظ التحديدات المكائنية والتاريخية الصارمة في هذه الحكاية — الا ان اللجوء الاضطراري لم يحل دون رغبة الفلاح الفلسطيني في العودة الى أرضه وبلاده ، الامر الذي اضطره الى تقديم اثنين من اولاده بدلا من القتل ليتمكن من العودة الى وطنه .

واذا كان النزوح عن الارض في الحكاية السابقة قد جاء نتيجة منطقية لطبيعة التطور الاجتماعي واحتماء من الثأر ، فان حكاية أخرى — مضير الجاني — جعلت للنزوح اسبابا مختلفة وهي الحفاظ على العرض ، كما ان حكاية ثالثة — ثأر الاخت — قدمت سببا آخر للارتحال وهو محاولة الانتقام لعرض منتهك ، ولكن هذه الحكايات جميعا ظلت — رغم وجهة اسباب الهجرة والترحال — تتخذ من حتمية العودة الى الارض الام محورا أساسيا يدور حوله الحدث وينمو ويتطور :

يب - الاثنا نلمس مثل هذه الضرورة في حكايات أخرى بطريقة مختلفة لا تعتمد على الحدث بقدر ما تعتمد على عبارات الراوي وأمنيته ، في حكاية الأخت الغولة يبدأ الراوي الحكاية على النحو التالي : « صلوا على النبي ، اللهم صل على سيدنا محمد ، الله ينصر دين محمد على القوم الكافرين ويعاودنا على بلادنا سالمين وغانمين » .

وفي حكايات أخرى كثيرة يصعب حصرها تتكرر عبارة « البلاد طلبت أهلها » على لسان أبطال الحكايات ، فبعد ان يضرب هؤلاء في مغامرات الغربة ويحققون أهدافهم يقولون لمضيفهم «البلاد طلبت أهلها» كناية عن الرغبة في العودة الى مسقط رؤوسهم ففي حكاية طير السعادة مثلا يقول البطل لصهره بعد زواجه من ابنته ( البلاد طلبت أهلها ) ويعود لفلسطين رغم حسن الضيافة والاعراءات الكثيرة التي قدمت له ، وفي حكاية « الأخت الغولة » نجد البطل يكرر باستمرار واثناء تجواله في بلاد الغربة عبارة « عادتنا في بلادنا » كدلالة لفظية لاستمرارية انتماء البطل حتى في المسلك اليومي الى القرية والثقافة اللتين تلقاهما في وطنه الاصلي .

وتستحوذ الاشجار والنباتات على جانب كبير من جوانب الحكايات الشعبية بشكل عام الى حد ذهب معه دارسو الفولكلور الى افراد قسم خاص من الحكايات تحت بند « حكايات النبات » على غرار حكايات الحيوان ، ولا يهمني وانا اتناول هذا الجانب من الحكايات الشعبية الفلسطينية البحث في الجذور الطوطمية او الخرافية لما يرد ذكره من نباتات أو اشجار في هذه الحكايات الا ان ثمة ملاحظة لا بد من ايرادها في هذا الصدد ، فقد لفت انتباهي وأنا أقوم بعملية احصاء لاسماء وأنواع النباتات والاشجار في الحكايات الشعبية الفلسطينية ان ثمة نوعين من الاشجار أو الثمار ، نوع خرافي ونوع آخر حقيقي وواقعي ، كما تبين لي أن انتماء الثمار والنباتات والاشجار بمدلولاتها الواقعية يكون عادة للارض الفلسطينية بينما يكون انتماء الثمار أو الاشجار الخرافية لبلدان أخرى ذات سمة خرافية كواق الواق مثلا ففي حكاية « بنت الطرنج » (١٤) نرى البطل يخرج من فلسطين بحثا عن ثمرة خرافية هي ثمرة الطرنج التي تنتجها شجرة خرافية تحمل نفس الاسم وتثمر كل ألف سنة حبتين ، وتوجد هذه الشجرة في بلاد بعيدة وراء جبل قاف وأهلها خلق غريب من الجن والعفاريت ( هكذا ) . أما الثمار والخضروات بمعناها الواقعي فنجدها تنتمي في هذه الحكايات الى الارض الفلسطينية ومن امثلة هذه الثمار والخضروات ، القرنبيط في حكاية ملك الهواء ، والبندورة في حكاية كيد النساء ، والبطيخ في حكاية البطيخ في غير أوانه ، والملوخية والسبانخ في حكاية الفلاح والمدني والبدوي ، والتين في حكاية اخذين ، والقمح والزيتون والتفاح والبرتقال في حكاية « طابع أمة » .

وعادة ما توخف الحكايات الخرافية وخاصة ما يتعلق منها بالحيوان والنبات في تفسير الظواهر الفيزيائية المختلفة تفسيراً ميتافيزيقياً أو خرافياً ولا يتسع المجال هنا لسرد الكثير من الامثلة لايضاح هذه الناحية ، خاصة وانها قضية عامة تتشعب على مختلف الحكايات الخرافية لمختلف الشعوب (١٥) .

الا ان ظاهرة غريفة استرعت انتباهي في أربع حكايات خرافية فلسطينية وتتلخص هذه الظاهرة في توظيف الخرافة لخدمة الانتماء الحميم بالارض قبل الموت وبعده ، وفي التأكيد على اصالة وجدوى الارتباط بالعمل الزراعي الذي هو بحد ذاته رمز للعلاقة المعاشية الجدلية بين الارض والانسان . وهذه الحكايات الاربعة هي : حكاية الطائر الاخضر ، بقرة البتامي ، حكاية اختين ، قاطع يد ابيه . وتقدم الحكاية الاولى منها معنى شبيها بأسطورة الفينيقي ولكن بطريقة يستبدل فيها المعتقد الخرافي القائم على

حرق الجثة بمعتقد — ذي أصول دينية — يقوم على دفن بقاياها في الأرض . وتعد هذه الحكاية بحق اسطورة الأنبياء الفلسطينيين (١٦) ففيها تقوم الأخت التي نكبت بذبح أخيها على يد زوجة الأب بدفن عظامه في حفرة بحديقة البيت حيث تمر هذه العظام في نوعين من التحول :

١ — التحول إلى طائر أخضر يحوم حول فناء البيت وهو شبيه بالتحول في اسطورة الفينيقي ، وبالتحول الذي كانت تعتقد به العرب قديما ( طائر الهامة ) ويوظف هذا التحول ليعطي الدلالات في آن معا ، فهو من جانب يقدم معنى الاستمرار الروحي لوجود الصبي المذبوح ( التجدد والأنبياء في اسطورة الفينيقي ) ومن جانب آخر يقدم معنى الثأر والانتقام الذي تقصده الاسطورة العربية القديمة — الهامة — فالطائر الأخضر يعان عن استمرار وجوده ويقوم بدور الفضح لجريمة زوجة الأب والانتقام منها بالقاء الأبر المسمومة في مفاها لقتلها .

٢ — التحول في باطن الأرض — وهذا هو المعنى الأهم بالنسبة لهذه الدراسة — إلى كنز تنفع منه الأخت ، فقد تحولت عظام الصبي في الحفرة إلى ذهب ، ومثل هذا التحول المادي الذي تم بفعل الدفن يقدم الدلالة الأخرى الأكثر عمقا وهي الإصرار على ضرورة دفن الموتى أو بقاياهم في الأرض ، وبغض النظر عن الدوافع الدينية لعملية الدفن فإن مسألة ربط الدفن بتحول العظام إلى ذهب تعطي تفسيراً لمعنى إصرار البنات على دفن عظام أخيها في حديقة البيت ( الأرض الفلسطينية ) . ولا يعدم الدارس لهذه المسألة أن يكتشف أن أمنية معظم الفلسطينيين من المتقدمين في السن خارج الأرض الفلسطينية هي أن يتاح لهم أن يدفنوا قريبا من مسقط رؤوسهم أن لم يكن في هذه المسقط ، وكثيرا ما ترد على السنة الكهول في المخيمات والمهاجر مثل هذه الأمنيات .

ولا تقتصر مسألة تحول عظام الموتى إلى ذهب بعد دفنها في الأرض على الإنسان فقط بل انها تمتد لتشمل الحيوانات كذلك ، ففي حكاية « بقرة اليتامى » حيث كانت البقرة مصدر قوت لابناء الزوجة المتوفاة ، نرى ان عظام هذه البقرة تتحول إلى ذهب وجواهر بعد أن قام اليتامى بدفنها تحت التراب خارج المنزل — أصرت زوجة الأب على ذبح البقرة — وقد لاحظت أثناء مقارنتي لهاتين الحكايتين — الطائر الأخضر وبقرة اليتامى — ان هناك تشابها عجبيا بينهما ، فالأم في كليهما متوفاة وزوجة الأب هي التي تتأمر لذبح الابن في الحكاية الأولى ولذبح البقرة في الحكاية الثانية ، وفي كلتا الحكايتين تتحول العظام إلى ذهب وبالتالي إلى مصدر رزق واثراء للبنات واليتامى ، ومن هنا تغدو مسألة الدفن — من وجهة النظر المعاشية المحضة لا من وجهة النظر الدينية — وخاصة في حكاية بقرة اليتامى شبيهة بعملية القاء البذور في الأرض — العملية الزراعية — وسوف يتأكد لنا هذا المعنى لدى استعراضنا لعملية الدفن في الحكاية التالية .

أما حكاية قاطع يد أبيه « فتقدم مسألة دفن الجثة أو أجزاء منها على انها عملية زراعية صريحة ، ففي هذه الحكاية يوصي الرجل العجوز الذي شارك على الوفاة ابنه بأن يقطع يده ( يد أبيه المتوفى ) ويدفنها في فناء البيت وأن يبقى ذلك سرا حتى على زوجته . وجين يفعل الابن ذلك تتحول اليد المدفونة إلى شجرة غريبة تعطي ثمارا من الذهب والجواهر ، والاضافة التي تقدمها هذه الحكاية إلى ما سبق انها تجعل من دفن يد الأب المتوفى عملية زراعية خالصة من جانب وتعطي من جانب آخر دلالة أخرى أكثر أهمية ، فدفن يد الأب في فناء المنزل وتحولها إلى شجرة مثمرة تجعل الابن مطالبا بالضرورة بالمحافظة على المنزل والشجرة (رفات الأب) ويكون بالتالي مطالبا بالمحافظة

على الأرض التي تضم هذا الزنات المتمر ، ان هذه الحكاية بالإضافة الى تكريسها لفهوم التحلل والذوبان في صميم الأرض ، تركز أيضا مفهوم « الشجرة » واثماها وضرورة المحافظة عليها ، وكل الحثيات المصاحبة لذلك من ارتباط بالأرض ودفاع عنها .

وقد ادعيتني في هذه الحكاية حقا الاشارات الواضحة التي قدمتها للمؤامرة الصهيونية على الأرض الفلسطينية ، فتأمر التاجر اليهودي على الشجرة هو رمز للتأمر الصهيوني على الفلاح الفلسطيني وعلاقته الحميمة بأرضه ، وقد جعلت الحكاية من هذه العلاقة مصدر اثراء وسر غناء هذا الفلاح ، وهو ما عمل التاجر اليهودي جهده للقضاء عليه بمختلف الاساليب الماكرة والشريرة .

اما « حكاية اختين » ففيها نجد حب الزراعة — فصولها وطقوسها — رمزا للخصب والاثراء كما نجد كراهية العمل الزراعي وطقوسه مرادفة للموت والفساد ، فالأخت الفقيرة التي تلمس قوت عيالها لدى أختها الغنية فتفشل لتلجئ الى الطبيعة حيث يقودها الراعي الى تجربة امتحان يثبت من خلالها حب هذه المرأة للطبيعة — جنة الصيف وجنة الشتاء — والجنان هنا كما فهمتهما رمزان للأعمال الزراعية الصيفية والشتوية ، ويقوم الراعي بمكافأة المرأة على ذلك — حبها للمواسم الزراعية — بكيس مملوء بأوراق التين التي تتحول في بيت المرأة الى ذهب — لاحظ هنا دلالة أوراق التين — وفي المقابل تكافأ المرأة الأخرى التي أبدت احتقارها للزراعة وطقوسها وفصولها بكيس من أوراق التين الجافة ولكنها تتحول في بيت هذه المرأة الى زناجير تلسع الأم وأولادها حتى الموت ، وهكذا يغدو حب الأرض والفصول الزراعية مرادفا للغنى والحياة وتغدو كراهية الزراعة وطقوسها مرادفة للموت والعدم .

وبعد ، فهذه هي بعض ملامح الأرض في الحكايات الشعبية الفلسطينية وبعض الدلالات التي رأيت من خلالها ان هذه الحكايات تنفرد بشكل أو بآخر ، ورغم كون الأرض في الحكايات الشعبية عادة مجرد مفهوم مجرد « للمكان » — في ابراز جغرافية الأرض الفلسطينية وأسماء الاماكن والمدن والقرى اثناء تحرك أبطال الحكايات ، وتعطي تحديدا صارما لموقع هذه الأرض على خارطة العالم العربي كمكان يتوسط مصر والشام .

كما ان هذه الحكايات — حكايات المهاجر والمنافي — تؤكد على استمرارية وجود الأرض الفلسطينية في ذاكرة الانسان الفلسطيني — راوي الحكاية — وعلى جعل العودة الى هذه الأرض هاجسا دائما في وعي ولا وعي هذا الانسان يتساوى في ذلك أبطال الحكايات في حينهم الدائم لارضهم ورواة هذه الحكايات في الاحتفاظ بأسماء الاماكن والمواقع الفلسطينية وفي بدء أو انتهاء الحكايات بالتمني على القدر ان يحقق عودتهم الى أرضهم ، ثم ان هذه الحكايات تؤكد على ارتباط الانسان الفلسطيني بالعمل الزراعي جاعلة من هذا العمل الديالكتيك الاولي والبيدي لارتباط الانسان بأرضه .

وحتى في الحكايات الخرافية نلمس تأكيدا على معتقدات من شأنها ان تركز المزيد من الالتصاق بالأرض والفساد والتحلل فيها كمعتقدات الدفن والانبعاث والضرورة الى كنوز أو أشجار تثمر الذهب والجواهر ، وذلك هو ما يعطي بدوره التفسير الواضح لاستمرارية تمني الانسان الفلسطيني في المهاجر والمنافي العودة الى أرضه ولو لمجرد أن يدفن فيها .

ولعل في الحكايات المنشورة تاليا ما يقدم الدليل الناصع على صحة ما ذهبت اليه من تحليلات .

النصوص :

( قاطع يد أبيه )

الراوي : زكي علي محمود من بلدة المغار / الرملة .

مكان الإقامة الحالي : مخيم الحسين / عمان

كان يا مكان في تديم الزمان رجل وابنه ، وكان للولد زوجة وفي يوم من الايام قال الرجل لابنه : وقت ما أموت اقطع ايدي وارزعا في الجنينة ، ويدي هذه سوف تطلع شجرة واذا سألك احد عن هذه الشجرة فلا ترد عليه ولا تقول لاجد شيئا عن سرها . وحين مات الرجل ، فعل الولد مثلما قال له ابوه .

كبرت الشجرة وخرج من كل اصبع فرع كبير يحمل نوعا من الفاكهة تضيء في الليل ، فصار الرجل يقطف الثمار ويذهب لبيعها في المدينة لتاجر يهودي ببالح كبيرة من المال ، وقد اثارت هذه الثمار دهشة التاجر اليهودي فحاول معرفة سر الشجرة التي تنتج هذه الثمار . واستطاع اليهودي ان يعرف اسم قرية الرجل وقصدها ذات يوم وسأل عن بيته وهناك رأى شجرة غريبة لها خمسة فروع .

وفي اليوم التالي عاد التاجر اليهودي متخفيا في زي بائع للحلى والاقراط وقصد بيت الرجل وسأل زوجته عن سر الشجرة ، وطلب منها ان تعرف ذلك من زوجها .

ولما سألته عن سر الشجرة امتنع عن الاجابة فالتحت عليه وأخيرا أخبرها بالسر وطلب منها الا تخبر احدا . ولكن حين عاد اليهودي أخبرته المرأة بسر الشجرة .

وانتظر التاجر اليهودي مجيء الرجل وأخبره بما عرف عن سر الشجرة فكلّم الرجل غيظه وقرر ان يستعين بالشمس في الانتقام من اليهودي ومن زوجته التي باحت بالسر فلحق بالشمس ( وأظن ) عليها ورجاها أن تساعدته فقالت له ان يذهب لليهودي ويراهنه على طلوع الشمس من الغرب في اليوم الغلاني ، ولما عاد الرجل وجد ان اليهودي قد استولى على منزله وزوجته فراهنه على طلوع الشمس من الغرب وقبل اليهودي الرهان .

وفي اليوم المحدد طلعت الشمس فعلا من الغرب فخسر اليهودي الرهان وعاد الرجل الى بيته وطمرد اليهودي وزوجته الخائنة منه (١٧) .

( الطير الاخضر )

الراوي : وضحة رياح من السامرية / اللد

مكان الإقامة الحالي : مخيم الحسين / عمان

كان يا مكان في تديم الزمان امرأة وزوجها وبناتها وابنها يعيشون سعيدين ، فماتت الام وأصبحوا حزينين ، وفي يوم من ذات الايام تزوج ابوهام امرأة كانت قاسية عليهم وتضربهم . ومرت الايام والشهور وزاد حقد زوجة ابيهم عليهم وصارت تقول اثناء غياب ابيهم انها تريد أن تذبح الولد وتاكله (١٨) وسمعت الاخت مسا قالت له امرأة الاب ، ولما عاد الولد حكّت له اخته ما سمعت وأخذت تبكي فقال لها : يا اختي اذا ذبحتي زوجة أبي فأرجوك أن تلمي عظامي وتدفنيهن تحت شجرة في الجنينة .

وقامت زوجة أبيه وذبحت وطبخته ولما عاد أبوه أكل من لحمه وهو لا يدري انه يأكل لحم ابنه ، ولما انتهوا من الاكل وأخته تشاهد ذلك وتبكي لت عظامته ودفنتهن تحت الشجرة في الجنينة مثل ما قال لها أخوها .

ومرت الايام والشهور وصارت العظامات طير جميل لونه اخضر ، وطار الى الكندرجي وقال له :

انا الطير الاخضر بمشي وبتهختر

مرة ابوي ذبحتني وابوي أكل من لحمي

وأختي الحنونة للمت عظماتي

وحطنتهن تحت الشجرة

وطلب الطير من الكندرجي كمية من المسامر وكمية من الدبابيس فأعطاه الكندرجي وطار فوق دار أبيه ورغرف على السطوح ورأى زوجة أبيه جالسة مع نساء في ساحة المنزل فصار يقول :

أنا الطير الأخضر ، بمشي وبتمختر ، مرة ابوي ذبحتني ، وابوي أكل من لحمي ، وأختي الحنونة للمت عظماتي وحطنتهن تحت الشجرة ، فصارت زوجة أبيه تطرده تائلة : روح من هين ... فقال لها : لا اذهب الا بعد أن تفتحي فمك . ففتحت فمها فألقى فيه الدبابيس غمات ، ثم ذهب الى أبيه وأنشده (١٩) ، فحاول طرده ولكنه طلب منه ان يفتح فمه فلما فعل ألقى فيه المسامر فمات ابوه . ثم ذهب الى الحلواني وأنشده وطلب منه بعض الحلوى فأخذها وذهب الى أخته وأنشدها وطلب منها ان تنقح فمها وألقى فيه الحلوى . وذهبت البنت الى عظام أخيها فوجدتها قد تحولت الى ذهب . وتوته توته خلصت الحدوثة .

### ( بقرة اليتامى )

الراوي : صبحه جابر من دير أبان

مكان الإقامة الحالي : جبل النزهة / عمان

كان في قديم الزمان امرأة لها بنت وولد اشترت لهما قبل أن يموت بقرة صفراء ، وكأنا يرعيتانها وأمهما طيبة ، وبعد أن ماتت الأم تزوج الاب فصارت الام تطعم الولدين خبزاً ( حاب ) وتطعم اولادها طعامسا جيدا ، الا ان الولد والبنت كانوا لا يأكلون الخبز فحين يخرجون بالبقرة الى المراعي يقولون لها : يا بقرة ابنا اطعمينا ، فننزل لهم البقرة اللحم والارز ، ولاحظت زوجة الاب ان ابناهما يهزلون بينما يزداد الولدان الاخران سمينة وصحة .

وفي صباح اليوم التالي أرسلت الام ابنتها مع اليتامى الى المرعى وقالت له اذهب معهم وانظر ماذا يأكلون ، فذهب الولد معهم ، وعند الظهر جاعوا ولكنهم خافوا ان يفسد الولد عنهم فقالوا له : هل تعدنا أن لا تقول لامك وأبيك ونطعمك من اللحم والارز ؟ فوعدهم ، فقالوا للبقرة ، فانزلت لهم اللحم والارز فأكلوا حتى شبعوا وفي المساء رجعوا الى البيت فقالت الام لابنتها : ماذا أكلت وماذا أكلوا ؟ فقال لها الابن : والله يا أمي لم يأكلوا الا الاعشاب وورق الأشجار فلم تصدقه أمه .

وفي صباح اليوم التالي قالت الام لابنتها : اذهبي معهم وانظري ماذا يأكلون فذهبت البنت معهم وغملوا كما فعلوا بالامس وأكلوا حتى شبعوا من اللحم والارز ولكن البنت أخذت معها بالسر ثلاث قطع من اللحم ، ولما عادوا مساء الى البيت اخبرت البنت امها بما رأت . ففضضت الام وقررت ان تحرمهم من البقرة فاشترت كيسا من التبن ونقعته في الماء حتى أصبح الماء اصفر فاستخدمت به فأصبح لون جلدها اصفر ، فنهبت في الفراش وادعت المرضن وقالت ان الطبيب وصف لها دواء وهو معلق بقرة صفراء ، وطلبت من زوجها ان يذبح لها بقرة اليتامى ولكنه رفض وقال ان هذه البقرة ليست من مالي وهي من مال امهم فكيف اذبحها ؟ فقالت له : انا أموت ( علشان ) ما تذبح البقرة ، اشترى لهم بقرة ثانية ، فقال لها حرام عليك . فأصرت عليه ان يذبحها . فذهب الرجل الى اولاده وقال لهم : يا اولادي سوف اذبح هذه البقرة ، فقالوا له : يا أبي نحن لا نعيش الا بهذه البقرة وهذه هدية ابنا رحمها الله ، أعطتنا اياها ذكرى وعندنا ترى هذه البقرة كأننا نرى أبنا ، الا انه قرر ان يذبحها ، فجاء بالدية ويطح البقرة ليذبحها فحزن الاولاد وصاروا يكون بكاء شديدا . وقالوا : يا بقرتنا لا تذبحي ، فلم تذبح ، فغضب الاولاد فقالوا : يا بقرتنا اذبحي ولا تتسلخي ، فغضبهم فقالوا : يا بقرتنا اتسلخي فانسلخت ، ثم قالوا يا بقرتنا لا تتقطعي فلم تتقطع ، فغضبهم فقالوا : يا بقرتنا اتقطعي ولا تستوي ( تنضجي اثناء الخليخ ) وظل اليتامى هكذا حتى أكلت البقرة وكان اليتامى يتفرجون ولا يأكلون ولما عظام البقرة ودفنوها قريبا من البيت ، وبعد اسبوع ذهبوا ليرى ماذا حدث ، فوجدوا ان العظام تحولت ذهباً واحتفظت البنت بالذهب حتى كبرا واستنادا من هذا الكثر (٢٠) .

## ( خروف بخروف )

كان يا ما كان في سالف العمر والاولان رجل مزارع وله زروع كثيرة وكانت المواشي تطأها بشكل مشر ومرة قرر ان يضع حدا لهذا الاستهتار من الرعيان واصحاب المواشي فحمل بندقيته واطلق بها النار على رجل في زرعه فاراده قتيلاً وعلى البقر فكسر عواقيب اثنتين .

والرجل من العرب اذا قتل ( اندمى ) فانه يؤمر بمغادرة المنطقة تماما ولئلا يقتل على يد اي عربي من اهل القتل يظفر به ، هاجر هذا الرجل الى منطقة شرقي الاردن ووجد ملتجئا عند مثقال الفايز شيخ عشائر الصخور ، وكان عنده ولد وبنت .

كبرت ابنته حتى اصبحت في سن الزواج فطلب يدها منه بعض وجهاء العشيرة واعطوه بنتا منه ليشتد النسب لانهم رأوه رجلا يستحق المصاهرة والقرب .

ومع الزمن اتجبت زوجته الجديدة اولادا اربعة وكانوا نشيطين يلعبون مع اترابهم الا انهم لاحظوا قبرا منهم يختص باوطانهم واسمائهم وهاجرتهم عنها فمروا الى ابيهم : ابتاه اليس لنا وطن ؟ — بلى .. — ائست مشتاقا اليه ؟ — بلى ولكن اباكم له من الاسباب القوية ما يجعله يتنعد عن بلده . ادوا عليه فقال لهم : القتل . ومع الحاحهم على العودة اكثر قرر العودة .

واقام له مشايخ الصخور الذين يقيم عندهم حفلة وداع ضخمة حضرها الصغير والكبير من رجال القبيلة والقبائل المجاورة القريبة .

اقترب من مضارب اعدائه فما العمل ؟ هل يرتمي بينهم بعد غياب حوالي العشرين عاما ام يرسل لهم من يفاوضهم على الصلح ، لم يجزم بعمل واخيرا قال : تنصب خيامنا هنا قريبا منهم عندنا منذ زمن فاذهب وقل له : ابي يهديك السلام ويقول لك خذ حذك وهذا هو الخروف الذي اخذه منك ذات يوم : فذبح الرجل للشباب ذبيحة واقام بواجب الضيافة فأحسن ما يكون الواجب ثم حمل الشاب شيئا من الهدايا وقال له : قل لايبك لا يكتي لقد تغديت بخروفي .

وتضايق هذا الرجل من هذا الجواب وحمل ولدين آخرين من اولاده وقال لهما : قولا له هاك خروفين يقول لك ابي ، بدلا لولدين الآخرين من اولاده ، وقال لهما قولا له هاك خروفين — يقول لك ابي — بدلا من خروفك الذي اخذه منك ابي قبل سنين ، فلكتفى الرجل لرسله كفاية مقنعة خاصة بعد ان سمع من ولدي الرجل ما يشبه الاعتذار عن تأخر سداد الدين بسبب الفقر والهجرة وسبع منهما رجاء ابيهما الحار بأخذ ثاره .

ثم اهاب في رجال قبيلته ان يمشوا هم للاصلاح مع هذا الرجل الذي يقدم ذبيحة وذبيحتين من اولاده سدادا لدم قتل عشرين سنة او اكثر .

ذهبوا اليه هم في ذبائح وتم الاصلاح بالخير ... والسلام عليكم ... (٢١).

## ( حكاية اختين )

كان يوما كان في قديم الزمان اختان احدهما غنية والاخرى فقيرة لاولادها يوما : هيا بنا يا ابنتي نذهب الى خالكتم لعلها تصدق عليكم بشيء من الطعام وهناك وجدت اختها تأكل خبزاً محمرا وجبنا وحينما رأت اختها باولادها وعليهم ملاح الفقر خبات هذا الخبز تحت الفرشة ، فعدت الاولاد في بيت خالتهم ينتظرون شيئا من الطعام ، لكنهم لم يصيبروا شيئا ، فطسعهم الجوع ، فطلبوا من امهم شيئا مما يقيم الود فقالت لهم : ماذا استطيع ان افعل لكم ؟ اسالوا خالكتم فلعل بقايا من طعام تستطيع ان تقدمها لكم ، فردت اختها والله يا اختي ما عندي شيء .

هبت الام باولادها قائلة لهم هيا بنا نخرج الى البرية لعلنا نجد فيها ما نأكله من ربيع او غيره وفي البرية وجدت الام ما تطعم اولادها من الحشائش التي تؤكل ثم مشوا في طريقهم نمروا عن مخلوق بهيمة قط ،

فطرحت الأم عليه السلام وفي غنماته وأهله وتصت عليه قصتها وحدثته عن جوع اولادها فغضب عضاداً في الارض فظهرت منها على الفور خمسة ارفعة : طعم منها الاولاد وشبعوا .

وحينما غربت الشمس اخذ الام واولادها الى بيته وسلمهم لأمه وقال لها : غداً تأخذين الام الى جنة الصيف والشتاء . وفي عصر اليوم الثاني اخذتها الى ذلك المكان فابتدحته قائلة : ان الصيف فصل جميل ومريح للناس ففيه الخضرة التي تكسو وجه الارض وفيه كل شيء جميل وبعد ان استمتعوا بجنة الصيف ذهبوا الى جنة الشتاء .

فامتدحتة ايضا قائلة : ان الشتاء فصل طيب حيث ينزل المطر فيسقي الارض والزرورات ويستمتع الناس فيه ، وبعد ان انتهت من ذلك عادت بها الى البيت .

عاد الراعي في المساء من المرعى فسأل امه عما قالته ام الاولاد عن جنة الصيف وجنة الشتاء فاخبرته بكل ما قالت فامرها ان تأخذها وتعيء لها كيسا من ورق التين ، لتذهب بها الى بيتها وتعلق عليها الشبايك والابواب ليصبح ما في الكيس ذهباً .

ففتعل امه بما امرت به وتعل الام الفقيرة بما قيل لها ان تفعل فيتحول كله الى ذهب . وفي بيتها بعدئذ طلبت الى ابنتها ان يذهب الى خالته ليحضر من عندها قبعة العجين فيعمل الولد . فتأخذ امه بوزن الذهب بهذه القبعة ثم تعيدها الى اختها فيلزم بقاعها شيء من الذهب ، لان اختها كانت قد وضعت في القعر شيئا من العجين .

وحينما ترى اختها ذلك تظلم جنونا فتأخذ اولادها الى المكان الذي اغنى اختها الفقيرة وحينما تجد الراعي تأخذ في مسبقه وتحقيره فيقول لأمه خذيها الى جنة الصيف وجنة الشتاء وهناك تسب هذه المرأة الصيف والشتاء فتحكي ام الراعي له بما سمعت منها فيقول لها : عيني لها كيسا من ورق التين الجاف ولتطبق كل خرقة في البيت ولا تفتح شيئا من النوافذ .

تمضي المرأة فرحة بما معها مما سيتحول الى ذهب ، وتعلق عليها النوافذ والفتحات ، فيصبح ورق التين زنابير ( دبابير ) تجوس خلال البيت وتلسع الام واولادها وما زالت بهم حتى ماتوا جميعا (٢) .

### — الهوامش —

١ — اعتدت في هذه الدراسة بشكل اساسي على الحكايات الشعبية التي جمعها عبر الساريسبي وقدمت ضمن اطروحتي لنيل الماجستير في الاداب من جامعة القاهرة ٧٢ وعلى المجموعات الثلاث من الحكايات الشعبية التي جمعها فايز علي الغول وصدرت في عمان ١٩٦٦ وهي : الدنيا حكايات ، من سوالييف السلف ، اساطير من بلادي ، وعلى حكايات اخرى متفرقة ثبت بجمعها شخصيا .

٢ — لمزيد من التفصيل انظر مقالنا في الحكاية الشعبية ، مجلة افكار الاردنية العدد التاسع شباط ١٩٦٧ .

٣ — الجزء الثاني من رسالة عبر الساريسبي المخطوطة .

٤ — ٤٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ — المصدر السابق .

١١ — أثناء تجواله يمزج بامرأة تقدم له المزة في تمسك خطه حيث تزعم انها تزوجت ابنتها فقتل نفسه بعد ان حبلت منه ، ثم قادها القدر الى الزواج من اربا الثاني وذلك شبيهة باستطورة اوديب المعروفة .

١٢ — الجزء الثاني من رسالة عبر الساريسبي المخطوطة .

١٣ — المصدر السابق .

١٤ — اساطير من بلادي ، فايز علي الغول ، الطبعة الاولى عمان ١٩٦٦ — ص ١٠ .

١٥ — من ذلك ما يقال في تفسير الزلزال بأن قورا ضحبا يحمل الارض على احد قرنيه ، ومن عباداته

السيئة انه يغير موضعها من حين الى حين ، ومن ذلك ايضا الطير الخرافي الذي يصفق بجناحيه فيولد العواصف الى غير ذلك . ولزيد من الاطلاع انظر كتاب « علم الفولكلور » تأليف الكزاندر هجرتي كراب ، ترجمة رشدي صالح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٦ - شاع استعمال هذه الحكاية كرمز للانبعاث في الادب الفلسطيني بعد ايلول ١٩٧٠ حيث استغلها كل من يحيى يخلف في قصته القصيرة الطائر الاخضر مجلة الاداب - البيروتية تموز ١٩٧١ والشاعر محمد القهسي في قصيدته طيور خضراء كثيرة ، ديوان رياح عز الدين القسام ص ٩١ .

١٧ - وجدت ان في هذا النص ثغرات لم اشأ ان اكملها حفاظا على النص كما روي ومن هذه الثغرات ان الزوجة جعلت الشمس كفيلا لها في عدم البوح بسر الشجرة . ومنها ايضا ان اليهودي راهن الرجل على بيته وزوجته ان هو كشف سر الشجرة ، ولما كشف السر اخذ البيت والزوجة .

١٨ - افغلت الرواية سببا ليس جوهريا في تناغم حقد زوجة الاب على الابن دون البنات ، وهو كما ورد في روايات اخرى لهذه الحكاية ان الولد كان يعارض بشدة زواج ابيه من هذه المرأة .

١٩ - حذفت من النص تكرار الانشودة التي يرددها الطائر الاخضر امام الاب وامام الطواني وامام الاخت حيث لم اجد ضرورة لتكرارها .

٢٠ - حذفت من النص تطويلات وردت عقب عثور اليتامى على الكنز ولم اجد لها ضرورة ، كما تصرفت في النص لغويا الى الحد الذي لا يخل بالسياق .

٢١ و ٢٢ - هاتان الحكايتان مأخوذتان من الحكايات التي تام بجمعها عبر الساريسي في الجزء الثاني من رسالته المخطوطة لنيل درجة الماجستير في الاداب - جامعة القاهرة ١٩٧٢ .

## الشعب — البطل في التاريخ

بين « أم سعد » غسان كنفاني و « عجوز » أفتان القاسم\*

الدكتور فيصل دراج

« الفن معلم من حيث هو فن وليس من حيث هو فن معلم »

غرامشي

### الشروط التاريخية لانتاج العمل الادبي :

على الرغم من خصوصية العمل الادبي فانه لا يمكن ان يرى خارج سياق تاريخي محدد ، فالنص الادبي من خلال ادبيته يعكس الواقع التاريخي ولا يصنعه ، وهو لا يعكس شروطا غائبة أو لم تولد بعد بل يعكس شروطا قائمة ، وهو بأدبيته نتاج وانعكاس لها. فليس الادب الفلسطيني « الثوري » هو الذي خلق المقاومة الفلسطينية بل ان هذا الادب بكل اتساعه وحدوده وليد للمقاومة ، كل هذا على الرغم من الدور التحريضي الذي يمكن ان يلعبه الادب . ولا يمكن ان نرى النص الادبي بمعزل عن التاريخ الذي صنعه ، بل ان هذا التاريخ بكل تميزه يكمن في كل احضان العمل الادبي . وعلى هذا فان كل انتاج ادبي هو في الوقت ذاته انتاج ادبي — تاريخي . ان نقد بوليتزر للتحليل النفسي الذي اراد ان « يشرح التاريخ بالتحليل النفسي وليس التحليل النفسي بالتاريخ » (١) يصلح ايضا لتطبيقه على الادب ، فهذا الاخير على الرغم من ادبيته لا يمكنه ابدا ان يتمتع باستقلال ذاتي مطلق وبوجود لا تاريخي ، فالنص الادبي ليس نتاج « الاسطورة الشخصية » للمؤلف لكنه التجسيد لميكانيكية الانتاج الادبي من حيث هي عملية انعكاس لشروط تاريخية — اجتماعية محددة « فالرواية لا تخرج من التخيل الفردي بل من الواقع الاجتماعي — التاريخي » .

ورغم انه يمكن التكم عن التاريخي في الرواية L'historique du roman الا ان الاديب ليس مؤرخا بالمعنى الدقيق للكلمة لانه لا يعكس في عمله الا ظواهر الحركة التاريخية وليس القوانين الداخلية المحركة لها . ضمن هذا الاطار تعتبر الرواية نتيجة لفاعلية حاضرة مستوعبة لماض محدد لمجتمع معطى . ونؤكد من جديد ان النص الادبي لا يمكن ان يرى الا كانعكاس للواقع بمركباته الاجتماعية ، فالادب « لا يهبط من السماء » وليس نتاج « ابداع » غامض لا يدرك كنهه ، او فاعلية « متخيلة imaginaire » على الرغم من انه ينتج آثارا خيالية .

\* العجوز رواية لافتان القاسم ظهرت عن مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام في العراق مع مقدمة للمستشرق

لكن نظرية الانعكاس لا تعني بأن الاديب يعكس الواقع بشكل خام وبدون تدخل ذاتي ، فالواقع ينعكس في العمل الاديبي بعد أن يخضع لنمط ابداع محدد يتناسب مع موقع الكاتب الاجتماعي ورؤياه للعالم .

وكما ان النص الاديبي يتسم بتاريخيته ، فان الاديب من حيث هو منتج يخضع للقانون التاريخي أيضا ، لذلك فان ممارسة الاديب ودوره في ساحة الصراع والايولوجيا التي يحملها تنعكس في الوحدة الشكلية - الموضوعية لعمله ، كما ان حدود حركته الاجتماعية تحدد صدق مضمون عمله الاديبي ، وتدخل الاديب في عمله الاديبي لا يتم فقط من حيث هو ذات متميزة ( خالق النص ) بل تتم أيضا من حيث هو شكل - ذات أي تعبير عن ميزان القوى الاجتماعية في فترة تاريخية محددة .

ان رواية « أم سعد » أو « العجوز » لا يمكن أن ترى بدون وجود المقاومة ، انها التعبير الاديبي عن ظاهر حركة الشعب الفلسطيني التي ولدتها شروط اجتماعية ومعاناة تاريخية . ان النص هنا يعكس ما هو موجود بشكل مادي أي ما هو موجود فعلا ، وقد يومية النص ويشير الى المستقبل ، لكن ذلك « التنبؤ » يستقي مع ذلك جذوره ومركزاته من مادية الواقع . ان ما نريد أن نؤكد عليه هنا هو مادية وتاريخية النص الاديبي ، فالادب والاديب هما نتاج للتاريخ والظروف الاجتماعية ، وان أصالة الاديب تكمن في قدرته على عكس الواقع التاريخي ، ودقة هذا الانعكاس وضبطه أو نسبته تعتمد على مدى مشاركة الاديب في صنع الحركة التاريخية من حيث هو شكل - ذات متميزة .

### « العجوز » وديالكتيك الموت والحياة :

يعكس أفتان القاسم الكاتب الفلسطيني في روايته « العجوز » وضع الشعب الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨ ثم المسار الشائك الذي سلكه هذا الشعب للانتقال من حالة الموات والسكون الى حالة الحركة والحياة . ويرصد أفتان هذا خلال رواية ذهنية أو واقعية رمزية ، فالشخصية عنده ليست نمطا اجتماعيا يعكس كلية اجتماعية بمعنى جورج لوكانش ، وليس بطلا ايجابيا يزرع مجال حياة يومية محددة التفاصيل والتناقضات بمعنى بريشت ، بل اننا هنا ازاء شخصية - فكرة تنمو وتتطور وتتحرك لتحقيق معادلات ذهنية للكاتب ترصد الحاضر والماضي والمستقبل ، فالبطل هنا استبدل بفكرة - رمز تتحرك في قضاء زماني واسع لتحقيق ذاتها في النهاية . ان شخصية أفتان هذه تذكرنا بالفكرة عند هيجل التي تتلمس نفسها عشواء في البدء ، ثم تفتتح خلال التاريخ ، لتحقيق ذاتها أخيرا وتعثرها عليها بوعي . ولا نقف في رواية «العجوز» امام لوحة اجتماعية مكونة من أناس محددين ، بل امام لوحة ذهنية تعكس بشكل روائي قدر وحركة الفلسطيني ، الذي يغرق بعد النكبة في سديم خانق ثم يبدأ يطفو على السطح حتى يتحرر في النهاية .

ويدخلنا أفتان هنا في مجالات زمنية ثلاثة يعكس كل منها وضعا تاريخيا ، وهذه المجالات ليست محددة المعالم بل هي مختلطة ومتشابكة ومحكومة بقانون عام هو الزمن النفسي ، تيار الوعي الذي ينتقل من مجال الى آخر ، وينتقل الوعي المتعيس هنا من مدار الى آخر باحثا عن توازن منشود ومفقود ، لذلك فهو لا يعرف الاستقرار والراحة لانه محكوم بشروط اضطهاد عدة . وتتم اللعبة هنا بين الزمان والوعي ، أو بشكل أدق تتم في مجال وحدة ثنائية : الزمان / الوعي ، فهما يتعانقان ويدور كل منهما على سطح الآخر بدون نصب بحثا عن شرط تاريخي غائب ويجب اعادته أنتاجه . ولا تتم دورة الوحدة المركبة ووعي / زمان بدون تحديد مكاني ، بل على العكس من ذلك

فهى تدور ضمن مجال مكاني محدد ، بل إن جدلية الوعي / الزمان لا تأخذ أبعادها ومعناها إلا من المجال المكاني ، عند ذلك نصل وبشكل ضروري إلى وحدة جديدة ، فالزمان يتلاحم بالمكان ليصبح وحدة جديدة زمان ( زمان + مكان ) ، وهذه تعني دلالة أرض الوطن في فترة زمنية محددة ، ثم ما تلبث الوحدة الجديدة الزمكانية أن تتلاحم من جديد مع الوعي ، لنصل إلى وحدة تكوينية جديدة : وعي / زمان ، وتدور هذه الوحدة لتمسح وترى شروطا متباينة : شروط الحرية ، ثم شروط الاضطهاد الحاضر ، وأخيرا شروط الحرية المفقودة المبحوث عنها . في إطار هذه الوحدة المركبة يشير المكان إلى حالة الزمان النفسي ، كما أنه في الوقت نفسه يشير الزمان النفسي المتضمن للوعي إلى شكل المكان .

نتلمس ضمن هذا الإطار « عجوزا » فلسطينية تعيش في فلسطين بعد النكبة ، وهي عجوز مأزومة ، تعاني حالة عصابية متأتية من وجود الحاكم الذي سلب العجوز كل ما عندها . فهناك العجوز والحاكم والعلاقة بينهما محكومة بحالة عصاب ، علاقة نفي . فزوال العصاب مشروط بتلاشي سببه أي الحاكم . ويجب أن نشير هنا إلى أن العجوز ليست ذاتا منفردة بل هي رمز لشعب فلسطين ، الشعب الذي يعيش تاريخه والذي يقف في قلب المأساة وليس على ضفافها ، وكما أن « أم سعد » تمثل في المستقبل وضع الشعب الفلسطيني الفاعل في أفق مجدد ، فإن « عجوز » أمنان القاسم ترسم وضع هذا الشعب أمام صدمة ٤/٨ .

تتحد الحركة الروائية ودلالاتها في « العجوز » بواسطة الأطر الزمانية الثلاثية التي تحكم الحدث الروائي .

الزمن الأول هو الحاضر المعاش إبان النكبة وأثرها ، وهو حاضر انتزعت منه كل المقومات الإيجابية وترك حاضرا ميتا ، لذلك فإن هذا الحاضر على الرغم من غلافه الزماني ليس إلا مواتا ، هو الموت في الحياة ، فهو يؤطر واقعاً يعني الهوان وفقدان الهوية ، أنه حاضر العجز والعطالة ، يرسم أمنان هذا الحاضر بواسطة شخصية العجوز على الشكل التالي :

« وجه محفور : خريطة . التجمعات تلال . الشعر عشب يابس . القائمة جذع مكسور . أية تعاسة ! لم تعد تسير بقامة منتصبه . هذه الخطوات الثقيلة التي يموت الخفق فيها زويدا ، رويدا ، لن تتمكن من حملها إلى الرابية » (٢) .

تشير مجموعة هذه الرسوم القاتمة إلى حاضر عاجز أسود ، مراوحة وانزواء في عالم يائس ظالم تفقد فيها كل الأشياء طعمها ودلالاتها ، فالإنسان هنا مكبل وعاجز عن تحقيق ذاته ، فهو ليس سيد الأشياء بل ذاتا سلبية ، حتى الشمس هنا تفقد بريقها ، فالحاضر الظالم يجهض حرازتها .

« تطلعت إلى الشمس . « الشمس » . عركت شفثتها اليابستين ، خيال ابتسامه ، وتقوس حاجبها بكثافة وهما ينوعان بالفكرة . أنها شميس الحاضر . أما « شميسها » شميس الماضي الخائن ، ماضيها هي ، فقد انطفت مثلها تماما ، وأصبحت ليلا دامسا ! » (٣) .

يستقط شرط الوجود هنا شكله على الأشياء فتفقد معناها الحقيقي وتأخذ معناها هي أي تصبح كلها هالكة وبرة . عالم برود وكهولة ، فالقائمة مكسورة والفم كهف دامسة (٤) . وهنا لا يتعلق الإنسان بحياة لا يستطيع تحقيق ذاته فيها ، لذلك فهو يتطلع إلى تجاوز بؤسه بالموت « كان الموت بالنسبة لها عالم الخلاص ، وهي التي انتهت انتظارها لكل شيء ما عداه » (٥) .

ازاء يؤس الحاضر ينسرب الخيال الى الماضي ، ويصبح الرحيل الى الماضي ضرورة ، عملية تعال ارادية ، فاجترار الحلم بكل أشكاله يطف من ظلم الحاضر ، فالاول هو المعنى والثاني هو اللامعنى ، الاول يعني الشباب والارض والحياة والزوج والخصب ، في حين يعني الثاني الكهولة والموت والعقم والترمل ، فكل ما هو جهيل ، وكل منا يحقق ذات الانسان وحرسته يكمن في الماضي ، لذلك تصبح عملية سحب الماضي على الحاضر ضرورية ، انها تشبه حال البائس الذي يتسالمى على يؤسه بخلق فردوس خيالي ، فهو عملية تثبث بالحياة وبحث عن التوازن . لذلك يتلاشى عند العجوز — اللاجئ الفلسطيني الزمان الفيزيائي ، الزمان الفعلي ، ليحل محله زمن نفسي يهدد وعيا تعيسا وكيانا كسيرا ، لكن استعادة الماضي لا تجعل فقط وجه الحاضر ، لانها تعود من جديد لتظهر عمق المساة ومدى مرارة هذا الحاضر ، لذلك فان هذه الاستعادة تكرر الزمن السلبي أولا لكنها لا تثبت أن تزحزح هذه السلبية عندما يتخلص الحين من سلبيته ويسعى الى التحقق .

فهنالك اذن استعادة خيالية للماضي وتثبتت به يدفع الى الحركة .

لذلك «العجوز» أولا تعایش الموت وترتمي الى الماضي :

« ترخ بصخب حيث السنابل ، ... ، حركة توج وتنحسر ، فاذا على الارض كومة من ذهب ، ... ، ويغني كل منهما أغنية ، ويغني كلاهما معا : يا ميحنا ، يا ميحنا .

أنت تعبان يا ابن عمي ، تعال وتمدد قليلا ، عندك بكرة عمل كبير ، سيحتاجك الى نهار كامل » (١) .

لا يتم العمل لاسترجاع الماضي فعلا ، أي تملك الحاضر ، بسبب قوة الحنين فقط ، بل بسبب التمرد على الظلم ورفضه ، رفض عسف الحاكم ، العبد هنا لا يعترف بسيادة السيد ، فهو يرفضه على المستوى الروحي ويبحث عن وسيلة لرفضه ماديا ، فالحاكم يستبيح كل شيء ويصبح الانسان كيسا بلا قيمة أو اعتبار :

« لحظتها أحسست ان شيئاً قد وقع ، شيئاً ما أقوى منها ومن ارادتها . لسوف يمرغها الطين ، ولسوف تغطس طويلا في الوحل ، ولسوف تاكل ثمرة الوحل ، ولسوف تبكي كل الليل » (٧) .

يدفع العسف والشعور به والتعلق في الماضي «العجوز» الى الحركة ، لكن هذه الحركة المشروطة بواقع مهزوم تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة تعكس هذا الواقع ، لم تصل «العجوز» على الرغم من حالة الموات الملازمة لها الى الاستسلام تماما ، فقد كان بينها وبين الحياة خيط مستمر ، كانت تراه في البيضة الساخنة المحتضنة حياة جديدة ، حياة ستكسر قيودها وتحبو ، كما كان تعلقها أحيانا بالحياة يتجلى وهي تضرب الارض بمعملها كإشارة الى الوجود والبقاء . كان لديها باستمرار أهل بأن رحم الغد سيقتذف بالخلص لذلك تقول « لن أهرب ما دمت على قيد الحياة » (٨) .

فذاك المخلص سوف يصنعه الزمان ، سوف ينبت بفضل المثابرة والصمود :

— وأذ ما بقيت أحفر ؟

— الى متى ؟

— الى أن يتفجر الماء (٩) .

لذلك فالتعلق في الارض يعني قهر الشيخوخة ومحاولة توليد ما هو جديد . لكن قهر

الشيخوخة لا يمنح الشباب ، لكنه يدفع باتجاه خلق انسان جديد ، فالعجوز على الرغم من اصرارها وتعلقها بالارض ، غير قادرة على لوي عنق الحاكم ، فهي ارث يتعايش فيه السلبي والايجابي ، ومادة بشرية عاشت الهزيمة وشاركت بصنعها .  
 انها والحالة هذه صالحة كمادة خامة لصياغة انسان جديد . فليست العجوز قادرة على كسر هيمنة الحاكم ، فتجاعيدها وقوامها المكسور لا يوصل الى الرابية على الرغم من نيتها الحسنة ، لذلك فهي تضحو السماد المخصب لارض جديدة ، يحتضن جانباها الايجابي ، في حين يجث منها جانباها السلبي ، فالتراث لا يؤخذ دفعة واحدة بل يُقلم .

وهكذا يخرج من أركان العجوز قادم جديد يتجاوزها تاريخيا ، قادم قوي وجميل ، فهو ليس العجوز وليس كائنا معزولا ومنقطعاً عنها ، لكنه يخرج من صلبها ليعيد صياغتها . لهذا فان القادم الجديد يعمد نصله في قلب العجوز ويلقي بأثوابها السوداء الى النار ، ليلبسها ثوبا جديدا . هنا نرى عملية تجدد عن طريق الحركة والممارسة .

تتلخص العجوز — اللاجئ من مرحلة ، وتحرق فترة زمنية ، لتدخل مرحلة جديدة ، تلفظ الموت لتصل الى الحياة ، لكن هذه العملية لم تتم الا بعد قتل مرحلة . حدد الفلسطينني نفسه بعد أن عثر على الادوات والمفاتيح الملائمة ، والتي جعلته يتخلص من أوهامه وعوالمه الغائمة .

ان أفنان في روايته لا ينسى عملية التناقض الاجتماعي والقاء الضوء على الموقع الطبقي ، فجاناب العجوز المغتصبة كانت هناك من تضاجع الحاكم طواعية ، وتمثل العجوز ما يمكن ان نسميه بالشعب المواكب للحركة التاريخية وصانع هذه الحركة ، اي جماهير الفقراء الصانعة الحقيقية للتاريخ .

كما ان الرواية تفتح نوافذ ثقافية ، فليس الماضي عدمية مطلقة ، لكنه تربة غنية مهدت على الرغم من شوائبها ولادة ما يتضمنها ويتجاوزها ، فمن قامه « العجوز » المتكسرة وشعرها اليابس طلعت علينا « أم سعد » رمز الشعب المقاتل ، والمقاتل بدون أوهام والمنطلق من التعب والعرق وليس لاعتبارات برجمانية تضع الوطن باستمرار بين قوسين .

### أم سعد وعملية التجاوز :

الحياة تجاوز مستمر محكوم بالممارسة المباشرة والتاريخية وبالمنطق الداخلي للأشياء ، وبعملية التجاوز هذه يحل الانسان مشاكله « نسبيا » وضمن حقل تاريخي محدد. ثم يعود من جديد ليخلق أرضية جديدة تهتم لحل تناقضات جديدة ، وهكذا يتقدم التاريخ ويأخذ طريقه نحو عالم الخربة ، ولا يتقدم هذا التاريخ بفعل ذات محددة ولا بفعل تراكم كيمي لذوات محددة ، بل يتم ذلك اثر عملية صراع تاريخية تتمحور حول قطبي التناقض وتجاوزه . تفرز العملية التاريخية شروطا جديدة في مجال تاريخي محدد الخصائص ، ثم ما يلبث التاريخ حتى يعود ليلوي عنق هذه الجدة فتستحيل قديما وتتوارى بعيدا في أغوار شروط جديدة ، والتناقض بين الجديد والقديم لا يحل دفعة واحدة ، بل خلال مسار تاريخي تنمو فيه التناقضات وتختمر لتكفل فوز الجديد ، ولا يعني حل التناقضات ظهور جديد واختفاء قديم بالمعنى الدوري للتاريخ ، العود الابددي ، بل يتضمن هذا الحل تحولا نوعيا يساير المنحنى الايجابي للتاريخ ، اي الانتقال من عالم الضرورة الى عالم الحرية (١٠) .

ان ما يبدو ظاهريا جاملا يترقد على ضفاف الحركة التاريخية في فترة زمنية محددة ،

يأخذ مكانه في قلب التاريخ في حقبة تاريخية لاحقة ، أي له منطقه الخاص للمشاركة في العملية التاريخية .

ان « أم سعد » نموذج البطل الايجابي طلعت علينا من معطف « العجوز » . ان العالم الهاديء « للعجوز » استحال حسب منطقه الخاص الى عالم « اللا هدوء » ، فذاك الموات الظاهري القى بذور حركة قادمة وقوة خلاقة ، ومن سديم العطالة التاريخية خرج علينا عالم الحركة والدينامية الثورية ، عالم أباد تطرق أبواب الجديد ، ولا يخرج الجديد هنا من رموس بائدة بل من عملية مخاض طويلة أنتجت وأعيد انتاجها لتصل الى ميزان قوى جديد يسمح بالحركة بدون عسف أو قيود .

أم سعد رمز الجديد ، ابن « العجوز » المتحرك في دائرة زمن ايجابي ، فالماضي ليس سجننا ، لكنه مجال مكاني - روحي نستعيده من خلال الحركة الثورية في الحاضر ، وعندها يصبح مستقبلا ، البطل هنا ( أم سعد ) يعيد انتاج التاريخ من خلال حضور مستمر للوطن في الماضي والحاضر والمستقبل .

ونحن هنا ازاء تطيين الوطن / البطل الايجابي ، أو البطل الذي هو شكل - ذات في التاريخ ، اما العلاقة الديالكتيكية بين القطبين الوطن / البطل فتدور في قضاء زمني هو التاريخ الذي هو في المحصلة الاخرة الاثر الناتج عن التطلع المستمر للقطب الثاني الى الاول ، أي صراع الفلسطيني لاستعادة أرضه .

ولا يتم الصراع هذا بشكل مبسط ووحيد الجانب بل يتحدد ويتضمن من خلال جملة شروط : التواجد المستمر للوطن ، والواقع المعاش في المنفى ، ثم صراع الفلسطيني لتحمل الحاضر والسيطرة عليه . وعلى هذا فان معركة الفلسطيني والتي تجسدها أم سعد تصبح مضاعفة ، فهي معركة ضد بوؤس الحاضر ، وتجاوز له للالتفات الى الوطن = الماضي من أجل المستقبل = الوطن .

في معركته ضد الحاضر البائس / البؤس يصنع الفلسطيني ذاته ، وخلال عملية الصنع هذه يعي حجم مأساته ، فيصنع ذاته كإنسان بالمعنى الفلسفي للكلمة ( براكسس ) ، ويصنع في الوقت ذاته نفسه كمقاتل من أجل قضية . وهكذا نعثر في هذا المسار على مستويات عدة : المنفى ، البؤس ، حركة الحياة الضرورية ، تملك الوعي ، ثم بدء المعركة . وعملية الصنع هذه لا تتم كما نرى انطلاقا من ارادة أخلاقية محضة ، بل تأتي كضرورة تاريخية أنتجتها جملة ظروف وشروط تاريخية خارجة عن ارادة الفلسطيني - اللاجئ .

وأم سعد هي محصلة هذا المسار ، فهي كلية ايجابية فاعلة على الرغم من شروطها البائسة ، وهي كبطل نمطي تصنع ذاتها والتاريخ من خلال تعايش مستمر للزمان بأبعاده الثلاثة . ولقد استطاع غسان كنفاني بموهبته الادبية أن يعطي صورة مادية متسقة لأم سعد ، فهي ليست البطل - الفكرة الذي يتحرك في عالم ميكانيكي ، عالم فكراني ، بل هي إنسان حي مشخص نراه وتلمسه في كل منعطفات حياتها اليومية ، ويذكرنا حذق غسان هنا بكلمات بريشت حين يقول « لا يجب أن نرى البطل الايجابي في صميم المعركة فقط ، بل يجب أن نراه أيضا كيف يذهب الى الخبز ويشترى خبزه » .

والآن ما هي المستويات التي يمكن أن نعثر عليها في شخصية أم سعد . قبل أن نبدا ذلك يجب أن نؤكد بأننا لا نرى في أم سعد بطلا متفردا بل نرى فيها نموذج البطل الايجابي ذي خصائص ولدتها ظروف تاريخية محددة ، فصوتها هو « صوت الطبقة الفلسطينية التي دفعت غالبا ثمن الهزيمة » (١١) .

المستوى الاول هو حضور الماضي ، ونرى ذلك خلال مؤثرات عدة أهمها الاحتضان المستمر للأرض : « مسحت من فتحتها عرقا بدا يابساً ورمته نحوي :

— « قطعته من دالية صادفتني في الطريق ، سأزرعه لك على الباب ، وفي أعوام قليلة تأكل غنبا » .

— « قد لا تعرف شيئا عن الدالية ، ولكنها شجرة عطاء لا تحتاج الى كثير من الماء . الماء الكثير يفسدها ... » (١٢) .

هنا يلقي الماضي ظله على الحاضر ، وفي عملية الالتقاء هذه يكون الماضي مسيطرا ، لكنها ليست سيطرة ستاتيكية بل سيطرة دافعة . نلمس نوعا من الدائرية المحكومة بالذفع والحركة : حاضر يرتمي في الماضي ، وماض يرتمي في الحاضر ، كل ذلك من خلال علاقته ديالكتيكية فاعلة .

ويتجلى الحنين الى الأرض في مكان آخر حين تقول :

« والزيتون لا يحتاج الى ماء أيضا ، انه يمتص ماءه عميقا في بطن الأرض ، من رطوبة التراب » (١٣) .

من خلال « عرق الدوالي » والزيتون يتم استرجاع الماضي ، وهذا الاسترجاع له دور وظيفي ، وهو تجميل الحاضر بواسطة أرجاع قسري لخضرة الماضي « سأزرعه ، وسترى كيف يعطي غنبا ، هل قلت لك أنه لا يحتاج الى ماء ، وانه يعتصر حبات التراب في عمق الأرض ويشربها ؟ » (١٤) .

وإذا كان يؤسس الأرض قد ولد السماء ، فان يؤسس الحاضر يعيد توليد الماضي ، والفرق أن التوليد الاول دليل على اليأس ، في حين ان التوليد الثاني يمور ويتحرك ويندفع الى الامام .

المستوى الثاني ويتضمن شروط الحياة المادية التي نفوس فيها أم سعد والتي تشكل المادة الخام لتلك الوعي ، والتي تفيجس بواسطة الممارسة والعمل الجماهيري . وتشكل شروط الحياة المادية كلية بائية حيث أن هناك حضورا مستمرا للبؤس على جميع مستويات الحياة اليومية ، هناك قمع متعدد الأبعاد .

فالمخيم هو التعبير الأكثر قوة ، انه نبراس البؤس والقمع ، انه نقيض الوطن والكرامة والحرية ، انه يجثم ثقيلاً وربما بشكل قاتل لو لم تنطلق منه بندقية . وأم سعد تعيش فضاء المخيم بكل أبعادها » .

حكى الوحل بأصابعها الخشنة ، ثم تركته لشأنه حين أحسست انه ما زال طريا ، وقالت :

— طاف المخيم في الليل ... الله يقطع هالعيشة (١٥) .

— صرت امرأة عجوزة . صرت اتعب . أمضيت كل الليل غارقة في الوحل والماء . عشرون سنة ... (١٦) .

— لا أريد أن أموت هنا ، في الوحل ووسخ المطابخ » (١٧) .

وإذا كان المخيم هو المجال الاول للقمع ، فان مكان عمل أم سعد هو المجال الثاني للقمع « كانت أم سعد قد وصلت ، نازلة ، الى الطابق الثالث ، لاهثة وراء الماء ورغوة الصابون وبرد الشتاء يقرص قدميها الخافيتين . بلحم كفيها المخرجتين بأثار أحذية الصاعدين والهابطين » (١٨) .

وإذا كان المخيم هو رمز مفقدان الهوية القومية المحددة ، فإن مكان العمل رمز الاستغلال . وهكذا فأم سعد تضحو لاجئة ( معنى قومي ) وعاملة مستغلة ( معنى اجتماعي ) . قمعان مترابطان دياكتيكيا .

هذه الشروط البائسة تمهد لخلق المستوى الثالث ، مستوى تملك الوعي . فسنوات الخيام والتشريد والاستغلال أعطت تجربة متراكبية غنية كفيلا بخلق شخصية فلسطينية جديدة ، وهكذا غان التاريخ يسحب معه الفلسطيني ( شكل - ذات ) ويجعله يعبر مسار تجارب طويل . وبعد هذا المسار تبدأ لحظة جديدة ، لحظة فاعلة كسرت كل جسورها مع اللحظة السلبية الجامدة . فأم سعد هي أذن المحصلة التاريخية - الاجتماعية لكل هذه السنوات من القمع المتعدد الأشكال . وتلمس هنا دياكتيك الذات والموضوع في التاريخ . ففي البدء كانت الذات . ( أو بشكل أدق شكل - ذات ) تشكل جزءا خاما من الموضوع ، تتكامل مع شروطها دون أن تستطيع أن تفعل بها أو تغيرها ، بعد ذلك ومن خلال الممارسة « انضمت » الذات عن موضوعها وطفقت على السطح أي أصبحت قادرة على رؤية مساحة البؤس الشاسعة التي تعيش فيها ، وأصبح الفلسطيني بدون أو هام ، ولم يعد يكتفي برحيله الصامت والصوفي إلى أرض الوطن ، بل أضحي وأعيا لعمق مأساته ، لكن هذا الوعي مع ذلك لم يكن مرتبا ودقيقا ليدفعه بنهج الطريق السليم لتحرره . في اللحظة الثالثة لم يعد الفلسطيني مراقبا بوعي لحاضره فقط ، بل بدأ يتسيد على واقعه بمعرفة السبل والادوات الضرورية للتحرير ، وهكذا وبعد أن كان الموضوع هو السيد في اللحظة الأولى ، أصبح شكل - الذات ( الفلسطيني ) هو المسيطر (١٩) . وعملية التسيّد هذه هي عملية تطور Processus وليست معطى مباشرا ، فأم سعد هي محصلة طويلة تتضمن عجز ١٩٤٨ وابنهسا المتهمد أيضا .

في هذا المسار المتضمن لتسيّد الذات على الموضوع ، يبقى البراكسس Praxis هو الحلقة الأساسية ، حيث ان بدء المسار وتصحيحه وتحديد هدفه مشروط بشكل جوهري بالممارسة والحركة الفاعلة ، ذلك أن صحة المشروع مهما كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا لا تتأتى من صحة الأفكار المركبة له بل من صحة هذه الأفكار بعد أمزارها على حجر التجربة .

بعد كل هذا تصبح أم سعد وعيا جمعيا شفافا قادرا بتراكم تجربته على محاكمة الامور . ويتلاشى عالم سلبي بقيمه ليظهر عالم جديد وقيم جديدة . كما تتوارى رموز لتحل محلها رموز جديدة « كان المختار يحكي لي القصة وكنت أضحك بعبي ، وقلت له اخيرا « مليح اللي ما ضربوك ، احمد ربك عالسلامة ! » فزعل » . فالمختار ذلك الرمز الساقط يعطي مكانه وليس طوعا للفدائي الذي بدأ يعد نفسه ليخلق عالمه الجديد « (٢٠) . أنا أعرف أن سعد سيخرج من الحبس . الحبس كله ! أتفهم ؟

يتغير هنا طعم الأشياء وتختلف دلالاتها ، فخيمة الفدائي ليست ذلا كخيمة المخيم « خيمة عن خيمة تفرق » . ويجب أن لا ننسى هنا بأن الممارسة هي التي تجاوزت وأعدت بناء خيمة المخيم لتجعل منها خيمة فدائي .

يتغير طعم الأشياء ليس بتعال صوفي وتسام روحاني عقيم بل من خلال اعادة صنع الأشياء « لما مضيت من توي إلى المخيم ، وفي مستنقع الوحل شهدت أم سعد واقفة مثل شارة الضوء في بحر لا نهاية له من الظلام » (٢١) .

تلمس هنا على جملة متغيرات تعبر عن مرحلة جديدة ، من خلال ثنائيات عدة :

المختار / الفدائي ، خيمة اللاجئ / خيمة الفدائي ، المخيم / المعسكر ، اللاجئ /  
المقاتل ، « سيرجع / سيذهب » ، الحجاب / الرصاصة .

بدلاً من تحسر عقيم على ماضٍ أخضر ، نرى عالم البنادق والمقاتلين ، عالم الصحو  
والثورة ، حيث يتحرر الإنسان من كرت الاعاشة وسقف الزينكو وبسطار الدولة .

ان المستويات الثلاثة السابقة ليست منفصلة بل تشكل مستوى واحداً خلق  
وتموضع وتبين خلال الممارسة التاريخية ، ان يمثل ديالكتيك التمع والثورة ، عملية  
صنع الانسان المناضل .

ان المسار الطويل الذي تضمن الجحيم والمطهر والذي ألقى بالفلسطيني في كلية  
بائسة ثم أعاد صياغته بحيث لا يكون حلقة ساكنة في « التاريخ » بل يصنع ذاته ،  
وبصنع ذاته يتطابق ويتمثل بالحركة التاريخية فيصنع تاريخه الحقيقي ، تاريخ  
محكوم بالصراع وليس مجرد امتداد زمني بارد .

- |      |   |
|------|---|
| ١ -  | Littérature No. 13, p. 17-19.   |
| ٢ -  | « سنتبع هنا الترتيب حسب الخطوطة المطبوعة على الآلة الكاتبة وليس حسب الطبعة العراقية » ص ١ . |
| ٣ -  | ص ١ .   |
| ٤ -  | ص ٥ .   |
| ٥ -  | ص ٩ .   |
| ٦ -  | ص ٤ - ٩ .   |
| ٧ -  | ص ٢٢ .  |
| ٨ -  | ص ٣٦ .  |
| ٩ -  | ص ٢٤ .  |
| ١٠ - | المادية الديالكتيكية - مؤلف جماعي - دار   |
| ١١ - | الجهامر - دمشق ، ص ٢٦٨ .  |
| ١٢ - | غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، ص ٢٤٢ .  |
| ١٣ - | المرجع نفسه ، ص ٢٤٩ .   |
| ١٤ - | المرجع نفسه ، ص ٢٥٠ .   |
| ١٥ - | المرجع نفسه ، ص ٢٥٣ .   |
| ١٦ - | المرجع نفسه ، ص ٢٦٩ .   |
| ١٧ - | المرجع نفسه ، ص ٢٧٠ .   |
| ١٨ - | المرجع نفسه ، ص ٢٧١ .   |
| ١٩ - | B: Kedrov: Dialectique, logique, gnoséologie; Eds: Moscou, p. 349-355.                      |
| ٢٠ - | غسان كنفاني: الأعمال الكاملة، ص ٢٥٤ .   |
| ٢١ - | غسان كنفاني: الأعمال الكاملة، ص ٢٧٢ .   |

## ثقافة

## النياس خوري

من أجل الشعر  
والحياة

سوداء ، قد لمس وجهي وكشطه فالتفت واذ بعنقتها الطويل الملتوي يتهاوى . آنذاك تعلمت ان البجع حين يموت لا تفنى » .

يكتب نيرودا طفولته ، وكأنه يرسم مستقبله . لكن البجع حين يموت كانت اغانيها تملأ الارض . فالعمال الذين لم يسروا في جنازة الشاعر لانهم كانوا نزلاء السجون ، غنوا اغنيات البجع الجميل وهو يموت مستسلما للارض التي أحبها ، وللحقول التي تفنى بعناصرها . فحين مات البجع من الحرقة الى جانب الوحدة الشعبية التثيلية التي دمرها الفاشيون بأقدامهم وبأسلحة امريكية ، كانت كل العصافير في فضاء القشيلي الواسع وفي مساء امريكا اللاتينية ، تردد الاغنية الثورية التي لم تكتشف جسدها ، بقيت حول جسد غيفارا وكأنها مدخل الى بداية تغيير العالم .

ماذا يقدم النقد لمذكرات نيرودا ؟

يقف على هامشها ، ليشهد للشعر . موت نيرودا هو شهادة جديدة للشعر ، لاغاني الفرح والامل ، وهي تكتب لحظة العشق ، وترسم شريطا طويلا ، للحياة ، بتفاصيلها الجميلة ، وقد استحالحت الى ذاكرة شبه جماعية . هكذا نعيش مع الشاعر في تفاصيل حياته ، لنلتقط لحظات مفتحة في الماضي ، لحياة ثقافية بالغة الغنى ، انتجت اجمل الشعر الاسباني المعاصر - لوركا ، البرتي ، نيرودا ... هنا ندخل الى بيت الشاعر ، الى اشياؤه الخاصة جدا ، ولا نخرج بنتيجة نهائية . فالمذكرات ، ليست اكثر من تحليل على الواقع والفن في آن . فهي توحى لنا بأنها تقدم الواقع

يعود نيرودا الينا ، في مذكراته ، وكأنه مات لحظة ، ليستفيق الى الابد . غالبيت الذي نهيه الفاشيون وبداخله رجل يحتضر ، يتحول الى تصيدة جديدة ، يحفظها فقراء العالم ، وهم يمارسون باصرارهم على الحياة ، بناء حياة جديدة ، لا تستطيع الاقدام الفاشية تحطيمها . نيرودا هو الشاعر ، الذي يلخص في شعره وموته ، لحظة التقاطع بين الحلم الثوري الجميل الذي تصوغه الاغاني حين ينشدها الفقراء ، وهم ينحنون على التراب او على النحاس والممارسة الثورية التي تفرم الواقع . ثم حين تنكسر تحت ضربات الضباط تنحني لتلتقط ابناءها وتعاود المسيرة . جراح الشعر ، هي جراح العمال والفلاحين والحالمين ، الذين يمسكون بأوراقهم يحولونها الى طائرات من ورق ، يحملون طفولتهم باليد التي ترسم طفولة المستقبل .

« هكذا كل يوم ، اكثر من عشرين يوما ، كنت آخذها الى النهر وأحملها الى بيتنا . كانت البجعة كبيرة ، حجبها حجمي . ذات مساء كانت غارقة في التفكير . سبحت تربي لكنها ما اهتمت بالذبابات التي أردت بها تليقها الصيد من جديد . مكثت هادئة فأخذتها الى حضني من جديد بنية أن أحملها الى دارنا، وما أن اوشكت أن ترتاح في صدري حتى شعرت ان شريطا قد انحل . ان شيئا كأنه ذراع

✽ مذكرات بابلو نيرودا ، ترجمة د. محمود صبح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٧٥ .

بعد هذا ، لا معنى لنتقد شكل الشاعر . فالنتقد هو علاقة موضوعية بالاشكال الادبية . انسه محاولة لاكتشاف العناصر الداخلية التي للشكل الادبي وربطها بواقعها الايديولوجي والسياسي ، ثم كشف علاقتها باشكال الممارسة الاجتماعية التي تتمثل في الصراع الطبقي . لا تأخذ هذه العلاقة شكلها الفعلي ، الا داخل ممارستها . اي داخل الكتابة النقدية التي تستعيد ماضي العمل الادبي لتكشف حاضرها الممارسة الادبية باسرها . لكننا هنا لسنا امام امكانية ممارسة ، فالنص الذي امامنا . هو شكل الشاعر البريء من الاشكال ، الذي يحاول ان يقدم لنا صورته الخلفية ، طفولته حوافزه ، ومشاكله ، دون اي ادعاء مسبق . فتأخذ هذه الصورة ، شكل تصيدة بلا ضوابط ، لان الشاعر يبقى في نهاية المطاف هو القصيد التي تحاول كتابة نفسها فلا تستطيع .

لذلك نقف على عتبة هذه الحياة البرية المليئة بالازهار والاشواك ، لنستعيد حياة احد كيسان شعراء هذا العصر ، الذين كتبوا ملحمة الانسان ، نشيدا شاملا ، يستعيد الماضي ، ليضع يده على عتبة المستقبل .

« في بداية تعليمي الكتابة ، شعرت ذات مرة بشعور عارم يغمرنني فسطرت بضغ كلمات شبه مسجومة ، عجبت لها ومنها فقد كانت مختلفة متميزة عن الحديث اليومي والكلمات الاتيعة . اعدت نسخها في خط اتيق بعد ان شذبتها ، كتبت حينذاك اسير جوى عنيق ، سجين شعور ما كتبت فنغرت به من قبل البينة ... اخذتها الى والدي ، كانا في غرفة الطعام غارقين في حديث من احاديثهم هذه التي كانا يهيمسان بها همسا وبصوت خفيض جدا ، احاديث تفصل اكثر من نهر بين عالمين ، عالم الصغار وعالم الكبار . وكان ذاك الحديث على ما يبدو خاصا بعالم الكبار . مدت لهما الورقة ذات السطور ، وكتبت ما زلت ارتعد من هبول زيارة الوجيه الاولى ، تناولها والدي وهو ساه غافل ، فقرأها وهو ساه غافل ، اعادها لي وهو ساه غافل ، ثم قال :

— من أين استنسختها ؟

وتابع حديثه مع امي في صوت خفيض عسّن شؤونها العاجلة والاجلة . هكذا ولدت اولى

بشكل روائي او شبه روائي . لكنها لا تقدم الواقع ولا الرواية . تقدم نصا يقع بينهما . فهي ليست الواقع : لان النص ، أي نص ، لا يستطيع ان ينقل الواقع . الواقع غمتت في الذاكرة ، يأخذه النص ويعيد تنظيمه ، يعيد تركيز مفصله ويقدمه بشكل جديد . ويقدر ما يستطيع النص اكتشافه جدل الواقع الحقيقي ، يقترب منه ويتسمى بالواقعية ، لكنه حتى في هذه الحالة ينتخب من التفاصيل يشذبه ويعيد ربطها بتفاصيل اخرى . هكذا النص هو شكل آخر من الممارسة . يقدم الواقع كي يقدم نفسه . أي انه حين يقدم الواقع ، يغلفه ، ويعيد تنظيمه بعناصر جديدة تحيله الى شكل جديد . والمذكرات ليست رواية ، لانها شديدة الالتصاق بحياة كاتبها . لانها محاولة اعطاء صورة منتخبة من حياة فرد وعلاقاته . لكنها لا تنضبط بالبناء الروائي ، فالبناء الروائي هو شكل يشبط اعصارا حياتيا ، يفتح له قنوات يربطها بجزى واسع هو جسد الرواية . اما في المذكرات ، فنحن امام اعصار دون قنوات . نحن امام حكاية متقطعة ، تروي لتخدم هدفا مباشرا ، اعادة صياغة الماضي من اجل تقديم شهادة . فينحل البناء الروائي امام الشهادة ، ليبقى اعصار الحياة في تنجره وامثلائه ، هذه هي العلامة الوحيدة التي يخرج بها الكاتب والقارئ في الوقت نفسه .

هكذا لا تقدم المذكرات الواقع ، ولا تقدم الفن . تقدم جزيا منهما ، يتجاوزهما الى لحظة الامتلاء التي تسبق الكتابة الفنية ، الى الاشكال وهي تتكون ، تنتقل من الواقع لحظة توجه فنية ، تلبسه وتعيد صياغة بعض مناصره . فالمذكرات ، هنا هي شهادة . شهادة مرحلة ثقافية وسياسية كاملة ، لكنها شهادة بلا شكل ، لذلك تأخذ شكل الشاعر . تصبح كقصيدة ملحنية طويلة ، بلا اوزان . تنزك نفسها لضدفة الخلق ، وتعيد تجنيع عناصر الذاكرة الشعرية وكانها عناصر مفتتة في المكان والزمن . هنا اهية هذا الكتاب . انه نيزودا الشاعر الذي احببنا دون اشكاله ، دون اللباس الذي يضغه الشعراء خارجا بينهم وبيننا . لكن الشاعر ، لا يستطيع الغاء لغته . فهو لا يعرف نفسه خارجها . لذلك تأتي كتابته على ذاته بلباس شعري ، وتكتب المذكرات بلغة تقترب من لغة التصيدة .

بهمجية . لذلك كانت الثورة الاسبانية ، ثورة جنود الجمهورية والفصائل الاممية تحمل النقيض الفعلي للدمار الفاشي . هكذا ولد ديوان نيرودا « اسبانيا في القلب » طبعه الجنود في الجبهة بعد أن صنعوا ورقه بشكل حر في وجهه على اكتافهم في رحلة الهزيمة الى فرنسا . هذا المعنى ، الذي يقدمه الجنود في الصف الامامي من القتال ، يؤشر الى الدور الذي يستطيع الشاعر ان يلعبه في مراحل التوجه الثورية ، حين تصبح كلماته ، سلاحا آخر في جبهة القتال .

في لهب اسبانيا ، تعهدت الثقافة الغربية بأسرها في دماء الشعراء والعمال . وأصبح الانحياز السياسي والطبقي عنوان مرحلة ثقافية كاملة . وفي هذا اللهب خرج نيرودا مناضلا في صفوف الطبقة العاملة ، ليلعب دوره بوصفه شاعرا ومناضلا أمميا . هنا نتعرف مع نيرودا على العالم بشكل جديد، من خلال العلاقة بالادباء الثوريين في الخارج . كما نتعرف على التشيلي بنضالات عمالها ، وبذور الشاعر بوصفه نائبا في البرلمان ، لاكثر قطاعات تشيلي فقرا . حتى نصل الى النهاية المنجعة ، الى تجربة الوحدة الشعبية التي أنهاها الفاشيون حين قصفوا قصر الرئاسة ، وقتلوا ليندي : « لقد كان لهم ان ينتهزوا هذه الفرصة النادرة ، كان لا بد من افراغ الرصاص من الرشاشات في جسده فهو لن يتخلى أبدا عن منصبه . فدفن ذلك الجسد سرا في مكان ما . لقد مضى ذلك الجثمان الى اللحد لا يصاحبه الا امرأة واحدة وحيدة تحمل في نفسها ألم العالم كله ، ان تلك الشخصية المجيدة كانت تبني وهي مخرقة برصاص رشاشات عساكر تشيلي الذين خانوا تشيلي مرة أخرى » . وبعد ايام قليلة سوف تطوى حياة نيرودا ، وينتهي هو الآخر الى جانب صديقه ، في جوف الارض ، تاركين تشيلي مرة أخرى للعصبة الفاشية ، لكنهما يتركان هذه المرة تجربة غنية لعرس الموت الجماعي ، الذي سوف يبدشن بدابة ثورية جديدة .

نخرج من مذكرات نيرودا ، من مأساوية النهاية ، لنكتشف البداية . هذا الوله الغريب بالحياة . حب الحياة بشكل جنوني ، هو القوة السحرية التي جعلت من هذا الشاعر احد عناوين عصرنا . يقذف نفسه الى بحر الحياة بلا خوف ، يعارك الموج ،

تصاندي وهكذا تلقيت أولى عينات النقد الادبي الغافل الساهي » .

مدخل الشعر هذا يبقى ناقصا اذا لم نضف اليه ، حب الطبيعة الذي يبلغ حدا كبيرا ، ينظر نيرودا الى الطبيعة بوصفها امتدادا للانسان . هكذا تصبح الاشجار والنباتات البرية والحقول والادغال وحدة كونية كبرى ، يقف الانسان في وسطها ، ابنا لها ، وطفلا يتدرج في محبتها . نكتشف في هذا الكتاب جميع انواع النباتات التي تحفل بها جبال تشيلي الجميلة والتي في منحدراتها ، كتب نيرودا قصة هربه من الطفيلان بعد طرده من البرلمان ، ثم لاجلها ، كتب اجمل تصانده .

يقود هذا الوله بالطبيعة الى وله آخر . حب المسفر الذي يؤمنها منصب ديبلوماسي يحصل عليه الشاعر ، نتيجة شهرته الشعرية المكرة . في رانغون وسنغابور ، في مدن الهند الداخلية ، يكتشف نيرودا الانسان المسحوق . انسان الشرق الذي تستعبده الامبريالية وتمارس سحق روحه الثورية . هنا يصبح نيرودا مناضلا ديمقراطيا . يزداد احساسه بالظلم الاجتماعي والسياسي الذي يمارسه الامبرياليون . لكنه لن يصبح ثوريا الا في اسبانيا ، حيث عين قنصلا في مدريد . هناك سيلتقي بلوزكا والبرتي وسبعين سقوط الجمهورية الاسبانية بيد الكتائب الفرنكوية الفاشية . وسيكتب ديوانه الجميل « اسبانيا في القلب » .

في اسبانيا ، بدأت صداقة نيرودا ولوركا ، لتنتهي بمرثية كتبها نيرودا بعد مقتل صديقه الشاعر الاسباني الجميل : « وأي شاعر ! ابدا لم أر شاعرا مثله اجتمعت فيه اللطافة والعبقرية، القلب المجنح والشلال الشفاف . لقد كان فيديريكو غارتيا لوركا العبقري المسرف في وحيه والهامة ، بؤرة الفرح التي تشع كالكوكب بسعادة الحياة . كان نابغة وفكها ، كونيا وريفا ، موسيقيا غذا ، ممثلا رائعا ، غزما ومعقدنا بالخرافات ، لاجما ونييلا ، كان خلاصة اعمار اسبانيا وعهودها ، صنوة الازدهار الشعبي ، نقاجا مريبا - اندلسيا ينير ويغوح مثل أيقة ياسين على مسرح اسبانيا ، كان كل هذا ... »

كان مقتل لوركا المنجوع ، علامة على الزمن الفاشي الذي يسحق الثقافة ويقتل الكادحين

نفسه ، انه الشعر . ان النقد الخارجي الذي يقف بعيدا عن الشعر - الممارسة ، يترق نفسه في بحث هذه المسألة : موضوع الشعر . فلا علاقة للشعر بمسألة تطرح من خارجه . موضوع الشعر هو الشرارة الخارجية ، الملاحظة البسيطة أحيانا ، التي تشكل عالما داخليا متكاملًا . انه شرارة فقط ، لان القصيدة العظيمة هي كل المواضيع دفعة واحدة . لا تتوقف عند التفاصيل الا بوصفها دلالات : تأخذها وتعيد صياغتها في عالم رؤيوي جديد . هكذا لا تكون القصيدة واقعية الا بهذا المعنى . أما التبسيط الواقعي الذي ينتقده نيرودا في مذكراته ، فانه تحويل للشعر الى مجرد مادة دعاوية تستخدم الاوزان ، لتعيد انتاج العالم القديم الذي يفترض بها تفجيرها من داخله ، واقتراح بدائله . ثم يروي لنا نيرودا ، صفحات جميلة من معاناته الشعرية . وخاصة معاناته مع صفار النقاد . هذه العلاقة التوتيرية التي عاناها جميع الإديباء الكبار ، لانهم احبطوا بعالم قديم لا يفهم ولا يريد أن يقبل موته ، ثاني هنا بلغة تبرز المرارة بالفكاهة . تتوقف عند موت مايكوفسكي الفاجع ، لتكتب أهجية النقد الذي لا يواكب الشعر ويبسيه فهمه . « لقد قذفت بنفسي الى الحياة وأنا أكثر عريا من آدم لكنني كنت مصمما على المحافظة على طهارة شعري . لم يكن هذا الموقف غير المزعج نافعا لي فقط بل كذلك اهدف منه ان يردع التافهون الاستهزاء من الشاعر . فكان هؤلاء التافهون ، ان كان لهم قلب وضير ، يستسلمون امام شعري القيم وما يوظفه فيهم من عجان انسانية ، وأما الذين هم شرار فقد بدأوا يتخوفون مني » . هكذا وبكبرياء الفنان الذي يختزل في لغته طموحات مرحلة شعرية كاملة ، يحل نيرودا هذه المسألة . لا يسقط ولا يستسلم . يكتب شعرا كثيرا ، يمحن جنبه لشعبه بالكتابة ، ولا يسقط أمام اغراءات الخيانة . يقبل جائزة نوبل دون أن يتنازل عن حرف كتيبه . ترتفع هامته وهي مجللة بالكلمات ولا تتخني الا لتلتقط حبات تراب الوطن الذي اهب .

غير ان نيرودا ، يحل مسألة جهاغرية الشعر ، بشكل يبدو لنا سريما ومبالغا فيه . فهو حين يرفض الواقعية ، « اني امقت الواقعية حين يتعلق الامر بالشعر . وأكثر من هذا ليس هناك ما يفرض على الشعر ان يكون فوق الواقعية او تحت الواقعية

ينتصر وينهزم ، لكنه يحافظ على ايقاع الطبيعة داخل ايقاع دمه . هنا يسخم الشاعر ويستطيل ، حتى يصبح عنوانا لفصل خاص من فصول اللغة . « انا امضي اعمل بالمواد التي املك والتي هي انا . اني التهم كل شيء : المشاعر ، المخلوقات ، الكتب ، الاحداث ، المعارك ، لو استطيع لاكلت الارض كلها ولشربت البحر جميعه » .

داخل هذا النزق يضحك الشاعر ، يسكره ، يلتقط النباتات والحيوانات البحرية ، لكنه يكتشف في غمرة هذا الحب ، ان الحياة حين تفصلها البرجوازية على حجم قامتها ، تصبح ضيقة وبجاجة الى تهديم واعادة بناء . هذا هو سر انتمائية اجمل شعراء عصرنا . انهم وهم يرسبون على اوراقهم خريطة ذواتهم ، يكتشفون ان الحدود التي تفرضها البرجوازية على العالم ، تقفل الخيال ، وتحيل الانتميان الى سلعة او الى جثة . تفرض الخيار بين السلعة والجثة . لكن الشاعر يختار شيئا ثالثا ، يختار هدم العالم القديم ، تغييره بالكلمة والممارسة . في نقطة التناقض الداخلي هذه انتجت البرجوازية الغربية اجمل ادبها الحديث ، وانتجت الطبقة النقيض التي ستغير العالم . هكذا يصبح الاختيار الثالث انتماء طبقيا وسياسيا ، ويصبح الشعر في اكثر لحظاته فردية نشيدا جماعيا لعالم يولد من الانقاض . ما نقوله هنا لا علاقة له بالبرامج السياسية او بالظروف المرحلية ، انه يرتبط فقط بالاختيار التاريخي الاساسي الذي كان نيرودا شهادة عليه .

« اجيب على سؤال آخر وجهه الي الصحفي . كنا فعلت في السنوات الاخرى غائتي سائشر كتابا جديدا في الثلاثمائة وخمسة وستين يوما . انا متأكد من ذلك . اتي اداعب الكتاب ، ازوجه - اكتبه كل يوم .

— ماذا تغالج فيه ؟

ماذا أستطيع ان اجيب ؟ يعالج دوما في كتيبي الموضوع نفسه ، دائما اكتب الكتاب ذاته . فليغفر لي اصدقائي ان ليس ما اقدمه لهم في هذه المرة الجديدة في هذه السنة الجديدة الا اشعاري ، الاشعار الجديدة ، الاشعار نفسها .

بهذه البساطة ، يجيب نيرودا على اكثر الاسئلة الادبية صعوبة . ما هو موضوع الشعر ؟ الموضوع

الفرنسية الحديثة . هنا بالضبط يقع صوت نيرودا . انه آخر ادباء الطبقة العاملة « النبلاء » الذين حاولوا مخلصين ، انقاذ تراثهم وتاريخهم ومجتمعهم بالثورة . لكن محاولتهم الابداعية ، اصطدمت بحائط مسدود ، غابت الثورة من مكان اخر . وجاء الصوت الفني الجديد لا لينقذ ، لانه لا يقوم على تاريخ متواصل بل ليؤسس . هكذا تنفجر اليوم الثقافة الغربية الثورية . لانها تعيش في مجتمع ينفجر ولا مخرج له الا بالاختيار الذي رسمه نيرودا ورفاقه . وهذا الاختيار يصطدم بصعوبات كثيرة . لذلك لا تطرح المسألة خارج دائرة الثقافة الغربية بمثل الوضوح الذي يطرحها به نيرودا ورفاقه الشعراء . انهم لا يبسطون المسائل ، لكننا في المقابل لا نعتدها . نحن وهم وجهان لمسألة واحدة .

في اللحظات الاخيرة ، كان الفاشيون يمزقون الكتب واثاث المنزل ، غيبا كان الشعراء نائما بهدوء في سريره . لقد رسم الطريق ، وهم ، البرجوازيين الفاشيون ، يقتلون الثقافة ويهدمون انفسهم . لذلك كان موت نيرودا شهادة لزمان قادم . زمن الجماهير التي تكتب الشعر لانها تكتب صفحة جديدة من تاريخ العالم .

لكن يمكن له ان يكون ضد الواقعية . وهذا الامر الاخير ، بالمعقول كله وباللامعقول جميعه ، اي بالشعر « . يؤكد على ضرورة العلاقة الواسعة بين الشاعر وجمهوره . ببسط هذه العلاقة في اتماص يرويها عن تجاربه الشخصية وعن علاقته بقرائه . هذه الظاهرة التي تبدو لنا تبسيطية ، تعبر في الواقع عن احتمالين مترابطين : فهي من جهة اولى تشير الى المدى الذي يستطيع شاعر القضية ان يتحرك داخله ، حين يصبح في مرحلة ما ، صوتا فنيا لمرحلة كاملة . وهذه هي حالة نيرودا . فهو صوت الشعر التشيلي الاساسي ، لانه لخص في شعره البساطة الى جانب الحلم ، داخل قضية الشعب . كما انها تشير من جهة ثانية الى ظاهرة ثقافية عامة . ظاهرة الدور الثقافي الذي لعبه شعراء وادباء الطبقة العاملة في الثقافة الغربية بوصفهم مؤهلين وحدهم لحمل اجمل عناصر التراث الثوري الثقافي البرجوازي ، ودمجه بتطلعات ثقافية تجعلها الطبقة العاملة . فالثورة ، هي محاولة الطبقة الثورية انقاذ المجتمع بأسره وهذا يتضمن بالضرورة انقاذ تراثه الثقافي . هذا ما يفسر دور ارغون وايلوار وغيرهما في الثقافة

## مازق النقد الاكاديمي

ذلك الكثير ، فان هذا لا ينسحب بشكل مطلق على جميع الدراسات الاكاديمية ، التي تبقى ممثلة اخلاصا لاصالة ليست اكثر من خليط عجيب لمدارس نقدية متفرقة ، اخذت بنتائجها وليس بمقدماتها .

وإذا أخذنا الدراسات النقدية الفلسطينية كنموذج ، فاننا نجد ان نقد الصوت الادبي الفلسطيني ، لا يزال في مجمله أسير انطباعية نقدية فرضها توسع الصحافة السريع ، وتحول الموضوع الفلسطيني الى موضوع اساسي يشغل القارئ العربي بعد ولادة الثورة المسلحة . وتحاول بعض الدراسات المتفرقة الخروج على هذه الانطباعية ، بمحاولة دراسة الصوت الادبي الفلسطيني ككل . وحتى الان لا يوجد نماذج لهذه الدراسات الجامعة الا في محاولات الكتب الاكاديمية

يشكل النقد الاكاديمي ، اكثر مناطق الحركة النقدية العربية بروزا . فمنه خرجت اهم المدارس النقدية التي طبعت الادب العربي بطابعها المميز في هذا القرن ، طه حسين ، محمد مندور ، لويس عوض ، احسان عباس . . . لكن هذا النقد كان يواجه دائما بصعوبة تكونه في العلاقات الداخلية التي تحكم البناء الاكاديمي العربي ، حيث تنمو الروح المحافظة التي تقف بوجه كل جديد . وإذا كان كبار النقاد الاكاديميين قد استطاعوا بنسب متفاوتة كسر رتابة الجمود الجامعي، ودفعوا مقابل

✽ د. عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٥ .

من موسيولوجية الادب ، أي من المرحلة الأخيرة في دراسة العمل الأدبي .

### نقد الموضوعات Critique Thematique : اذا

أخذنا كتاب د. عبد الرحمن الكيالي في بنيته العامة ، فإننا نجده يقسم دراسته السرى ثلاث مراحل : ١ - مدخل الى الشعر الفلسطيني في مرحلة الصراع الوطني : حيث يعالج الشعر الفلسطيني قبيل النكبة والدور الذي لعبه . ٢ - في مرحلة النكبة : حيث يعالج الاصوات الشعرية التي خرجت بعد النكبة ومحاورها الاساسية . ٣ - شعر المقاومة في الوطن المحتضب : حيث يعالج الشعر الفلسطيني القادم من خلف اسوار الاحتلال الاسرائيلي . ان هذا التقسيم يأخذ في اعتباره عاملين اساسيين : الشروط التاريخية العامة التي تحكم وضع الشعب الفلسطيني، وتعاقب الاجيال الشعرية الفلسطينية . وهو نمذجة ممكنة ، لكنها تتجاهل محورا رابعا في الشعر الفلسطيني ، وهو شعر المخيم الذي ولد فعليا بعد الثورة الفلسطينية . فالؤلف يدمج هذا المحور بالمحور الثاني ولا يتكلم الا عن شاعر واحد منه هو القيسي . وهذا تعسف نقدي ، لا يسمع به الطابع الاكاديمي الذي للكتاب ، اذ يتجاهل الكتاب مجموعة كبيرة من الشعراء الفلسطينيين : احمد دحبور ، عز الدين المناصرة ، وليد سيف . . .

اذا درسنا هذه النمذجة بشكل تفصيلي ، فإننا نجد الى جانب المقدمة التاريخية العامة في مطلع الكتاب ، نمذجة لكل محور الى عدة موضوعات . فيقسم المحور الاول الى اربعة فصول : الوطن القومي الصهيوني ، الجبهة الوطنية الداخلية . المقاومة الوطنية والثورة المسلحة . الدراسات الادبية . وكل فصل يقسم بدوره الى موضوعات . ان التقلبة الاساسية التي يثرها هذا التقسيم هو الموضوعات الخارجية ، وهي موضوعات سياسية ، تجري نمذجة الشعر على اساسها ، فيصبح النقد مجرد نثر للنص الشعري . لا يضيف اليه شيئا ، ولا يتوقف الا عند نقطته الايديولوجية . أي يجري اختيار الموضوعات السياسية من داخل القصائد ، ثم تثر القصائد على اساس هذه الموضوعات . حتى تصل الى الفصل الرابع : الدراسات الادبية . حيث تبدأ بمقدمة صغيرة تدرج الشعر الفلسطيني داخل الشعر العربي وتؤكد على أهمية تصيدة

د. عبد الرحمن ياغي على وجه الخصوص ، اقامة بناء متكامل للادب الفلسطيني او في بعض الدراسات النقدية المتفرقة التي تحاول تأسيس نقد ادبي يقترب من الطلية .

كانت هذه المقدمة السريعة ، ضرورية لمناقشة كتاب د. عبد الرحمن الكيالي ، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين . لان هذا الكتاب هسو محاولة اكااديمية جديدة لدراسة الشعر الفلسطيني منذ بداياته وحتى اليوم . ولقد بذل الكتاب جهدا تجميعيا هائلا ، لجمع عناصر الشعر الفلسطيني منذ بداياته . دواوين شعرية ، مخطوطات غير منشورة ، رسائل شخصية ، اتصالات . . . وخرج بهمصلة هامة لجميع الشعراء الفلسطينيين ، بفتى مدارسهم وبمختلف قيمتهم الفنية . لكن هذا الجهد ، وظف من خارجه ، أي وظف بالموضوعة السياسية التي تحكم عنوان الكتاب - نكبة فلسطين - ولم تتحول هذه الموضوعة الى عنصر داخلي في استقراء الشعر ونهذجته ودراسته . ان الموضوعة الخارجية ، هي موضوعة النقد الاساسية . فالتنقد لم يجد تبرير وجوده التاريخي ، ودوره التميز في الحقل الأدبي ، الا لانه يستطيع ان ينقل تجربة الابداع الخاصة من دائرتها الى الدائرة الادبية العامة . فتصبح دراسة الاثر الأدبي النقدي مدخلا الى تحليل جميع الاثار الادبية ، وربطها ببعضها ، تمهيدا لوضعها داخل مستويي الممارسة : المستوى الايديولوجي العام ، وعلاقة هذا المستوى بحقل الممارسة الاجتماعية . فموضوع النقد اذن ، يأتي أساسا من خارج العمل الأدبي ، من ضرورة اجتماعية وفكرية مختلفة عن مكونات العمل الابداعي نفسه . لكن نقطة الانطلاق هذه ، لا تعني ضرورة بقاء العمل النقدي خارج العمل الابداعي . انه داخله وخارجه في آن : داخله ، لانه يلتقط مفاصله الاساسية ، يدرس بنيته الداخلية ، شكله وموضوعاته ، لغته وإيقاعه . حتى يستطيع ان ينتقل الى الخارج : حيث تتم هذه التجربة الخاصة داخل حقل التجربة الادبية العامة ويجري ربطها بحقل الممارسة الاجتماعية . هذه العلاقة المعقدة التي تشير اليها الممارسة النقدية ، تعني تجاوزا لنقطة الانطلاق الى حقل ممارسة واسعة ، تعيد صياغة موضوعات العمل الأدبي بشكل جديد ، ولا تقع أسيرة الموضوع الخارجي ، الذي يصبح جزءا

فإننا سنأخذ موضوعة الخصب ندمجها بالفضاد الذي تحفل به القصيدة ، لتتوقف عند الموت بوصفه النقطة المنصلية التي توحد الجذب بالمعانة الجماعية . هكذا تصبح الموضوعات مدخلا الى دراسة بنية القصيدة وكشف اضافتها الفنية على الشعر العربي الحديث . قد يكون النموذج الذي تقترحه سهلا ، لان قصيدة السياب تنتمي الى مدرسة شعرية اخرى وتسهل مناقشتها بالمقاييس التي نقترح . لكن اذا اخذنا قصيدة طوقان « اللثاء الحمراء » او « الشهيد » فانه يمكن مناقشتها بالمقرب الذي نقترح . اذ تؤخذ الموضوعات الداخلية . الموت في « الشهيد » لتجري مناقشة تعبيراتها المختلفة حتى تصل الى بنية القصيدة .

ان نقد الموضوعات ، اذا لم يندرج داخل علاقات القصيدة الداخلية ، فانه يقوم عمليا بالغاء المستوى الفني . يكتبني بنثر القصيدة واسقاط معان وحيدة الجانب على لغتها . حتى تصبح القصيدة مجرد كتابة ايديولوجية لا علاقة لها بالشكل الفني الذي هو سبب وجودها كقصيدة . لذلك يجب الفصل بدقته بين المستويات ، تمهيدا لاعادة ربطها ببعضها جديليا عند دراسة علاقتها بحقل الممارسة الاجتماعية . هذا الفصل الذي تقترحه هو الذي يميز الدراسة الادبية عن علم الاجتماع السياسي . فمادة الدراسة الادبية هي النص بمستوياته المختلفة . اما علم الاجتماع السياسي ، فهو علم مستقل ، قد يستخدم دراسة النصوص في سبيل تأكيد حقل دراسته الاساسية .

**الشعر الفلسطيني والشعر العربي :** لا يمكن دراسة الشعر الفلسطيني بمعزل عن الحركة الشعرية العربية . يأتي افتراضنا هذا ، من وحدة الزمن الثقافي والادبي العربي في العصر الحديث . « فالثقافة » يتركزها مصر ولبنان ركزت على مفاهيم انبعاث ادبية طبعته الحركة الشعرية الحديثة بطابعها . هكذا لا يمكن تجزئة الحركة الشعرية العربية جغرافيا ، كما جرى تقسيم الوطن العربي جغرافيا . ان هذا يعني وحدة مفهومية للمدارس الادبية التي عصفت بالشعر الحديث . وهذا لا يمنع بالمقابل بروز خصوصيات لشعر الاقطار المختلفة نتيجة ظروف سياسية مختلفة . لكن هذه الخصائص لم تنتج مدارس فنية متميزة . نوعت ضمن تطور المدارس الادبية

طوقان « اللثاء الحمراء » ، بوصفها كانت فتحا جديدا وظاهرة تغير شعري لموسى » . ثم تكشف عن مصدرى التأثير في الشعر الفلسطيني: الواقعية والرومانسية ، لتعود الى تلخيص الفصول السابقة بما تسميه « اغراض الشعر الفلسطيني في مرحلة الانتداب » . ثم يفرد صفحة واحدة لما يسميه « الشكل والملاحم الفلسطينية » .

يقود هذا المقرب النقدي الكتاب بأسره الى مأزق لا مخرج منه . فتحويل الشعر ، وهو بناء فني اساسا ، الى مجرد عنصر ايديولوجي وحيد الجانب ، يسحق الشعر ، ويحوله الى مجرد اطار ايديولوجي ، لذلك يتحول النقد الى راصد خارجي ، ويجري الفصل التعسفي بين الشكل والمضمون . يأتي هذا الفصل من منظور نقدي يرفض النقد العروضي والبياني ، يستبدله بدراسة الشعر من خلال موضوعاته . لكن هذه الموضوعات لا تستخرج من بنية القصيدة او من علاقاتها الاساسية ومناطق تركيزها ، بل تجري استعارة الموضوعات من اللغة السياسية المباشرة ، ويصبح النقد مجرد تنويع على هذه اللغة يستقط موضوعاتها الشعر ، فيقوم بنفره . وكأن الشكل الفني ، القصيدة ، ليس أكثر من عرض ، لجوهرها : مضمونها . هكذا تمحي الفوارق بين المستويات ، وتصبح اللغة ، وحيدة الجانب ، وتتحل دلالة اللغة الفنية الى دلالة واحدة ، هي الدلالة السياسية المباشرة .

ان هذا النقد الذي نوجهه للمقرب النقدي لكتاب الكيالي ، لا يقلل من قيمته ، كآثر تجميعي تحتاجه المكتبة الفلسطينية . لانه يقدم وثيقة كاملة للتيارات الايديولوجية التي حكمت الشعر الفلسطيني . غير ان نقدنا ، ينطلق من كون نقد الموضوعات ، يستطيع ان يتمحور داخل القصيدة ، ليكشف بنيتها واسلوبيتها من خلال كشفه لموضوعاتها الداخلية . اذا اخذنا قصيدة السياب « انشودة المطر » . فإننا اذا تبعنا منهج الكيالي فإننا ندرسها من خلال محورين : ١ - مقدمة عامة للوضع السياسي والاقتصادي الذي كان يعانيه العراق . ٢ - ثم نثر أبيات القصيدة تحت عناوين : القرية ، الموت ، الجوع ، المطر ... هكذا يفتت جسد القصيدة ، وتصبح نصا سياسيا - اجتماعيا ، كأي دراسة جيدة عن الوضع في العراق . اما اذا درسنا موضوعاتها الداخلية ،

العربية . هنا مصدر الخطأ الذي يقع فيه النقد حين لا يدرس الشعر الفلسطيني بوصفه جزءا عضويا من الحركة الشعرية العربية . فكيف يمكن مثلا فهم الاتجاه الكلاسيكي المزوج بالسخرية في شعر طوقان ، اذا لم نربطه بالتأثر الواضح بشوقي وباتجاهه الشعري الكلاسيكي . وكيف يمكننا فهم دخول القصيدة الحديثة ، قصيدة وحدة الموضوع والتعملة الى الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة دون حدوث مفاك ادبية كبيرة كالتى شهدها المشرق العربي في الخمسينات ، اذا لم تكن هذه القصيدة انعكاسا لمفهوم رسخ اقدمه في الخارج . وكيف يمكن دراسة بنية القصيدة عند محمود درويش دون ربطها بمراحل مختلفة لتطور القصيدة العربية المعاصرة : قباني ، السياب ، البياتي ، ادونيس . فقصيدة درويش هي محاولة لاختصار تاريخ الشعر العربي المعاصر في لحظة شعرية فنية واحدة . هذا الارتباط العميق الذي يجعل من الشعر الفلسطيني شعرا في زمن الشعر العربي المعاصر ، لا يلغى خصوصيته ، هذه الخصوصية التي تتبع من المكان ، ومن اشكال صدامية فرضت على شعب بشكل خاص - الانتزاع من الارض - مما اعطى لهذا الزمن الشعري اطارا نضاليا خاصا . فاصبح الشعر الفلسطيني هو الدخلى الى توحيد جميع العناصر الفنية في بؤرة نضالية تعيد تكوين دور القصيدة .

العربية . هنا مصدر الخطأ الذي يقع فيه النقد حين لا يدرس الشعر الفلسطيني بوصفه جزءا عضويا من الحركة الشعرية العربية . فكيف يمكن مثلا فهم الاتجاه الكلاسيكي المزوج بالسخرية في شعر طوقان ، اذا لم نربطه بالتأثر الواضح بشوقي وباتجاهه الشعري الكلاسيكي . وكيف يمكننا فهم دخول القصيدة الحديثة ، قصيدة وحدة الموضوع والتعملة الى الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة دون حدوث مفاك ادبية كبيرة كالتى شهدها المشرق العربي في الخمسينات ، اذا لم تكن هذه القصيدة انعكاسا لمفهوم رسخ اقدمه في الخارج . وكيف يمكن دراسة بنية القصيدة عند محمود درويش دون ربطها بمراحل مختلفة لتطور القصيدة العربية المعاصرة : قباني ، السياب ، البياتي ، ادونيس . فقصيدة درويش هي محاولة لاختصار تاريخ الشعر العربي المعاصر في لحظة شعرية فنية واحدة . هذا الارتباط العميق الذي يجعل من الشعر الفلسطيني شعرا في زمن الشعر العربي المعاصر ، لا يلغى خصوصيته ، هذه الخصوصية التي تتبع من المكان ، ومن اشكال صدامية فرضت على شعب بشكل خاص - الانتزاع من الارض - مما اعطى لهذا الزمن الشعري اطارا نضاليا خاصا . فاصبح الشعر الفلسطيني هو الدخلى الى توحيد جميع العناصر الفنية في بؤرة نضالية تعيد تكوين دور القصيدة .

هذا النمط من الدراسة ليس غائبا عن كتاب الكيالي بشكل كلي . لكنه لا يأخذ حجمه الفعلي ، نتيجة ضيق المساحة التي يفرضها اطار الدراسة النقدية في هذا المجال . فالتكبة عام ٤٨ ، ليست حديثا فلسطينيا فقط . فلقد كانت العامل المباشر في حدوث الانقلاب البرجوازي في حياتنا العربية . ولعبت دورا بالغ الاثر في جميع تيارات التحديث الثقافية ، ومن ضمنها تيار ما اطلق عليه « الشعر الحديث » . لذلك تصبح دراسة الحركة الشعرية الفلسطينية بشكل مستقل ، عملا ناقصا ، لاننا حين نهمل العلاقة العضوية بالشعر العربي ، ونختصرها الى مجرد التفاتات مابرة ، فان النقد يسقط في شرك الوهم الايديولوجي الذي يركز على الطابع الفلسطيني الخاص في كل شيء .

القصيدة : ان المنهج النقدي الذي حكم دراسة الكيالي ، قام عمليا بالغناء القصيدة كمفهوم . اذ

انه فرض تفتيت القصيدة الى ابيات تخدم دراستها من خارجها اي دراسة اغراضها . واذا كان هذا المنهج ممكنا في دراسة القصيدة العربية القديمة التي تستند الى وحدة البيت الشعري ( رغم ان هذه القصيدة تحلل بنية خاصة بها ووليئة بالدلالات ) . أما في دراسة القصائد الحديثة والمعاصرة التي تستند الى وحدة القصيدة ، فان هذا المنهج ، يقودنا الى تدمير مفهوم القصيدة ، ويصبح النقد الادبي ، مجموعة تنويعات على مضامين جرى ظمها من سياقها . ان الاتجاز الاساسي الذي قدمته الحركة الحديثة هو القصيدة كمفهوم . أي القصيدة كوحدة عضوية تتناوب فيها الدلالات ، وتقيم علاقات داخلية ، تحول الشعر من مجرد لحظات متفرقة الى حالة متكاملة . عند دراسة القصيدة ، يجري ربط الشكل بالمضمون في وحدة متدرجة ، لا تدمجها بشكل اعتباطي ، لكنها تكشف دلالاتها وعلاقتها ببعضها . وهذا ما نفتقده في هذا الكتاب . فلقد قام المؤلف بالغناء القصيدة ليؤكد على دور الشعر . ومفهوم دور الشعر هو مفهوم مبسط رغم انه في الحالة الفلسطينية بالغ الوضوح ، اذ انه قد يتعود الدراسة الادبية الى التركيز على الشعر من عناصره الخارجية . أي على المدلول مع حذف الدال . وهذا يقود الى منزلق آخر . اذ ان العوامل التي تتحكم بالمدلول ليست هي نفسها عوامل الدال . فبنية القصيدة قد تقدم مدلولات مختلفة في شروط اجتماعية مختلفة ، لكن عناصرها الداخلية تبقى واحدة . يقودنا هذا المفهوم الى ضرورة مناقشة اللغة الشعرية بوصفها العامل الاساسي الذي يحكم بنية القصيدة .

يندرج المجهود الكبير الذي بذله د. كيالي ، تحت باب آخر ، انه اضافة جدية الى ما سنطلق عليه اسم النقد الوثائقي ، الذي يقوم انطلاقا من موضوعا معينة ، بتوثيق الشعر على اساسها . وهو بهذا المعنى ، كتاب هام يضيف الى المكتبة الفلسطينية معلومات جديدة وشبه لمبوسة عن تاريخها الشعري . وهو بذلك يسمح بالانتقال من التوثيق الى النقد الفني . هذا الانتقال هو الذي سيقوم بعملية الدراسة المعقدة للاضافات التي قدمها الصوت الفلسطيني الي شعرنا العربي .

ان النقد الجديد ، النقد الداخلي ، هو المؤلف

بشكل جديد . وعلى ضوء التطورات الواقعية والثقافية التي عصفت بمجتمعا .

ان يقوم بهذا الدور . وهو بهذا لا يقوم بعملية الغناء اعتباطية لما سبته . يقوم بعملية انقطاع منهجية ، تسمح له بأن يعيد دراسة موروثنا الادبي

## الكتابة الانقلابية !!

عن ترمس طويل بأصول العربية ، وبقدرة اللغة على الاتعنا . فتأتي لغته محتنية ، لا أثر فيها للتنوعات المتوترة التي نلاحظها في اكثر الشعر الحديث . بساطة هذا الشعر هي انعكاس لضيق رقعة تجزيته ، فهو يقف على ارضية الشعر الغزلي ، ليلتقط منه مواد اساسية يعيد صياغتها على ضوء المعطيات الواقعية . فتأتي قصيدته وكأنها صوت البرجوازي الدمشقي الصغير وهو يبحث عن مكان لحيه وكتبه في مجتمع لا تزال تقوده القيم القديمة . هذا النزوع الى نوع من التحرر يسكب في صيغة تأخذ من التجربة الشعرية المعاصرة بساطتها لتعيد كتابتها على ايقاع الشعر القديم . تتوحد القصيدة دون ان ينكسر المبود الشعري . هذه الصيغة التوثيقية التي انتجتها اسلوبية قبانى ، استطاعت عبر لجونها الى الايقاع الخارجي والصورة البسيطة بجميع اوجهها — تشبيه ، استعارة — والتي تبقى بسيطة مهما اخذت من اوجه لانها تقيم علاقة بين عنصرين واضحين ، يخدمان كتأكيد لدلالة نقطة انطلاقتها ان تقيم قصيدة متمايضة . هكذا أتت القصيدة النزارية وكأنها تخرج من ذاكرة بعيدة وكأنها بلا ذاكرة في آن . انها تقيض ما يسمى بمصنوع الانحطاط من حيث الشكل ، دون ان تدخل قضيته الى الشعر العربي فعليا . نوعت على القضية الازلية — الحب — والبيتها لباسا اجتماعيا معاصرا .

**الموضوع الواحد:** الحب الذي لا ينفذ ( لا يوجد فعليا موضوعات تنفذ ) . يجيب هذا الموضوع على تطلعات جيل جديد ( نحن في الخمسينات ) بسدا يعي التناقض بين نمط حياته المدني — الذي غزاه الانتاج الرأسمالي — وبين الافكار السائدة في مجتمعه . عند نقطة التناقض هذه ، استطاعت القصيدة النزارية ان تعبر عن طموحات مرحلة . لكنها في المقابل بقيت تراوح عند نقطة واحدة .

ربما كانت الكتابة على أدب نزار قباني انطلاقا من كتابه الثري الجديد « الكتابة عمل انقلابي » . مدخلا جزئيا لا يستطيع استيعاب تجربة احد اكثر شعراء العرب رواجاً . فنزار قباني قد ادخل الى الشعر العربي الحديث لهجة مختلفة تقف بين الماضي والمستقبل في لغة بالغة البساطة والشعبية ، تحافظ على بريق الكلمة الشعرية ، وتدمجه بأحد امكانيات التحرر — قضية المرأة والحرية الجنسية . شاعر اوقف حياته الشعرية على نفس المقرب الفني ، ضمن قاموس ضيق ، لا يمل من تكراره . لكنه ادخل في المقابل صوته الخاص الى خريطة الشعر المعاصر الذي يجمع الرومانسية الى احلام البرجوازي الصغير في التحرر والاعتناق . الاهمية الاساسية التي لقباني في ادبنا الحديث ، هي لغته الخاصة ، لغة الموسيقى التي تجمع عناصر كلاسيكية الى عناصر حديثة ، لتقدم خليطا متميزا لاحلام التحرر والاعتناق . وهو بهذا المعنى ليس ادبيا محافظا بشكل مطلق ، كما انه في المقابل ليس ادبيا تقدميا . انه نقطة الوسط . يؤثر عليه المحافظون ، لانه يفصحهم ويرفضه التقدميون لانه يبشر بحرية كاذبة . والاهم من ذلك أن جمهوره يحبه . وانه يستطيع ان يلعب بلغته نفسها ، يعيد القصيدة الواحدة عشرات المرات ، دون ان يمل أو يرفض . أهم ما في لغته الشعرية عنصران :

**البساطة :** التي تجمع اللغة الكلاسيكية الى طراوة المدينة . قبانى هو شاعر المدينة الاساسي في الشعر الحديث . ينوع على اللغة الكلاسيكية ، بالايقاع الجديد ، فتأتي قصيدته دائما طازجة ، فيها الطرافة الى جانب فكرة واحدة تدور حولها القصيدة . هذه البساطة غير المفتعلة ، هي تعبير

نزار قباني : **الكتابة عمل انقلابي** منشورات نزار قباني . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

بالبعد الايديولوجي اليومي ، الذي لا تستطيع الافلات منه ، والواقع ان بعض مقالات هذا الكتاب ( كان ولدي .. فصار ولدكم ، عن موت البجع والاطفال ، هل احترق بنار الشعر ؟ عيد ميلاد جرح .. ) تخرج عن اطار هذه المناقشة ، لانها تنبع من ألم حقيقي ، لا نستطيع سوى احترامه وتقديره .

الاساسي في لغة قباني هو الانتقال الى اللالغة . اي انه يفرغ بشكل منظم اللغة من دلالاتها . تصبح الجملة بلا دلالة حقيقية في الوقت الذي تدل فيه على كل شيء . هذا الانتقال الى اللادلالة ، لا يعني الخروج على اللغة . بل استخدامها من اجل افراغها من مضمونها . تصبح اللغة مائعة وصابونية ، تثرثر ، تقفز من موضوع الى آخر ، وتقول كل شيء ، وترضي جميع الاطراف .

ان عملية الانتقال الى اللالغة ، ليست خاصة قبانية بشكل متميز ، انها تيار عام يجد قاعدته في التسورم الخدماتي الصحفي الذي تعانته « بيروت » بصحفها الكثيرة التي تريد ان ترضي جميع انواع الانظمة ، لذلك لا تقول شيئا . وفي القمع الفكري الذي يمارس داخل اكثر الانظمة ، حتى تستحيل اللغة وسيلة لتحاول على نفسها ، تشير الى جميع الدلالات وتترك للقارئ حرية اختيار الاتجاه الذي يزيد . لا يعني هذا ان لغة اللالغة هي لغة حيادية . انها لغة بكاء ، لكنها في الوقت نفسه لغة الهيمنة الطبقيّة بامتياز . اذا انها تعود الى نقطة الفراغ حيث تخفتي المقاييس يجد اي شيء تبريره ، هكذا نقفز من مدح هذا النظام الى مدح عدوه . ومن التفتني بالمقاومة الى اكتشاف اخلاقية وزير الاردن الذي قدم بيده باقة زهر الى الشاعر ، هذه اليد التي لم تجف عنها بعد دماء الاطفال والمقاتلين في معركة ايلول ١٩٧٠ في الاردن . الغمز على حبال الواقع ، هو الوصول الى تبني الشيء ونقيضه في نفس اللحظة . الجلال والضحية يحاكيان بنفس الروحية . هذه هي لغة اللالغة . انها ليست على الحياء ، لانها تبريء المجرم من دماء الضحية ، وتضع على عرونها اوسمة مغمسة بدماء الشعب .

تختفي الهيمنة الطبقيّة الرجعية خلف الصمت . انها تريد نزع سلاح لغة النقد من الشعب ، وتستبدلها بلغة مائعة . حيث تفقد العلاقة بين

ففي عصر سقوط الهيمنة الرأسمالية ، عصر الحروب والثورات ، تدمج قضية التحرر بالتححرر العلم . او تبقى مجرد انقلاب يريد اجهاض ثورة . اي تبقى مجرد تحرر كاذب ، يستتر بقضية جانبية لكي يخفي القضية الاساسية ، هكذا لم يعرف شعر قباني المرارات الا في المناسبات ، العدوان الثلاثي ، ثورة الجزائر ، هزيمة ٦٧ . وبقي يدور وكأنه فلك مستقل لا يخضع الا لجاذبية تاريخه الشعري . يختفي خلف قدسية الشعر وجماليته الخاصة ، او يرفض هذه الجمالية ، لكنه في قبوله او رفضه لا يطرح قضية فنية . الا قضيته الاولى ، جماهيرية الشعر ، انطلاقا من قدرة الشاعر على صياغة موضوعه الجماهيري داخل لغة القصيدة المختلفة .

داخل هذين العنصرين ، تقوم بنية القصيدة النزارية ، ترفض الشكلية لتبقي على الاساس في الشكل القديم . وترفض الجاهز لتقيم هي تقليدها الجاهز . فدخلت قصيدة نزار قباني التاريخ الشعري العربي المعاصر ، بوصفها لحظة في تطور القصيدة العربية . دخلت بانضاعتها وطراوتها وبكلاسيكيتها الجديدة ، يهدوء . لم تثر نقاشات فنية بقدر ما اثارت نقاشات سياسية واخلاقية . هكذا يتجمع الشاعر وتسطق القصيدة . ويصبح نزار قباني ظاهرة شعرية خاصة في مبلغ جماهيرته .

**من اللغة الى اللالغة :** تخدم هذه الملاحظة التي رغبناها ، كمقدمة لدراسة تفصيلية لشعر قباني وتواجه . لكنها هنا ، تكشف العنصر الاساسي الذي لغته الشعرية ، اي للعنصر الايديولوجي . واذا كانت دراسة هذا العنصر داخل القصيدة عمليّة بالغة التعقيد ، فان قباني يكشف لغته ، حين يعيد كتابتها نثرا . داخل ايقاع القصيدة ، تختبئ العناصر الايديولوجية وترفض الظهور . لذلك تحتاج دراستها الى تفكيك صبور لبنية القصيدة . اما في النثر ، فتكشف اللغة . تأتي عارية من ايقاعيتها ، لا يشفع بها سوى كلمات ترن في الذاكرة . فتنهار ، تكشف نفسها وتفضح اسرارها .

لذلك كانت قراءة كتاب قباني النثري الجديد عملية ضرورية ، لانها تساعد على الاقل ، في فك دلالات لغته الشعرية . حيث تأتي اللغة محسوسة

هناك ميزة أخرى للغة اللالغة هذه . انها تختفي خلف اللغة الثورية ، تدعو الى رفض الذاكرة ، والى القدرة . لكنها ليست ثورة شعراء السبعينات كما انها « ترفض وضع قبلة موقوتة تحت سرير كونفوشيوس بعد خمسة الاف سنة من وفاته » . انها ثورة « متدنة » ثورة التطور . لا تحب الغرباء والصعاليك ، وتعتز بالناطقة الذبياني . هكذا تستطيع هذه اللغة اللجوء الى جميع الاشكال الممكنة ، فهي تارة « ثورية » وطورا محافظة . لكنها في الحالتين تحافظ على ثابتها الاساسي : الغاء الدلالة ، والبقاء في فراغ ، حيث تستطيع الايديولوجية المساندة ان تتمتع دون رقيب .

ان النصوص النظرية في هذا الكتاب ، ليست اكثر من مؤشرات باللغة الدلالة ، لمرحلة قادمة ، تبشرنا بها القوى المسيطرة . مرحلة الغاء الكتابة الفعلية بتحويلها الى كتابة استهلاكية بشكل مطلق ، وهنا تناقضها مع نفسها ، لاجل ذلك تستفيق في بعض النصوص لنعود الى الكتابة ، ثم تام مرة اخرى في شكلها الحالي .

أما لغة قباني الشعرية ، فهي موضوع شائك واكثر تعقيدا ، لكنها فيما عدا بداياتها وايقاعها الذي اكتشفتته في هذه البدايات ، تدرج تحت هذا العنوان الكبير ، الذي يريد افراغ النص من مضامينه الصراعية . هكذا فنحن لسنا امام كتابة انقلابية ، نحن فقط امام محاولة انقلابية ، تريد سرقة شعارات الثورة واجهاضها .

القصيدية . فالحلظة الشعرية ، بوصفها لحظة انفعالية ، يبلغ فيها التوتر اللغوي درجاته القصوى . لا تستطيع ان تتكون خارج شبكة علاقات ، تكون وحدة في الموقف والرؤيا . فشعر المنفى ، الذي تكون كصوت فني خاص بعد هزيمة ١٩٦٧ ، لم يبق عند لحظات بداياته ، بل استطاع بالتجربة والممارسة ان يؤسس ، لحظة رؤيا متكاملة داخل الصوت الشعري الفلسطيني . فقد استطاع بهذا المعنى ، ان يلم شتات لحظاته الانفعالية المتفرقة ويسكبها داخل معاناة المخيم

الشيء ورمزه اللغوي ، ويضع القارئ حين تضع مقاييسه .

« للمرة الاولى . . اشترى زجاجة بقول . . واهدتها لحبيبي .

وللمرة الاولى . . تأخذ حبيبي الهدية باعتزاز .

وتضع قطرة نطف تحت الاذن اليميني . .

وقطرة نطف تحت الاذن اليسرى . .

وتشكرني لانني امدت اليها اللثة بانوثتها . .

واهديتها عطرها المفضل : النفط .

الانثوة العربية ، بعد حرب تشرين ، تخلت عن

ادوات التواليت القديمة . الخ . . »

هذا نص نموذجي لما تحويه محاولة قباني الانتقالية !! هذا نثر شعري او نثر شاعري على الاصح ، اي نثر يكتبه شاعر كي لا يقول شيئا يسقط في موضوع ، يريد الخروج منه ، فيستعيد اكثر اشكال الكتابة مباشرة . فيهرب من المباشرة الى الصورة التي تفرض عليك موقفا مسبقا - تقدير الدول النفعية ، دون ان نقول هذا بشكل مباشر . تختفي حول شكل شبه شاعري ؟ لندعونا الى تقدير النفط والتزين به . هذا التحليل على الموضوع هو جوهر النثر القباني ، يأتي الى موضوعه من الخلف ، ليفرض على القارئ قناعات لا تحتاج الى براهين ، وهذه أفضل طرق نسأل الايديولوجية المساندة . او قد يلجأ الى الديمافوجية بشكل اذاعي كما في مقاله « الشركة السورية الفلسطينية للتحرير » .

## جدلية الوطن

في مجموعته الشعرية الاولى « جدلية الوطن » ، يأتي صوت علي الخليلي ، بالغ القواضع والطموح ، ليبحث بين الكلمات عن جسد القصيدة . يحاور بأساة شعبه ، يتغلغل داخلها ، ويخرج منها بحصاد قليل ، لكنه حصاد البحث عن لغة واحدة تضم شتات الصور والانفعالات لتسكبها في اطار يوحدنا ، ويعيد ترتيب معانيها : في

علي الخليلي : **جدلية الوطن** دار العودة ، بيروت .

على إيقاع الأوجاع التي تصاحب الولادة . فيأتي المقطع الشعري ، وكأنه امتداد للحظات تتداخل .

والجذور تهزني ، عطشى نغير عروقتي

وانيق من غيش الطريق : قطاف من أهوى قريب .

ان النبذة الاحتجاجية الواضحة في شعر الخليلي ، تأتلف داخل قصيدته ، في عنصر التداخل . فهو يحاول بناء قصيدته على قاعدة التدايمات التي تتشابك فيها اللحظات . هنا تختلط المعاني ، وتصبح الدلالات ، دلالات احتمالية في الغالب . لكن هذا التداخل الذي تقطعه الفواصل والخطوط المستقيمة ، يقطع النفس الغنائي السى لحظات . فهو لا يستطيع بحكم اتجاهه الاحتمالي، ان يستوعب الدفق الغنائي ويوظفه داخل القصيدة . هكذا تنتقطع اوصال القصيدة السى اشارات غنائية ، لا ينقذها الا قدرة الشاعر على استعادة صوته الغنائي ، كما في قصيدة « السى بابلو نيرودا » ، حيث يستطيع الشاعر توحيد عناصر صوته في انسياب شعري جميل :

« لم يقتلوه حبيبي .

اذا رقص البحر هل يقتلوه ؟

يدي نجة ، عشبة ، موجة لا تموت ؟ »

من الشعر الى القصيدة . في رحلته الشعرية الاولى ، يطرح علي الخليلي اسئلة على تجربته الفنية ، دون ان يجيب عليها . والسؤال الملح الذي يخرج به تارئء الشعر الفلسطيني المعاصر، هو المدى الذي استطاع فيه الشعر ان يتحول الى قصيدة . هنا يصبح السؤال المبرر الوحيد للمحاولة . فمحاولة الشعر في ظروف الانفجار الديموي الفلسطيني ، هي استشراف لتغيير العلم . وعالم القصيدة ، هو العالم مكثفا في قدرته على التحول ، داخل الرؤيا الفنية الى حقل ممارسة . فحين يرفع الشاعر صوت احتجاجه الى اقصى درجاته ، يكون ضمن هذا الصوت ، يبحث عن مخارج لبناء عالمه .

بشارة الولادة ومعاناتها التي تأتي في هذا المقطع الشعري ، متدرجة ، متوثبة ومائلة ، هي معاناة الخلق الشعري . فالخارطة الحمراء هي الوطن الذي يرسمه المقاتلون بينادقهم، وبصنادقهم الديموية ، التي تساهم في تغيير العالم .

الشاملة . غائى « طائر الودعات » ، ليرسم بخفقاته ، صوت لحظات تناقض الواقع ، وارتباطها بالحلم الفلسطيني المحبول على دماء « خضرة » . وهي تعبر الحلم الى الواقع . هكذا تتأسس القصيدة ، ولا تبقى داخل جدل الوطن ، الا لترسم القصيدة التي تكتب كل شيء دفعة واحدة . في « جدلية الوطن » ترسم هذه البدايات من جديد ، دون ان تستطيع ان تكون شكلها الخاص . نحن امام الحلم الفلسطيني الذي ينزف دماء ، لكنه لا ينضب . يسقي شجيرات الوطن وغاباته الخضراء بالوانه . يمتد حول الارض بنبذة لا تزال تحمل توتر اللحظات الاولى وصداميتها . لكننا بعد ان نفرغ من قراءة المجموعة ، نكتشف اننا ما تزال امام بدايات ، لم يتطور فيها سوى حسها الفاجع ، بقيت تدور حول نفسها . تلتقط لحظات ، ولا تلتقط الحركة التي تحبط ببنيية القصيدة .

### صوت الاحتجاج

« غير المشاق الان هم المشاق ،

غير القتله فيك هم القتله .

يا وطننا يغرق في الرمز الصوفي وفي الدم .

يا مفقودا ،

علمنا ان نوجد في عصر الاشياء المفقودة ...»

بهذه النبذة الاحتجاجية ، يفتتح الخليلي مجاوراته للوطن . انه يناجيه بنبذة غنائية ، دون ان يذوب صوته في داخله، تبقى بينهما مسافة، هي مسافة القدرة على الرؤية من الداخل والخارج في آن. تسكب هذه النبذة ايقاعها في لهجة غنائية، غير ان ما يعطل على هذه الغنائية قدرتها على الامتداد هو غرقها في البحث عن القوافي كما في هذه القصيدة . تأتي القافية لتجيب على ضرورات من خارج اشكال التواتر الذي يقودنا اليه علامات الشاعر بموضوعه . فتفرق معه في البحث عن القوافي وكأننا لا نزال داخل اطر الشعر القديم .

« نكتشف النجمة والوردة فيك ،

نفرج كل الطبقات المكوددة !! »

غير ان هذه الغنائية تستطيع ان تصل الى لحظة صفاء ، حين تتداخل في تدايمات ، تنموسق

## مراجعات

مصطفى عبدالله بعيو ، **المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا** ، ( الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٩٧٥ ) .

تخدم الصهيونية في الولايات المتحدة اثناء دراسته هناك . وقد وقع في اثناء بحثه على تقرير بعثة ( منظمة الاراضي اليهودية ) (١) التي ارسلت الى برقة لدراسة امكانية انشاء وطن قومي لليهود في برقة ١٩٠٨ . وقد اغاض المؤلف بالحديث عن الغناء الذي لقيه للحصول على التقرير او (الكتاب الازرق ) ، وعن سرية ، مع ان التقرير ، كسائر أوراق منظمة I.T.O. في خزائن المتحف البريطاني ، وهي مفتوحة للجميع ، وقد قام مركز الابحاث باستنساخ صورة عن التقرير وضعها تحت تصرف الباحثين ، وأشار اليه الدكتور اسعد رزوق في كتابه « اسرائيل الكبرى » ، واعتبرت عليه في فصل من فصول رسالتي للدكتوراه ١٩٧٢ . شيء آخر ، اشار اليه المؤلف كثيرا ، هو لوم غيره من الدارسين العرب باهمال محاولة الصهيونية في برقة ، ولا ريب ان هذا الاهمال قد وقع على محاولات اخرى كانت هامة وخطيرة ، كمحاولة سيناء والعريش والعراق ، برأيي لان المحاولة الاساسية في فلسطين استقطبت الانتباه وكادت تطمس غيرها .

في الفصل الاول من الكتاب ( توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا ) يعرض المؤلف باسهاب لمحاولات عثمانية في اواخر القرن الماضي واولئل هذا القرن من اجل توطين بعض الجماعات في ليبيا ( مسلمي كريت وبعض الاسر الكردية من شمالي العراق ) . ويلاحظ ان المؤلف لا يفرق بين توطين هذه الجماعات وتوطين اليهود ، هذا التفريق المبني على وعي عميق لبنية الدولة

تقدم دار النشر على صفحة الغلاف الاخيرة هذا الكتاب الى القراء بقولها : « من كان يعلم ان الحركة الصهيونية تد حاولت ان تتخذ من برقة ومن الجبل الاخضر بالذات مشروعا للوطن القومي لليهود في اوائل هذا القرن ١٩٠٤ . في هذا الكتاب يكشف الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو ، الذي يعرف جمهور المثقفين بابحاثه العديدة في التاريخ الليبي ، عن هذه الحقيقة التي حرصت الحركة الصهيونية على اخفائها ، ويلقي عليها من الاضواء ما يجعل الجميع على بينة مما كان يخطط لليبيا » .

ولعل هذه الكلمات ، تعرفنا بفضل الكاتب في الكشف عن هذا الجانب الهام من تاريخ الحركة الصهيونية وتحركها في سبيل ايجاد وطن قومي لليهود ، ويدحض المزاعم التي نسجتها الحركة الصهيونية حول الارض الموعودة في فلسطين . لقد كان همّ الحركة الصهيونية تنفيذ اقامة الوطن القومي ( الدولة اليهودية ) على نسق الاستيطان الاستعماري في اي مكان ، فسعى زعمائها الى الاتصال بكافة الدول الامبريالية ، وتوجهوا الى العراق والعريش وسيناء وبرقة وقبرص واوغندا والارجنتين . وانقسمت الحركة الصهيونية بذلك احزابا وشيعا كانت انعكاسا للصراع بين الدول الامبريالية داخل المنظمة الصهيونية .

والاستاذ بعيو يلقي في كتابه ( مقدمة وستة فصول ) ضوءا على احدى هذه المحاولات ، وهو يشرح في مقدمته عن الدافع الذي جعله يلتفت الى دراسة اليهود والحركة الصهيونية ، وما اثاره في نفسه طغيان الدراسات اليهودية التي

.. الى الملك مؤاذ ... كذلك المؤلف لم يقدم لنا بوضوح الاسباب التي كانت وراء تبول العثمانيين فكرة التوطين في ليبيا ، ولا أظن ان حاكم طرابلس ( رجب باشا ) كان « يخفي نواياه في مساعدة اليهود .. » كما قال المؤلف . لقد كانت وجهة نظر رجب باشا تقدم مصلحة الدولة العثمانية على كل شيء . فوجد ان الاتيان باليهود يحد من اطماع ايطاليا التي باتت تتربص بليبيا الدوائر .

لقد استغرقت الفصول الثلاثة الاول خمسا وخمسين صفحة قبل ان ينتقل المؤلف الى موضوعه الاساسي : تقرير البعثة الصهيونية . لذا كان الاجدى ان يعرفنا في هذه الفصول عن الظروف التي أدت بفتنة مسن داخل الحركة الصهيونية بعد المؤتمر الصهيوني السابع في بال ١٩٠٥ ( وهو المؤتمر الذي عقد بعد موت هرزل ، والذي قسرر التخلسي عن فكرة استعمار اوغندا البريطانية والعودة الى البرنامج الاولي الذي حدد فلسطين هدفا للاستيطان الاستعماري الصهيوني ) الى الانشاق بقيادة زانجويل ، وانشائها المنظمة الاقليمية التي كان هدفها التفتيش عن اقاليم لاستيطان اليهود في أي جزء ملائم من العالم . وذلك لان صلة هذه الدراسة بموضوع الكتاب اوفق من توطين بعض الجماعات العثمانية في ليبيا ، في تاريخ اليهود في ليبيا القديمة .

يبدأ الفصل الرابع ( البعثة اليهودية الى برقة يوليو - اغسطس ١٩٠٨ ) وهو محور الدراسة ، عن اوضاع اليهود في ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين في ظل الدولة العثمانية ، ووسط التنافس البريطاني الفرنسي . ثم ينتقل الى ذكر سبب ورود فكرة برقة في ذهن ( زانجويل ) اثر اقتراح قنصل بريطانيا في تونس ، ولانها ، حسب رأيه ( اي زانجويل ) تفضل تسائر الابكة . حتى فلسطين ، فهي ليست بلادا مقدسة ، وعدد سكانها الاصليين اقل . ثم ما تبع ذلك من نشاط ناحوم شلوش لدراسة تاريخ يهود المغرب ، ثم عن استعداد العثمانيين ( بشخص رجب باشا ) حاكم طرابلس لقبول فكرة انشاء وطن قومي في برقة في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية ترفض توطين اليهود في فلسطين . ويبدو ان زانجويل حاول

العثمانية ، ففي صفحة ٢٥ مثلا يقول ان توطين هذه الجماعات هي « ظاهرة تاريخية قامت بهما الدولة العثمانية لتجعل من ليبيا وطننا قوميا لبعض الجماعات المسلمة التي كانت تضيها الامبراطورية العثمانية ، وان اختلفت ظروف كل منها » . ولا ريب ان عبارة ( وطن قومي ) لم ترد في ذهن احد آنذاك .

ويعتقد المؤلف بحثا تاريخيا في الفصل الثاني ( اليهود في ليبيا ) عن اصل وجود اليهود منذ عهد البطالسة مستمرا الوان حياتهم الاجتماعية والسياسية متجاوزا فترته التاريخية ( زمن البعثة ) واصلا الى ايام الاستعمار الايطالي وما بعده . ويعتمد في كثير من جوانب هذا الفصل على ما جاء في تقرير الدكتور ناحوم شلوش مرافق بعثة الاستيطان ، مع ان غايته واضحة : هي ايجاد المرتكز التاريخي للوطن الذي يريد اليهود تحقيقه . وعلى الرغم من انتباه المؤلف الى ذلك ، فان رده لها يعتمد التعليق الخاطف السريع ، وقد يعرض رأيين فيهما شيء من التضارب دون ان يرجح احدهما ، كما هو الحال في صفحة ٢٢ حين يعرض اسباب ما لحق ببرقة من خراب ، فيذكر رأي ( الن ويس ) استاذ الآثار القديمة بجامعة كبريدج الذي يرى ان سبب الدمار ما ارتكبه اليهود في ثورتهم ايام الرومان من فظائع ، ويذكر رأي شلوش الذي يعيد الخراب ، الى الرومان الذين قاموا بتخريب البلاد وحولوها الى صحراء .. ولكن اهمية هذا الفصل تكمن في اعطاء صورة واضحة عن الحياة التي كان يحيها اليهود في البلاد العربية حيث نعموا برخاء لم توغره لهم البلاد الاخرى .

في الفصل الثالث ( توطين اليهود في ليبيا ) يحدد المؤلف عن عطف الدولة العثمانية على اليهود منذ نهاية الحكم العربي في الاندلس ، وهذا العطف اطمعهم فطلبوا وطننا قوميا في فلسطين ايام عبد الحميد ، فرفض طلبهم . فاشترك رجالهم في التخلس من عبد الحميد . ثم وافقت الدولة العثمانية امام الضغوط على فكرة اسكان اليهود في بعض المناطق سوى فلسطين . واذا كان من ملاحظة على هذا الفصل ، فهي بعض التشويش والانتقال غير المنظم من العثمانيين الى الفاطميين

وسكانها الاصليين من اليهود :

ويعرض المؤلف في ختام الفصل لصدى لصدور الكتاب عاليا ، ولا سيما في ايطاليا ، التي افادت كثيرا مما جاء فيه ، ويبين ان نتيجة التقرير كانت صرف النظر عن ليبيا والعودة الى فلسطين .

لقد قدم المؤلف في هذا الفصل ابرز ما في التقرير تقديما جيدا ، رغم انه اهمل اوراق التقرير بخريطة توضح خط سير البعثة والواقع التي درستها مع ان التقرير الاصلي ، كما نوه اليه ، مرفق بخريطة جغرافية ، ومقطعين جيولوجيين ، وخريطة طوبوغرافية و ٣٣ صورة . وقد بالغ بعض الشيء في قيمة التقرير ، حين جعل الكتاب الازرق مصدرا اساسيا لمعرفة جغرافية وتاريخ برقة ، ذلك ان ما ورد في التقرير انها كانت له غايات اخرى غير الغاية العلمية المحض ولا سيما الجوانب التاريخية . كذلك فان المدة القصيرة التي قضتها البعثة والظروف التي احاطت بها لم تكن كافية باي حال لدراسة علمية متأنية . وهذا النقد وجه الى التقرير من قبل عدد من كتاب الغرب اتفهمهم .

وقد لا تكون الجوانب العلمية الصرف هامة بالنسبة الى كثير من القراء العرب الذين وجه اليهم الكتاب ، وتطلعوا الى ان يروا فيه تحليلات سياسية توضح طبيعة الحركة الصهيونية واساليبها وما بينها من تشابه سواء كانت في برقة او في فلسطين . وهذا ما نجده في المقدمة السياسية للتقرير التي كتبها زانجويل وفي بعض اشارات رئيس البعثة وفي الخلفية التاريخية لشالوش ، لكن المؤلف مضى عند كثير من هذه المواضع دون ان يوليها عنيته الكافية ، او انه القفت اليها التفتات خطابية عاطفية ، ولا سيما الجوانب التاريخية ، فخرج في كثير من تعليقاته عن الروح العلمية الهادئة المخلطة الى طبيعة انفعالية .

في الفصل الختامي ( الفكرة من جديد ) يكشف المؤلف عن ان تشرشل اشار في مؤتمر بوتسدام اثناء النقاش حول مصير المستعمرات الايطالية السابقة الى امكان منح اليهود جزءا منها دون ان يحدد ليبيا بالذات . لكن اليهود كانوا قد قطعوا شوطا بعيدا في فلسطين فلم يكن لهذا الرأي اي اثر عملي . هذه الاشارة غير المحددة لا يمكن ان

الاستفادة من ايطاليا « بأن مهمة احياء برقة التي تسعى اليها ايطاليا من توسعها في ليبيا يمكن ان تتحقق على ايدي المستوطنين ، اذا اعطيت لهم الفرصة » . ورغم حماس زانجويل لمفاوضة حكومة الباب العالي ، كان الحذر يخيم على مجلس المنظمة I.T.O. بحجة عدم استقرار الاوضاع في شمالي افريقية ، فكان ان قامت المنظمة باختيار بعثة علمية لدراسة المشروع برئاسة استاذ الجيولوجية بجامعة غلاستو . وجاءت النتائج مخيبة للامال بسبب نقص المياه ، وقررت المنظمة - رغم بقاء زانجويل على حماسه الاول - عدم القيام باي عمل اخر بالنسبة الى تحقيق الوطن القومي في برقة .

وجاء عرض تقارير البعثة في الفصل الخامس ( الكتاب الازرق ) الذي اصدرته المنظمة الاقليمية بلندن في يناير ١٩٠٩ . ويبدأ بمقدمة تاريخية وسياسية لاسرائيل زانجويل ويرد المؤلف اتهاماته للعثمانيين بانهم فرضوا العزلة على ليبيا مستشهدا بالرحلات الكثيرة التي قام بها الاوروبيون ، كما يرد تهمة ما حمله زانجويل للعرب وللانراك من مسؤولية الاوضاع السيئة التي آلت اليها برقة . كذلك تكشف المقدمة بعض اسرار الاطماع الصهيونية في الوطن العربي ومؤامرتها على الدولة العثمانية ، وصلتها بانقلاب الاتحاد والترقي ، وتلى المقدمة مجموعة الدراسات التي اعدتها اعضاء البعثة ( الموقع والحدود ، جيولوجية المنطقة وتضاريسها ، الموارد المائية ، دراسة للتربة والانتاج النباتي وتصنيف للأراضي وانواعها ، الامطار ، المناخ الحيوانات ، الطيور والحشرات ، تقرير صحي ، عدد السكان وما يمكن ان تستوعبه المنطقة بادخال الزراعة الحديثة ) . وتتخلل هذه الدراسات العلمية اشارات سياسية هامة فايتهما تقديم الخطوات الاساسية الضرورية لتوطين اليهود مع جملة انطباعات عامة عن السكان المحليين وعلاقتهم بالانراك وتسلحهم وطبيعتهم القتالية مما يجعلهم على غير استعداد للترحيب بالتقدمين الجدد . وألحق بهذه الجوانب العلمية دراسة ناحوم سلوش عن اليهود واليهودية في برقة القديمة ، وغرضه ، كما ذكر من قبل ، ابرز الخلفية التاريخية التي تبرز فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهو يعتبر برقة امتدادا لفلسطين فيما وراء النيل ، وليبيا ، في رايه ، تنتظر اصالتها

المؤلف على ما تقدم للقارئ الذي غابت عنه كثير من الخبايا التاريخية ، وان كان الذي قدمه بحاجة الى تبويب جديد ، والى تركيز وتحليل وتخلص من الاستطراد .

### د . خيرية قاسمية

توحي ببعض ما وصل اليه المؤلف من تخمين في ان اليهود حاولوا احياء الفكرة من جديد ، كما انه لم يعطنا تعليلا للسباب التي دفعت تشرشل الى هذا الاقتراح وظل الامر مجرد تخمين .

وإذا كان هناك من كلمة شكر اخيرة فهي شكر

Bichara et Naïm Khader, *Textes de la révolution palestinienne, 1968-1974.*

( Paris, La Bibliothèque Arabe Sindbad, 1975 ).

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبشرية لهذا النضال في كل مرحلة من مراحله ، وتحدد موقع الثورة الفلسطينية الحالية على خط المسيرة النضالية الفلسطينية الطويلة ، وعلى خط الصراع العربي - الاسرائيلي المتفاعل جدليا مع خط الصراع الفلسطيني ضد الغزوة الصهيونية . ثم يعرف بالمنظمات ويقدم بعض وثائقها ، ويضيف الى نهاية الكتاب جدولاً زمنياً يفيد الباحثين .

ويقسم المؤلفان مسيرة النضال الفلسطيني الى ثلاث مراحل : **المرحلة الاولى** ، وتبدأ منذ مطلع هذا القرن وتنتهي مع نهاية حرب ١٩٤٨ . ولقد كان الشعب الفلسطيني خلالها مقبلاً على ارضه يناضل ضد الظلمة والبريطانيين معا . **والمرحلة الثانية** ، وتشمل الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وتتميز بتشتت جزء من الشعب الفلسطيني خارج ارضه ، وبقاء جزء آخر تحت الاحتلال او في منطقة خاضعة للحكم الاردني ، وقيام الحكومات الغربية بالوصاية على النضال الفلسطيني . **والمرحلة الثالثة** ، الواقعة بين حرب ١٩٦٧ والعام ١٩٧٤ ، وتتميز بقيام الشعب الفلسطيني بأخذ المبادرة النضالية وشن الكفاح المسلح تحت قيادة منظماته الثورية .

ويركز المؤلفان على أن أهم نقطة في المرحلة الاولى ، هي أن مقاومة الشعب الفلسطيني للغزوة الصهيونية لم تتوقف يوماً منذ بداية قدوم الموجات الاولى للاستيطان الصهيوني ، وان عجز هذه المقاومة عن ايقاف المخطط الصهيوني يعود

في فترة التصاعد الثوري التي سبقت احداث ايلول ١٩٧٠ ، أصدرت دار الطليعة للطباعة والنشر مجموعة من بعض الوثائق الخاصة ببعض منظمات الثورة الفلسطينية ، ( خاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ) وكانت هذه الكتب عبارة عن جمع لعدد من وثائق كل منظمة ، دون شروح او تحليلات ، وكان الكتاب السنوي الذي تصدره فتح يضم بين دفتيه وثائق هامة غير محللة . ومن المؤكد ان وسائل الاعلام في منظمات الثورة كانت تجلج وثائقها وتطرح ذلك على الجماهير وعلى قواعدها في كتيبات أو مقالات ، ولكن لم يصدر عنها نشرات تضم النصوص والشروح معا ، ولم تصدر المكتبات العربية او منظمات الثورة كتباً تضم سجلاً كاملاً أو شبه كامل يعرف بالمنظمة ويحدد البنرات التاريخية لتشكلها ، ويقدم وثائقها الفكرية المركزية ، ويحدد موقعها داخل الثورة الحالية ، وموقع الثورة الحالية داخل المسيرة النضالية الطويلة للشعب الفلسطيني لينتقل بعد ذلك الى تقسيم جدول زمني لاهم مؤتمراتها ومبانياتها الاساسية والمنعطفات التي مرت بها . وبسبب هذا النقص الاعلامي الوثائقي ، يمكن اعتبار كتاب « نصوص للثورة الفلسطينية » ١٩٦٨ - ١٩٧٤ الذي كتبه بشاره وتعيم خضر عملاً قريباً من العمل الوثائقي المطلوب ، فهو يبدأ بمقدمة تاريخية تحلل ثلث الكتاب تقريباً ، وتطرح مسيرة النضال الفلسطيني منذ العام ١٩٠٠ حتى العام ١٩٧٤ ، وتلقي الضوء على الارضية

وعرفت الثورة الفلسطينية مرحلة نهوض ثوري ، وأخذت العمليات العسكرية اندفاية تضغط على المجتمع الاسرائيلي ، وتذكر العالم بوجود الشعب الفلسطيني ، وكانت بندقية الثائر الفلسطيني السلاح العربي الوحيد المرفوع في وجه العدو الصهيوني المتصر . وعرفت الثورة الفلسطينية فترات نهوض وفترات كيواف . وحصلت على المساعدة العربية ، كما تعرضت لضربات عربية من الخلف ، ولكنها تابعت مسيرتها باصرار . ويأخذ المؤلفان على الثورة خلال هذه المسيرة انها لم توحّد صفوفها ، وبقيت موزعة الى عدة منظمات ، وهما يعتبران ان وراء تعدد المنظمات عدة عوامل اهمها - كما يذكر المؤلفان - سياسة الدول العربية التي شجعت التمدد وغذته بغية احتواء الثورة والتأثير عليها وضبط خطواتها . وساعدها على ذلك توزع الشعب الفلسطيني داخل الاقطار العربية ، وتبنيه لمختلف القارات الايديولوجية . ويصل المؤلفان في نهاية المقدمة الى حرب ١٩٧٢ التي كانت منعطفا هاما بالنسبة الى القضية الفلسطينية ، والى موقف الدول العربية من الصراع العربي - الاسرائيلي ، وموقف دول العالم من القضية الفلسطينية . وهما يركزان على نقطتين: تتمثل اولهما في الانعكاسات الايجابية للحرب على المعسكر العربي ، وانعكاساتها السلبية داخل اسرائيل . اما الثانية فهي اهمية اعتراف العالم بمنظمة التحرير كمثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، والمعاني السياسية لدعوة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات الى الامم المتحدة في العام ١٩٧٤ ، وربط كل حل للصراع في الشرق الاوسط بايجاد حل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني . ويختم المؤلفان الطرح التاريخي بالتأكيد على ان نضال الشعب الفلسطيني الذي يكافح اليوم سيستمر ويتصاعد حتى ينتزع هذا الشعب حقوقه كاملة على ارضه .

ويلى المقدمة مجموعة من النصوص المختارة من وثائق منظمة التحرير الفلسطينية ، وفتح ، والجهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . وقد اراد المؤلفان عند اختيار النصوص الرد على خمسة اسئلة هي : ١ - اندلاع الثورة وهدفها ، ٢ - تصورات مهبّات ما بعد حرب ١٩٦٧ ، ٣ - كيفية

الى التحالف البريطاني - الصهيوني من جهة ، وعجز القيادات الفلسطينية والعربية التقليدية عن قيادة النضال بشكل حازم ضد العدو الثاني ، وتبنيها لخط مساوم كان يجهض الهبات والانتفاضات الجماهيرية ، ويمنعها من التحول الى ثورة تحريرية . ويدعم المؤلفان هذه الفكرة بعدة استشهادات تاريخية كأحداث القدس ويافا ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ ) ، والمؤتمرات الوطنية الفلسطينية ( ١٩١٩ - ١٩٢٨ ) ، وثورته ١٩٢٥ - ١٩٣٦ . ويؤكدان على ان وقوف القيادات التقليدية الى جانب مصالحها المتناقضة مع مصالح الجماهير ، جعلها اقل ثورية من هذه الجماهير ، وغير مؤهلة لقيادتها ، ومستعدة للمساومة على تطلعاتها العادلة ، كما ان عدم وضوح الرؤية لدى هذه القيادات بالنسبة الى معسكر العدو ، وفصلها بين الصهيونية وبريطانيا ، جعلها تتساهل مع سلطات الانتداب ، وتطبق مخططات التهذئة البريطانية وتكفي بتوجيه نعمة الجماهير نحو الصهاينة ، بدلا من ان تعبئها ضد البريطانيين والصهاينة معا .

ويختلف نضال المرحلة الثانية في طبيعته عن نضال المرحلة الاولى ، لان الشعب الفلسطيني فقد بعد حرب ١٩٤٨ هويته ، ولم يعد له قيادة سياسية توجهه او حركة سياسية تجمعه وترسم له طريق النضال اللازم لتحقيق اغراضه ، الامر الذي أدى الى ضعف زخم الحركة النضالية الفلسطينية . ويرد المؤلفان هذه الحالة الى ثلاثة عوامل : ١ - قيام الانظمة العربية بتبني القضية الفلسطينية رغم عدم كفايتها لحمل اعباء هذه المهمة ، وتبنيها لشعار «التحرير يمر من الوحدة» ، ٢ - انشاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة احمد الشقيري ، والاعلان عنها في ٢٨ ايار ١٩٦٤ ووقوف الخلايا الثورية الفلسطينية المصممة على خوض الكفاح ضد هذه المنظمة ، والنظر اليها وكأنها « وزارة خارجية بلا دولة » ، او « قطعة اسفنج لامتناص الزخم الثوري للفلسطينيين » . ٣ - سياسة التمع والاحتواء التي طبقتها اسرائيل على العرب الفلسطينيين .

ثم جاءت المرحلة الثالثة بعد حرب ١٩٦٧ التي كسرت القيد الذي كان يكبل القوى الفلسطينية

المسألة بعد العام ١٩٦٧ . وكان من الممكن تجاوز هذا الاختيار واعتباره موقفاً لسو ان المؤلفين استخدموا تعبير « ثورة » وحده في جميع ما كتباه . ولكن من الملاحظ انها استخدمت تارة تعبير « ثورة » ، وتارة اخرى تعبير « مقاومة » ، الامر الذي يخلق لدى القارئ العربي بعض التساؤلات حول طبيعة هذه الحركة النضالية المسلحة ، وهل هي ثورة أم مقاومة ؟ وما هو موقف المؤلفين من هذه المسألة الهامة ؟ ولو عاد المؤلفان الى كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية - مفتوح ( من منطلقات العمل الفدائي ) ، ومجلة الثورة الفلسطينية عدد ١١ ( مفتوح ) ، وكراس الكادحون والثورة ( ج.ش.ت.ف ) ، وكراس المقاومة ومعضلاتها ( ج.ش.ت.ف ) ، وكتاب حركة المقاومة في واقعا الراهن ( ج.ش.د.ت.ف. ) ، وكتاب حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية ( ج.ش.د.ت.ف ) ، وتقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ( ج.ش.د.ت.ف. ) ، ومجلات ونشرات المنظمات الثلاث المذكورة ، ومجلة شؤون فلسطينية الاعداد ٢ و ٤ و ٧ ( احاديث مع قادة منظمات الثورة ) ، للاعتماد على اي مدى تختلف نظرة المنظمات الى هذه المسألة ، والى اي مدى يتباين تقييمها لطبيعة النضال الدائر منذ العلم ١٩٦٥ ، وهل هو نضال وطني او وطني - اجتماعي . ولا يمكنها بعد ذلك اختيار التعبير الذي يتبيناه ، واستخدامه بشكل موحد في جميع صفحات الكتاب .

٢ - اختيار المنظمات : ان مما لا شك فيه ان المنظمات التي اختارها المؤلفان هي منظمات اساسية وفاعلة . ولكن هذا الاختيار الذي اقتصر على منطبتين تمثلان تجمعا وطنيا ( منظمة التحرير ) ومفتوح ( ومنظمتين تتبنيان الماركسية - اللينينية وتطمحان الى التحول الى حزب البروليتاريا ، قد تجاهل طرح انكار ونصوص منطبتين تتبنيان الفكر القومي - الاشتراكي - الوجودي ( الصاعقة وجبهة التحرير العربية ) . وفي هذا افعال لجانب اساسي من الانكار المتفاعلة داخل الثورة الفلسطينية .

٣ - اختيار النصوص : يذكر المؤلفان انهما اختاروا أهم النصوص القادرة على توضيح الانكار

حل ازمة الثورة بعد مجازر الاردن في ايلول ١٩٧٠ ، ٤ - مهمات الثورة بعد حرب ١٩٧٣ التي بدلت الوضع بشكل جذري في الشرق الاوسط ، ٥ - الحل الديمقراطي للقضية الفلسطينية ، والعلاقة المستقبلية بين العرب واليهود .

وبالاضافة الى المتدمة التاريخية التحليلية ، فان علينا ان نذكر للكتاب ايجابيتين : تتمثل اولاهما في الاسهام بتعريف القارئ العربي بمنظمات الثورة الفلسطينية ، عن طريق المقدمات التي سبقت النصوص ، وحددت ظروف نشأة كل منظمة من المنظمات الاربعة ، ومرآل تطورها ، وطبيعتها التنظيمية وتوجهها الايديولوجي ، بالاضافة الى وجود فصل في نهاية الكتاب حول نشأة وتطور منظمات : الصاعقة ، وجبهة التحرير العربية ، والجيبة الشعبية لتحرير فلسطين ( القيادة العامة ) ، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، ومنظمة فلسطين العربية ، والمنظمة الشعبية لتحرير فلسطين ، والانصار ، وقوات التحرير الشعبية ، وايلول الاسود . اما الثانية ، فتتمثل بالجدول الزمني المذكور في نهاية الكتاب ، والذي يحدد اهم احداث النضال السياسي - العسكري للشعب الفلسطيني ، والاحداث العسكرية في المنطقة منذ العام ١٨٩٦ حتى العام ١٩٧٤ .

والى جانب هذه الايجابيات ، فقد وقع الكاتبان في اربع سلبيات تتعلق بتحديد ماهية الكناح الملحق الفلسطيني ، واختيار المنظمات ، واختيار النصوص ، واختيار الموضوعات .

١ - ماهية الكناح الملحق الفلسطيني : لقد اختار المؤلفان لكتابهما اسم « نصوص للثورة الفلسطينية » . وكان هذا الاختيار يعني انها تبنيها المقولة التي تؤكد ان الكناح الفلسطيني المسلح الذي اندلع في العام ١٩٦٥ وتساعد بعد العام ١٩٦٧ ، حتى حول قضية الشعب الفلسطيني من قضية انسانية الى قضية سياسية ، ومن قضية لاجئين الى قضية شعب يطالب بحقوقه الوطنية ، هو عبارة عن ثورة مقابل المقولة التي تؤكد ان هذا الكناح هو مقاومة دون ان يذكر سبب هذا التبني ، ودون التعرض للحوار الذي دار بين منظمات الثورة الفلسطينية حول هذه

الفلسطينية داخل الثورة العمالية ، والحل السلمي ، والرفض . وكلها موضوعات طرحتها الثورة في أدبياتها ، ودار حولها حوار طويل بين المنظمات ، وكان لبعضها دور في تحديد مسيرة الثورة في مختلف مراحل نموها وصعودها وتعثرها .

ويمكن أن توجه الى الموضوعات الخمسة المختارة نقدا اخر هو انها تدور حول المقولات السياسية ، دون التعرض للمقولات العسكرية ، مع ان الثورة الفلسطينية ثورة سياسية - عسكرية ، تستخدم الاسلوبين السياسي والعسكري بتناسق تام لتحقيق الهدف . واذا كانت السياسة ترسم الخط الاستراتيجي ، فان القتال هو الاداة لتنفيذ هذا الخط ، وهو وسيلة لتدمير قوى العدو المادية والمعنوية ، بالاضافة الى انه اعلام مسلح . ولقد كان من الضروري تعريف القارئ الغربي بالصورة الكاملة للثورة الفلسطينية عن طريق ذكر النصوص التي تبين سبب تبنيها للكفاح المسلح ، وحرب التحرير الشعبية ، وحرب العصابات ، ورايها في العنف الثوري في مواجهة العنف القمعي ، والسبب الذي دفعا الى تشكيل الميليشيا الشعبية المسلحة ، وموقفها من العمليات الخارجية ، ومفهومها للعلاقة بين الجيوش النظامية وقوات الثورة نظرا للتداخل العضوي بين الحرب النظامية العربية وحرب العصابات التي تشنها الثورة الفلسطينية .

ورغم سلبيات الكتاب فهو بجمله كتاب جيد يسد نقصا في المكتبة الفرنسية التي تفتقر الى كتب وثائقية حول الثورة الفلسطينية ويعطي القارئ الغربي صورة شمولية لنضال الشعب الفلسطيني ، ويرد من خلال الوثائق على بعض تساؤلاته حول انكار الثورة الفلسطينية التي رسم شهادتها بدمائهم الطريق الى التحرر ، وشدوا انظار دول العالم الى قضية شعبهم ، واجبروها على الاعتراف بتضيقهم العادلة .

**سلمى حداد**

الاساسية للمنظمات الاربع ، ولكن النصوص المختارة لتوضيح افكار منظمة التحرير الفلسطينية اسقطت مقررات المجلس الوطنية الفلسطينية وتجاهلت النصوص المختارة بالنسبة الى فتح ، كراسات سلسلة دراسات وتجارب ثورية التي تعطي صورة واضحة عن اسباب اندلاع الثورة واهم افكارها ومنطلقاتها ، وتجاهلت بالنسبة الى ج.ش.ت.ف. كراس الاستراتيجية السياسية والتنظيمية ( ١٩٦٩ ) ، والنظام الداخلي ( ١٩٧١ ) ، وكتاب الهدف « الكادحون والثورة الفلسطينية » ( ١٩٧٠ ) ، وكتاب الهدف « المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها » ( ١٩٧٠ ) ، وكراس « الثورة والعمل » ( ١٩٧٠ ) ، وكراس « نحو التحول الى تنظيم بوليتاري ثوري » ( ١٩٧٠ ) ، وكراس « النهج الثوري في مواجهة التحديات » ( ١٩٧٤ ) . رغم اهميتها كنصوص تحدد افكار ج.ش.ت.ف. اما بالنسبة الى ( ج.ش.د.ت.ف. ) فقد تجاهل المؤلفان كراس « مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة » ( ١٩٦٩ ) ، وكراس « حملة ايلول - دوس و نتائج » ( ١٩٧٠ ) ، وتقرير المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ( ١٩٧٠/٨/٢٢ ) . وبالإضافة الى ذلك ، فقد اسقط المؤلفان نصوص الاحاديث التي اجرتها مجلة « شؤون فلسطينية » مع قادة منظمات الثورة ونشرتها في الاعداد ٢ ، و ٤ ، و ٧ ، رغم اهميتها الفكرية وقيمتها التاريخية .

٤ - اختيار الموضوعات : ان اختيار الموضوعات أمر يخص المؤلفين . ولكن الموضوعات الخمسة التي اختار المؤلفان النصوص المذكورة لالقاء الاضواء عليها لا تمثل ، رغم اهميتها ، اهم الموضوعات الفكرية التي طرحتها الثورة . ولا يمكن اعتبارها بالتاكيد اهم من تحديد العدو والصديق ، والموقف من الجماهير ، واليمدين العربي والطبقي للنضال الفلسطيني ، والوحدة الوطنية ، والحزب ، والطبقة التي تعود الثورة ، وموقع الثورة

محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ - ١٩١٨ ،  
 شمسان . ( معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ) .

العالمية الأولى وأثناءها ، دوافع التقارب البريطاني الصهيوني ، التحرك الصهيوني نحو الدوائر البريطانية ، المباحثات البريطانية الصهيونية غير الرسمية ، موقف اليهود المعارضين للصهيونية ، المباحثات البريطانية الصهيونية الرسمية ، الأصداء العالمية لتصريح بلفور ، العرب وتصريح بلفور ، لجنة وايزمان الى فلسطين ، أصول التكوين العسكري الصهيوني .

وسبقت هذه الفصول مقدمة كتبها المؤلف عبارة من تلخيص للكتاب وتعريف بالمراجع التي استند اليها والمنهج الذي اتبعه ، كما سبقها الفصل التمهيدي عن الحركة الصهيونية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . ولدت الفصول خاتمة سريعة لا تتلاءم بأي حال مع مثل هذه الدراسة القبية ، وما يمكن استنباطه من دروس مستفادة من خلال هذه القراءة المتعمقة والفاحصة للعمل الصهيوني خلال فترة من أكثر فترات النشاط الصهيوني جهداً ، ومتابرة .

ونظرة واحدة الى محتويات الكتاب كما ذكرت اعلاه ، تجعل صاحبها يضع يديه على ملاحظتين هائتين في هذه الدراسة العلمية الرصينة :

**الملاحظة الأولى :** متعوبة تلخيص الدراسة ، وذلك بسبب غزارة معلوماتها ، وكثرة التشعبات في الرصد والعرض . وقد جمع الكاتب مادة علمية غزيرة حول موضوعه ، خاصة في أغلب الامور الفرعية ووضع يده على جوانب وقضايا قلما درسها باحثون عرب بهذا القدر من التوسع والاستيعاب . ولكن بعض الجوانب فطيت بشكل أفضل من جوانب أخرى . وفي كل ذلك ، اتبع المؤلف جانب السرد ، وايراد الحقائق وربطها في تسلسل او تتابع تاريخي ، بحيث طغى ذلك في أغلب الاحوال على جانب التحليل . والسبب في ذلك هو المنهج التقليدي الذي اتبعه المؤلف ، بحيث ان اطار التقسيم فرض عليه ضعف الجانب التحليلي ، مما أوقعه - دون قصد - في عثرات كان يمكن أن يتجنبها .

مثال ذلك ، ان المؤلف يتابع موقف كل دولة او كتلة من الدول تجاه الحركة الصهيونية . ومن خلال

مضمون ومادة هذا الكتاب أوسع من عنوانه ، وأضيق من العنوان في نفس الوقت . ومن الناحية الأولى ، فان الكتاب لا يقدم فقط تاريخاً للحركة الصهيونية خلال الفترة المذكورة ، وانما يتناول تاريخ « الحركة اليهودية » أو تاريخ أغلب زواغدها ما بين ١٨٩٧ و ١٩١٨ . ومن ناحية ثانية ، فان فترة الدراسة أضيق كثيراً من الفترة المحددة في العنوان ، وتكاد تكون مركزة فيما بين ١٩١٤ و ١٩١٨ ، بحيث يكون تناول ما قبل ذلك مجرد تمهيد لدراسة التيارات اليهودية - صهيونية وغير صهيونية - من سنوات الحرب العالمية الأولى . وقد أشار الى ذلك الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم [ الذي أشرف على هذه الدراسة الجامعية الممتازة ] فذكر ان الموضوع تناول « فترة زمنية قصيرة ، هي فترة الضرب العالمية الأولى ، بعد تمهيد قصير للفترة السابقة منذ اجتماع المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ حتى قيام الحرب » . ومن الأفضل ان تسمى الاشياء بأسمائها ، فالأخذ بعنوان الكتاب يؤدي الى الحكم على الجزء الخاص بما قبل الحرب العالمية الأولى بأنه ضعيف للغاية ، حين نتارنه بالبحث العميق ، والتقصي الشامل لأحداث السنوات ١٩١٤ - ١٩١٨ ، مع أن الامر ليس كذلك حين نرى في ذلك الجزء مجرد تقديم وتمهيد لصلب الموضوع .

وأيا كان الامر ، فان الفصل التمهيدي ، الخاص بمجالات التحرك الصهيوني قبل الحرب العالمية الأولى ، يعتبر مع الخاتمة أضعف حلقات هذا السفر الضخم الذي يتسع في تسعين الأول يتكون من ٢٩٨ صفحة والثاني يضم حوالي ٣٠٠ صفحة ، بالإضافة الى ٢٧٨ صفحة من الملاحق . ويتقسم الكتاب الى اثني عشر فصلاً ، قد يقني ايراد أسمائها عن محاولة العرض والتلخيص ، وتحمل الفصول العناوين التالية : تطور اوضاع اليهود الروس قبيل الحرب العالمية الأولى وانشاءها ، التشكيلات الصهيونية واليهودية في وسط وغرب اوريسا والولايات المتحدة الأمريكية اثناء الحرب ، يهود فلسطين قبيل الحرب

حيث لم يكن صدفة ان تصريح بلفور كان بريطانيا ولم يكن غرنسيا او ايطاليا او حتى امريكا . لقد كانت بريطانيا أكبر قوة امبريالية في ذلك الوقت ، وأكبر قوة امبريالية طامعة في احتلال الوطن العربي .

وبالمثل أيضا ، بجانب المؤلف الصواب في تصويره ( ص ٨٥ و ٨٩ من القسم الاول ) ان اصدار تصريح بلفور كان محاولة بريطانية لكسب اليهود الروس . ربما يكون هذا العامل قد لعب دورا ، ولكنه بالتأكيد ليس العامل الاهم ، ولا الاول وراء الوعد البريطاني « لليهود » بوطن قومي في فلسطين .

ويورد المؤلف ( القسم الاول ص ١٤٩ ) قول كاتب صهيوني هو فينكلشتين : « أحسن البريطانيون استعمال امكانيات اليهود ، ولكن هدفهم الاول كان تقديم المصالح الاستعمارية على الاماني القومية اليهودية . لقد تطلبت المصالح الاستعمارية استقرار الشرق الاوسط بوجود سكان وحكومات سهلة الانقياد » ، وهذا صحيح ، ولكنه لا يدعم ما ذهب اليه المؤلف من تفسير النجاح الصهيوني على انه نجاح دعائي ! بالاضافة الى ان الكاتب لم يشرح بالشكل المطلوب — كما سبق القول — التلاقي ( أو التعانق على حد التعبير المشاع هذه الايام ) بين الاستعمار البريطاني والاهداف الصهيونية ، واكتفى بالحديث عن المصالح البريطانية في فلسطين وعن موقع فلسطين الجغرافي .

والتاريخ في النهاية ليس وثائق صماء . انه حي دائما وغير قابل للنسيان . وفي هذه الدراسة يورد المؤلف صفحات عن التأييد الامريكي للصهيونية منذ البداية ، ودور الصهاينة الامريكيين في صدور وعد بلفور ، ودور الرئيس الامريكي ويلسون صاحب المبادئ الاربعة عشر ( والمناضل من اجل السلام ! ) في اصدار هذا الوعد . وأحيانا تكون مطالبين بأن نقرأ التاريخ برؤية الحاضر . وهذا يصدق على دراسة الاستاذ رؤوف سليم ، خاصة حينما تملو نبرة الحديث عن اعتماد امريكا عن اسرائيل ، وامكانية الضغط الامريكي على اسرائيل .

يقول الكاتب [ القسم الثاني ص ١٠٦ — ١٠٧ ] : « ان الحكومة البريطانية عملت على

السرد والشرح يبين ان كل دولة سعت الى استخدام الصهيونية أداة لتحقيق اهدافها — أي أهداف هذه الدولة — مع خدمة الاهداف الصهيونية . في مقابل ذلك ، يختفي الوجه الاخر من المعادلة . وهو سعي الصهيونية لاستخدام كل دولة وتوظيفها لخدمة الاهداف الصهيونية ، ولا مانع في ذلك من التحالف مع الدولة وعدوها في نفس الوقت . فقد برعت الدبلوماسية الصهيونية براعة ميكافيلية لا مزيد عليها ، كما ان تقسيم الادوار مبدأ صهيوني ثابت في التعامل الدولي وفي العلاقات الدولية . وأحداث السنوات الاربعة ١٩١٤ — ١٩١٨ ملأ بالعديد من الشواهد على ذلك .

**الملاحظة الثانية :** ان هذه الدراسة الممتازة افتقدت جانبين كان يجب أن لا يغيبا عن ذهن المؤلف . الجانب الاول هو الاطار الدولي الذي تمت وجرت فيه الاحداث ، والصراعات الدولية التي أدت الى قيام الحرب العالمية الاولى . ان هذه الدراسة هي بالاساس دراسة في تاريخ حركة ذات طابع دولي ، أي أنها — في النهاية — دراسة في تاريخ العلاقات الدولية . فكيف تكتمل هذه الدراسة دون تسجيل الاطار الدولي الذي صاحب هذه التطورات ، ان غياب هذا الجانب أدى بالمؤلف الى التكرار من ناحية والى عدم وضوح أو توضيح التطورات بشكل كاف من ناحية اخرى . والجانب الثاني هو تطور الهيكل التنظيمي للحركة الصهيونية الذي قاب تماما واختفى كلية من هذه الدراسة .

وبالطبع ، فان هاتين الملاحظتين لا تتلنان كثيرا من الجهد الكبير الذي بذل في تقديم مثل هذه الدراسة الرائعة ، التي يكفي اي كاتب فخرا ان ينتج مظهرها في عمره . فما بالنا وهذه هي باكورة أعمال المؤلف . لا شك انه يعد بتقديم الكثير .

وبالمثل لا يقلل من شأن هذه الدراسة بعض الملاحظات الاخرى أو الخلاف في وجهات النظر . من ذلك ، تصوير نجاح الصهيونية في الحصول على وعد بلفور من بريطانيا على انه نجاح دعائي ( القسم الاول ص ٢١٨ ) . وهذا خطأ لا يجوز ان يقع فيه باحث مدقق مثل الاستاذ عبد الرؤوف سليم . وهو ما كان ليقع في ذلك لو انه تابع العلاقات الصهيونية مع القوى الرأسمالية الكبرى،

ومؤسسة الدراسات في توفير المصادر لهذه الدراسة ، التي لم تكن لترقى الى المستوى الذي صدرت به بدون هذه المساعدة ، حيث أن القاهرة لا تزال تعاني حتى الآن - وبكل أسف - نقصا في المراجع الاصلية عن الحركة الصهيونية ، وجذور القضية الفلسطينية ، فضلا عن سوء الخدمات المكتبية ، اذا توافرت الكتب ، بحيث اصبح أي باحث مصري جاد لا يملك الا أن يشق بأظفاره في الصخر .

وقد أشار الكاتب الى ذلك في المقدمة ، وأشار الى قضية يجب ان توضع تحت انظار الباحثين ، وهي احتفاظ الامانة العامة لجامعة الدول العربية بصورة فوتوغرافية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، التي افرج عنها بعد مرور خمسين عاما على تحريرها . ويقول المؤلف ( القسم الاول ص ٩ ) انه لم يتمكن من الاطلاع على هذه الوثائق « الا بعد توسط الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم ( المشرى على الرسالة ) لدى الدكتور سيد نوفل الامين المساعد لجامعة الدول العربية » . الى هذا الحد ، أصبح الاطلاع على وثائق بريطانيا بصورة يحتاج الى وساطة ، وابن في جامعة الدول العربية وبخصوص قضية نردد كثيرا أنها قضية العرب الاولى . وأبسط الواجبات نحو قضية هذه مكنتها ، ان تتاح وثائقها وكتيبها وصحفها وجميع مصادرها لكل الباحثين الجادين ، بدون غوائل او قيود روتينية .

وما دنا بصدد الحديث عن المصادر والوثائق ، فان هناك أكثر من ملاحظة حول الوثائق التي أحقتها المؤلف بدراسته . وأهم ملاحظة بهذا الخصوص هي ان الكاتب لم يستثمر الوثائق بشكل كامل في صلب الدراسة ، بحيث أصبحت الوثائق وكأنها - رغم أهميتها - مجرد ملحقات اضافي للدراسة . مع ان دور الوثائق في مثل هذه الحالة ليس كذلك . وقد أحسن الاستاذ عبد الرؤوف سليم صنما حين قدم لكل وثيقة ، وحاول ان يستخلص أهم ما فيها ، ولكن أين صدى هذه الوثائق في صلب الرسالة او في « مقديها » على حد تعبير الاقدمين ؟ ان الوثيقة تضاف لاي دراسة من أجل اثبات وجهة نظر جديدة مخالفة لما سبق الاخذ به ، او اضافة شيء جديد لم يسبق لاحد الاخذ به ، او انها تلقي أضواء جديدة على وجهة نظر معروفة .

استغلال علاقاتها بالمهيوينيين كعامل لتحقيق مايربها ، فكانت كل فكرة تولد في لندن توضع محل اختبارات مسبقا في واشنطن ، كما كان كل اقتراح يصدر في واشنطن يلقي اهتاما بالغا في لندن . . . كما ان النتائج الحاسمة للمباحثات البريطانية الصهيونية تدين بوجودها بشكل او آخر الى عنابة الرئيس الامريكى ويلسون - بالشؤون الصهيونية . فقد كانت اللجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة قد جذبت انتباه الرئيس ويلسون - وكانت قد شكلت في نيويورك في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٤ برئاسة برانديس . ويذكر فيليب جريغاز في كتابه : « فلسطين أرض العقائد الثالث » ان عطف الرئيس ويلسون على الاهداف الصهيونية اثر على كل من الحكومتين الفرنسية والاطالية اللتين كانتا حتى ذلك الوقت لا تبديان عطفنا على الحركة الصهيونية . وأدى الى تضامن هاتين الحكومتين مرحليا مع الحكومة البريطانية بهذا الشأن » .

وتكاد الليلة تشبه البارحة ، بل وتماظها ، طالما ان المصالح الأساسية للتسوى الاساسية التي رسمت صورة البارحة لا تزال هي التي ترسم صورة الليلة !

ولعل ذلك يبدو أوضح ما يكون في دور أمريكا في التكوين العسكري الصهيوني خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ، ويتلخص هذا الدور أساسا في عبارة واحدة يوردها المؤلف [ القسم الثاني ص ٢٨٠ ] : « . . ان الصهيونيين الامريكين اظهروا مراحة ان الغرض من التكوين العسكري اليهودي تكوين نواة لجيش الدولة اليهودية المرتقبة ، بعكس اليهود البريطانيين الذين اظهروا تجرد الاستعداد للاشتراك في التحرير ، وأخفوا التجننه الى ترك المجندين اليهود في فلسطين بعد طرد الترك منها » .

وبالطبع ، فان بعض الملاحظات التي تؤخذ على هذه الدراسة والتي تكثرت أهمها ، لا تغفل بأي حال من القية العلمية والعملية لكتاب الاستاذ رؤوف سليم ، الذي أستطيع ان أزعم أنه من أفضل ما كتب باللغة العربية حتى الآن عن هذا الموضوع . ويجب أن يشار هنا ، ويشاد أيضا ، بالدور الذي لعبه مركز الابحاث الفلسطينية

او نكده لا يمثل اكثر من وجهة نظر شخصية للعارض او الناقد ، فاني لا املك نفسي من القول بأن هذه دراسة جديرة بأن توصف بأنها لا يمكن ان تغيب عن مكتبة اي مهتم — فضلا عن أي باحث — في الشؤون الصهيونية ونشأة الحركة الصهيونية وتطورها . انها تعتبر بأي مقياس دراسة رفيعة المستوى ، لم يكن ينقص صاحبها الا بعض الاجادة في « صناعة » الكتابة ونفها ، ليقدم لنا دراسة فريدة في موضوعها .

**عبدالعالم الباقوري**

هذه — في حدود ما أعرف — وظيفة الوثيقة حين تضاف كملحق لأي دراسة ، على ان يقوم الباحث باستخراج ما يريد قوله استنادا لهذه الوثيقة وإضافته الى دراسته . لقد اتبع الاستاذ رؤوف سليم المنهج العلمي الصحيح في تسجيل الوثائق وفي التقديم لها ، ولكنه لم ينجح بالشكل المطلوب في الغاء ظلال ذلك على دراسته الرفيعة المستوى ، انصدم في صليها أو في متنها .

مرة أخرى ، كل هذه الملاحظات لا تنقص كثيرا من تقويم هذه الدراسة . واذا كان مرض اي كتاب

Stewart, Desmond : Theodor Herzl.  
( Doubleday - New York 1974 ).

الانسان الذي عاش من ١٨٦٠ الى ١٩٠٤ ، والذي جمع في شخصه صفات الحالم ورجل العمل السى درجة فريدة ، دون ان يساهم ( اي ستيوارت ) في الجدل الدائر حول الحركة السياسية المرتبطة بهيرتزل ، فبدلي برأي لها او خدها » .

والواقع ان هيرتزل يشكل مادة فريدة لكاتب السيرة ، لا سيما اذا جاء الاخر بعد سلسلة من المؤلفين الذين قاموا ، بحكم انتمائهم السياسي ، بعملية تنقيح وترتيب في الوقائع والدوامع ، غازلوا واخافوا ، وتلاعبوا بالاحداث ، وكل ذلك لكي يخرجوا بصورة لبطلمم تختلف اختلافا كبيرا عن الواقع . وقد اضطر ستيوارت الى ان يلعب دور المخبر ومقتني الاثر من اجل ان يصل الى الحقيقة ، او الى جزء منها ، على الاقل . فزار بودابست حيث ولد هيرتزل ، وزار فيينا حيث اقام معظم حياته . كما طاف بباريس ولندن ونيويورك والقاهرة ، يجمع المعلومات ويدرس خلفية الموضوع . والنتيجة هي كتاب عميق يخلو من الافكار المسبقة بقدر ما هو غني بالمعلومات التي تساهم في استجلاء الغموض حول حياة هيرتزل ، وبالتالي حول العقليّة التي أنتجت العتيدة الصهيونية الحديثة .

قبل ان احصل على هذا الكتاب ، قرأت في احدى الصحف البريطانية مراجعة له بقلم حايم بيرمانت ، كان ابرز انتقاد فيها يدور حول مسا اعتبره بيرمانت تركيزا زائدا على الناحية الجنسية في حياة هيرتزل . الا ان قراءتي للكتاب اثبتت لي تجني بيرمانت على ستيوارت ، وكذلك اوضحت لي اسباب الاجتماع السذي استقبل به المعلقون الصهيونيون هذه السيرة الجديدة . فان ستيوارت تد وجه الضوء الى الزوايا المظلمة في حياة هيرتزل ، وهو اذا لم يكن قد استكشف خلفاها كلها ، فهو على الاقل قد اخرج مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة من حالة التمجيد التي احاطه بها سائر المؤرخين ومؤلفي السيرة ، وقدمه الى القراء بدون رتوش .

ذكر ستيوارت في مقدمة كتابه انه استوحى فكرة تأليف كتاب عن حياة هيرتزل من دراسته لتاريخ الشرق الاوسط في الحقبة الممتدة بين افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ وعصرنا الحالي ( وهي الفترة التي الف عنها ستيوارت كتابا يدعى : معبد جانوس ) . فقد استحوذ هيرتزل على اهتمامه البالغ ، وذلك للغموض الذي احاط بشخصيته . فقرر ان « يستكشف حياة هذا

تخرجه يلتحق بسلك القضاء ، ولكنه بعد ذلك ينصرف الى العمل الصحفي في صحيفة يمتلكها يهود ، بحجة ان يهوديته لن تسمح له ابدا بان يرتقي سلم الوظيفة الى ان يصبح قاضيا .

وفي هذا الموقع من الكتاب ، يكشف ستيفارت عن سر اخفاء سائر المؤلفين الذين سبقوه في الكتابة عن هيرتزل . فهو ينشر رسالة كتبها هيرتزل الى احد اصدقائه وفيها ذكر لاصابته بمرض زهري .

لقد تزوج هيرتزل من فتاة جميلة غنية بعد علاقة حب ، الا ان الزواج كان ناشلا من البداية . ولما كانت المراسلات بين الزوجين قد اختلفت دون اثر ، فالمعتقد ان مرض هيرتزل هو الذي حطم حياته الزوجية ، فغضى أيامه في تنقل مستمر بين مدينة ومدينة ، وبلاد وبلاد ، وكأنه مدفوع برغبة لا تقاوم في الابتعاد عن أسرته .

ويقول ستيفارت بان « يهودية » زوجة هيرتزل كانت أمرا مشكوكا فيه . فهي لم تبذل اي اهتمام بمشاريعه الصهيونية ، ولم تنشأ اولادها نشأة دينية ، ولم تهتم بخنان ابنتها هانس\* ، فأنشأ غير مخفون . الا أنها سمحت لزوجها بان يبدد دوطتها على طموحه السياسي ، وعندما مات أبوها وترك لها ثروة كبيرة ، وضع هيرتزل يده على هذه الثروة بحجة انه يخشى عليها من تدمير زوجته !

والى جانب فضحه للامرار التي حرص اتباع هيرتزل على كتمانها ، يقوم ستيفارت ايضا بنسف بعض الاساطير التي حاكها هيرتزل حول بعض دوافعه . فهو يقضي على الاسطورة القائلة بان هيرتزل اصبح صهيونيا اثناء تغطيته لحاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس في باريس . فني ١٨٩٤ - ١٨٩٥ ، وهو تاريخ هيرتزل لبداية صهيونيته ،

بالرغبة في الدفاع عن الشرف وغير ذلك ، فالتحدي ، والاستجابة له ، يبقيان على المستوى الرياضي ، ولذا فالجائزة لا تترك الا جروحا بسيطة ، ولا تخلف اية مشاكل بين المتبارزين . \* هانس او جون (بالانكليزية) هو احد الاسماء القليلة التي لا يطلقها اليهود على ابنائهم وذلك لارتباطها بالمسيحية ، ولكن هيرتزل اختار هذا الاسم المسيحي لابنه ، وكذلك لم يخفته .

ولد هيرتزل في مدينة مجرية تابعة لامبراطورية يلقب عليها الطابع الجرمانى ، فأطلق عليه ابوه يعقوب اسما المانيا شائعا هو : تيودور ( وهسي كلمة مشتقة في الاصل من الاغريقية وتعني : هبة الله ) فنشأ في كنف عائلة ميسورة الحال ، ثقافتها المانية بحتة ، وممارستها لشعائر عقيدتها اليهودية ليست شديدة التعصب . لذا لم يكن مستغربا ان يحصل على درجات سيئة في درس الدين ، فان اهتمامه كله كان منصبا الى دراسة الادب والحضارة الالمانية . وكان عظيم الاعجاب ببسمارك ، وبالادولة البروسية . وكذلك تأثر كثيرا بالمشاريع الهندسية الكبرى التي كان المهندس الفرنسي ده ليسبس يقوم بها ، فاصبح طموحه الاول ان يصبح مهندسا . ولانه الابن الوحيد ( كانت له اخت تدعى باولينه ، تكبره بسنة ) فقد نشأ مدلا ، ومنذ البداية رأت فيه امه « سيما العبقرية » ، وباركت فيه طموحه الزائد . وعندما انتهى دراسته الثانوية ، التحق بالجامعة ليدرس القانون ، بعد ان اكتشف ان الهندسة ، حلم طفولته الاول ، لم تكن بالدراسة المثالية مع امكاناته الفكرية .

ونحن نلاحظ معالم انقسام الشخصية في هيرتزل منذ شبابه الباكر . فهو مثلا لا يصادق الا اليهود ، لكن شريطة ان يكون هؤلاء من غير المتدينين ، اي مثله . وهو يبذل جهده كي ينتهي الى احدى الجمعيات الطلابية التي تمارس المبارزة ، مع انه يحس في قرارة نفسه بان هذه الجمعيات تضم اناسا ينظرون الى اليهود بترفع آري . انه مفتتن بالشخصية الجرمانية ، لكنه يشعر بانسه لا يستطيع الانتماء الى عالمها الخاص ، حتى وان مارس عاداتها وتقاليدها كالمبارزة . ان كبرياءه وشعوره بيهوديته تدفعانه الى خوض غمار مبارزة واحدة ، ولكنه لا يكرر هذه التجربة\* . وهو اثر

\* ان جمعيات السلاح المنتشرة في جامعات المانيا والنمسا منذ اوائل القرن الماضي تعتبر المبارزة بالسيف بمثابة رياضة ، كالملاكمة ، ثبتت الرجولة والشجاعة ، ولذا فان اعضاءها يمارسون المبارزة عدة مرات اثناء دراستهم الجامعية ويفخرون بالندوب التي تتركها في وجوههم . وهذا النوع من المبارزة ليس مرتبطا

وزيارته للمعبد في باريس، بينما يستشهد ستيفوارت بمذكرات هيرتزل التي تبين بأن نظرة هيرتزل الى المصلين في المعبد كانت كنظرة مرشح النيابة لإبناء دائرته الانتخابية . ان مذكرات هيرتزل مليئة بإشارات الاحتقار والازدراء للشعب الذي يريد ان يتوج نفسه ملكا عليه ، وكأن الكاتب هو آري عريق لا يطبق رؤية الاتوف المعقوفة والوجه الشاحبة . والواقع ان هيرتزل لم يستطع الفكك ابدا من بيئته وحضارته الجرمانية . ولستيفوارت ملاحظة ثابتة في هذا الشأن ، فانه يستشهد بفقرة من كتابات هيرتزل يقول فيها : عندما يصل اليهود ، الى «بلادهم الجديدة»، سيقفون حاسري الرؤوس ليحيوا رايتهم . والطريف هنا هو ان اليهودي ، كالمسلم ، يغطي رأسه كإشارة احترام ، بينما الذي يعري رأسه احتراما هو المسيحي ! وهكذا نرى ان هيرتزل كان بعيدا كل البعد عن الحضارة اليهودية وتقاليد الشعب الذي يريد انعاذه .

وينصف ستيفوارت اساطير أخرى تسمى سياق روايته لحياة هيرتزل . فكتابات المعبين تستفيض في التحدث عن حنوه على اولاده ، بينما يبين ستيفوارت بأنه بالرغم من اشارات هيرتزل المتعددة الى ابنائه في يومياته ، فمن مجموع خمس اشارات الى اعياد ميلادهم ، نجد ثلاثا منها تتضمن خطأ في تعيين أعمارهم ! ثم هناك الاسطورة المتعلقة بحاييم مأكوبي ، احد مشاهير رجال الدين اليهودي بين معاصري هيرتزل . فان مأكوبي قضى حياته كلها يعارض الصهيونية السياسية ويندد بدعوة هيرتزل . ولكننا نجد اسمه اليوم في عداد مؤيدي هيرتزل الاوائل وهناك قاعة في احدى الجامعات الاسرائيلية مكرسة لذكراه !

اما رحلة هيرتزل الى فلسطين ، وقد استغرقت تسعة ايام بالتمام والكمال ، وكانت الزيارة الاولى والاخيرة ، فان يوميات هيرتزل نفسها تقضي على الاسطورة التي حاكها المؤرخون حول حالة النشوة التي انتابته وانتابت صحبه عندما اقتربت السفينة التي تنقلهم من « الساحل اليهودي »\* فهو كان يعاني من سوء الصحة ، وقد اتعبه حر فلسطين ، وهذا كله عكر له مزاجه . الا ان الزيارة التاريخية .

\* يذكر ستيفوارت القارىء بأن المعبرين القدماء لم يسكنوا ابدا الساحل الفلسطيني .

لم يكن بإمكان المراقب المحايد أن يحكم على دريفوس باليزارة من تهمة التجسس لحساب ألمانيا التي وجهها القضاء اليه ، وبالتالي يقفز الى الاستنتاج بأن الموجود في قفص الاتهام هو الشخصية اليهودية التي طالما لحقها الاضطهاد عبر التاريخ . لقد كان دريفوس مظلوما ، الا ان براعته الثابتة من تهمة الخيانة العظمى لم تظهر الا غيبا بعد . اذن فان صهيونية هيرتزل تسبق المحاكمة الشهيرة التي هزت فرنسا .

لقد علقن هيرتزل صهيونيته عندما أشار الى انها جاءت كرد فعل طبيعي على موجة المعاداة للسامية التي جرفت فرنسا يومذاك ، لكنه لم يشر ابدا الى الحركة المضادة لهذه الموجة ، وهي الحركة التي تزمتها مجموعة من ابرز رجالات فرنسا ، ضمت جورج كليمنصو واناطول فرانس واميل زولا ، واستطاعت ان تحصل لدريفوس على المثيرة الثابتة ورد الاعتبار الكامل . ان ستيفوارت يبين بوضوح ان الطموح العارم للوصول الى السلطة واحراز المجد والشهرة ، هو الذي غرس في نفس هيرتزل العقيدة الصهيونية . انه في هذه المرحلة من حياته برهبي لحية كثيفة ذات شكل آشوري ، ويبدأ في التبشير لعقيدته ، ويسمع الناس ابنه وهو يسأل امه : ماما ؟ هل علي ان اداوم في المدرسة اذا اصبح بابا ملكا ؟

هل كان هيرتزل سينصرف الى التبشير بالصهيونية لو انه احرز النجاح كمؤلف يا ترى ؟ لقد قضى شبابه كله باحثا عن المجد كأديب ، غالف الروايات والمسرحيات ، لكن النجاح الوحيد الذي حاز عليه كان كصحفي يتمتع بأسلوب شيق ، لا سيما في كتابة المواضيع الخفيفة . ولذا يستشهد ستيفوارت بعالم النفس الامركي ( اليهودي ) لوينبرغ الذي كتب دراسة تحليلية عنوانها : تيودور هيرتزل - دراسة نفسية تحليلية في الزعامة السياسييه الجماهيرية ، وغيبا يقول لوينبرغ : « ان هيرتزل الذي أخفق في المسرح حول السياسة الى مسرح ، فأصبح المخرج ومدير المسرح وحجز لنفسه دور البطولة . أما المسرحية فكانت تدور حول انقاذ شعب ... »

وقد حاول المؤلفون الصهيونيون ان يصفوا على يطلهم ملامح الروحانية الدينية ، فكتب احدهم ( اندريه شوراكى ) من حاجة هيرتزل للصلاة ،

هو الذي كان السبب في موته . ولكن ستيفوارت لم يتمكن من العثور في سجلات وزارة الحرب النمساوية على الاسباب التي أدت الى اغفاء هيرتزل من اداء واجبه العسكري، ولذا فالافتراض ما زال قائما بأن موت هيرتزل جاء نتيجة للمرض الزهري الذي اصيب به في مطلع شبابه .

وماتت زوجته بعده بثلاث سنوات وكانت قد اوصت بوجوب حرق جثمانها . وبميل ستيفوارت الى الاعتقاد بأنها ذهبت ضحية للعدوى التي اصابها من زوجها . ولما كان السر في خلاف الزوجين كما لنا على الأرجح في رسائلها المتبادلة ، فقد اختلفت هذه الرسائل دون اثر .

الا ان ماساة آل هيرتزل الحقيقية كانت في حياة الإبناء . فان ابنته باولينه ادمنت المخدرات وفشلت في حياتها الزوجية وماتت في بورودو بفرنسا عام ١٩٣٠ . أما هانس فقد درس في انكلترا واقام بها واعتنق الكاثوليكية ، ولكنه كان عرضة للأمراض العصبية ، فلم يتزوج . وقد عانى من الفقر ، ولم يكن يطيق ان يذكر اسم ابيه امامه . وكان شديد التعلق بأخته باولينه ، وبعد مدة قصيرة من وفاتها انتهى حياته بيده . أما تروده ، فقد تزوجت رجلا تشيكيا ، الا انها ظلت طول حياتها تعاني من الاختلال العقلي ، وإخيرا ماتت في معسكر نازي للاعتقال في عام ١٩٤٢ ، تاركة ابنا وحيدا يدعى ستيفان تيودور نويمان ، خدم كضابط في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم عين ملحقا تجاريا في السفارة البريطانية بواشنطن ، ولكنه تفرج منتحرا من جسر في العاصمة الأميركية ، وكان في الثامنة والعشرين من عمره وآخر سلالة هيرتزل . ويقول ستيفوارت انه اوضح دوافعه للانتحار في اوراق سلبها الى ايلهاو ايلات ، مندوب الوكالة اليهودية في واشنطن ، ولكن هذه الاوراق لم تنشر أبداً . ويكتب ستيفوارت : من الجائر ان يكون قد اكتشف سرا متعلقا بعائلته ، فأدى هذا الاكتشاف الى الاخلال بتوازنه العقلي . ما هو هذا السر ؟ لا تدري .

## فارسي المنصوري

أصبحت جزءا لا يتجزأ من الميثولوجيا الصهيونية ، فزورت صورة لتظهره واقفا امام القصر الألماني الذي كان يزور فلسطين في ذلك الحين . لكن الحقيقة بقيت ثابتة ، وهي ان هيرتزل رجل أوربي صميم ، يخشى الحر الشديد ، ويرتبط الشرق في ذهنه بالمستعمرات والشعابين وبالاتوام الهجبية التي لا تتردد في هجر وطن اجدادها في سبيل المال . فبالنسبة اليه ، القومية هي مفهوم أوربي لا يفقهه الشرقي . وهو متأثر بذلك الإمبريالي البريطاني الشهير : سيسل رودس ويريد ان يقتفي خطواته في تأسيس مستعمرة أوربية في الشرق . الا ان التطورات داخل الحركة الصهيونية تثير شجونه ، فان يهود أوروبا الشرقية الذين لم يغموا ببركة الحضارة الألمانية يريدون تأسيس دولة عبرية تستمد روحها من التوراة وليس من بسمارك او رودس . كما ان علاقته مع زوجته تزداد سوءا ، لا سيما وانته انفق الجزء الأكبر من ثروتها وهجرها . وهي ايضا معتلة الصحة ، ولعل ذلك يعود الى اصابها بالعدوى منه . ولكن ذلك كله لا يطفى جذوة الحماس في نفسه ، بل إنه يفكر في القيام بغارة على قصر يلدز في الاستانة لعزل السلطان عبد الحميد ، وتعيين سلطان آخر مكانه يكون على استعداد لمنحه فلسطين ، وهو أينما ذهب يهمس في آذان الناس منوها بقوة اليهود وتفوذهم المتد في كل مكان ، ومخذرا من النتائج الوخيمة ان لم تستجب الدول الكبرى لمطالبهم في انشاء دولة لهم . وفي هذا السياق ، يشر ستيفوارت الى كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ، ليذكر بأن هذه التهديدات بقوة اليهود الخفية قد اعطت مصداقية لهذا الكتاب الذي ما زال العالم يجهل هويته مؤلفه .

وأخيرا يموت هيرتزل . لقد قتله طنوخة . ومع ان وايزمن كتب بعد ذلك في مذكراته : التجربة والخطأ ، يقول بان هيرتزل لحسن حظه مات في الوقت المناسب ، الا ان طاحونة الدعاية الصهيونية ظلت تفتج المزيد من الأساطير . انها أولا اسدلت الستار على المرض الذي انتهى حياته ، اذ هناك اشارة مبهنة الى ان قلبه المريض الذي كان قد ادى الى اغفائه من الخدمة العسكرية في شبابه ،

Tahar Ben Jelloun, *Le discours du chameau*,  
(Maspero, Paris, 1974).

الشعر هنا لا يعاني ، لان الماضي سد لا يمكن تقويضه ، بل ان المعضلة الكبرى في نظره هي منع زيت الذاكرة من تلويث بحر الحاضر حيث تبدأ طلائع الثورة في الإنباع . ويعكس بروست الذي امضى حياته بحثاً عن الزمن الضائع لدرجة انه تشكك في سبيل الذاكرة - الجنة ، فان بن جلون لا ينفك عن اطلاق إشباع الانقلاب عليها . انها الذاكرة المتعسة التي سوف نغطيها بالرماد « الذاكرة المجنونة » « الذاكرة الخاوية في جليد الصباح » . بل انه يذهب الى حد التهمك من اسرارها وجمالاتها ، فهي مجرد « حجاب بلا لغز » ..

الاغتراب في شعر بن جلون ايضا يمكن في ان الانسان العربي يتضح بالماضي ، وهو من اكثر الاغترابات اشكالا ، علماً بان الذاكرة هي المرفوضة ، ولكنها الجذر المتبسك بأرضه . ان اصرار بن جلون هنا على نفيها يسر بهذا الشعر على طريق معاكس للشعر الرومانسي المتحور حول الذات الطاغية وعقدتها . ان خضرة الصحو هنا هي النافذة التي يطالب بن جلون بفتحها ليكتب للانسان التغيير ، باعتبار ان الذاكرة نوم مؤيد :

« الاطفال يطالبون بفقدان الذاكرة

هم لا يصدقونكم ابدا

هم يتامى العصر الذهبي

والشرح في الذاكرة التعبه »

وكمنبه يقرع لايقاظ السادرين ، او لاحاطتهم بالخطر المحيق بهم ، ترجع كلمة « ذاكرة » تكرارا في القصيدة . ان ثقل الاتهام يقع عليها من خلال التكرار ، اذ ان بن جلون يعتبرها الفاعل الاول في الزمن الانساني . ومن موقع الاتهام هذا يحمل بن جلون على « الاجداد الذين شربوا العار في آتية من رماد ، وصادروا احلامنا » انهم هاجس الرعب يهدد الكيان العربي الذي ما يزال مخدرا بام كلثوم « النهر الذي لا يستعقظ » « النيل المنتظم في حروف تنازع على جنس مريض » . بل ان تبخ الماضي

انه يؤرخ لحركة العالم ابداعيا . هذا ما يفعله بن جلون هنا مستغرنا في الحاضر المجلل بالفاجعة العربية ، باحثا في هذا السواد عن مفتاح يشرع له باب الافق .

في قصيدة واحدة تشبه المطولة الملمحيية ، وكعمور في شريط سينمائي تمتد حيال هذا الشعر امام قارئ عربي معنى بكل حرف يقال له . وبعيدا عن جغرافيا الذات الانانية ، تفتتح اثلث القصيدة الجلونية مرتوية بهاء الذات - الجماعة التي تتمثل هنا بالجبل العربي .. أعرق مطية لها منذ فجر الزمن ، وباعتبار هذا الجمل اول جسر عبر عليه العربي من نوم الصحراء الذي كانت تسدر فيه الى الواحات والحواسر ، حيث يخرج الزمن من وحدانيته الى الشرك الابدي .

الاف من القوافل اعتلت ظهر هذا المسافر الدائم المحتفظ مع الماء في اعماقه باسرار الامراب الرحل والامهم ، وها آن الاوان لينضح هذا الجمل بذاكرة الصحراء ، وليعلن على الملا انه الجندي المجهول والفراس المغامر والامام الواعظ وراء المحراب .

مازق الذاكرة العربية

انها « موعظة الجمل » هذا الملك المتوج على الذاكرة العربية تطفو على وجوده ، يقتلها فتبعث . وهي المأزق المختمر . واذا كان غتجنشتاين يقول : « ان حدود لغتي هي حدود عالمي الخاص » فسان لسان حال بن جلون يقول : « ان حدود ذاكرتي هي حدود عالمي الخاص » . وبما ان الشاعر يجهد للافلات من هذه الخصوصية ، فمن الطبيعي ان يجهد لتدمير الذاكرة .. هذه الذاكرة التي يخصص لها الشاعر جزئين من مطولته ، يلقي بها سارية الكلام ويعود الى المرفأ بواسطتها ايضا . اول البحر هو هذه « الذاكرة الائمة » والانق هو « الذاكرة المجرية » وما بينهما يعلو موج الكلام ويهبط ، وسدى ينجو من هذين الحدين : البدء والخاتمة . في احدى وظائف الشعر الاساسية هنا « تقيؤ الذاكرة عند الفجر » .

مستوى الحركة . ومن البديهي ان يكون الحوار مدخلا لهذه الحركة . الحوار بكل درجاته ، تتوسع به دائرة الكلام . ندخل به انا وانت وهو ، عسى يبرق في الافق بلخائنا بصيص امل عربي . اكثر ازمة الحوار ترددا في هذه المطولة ، هو زمن المخاطب حيث يجهد الايقاع بكل ما يملك من وسائل عنف الى ان يكون ايجابيا . وليس من شك بان ضمير المخاطب هو اكثر الضمائر اهلا بالحضور .

« تعودتم صنع التاريخ / مداخنتكم تصق دما اسود في السماء / دما غريبا / كلابكم ترققه / خائفون انتم من الجمال المدفنة من الجزيرة العربية / في بطونهما يضج اطفال ولدوا تحت الخيام / اطفال قرروا تصحيح التاريخ وتحريك اسفلت طمانينتكم » .

في منطقة المخاطبة ، يصير الوعي اكثر واكثر واقعية ، الشعر هنا يقترب من المواجهة ، او بتعبير اخر من المسرح ، وندا لند يتلاقى الشاعر والقارئ . ضمن هذا التحرك الثنائي ، يمضي الشاعر في ايضاح المسؤوليات وتوزيع التهم . وكلما كان القارئ المفترض ابعد مثلا ( الانسان الغربي بالتجديد ) انهال سوط الشعر بعنف اكبر :

« لا وقت لديكم للحلم

لا وقت لديكم لاكتشاف شعب مشرد

دفنتم مذابحكم

قبل العودة الى اجسادكم » .

لا شك في ان هذا التهديد والوعيد آتيسان ، يبران بسطح الكيان دون ان يقتريا من زلزلة الاحقاد ، في حين ان المطلوب هو ايجاد بديل للذاكرة ، اي اعطاء الحاضر بعد الزمن كلسه . وليس سوى الدهشة بالمعنى اليربختي للكلمة شاردة على اقتحام سكة الذات الملائية ، وانتاج الانتباه للحاضر .

« ثمة جسد متبرج

وجه يبكي لونا

يصعد في عربة

يهد لسانه

برجم بالحجارة والذهب رجلا في كيس

يدمع بين جلون الى رؤية الرموز الجماعية ضمن ثباتها وسليبيتها . وهكذا يبدو الحمام عصقورا من البلاستيك .

دون هواده تشتمل حرب بن جلون على الماضي — المسخ الى ان تسقط كل اصنامة ، ويحضر الزمن بشكله العمودي . اذناك يصح القول ان بن جلون تخلص من الذاكرة الائمة والذاكرة المحنكة .. وكانت بداية الخلود ، باعتبار ان كل احتضار للذاكرة هو نوع من الولوج الى الابد : « وضعت حجاب الموت الابيض على ذاكرتي » .

رويدا ، رويدا ، ينتشر الشاعر في عوالم الاقني ، متخلصا من جرثومة الزمن « روي ازرقي .. لا ليست هذه بصورة . كجمال ناظم حكمت ، صرت ملاكا .. انا خفيف . خفيف جدا ، غالي بوابة الجنة احرصها » .

مع ولادة الخلود ، صار الجمل الواعظ غير جمل الصحراء ، باعتبار ان الكائن هو انعكاس ما للمكان . صار جملا زمانه فضاء . وتحول الرمز الى اعرق ما في الحياة العربية ، واكثرها اتصالا بالارض ، تحول الى طائر ابتكرته موهبة الرفض . هو بين الارض والسماء مزيج من براق وجمل .

### البتر اسلوبا ثوريا

لان الماضي الذي يجهد بن جلون في التخلص منه ماض قريب ، غير ماضي الامجاد والفتوحات ، فان الشاعر لا يخلص تماما من مازق الذاكرة التي تعبر عن « ذاكرة النكبة » . بل انه يمكن القول ان الحاضر هو شكل من اشكال الماضي ، لان فلسطين تشده الى الماضي القريب . فلسطين هذا الخط اللامرئي الذي يجعل الحاضر ماضيا بالقسر ، فهو وهذا الماضي توأمان : ٧٣/٦٧/٤٨ . ثلاثة تنويغات على الفاجعة العربية .

ولكن هل تتوقف مهمة الشاعر عند نفخ الغبار ، غبار الغهوض عن الانظار ، ومسح الظلال ، واعطاء الاشياء حجمها الحقيقي ؟ لو كان الامر كذلك لما كان هناك شعر ثوري . ان فئائية النفي وحدها لا تكفي لايقاظ بذور الثورة في القلب العربي .

من هنا كان لا بد للشاعر ان يكون ايضا محرضا . اي ان ينتقل من مستوى الوصف الى

## الجمال /

## الدم السامي /

لا احسنكم على شيء

## اعرف /

تعلمت ان فضيلتكم تقبع في بطن صغدع /

صغدع او فار .

عند زواج النفي بالتأكيد ، يصل الشعر الى الذروة ، حيث تلتقي جميع الاضداد في واحد لتعود تتوزع من جديد في ديالكتيكية ابدية ، بين نفسي وتأكيد ، بين ثبات وحركة ، بين وصف ووعظ ، اذ ان الجمال بين محطة كلامية واخرى يسدى لنا النصائح . وهنا ايضا لا تخلو المطولة من لهجة خطابية تسمي الى الغنائية الصادقة ، وحكم تجهد لتقليد اللانثات في تصائد بريخت ، ولكنها تبقى اقل نفاذا منها الى سلبية القارئ . ولجسمن الحظ ما تلبث هذه الخطابية ان تذوب في التماكس الدائم بين الموت والحياة :

« يعرف الذين يهوتون

لن يكون حداد

ولا بكاء

ولا مرات

بل ولا صلاة الغائب »

ولكن

« لكن » التناقض تجهز فوراً على الاستسلام والهزيمة . يشكل علني ، خاصة وان بن جلون يفسح لها مساحة كالعنوان في التصيدة . اي بديل تطرح « لكن » سوى :

« الكبرياء الهائلة

المالودة على المنحدرات

والتي تعبر المدينة المدنية اليوم دون ان تسمي السلطة القاتلة ، دون

ان تحدد المكان السري للجرح » .

« لكن » تعلن افتتاح الحدث في مناطق تتشكل مقابلة لمناطق الماضي . هنا وهناك ينساب النهر الشعري دون ان توقفه حصى الفواصل وحجارة النقط ، مما يحصر الزخم في مساحات متراسة تبدو للمعين القارئة كمقاطع من مسرحية متمحورة حول المونتولوج الجماعي التطوي على شعاع من

## هذا الرجل ورت خيمة وجبلا

انه عربي »

بقدر ما يقم الشعر هذه-الذات في الواضع الصلف ، ينتبه القارئ الى المساة المرابطة في كل جزئيات وجودنا . الحوادث اليومية ترتبسط مباشرة بالفاجمة حين تستلم لجبر من جلون اللغوي . والاستشهاد بها كوسيلة من وسائل المتاطعة البريختية ، يوقظ الملل النائم والمقترن باليأس .

## « قررت الحكومة

تقديم احتجاج لمجلس الامن ، بعد الهجوم

الاسرائيلي

الذي وقع ليل الثلاثاء الاربعاء

يبدو ان العملية خلفت ضحايا كثيرة في صفوف

ال فلسطينيين

الذين خسروا اكثر من مائة قتيل وجريح »

طبعاً ، لا ينجو الشاعر من فخ النثرية وهو يجهد للتخريض . بل ان التآلف مع القضية يصل الى ذروته حيث يفتني الرمز ، ويزدهر النص بالصور التي تصل الى القارئ بسرعة اكبر من سرعة قصاصات الجرائد .

## جسر التناقض

ما بين الغنائية الاراغونية الصافية تتبع من نهر القلب ، والمتاطعة البريختية كوسيلة من وسائل الاخراج ، وكتيجة للعنف الخلاق ، تمايل المطولة بين هبوط وصعود ، بين خطين شكليين : عمودي يسيطر عليه زمن الوصف الموضوعي ( بنسبة ما هنالك من موضوعية في الشعر ) والعتي يمسك بزمامه ضمير المخاطبة ( احيانا الغائب ) ، ففيما تتلاحق الصور والوصاف في سيل منظم عمودياً ، نراها تنهاوى نجاة في ايتاع عجل ومتوتر .

تبتدى المطولة بان يوجه الشاعر العدسة نحو الكلام الذي يزخر بالتفاصيل كلما دخله الضوء اكثر ويهوج بالمعصية ما يبرز عمود الكلام ، ويلقي به في الايتاع الانفي ، بل في الايتاع المتناثر بتعبير ادق ، حيث ان العنف يعجز عن اعطاء هوية للمقطوع .

« انا /

حيث الياسمين نابت في الخريف  
دم الاطفال يخصب الارض  
ويحرك الذاكرات ))

الامل ، اذ ان كل تشاؤم مبالغ لا يمكن الا ان  
يشكل خيانة للشورة التي هي في نهاية الامر  
ديالكتيكية الفرح والياس :

« دم فلسطين ترك ندوبا في الاستقلت

## نصوص مختارة

١ -

في الزبد الوقور  
ناهض هو النسيان مع الشمس  
وكان المطر رمادا هذا الصباح فوق ميونيخ

الجمال المولود قبل الهجرة بثلاثين عاما / هذا  
انا / وانا الكلم الضائع في التاريخ / المعجون  
بدم الشجر

٢ -

### قصيدة مهداة الى محمود الهمشري

لا تبكوا الموتى  
علمني الرمل / الشجر / الشمس  
ان الموتى اقياء / عن عبرتنا / شهداء كانوا  
او ربيعا او كوكبا / هذا قول امرأة مراغة كل  
ذاكرة / مع نجر القلب الصامت / شيعت اطفالها  
برغيف شعير وحفنة زيتون .  
شيعتهم / لم تبك / ارتحلوا ابدا / لم تبك /  
سكنت حنايا زينته احلام الجبال المتسولة /  
سكنت زهرة تتفتح  
بين شواهد القبور .

لا جذر لي / لا وطن  
واحنو على اطفال ولدوا  
في مضاجع الرماد  
وانا الجميل / رافعا عقيرتي :  
مشروع عنف الفلسطينيين / عنف هذى النجبة  
الجامحة / الامل

٣ -

القصي / اسمعوني  
انا الجميل وهذى واحة وحشتي  
الفجر :  
مرة واحدة اسمعوا نشيد النبع في غزوتنا  
نشيد النجم المزروع في الطين  
انصتوا لسبول السماء تقول لا  
للنسيان / انظروا اليد تتقدم / تهدي هلالا /  
انصتوا لقلب غسان كتفاني / نصف برتقالة  
ومدهش

بين شواهد القبور .  
الغيم طوته بنسيان / وللنسيم ترهف :  
محمود قضى بجراحه  
محمود ولد في طولكرم قبل بضعة سنين من  
مجزرة دير ياسين  
محمود مات في الخريف .  
وعلى الضفة الصمت الثانية هوت شجرة  
في عذاب الذاكرة المثلومة  
لا تبكوا الموتى  
أت زلزال الذاكرة المتهمة

القصي / اسمعوني  
انا الجميل وهذى واحة وحشتي  
الفجر :  
مرة واحدة اسمعوا نشيد النبع في غزوتنا  
نشيد النجم المزروع في الطين  
انصتوا لسبول السماء تقول لا  
للنسيان / انظروا اليد تتقدم / تهدي هلالا /  
انصتوا لقلب غسان كتفاني / نصف برتقالة  
ومدهش

٤ -

موجوع بوحدهنا / موجوع ببوت شموس صغيرة /  
اشتات سماوات صرن / تناثرن على قبة رابية  
لم تعد الصباحات تذكر الصمت / وكالطل  
تساقطن حروفا عجماء .  
موجوع بنهار كالسد ناهضا / كرم ارتفع  
حجابا بيننا

قلب .. كتاب والامل غزال بين دفتيه  
وفيه امرأة جالسة عند الفجر المكتمل / انصتوا  
فمرس الموت العجوز تروي الاسطورة / انصتوا  
تصوغ لنا السماء سرير زهر / وتدبر الشمس  
شمس تمنحنا العبي الابدئي  
وعيوننا ليل وفجر مضبوط بالالم / انصتوا  
عصفور تشرد بين المنى والرمل يغرد / انصتوا  
صحراء ترتد عن احلامكم  
وفي الصحف اخبار عن النار / اجساد منسوفة  
تشمع الحقد الذي يعصر صدوركم  
وفي محاجركم ليل يئس ونام /  
ونهار تمزق وانطوى

ابواب السماء لي / وليشهد البحر وحده على  
جرحنا  
اقوله حتى يرى الاطفال الفجر طالما من احلامهم  
وليعرف الملائ ان التاريخ مزور  
اقول ...  
ولكن سدى يعظ الجمل  
اقوله للصحراء اقول ويلون وحدتي دثار الرمل  
صوب عمان تزحف الصحراء / الشفئة /  
العاصفة

تختنان الارواح النتنة مصعوقة بعريها

اقول ...

وكلامي يضيغ في الكتيبان  
ايسبحونني / رحمي ليس مني / رحمي دهري  
كمصفون

يرتعد على غصن ناضل /

رحمي صديق فاجأتني في هذياني / غفر لي جنوني  
وغادر الخيمة رحمي / لست اغني  
غير جدير بموتي الليل والمنبعثين فجرا  
حقير ما اغنيه / ما انا سوى جبل / قدر يتم  
حزين بدون ياس  
هل ينسى التاريخ رفاقي / الاشقاء وغيرهم  
يصرون

والاشقاء وغيرهم يجهلون خبايا الصحراء  
في الفضاء حلم / في راحته الحق  
وفي الفضاء نجمة جريئة تشرق على معاركه /  
وحبه

تشرق على زواج الغاب والشجر / وعلى  
الحياة

تذبل التيجان / هذا تعبير الرؤيا  
تنفجر في الشوارع العربية / تنشد الموت /  
تناديه

الموت الهائل من السماء

مراجعة وتعريب : أميرة الزين

ونزعم اننا اخوة ولسنا رفاقا / وهم يطلقون  
الاتهم المقتنة على الايدي التي تفتتح على الحياة  
وبوجه المعاصم تطالب بالارض والشجر والهوية  
موجوع بالاھمال يتسائط من نجمة لا اعرفها  
موجوع باجساد مدن مدهونة وعارية / مدن  
بلا قلب / واراھم غرمتي في حساباتهم / وجوھهم  
مظلمة بالزبدية يسترون بها رعبا يلون الجباه  
اراھم : وجوھهم جامدة وراء الزجاج / انھم  
ندوب

زمان يكتب معبر احلامهم / ينبتهم بالزلزال

واراھم يطلبون ظلما لمصلحة التاريخ  
لكل شيء تبرير / ولكن حذار ان  
تعبث الطفولة بالهدنة / وحذار  
هنالك ما هو ألعن / الاشقاء حفارو قبورنا  
الرائدون على سرير الخنان / ويحط على  
ذاكرتهم ذباب ونبل  
التصيد الولادة تصرخ بالاطفال  
اطفال يمشون على رغوة البحر :  
فليتوقف هذا السرب الحوام من النجم  
الى العار ومن العار الى النجم  
اي رماد في جمجمتي / مؤمنة ما زالت بحلم ممكن  
اي دم تدرسه هذه الغبراء  
اي زيتون يموت مع الفجر الباهت  
اية اشعار يلجها الموت الابيض  
دعوني اتمرغ بالرمل لعلي افقد الذاكرة / انسى  
الناس / اموت .

الدمع في المحاجر / هكذا الاشقاء حفارو القبور  
يذبحون الرفاق ينظفون المعاصم / يغسلون  
جنسهم

هكذا يقيمون الصلاة وينسون

ولماذا اقول كل هذا ؟

لست اشكو

يموت منهم / كل يوم / في الحقول / في الرمال  
والشمس والزيتون يعرفان  
للارض الجريح اقول وللأزرق والاخضر تشرعها

## تقارير

## التربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل

لبرامج التعليم الحكومية، بموجب قانون التعليم الحكومي لسنة ١٩٥٣-٥٧١٣. والمدارس الحكومية تكاد تكون المسيطرة الوحيدة في حقل التعليم. ففي السنة الدراسية ١٩٧٢/٧٤ بلغ عدد الطلاب اليهود في معاهد التدريس اليهودية، وعددهما ١٩٩٣ ره معهدا : ٨٤٤١٥٠ طالبا، موزعين في مراحل الدراسة المختلفة، بين المدارس الحكومية والمدارس الخاصة، بحسب الجدول التالي(١):

المقصود بالتربية القومية في المدارس اليهودية في اسرائيل، هو ما تبذله أجهزة التعليم الحكومية الاسرائيلية، الممولة أساسا بوزارة المعارف والثقافة، لخلق أجيال اسرائيلية تؤمن بالمعتقدات الصهيونية، التي اعتنقها «جيل المؤسسين» الصهاينة، وتعمل من أجل تحقيق اهداف الحركة الصهيونية في المنطقة. ان اكثرية الطلاب اليهود في اسرائيل خاضعة

توزيع الطلاب في المدارس الحكومية والخاصة في السنة الدراسية ١٩٧٢/٧٤. (بالنسبة المئوية)

| تعليم حكومي | تعليم حكومي ديني | تعليم مستقل |
|-------------|------------------|-------------|
| ٦٩٤٨        | ٢٤٤١             | ٦٤١         |
| ٦٩٤٢        | ٣٠٠              | ٠٤٨         |
| ٧٣٤٣        | ٢٢٤٧             | ٤٤٠         |
| ٦٣٤٦        | ٢٥٤٤             | ١١٤٠        |

وبالإضافة الى خضوع الطلاب الاسرائيلي الى برامج التعليم الصهيونية الرسمية في هذه المدارس الحكومية، هناك مختلف النوادي الثقافية والرياضية ومعاهد الشباب، التي تتحكم بمثل هذا الطلاب في اوقات فراغهم. وهذه المعاهد والنوادي تملكها وتديرها مختلف الاحزاب الصهيونية، مثل منظمات بني عكيفا واليتسور وغيرها التابعة لحزب اليسار، ومؤسسة بيت جابوتنسكي التابعة لحركة حيروت، وكذلك مختلف النوادي التابعة للمجالس البلدية والتي تتحكم فيها الاحزاب الصهيونية ايضا.

يتبين من الجدول أعلاه، ان أكثر من ٩٥٪ من طلاب المدارس الثانوية الاسرائيلية، وأكثر من ٩٣٪ من طلاب المدارس الابتدائية، يتلقون العلم في مدارس رسمية. وإذا لاحظنا ان معاهد «التعليم المستقل» تابعة لحزب «اشودات اسرائيل» (٢) نجد ان كل طالب يهودي تقريبا في اسرائيل خاضع، منذ دخوله مرحلة الروضة الى ان يتسرح من الجيش، لبرنامج التعليم الصهيوني الرسمي، خاصة وان تيار التعليم الحكومي الديني ادخل بتأثير الحزب الديني القومي (المدال)، المشترك في الحكومة.

الصهيوني « وجدوى العيش على الحراب الى الابد . وقد اتهم البعض وزارة المعارف والثقافة بأنها مسؤولة عن ظهور هذه الشكوك ، بعد ان قصرت في مجال « التربية على اسس القيم والمثل القومية » . الا ان المسؤولين في حقل التربية والتعليم دافعوا عن سياسة وزارة المعارف وأكدوا ان المدرسة الاسرائيلية لم تقتصر في هذا المجال . فقد أعلن ، مثلا ، الدكتور دان روبين ، مستشار وزير المعارف والثقافة : « ليس صحيحا ان المدرسة لم ترب على أسس القيم والمثل القومية . انها تدرس قيم البطولة اليهودية ووجوب انقاذ الأرض ويهود الشتات ... » (٤) . وفسر المستشار ردود فعل الطلاب الذين ابداوا ملاحظات لا تروق للمركي الصهيونية ، بادعائه انها غير ناجمة عن تقصير المدرسة في التربية على اسس القيم القومية ، بل ان « هذا هو رد فعل كل جيل شاب يكتشف تلون الكبار ، ويرى الهوة بين اقوالهم وافعالهم ... ان الصهيونية لم تضع بعد قيام الدولة امام الجيل الجديد الا مجالا واحدا فقط ، هو الخدمة في جيش الدفاع الاسرائيلي .. وتطبيق الصهيونية اليوم هو الخدمة في الجيش . ان الجيل الشاب لا يكثر بالاساس ، والاسئلة التي يسألها الشبيبة تنم عن القلق على مصير الشعب اليهودي ، ويجب ان لا تكون سببا لهجوم شامل عليهم ، بل حافظا لتربيتهم » (٥) .

وكتب وزير المعارف والثقافة ، اهرن يدلين ، رسالة الى احدى الصحف الاسرائيلية ، عبر فيها عن موقفه من للتعليم والتربية «على اسس القيم» ، بقوله : « لا يراودني أي شك حول واجب التعليم في غرس القيم ، وفي التربية على اسس القيم والمثل القومية والاجتماعية والاخلاقية . التعليم في الحقيقة موجه الى الفرد ولكن بدون التربية على اسس القيم لن ينمو الطالب ليصبح انسانا ... انني أصر على وجوب وجود اتفاق قومي عام في مجتمعا » (٦) .

وكان يغفال الون ، وزير المعارف والثقافة سابقا ووزير الخارجية حاليا ، قد اوضح دور جهاز التعليم في تنفيذ المشروع الصهيوني ، بقوله في خطاب له في الكنيست عام ١٩٧٠ : « ... ان لجهاز التربية والتعليم ولبناء القيم في المجتمع الاسرائيلي ، دور حاسم في قدرتنا على الثبات ،

وفي عام ١٩٧٠ تأسس « المجلس الصهيوني في اسرائيل » بهدف « العمل في ميادين الاعلام والتربية الصهيونية ، ولتشجيع روح النطوع لدى الجمهور الاسرائيلي ، وبشكل خاص لدى الشبيبة » (٧) . ويضم هذا المجلس ٩٦ مؤسسة شعبية ومنظمة ، بما فيها كل الاحزاب الصهيونية ، وينظم كل سنة مئات المحاضرات والندوات الدراسية في مجال « التوعية الصهيونية » خاصة في المدارس الثانوية . وبالإضافة الى ذلك ، هناك اقسام التعليم و« التوعية الصهيونية واليهودية » في مختلف وسائط الاعلام الرسمية والحزبية وغيرها ، مما يخضع الطالب الاسرائيلي منذ حداثة لجهاز هائل ومتشعب للتربية والتثقيف الموجه ، بهدف خلق اجيال اسرائيلية تؤمن بأهداف الصهيونية ، كما وضعها آباء هذه النظرية .

#### تربية صهيونية موجهة ومفروضة

يتضح من مراجعة برامج التعليم في المدارس الاسرائيلية ، ومناقشات رجال الفكر والمتخصصين في شؤون التربية ، وكذلك من مناقشات الكنيست حول مهام وزارة المعارف والثقافة ، ان التعليم في اسرائيل موجه الى أقصى الحدود . وتنتظم خطة التعليم هذه من الافتراض ان « الحل الصهيوني » هو الحل الوحيد لمشاكل اليهود في اسرائيل وخارجها ، بحيث لا يوضع الطيبال اليهودي امام الخيار الفكري : اعتناق الايديولوجية الصهيونية او سواها ، اذ ان هذه الايديولوجية تفرض عليه بشكل مباشر . والحوار القائم في اسرائيل حول التربية لا يدور حول اعتناق المبادئ الصهيونية او سواها ، بل حول اختيار افضل مواد الدراسة وفضل الاساليب والسبل لتلقين هذه المبادئ للشباب ، والعمل على تحقيقها من وجهة نظر واضعي سياسة التربية الصهيونية . ويتبع هذا الاسلوب في التربية تحت شعارات « التربية على اسس القيم القومية » و« تعميق الوعي اليهودي والصهيوني » .

ظهر هذا التوجه بشكل واضح من الحواريات الدائر في اسرائيل على ارضية ظهور بعض الشكوك وعلامات الاستفهام لدى الشبيبة هناك ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبشكل خاص بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، حول جدوى « الحل

( المندال ) في النقاش الذي دار في الكنيست حول نشاط وزارة المعارف والثقافة في حزيران ١٩٧٠ . وشدد نيريا في حديثه حول واجب جهاز التعليم في تلقين الطلاب اليهود بأنهم يملكون ، دون غيرهم ، القدس العربية وغيرها من المناطق العربية المحتلة : « ... يجب ان لا يكون ولد واحد في اسرائيل ، من دان الى يثر المسبح ، ومن كريات شمونة الى ايلات ، ومن جبل الشيخ الى السويس مستعدا للتخلي عن القدس ... » (١٧) .

وكشف الاديب الاسرائيلي يزهار سميلانسكي النقاب عن حقيقة ان جهاز التربية والتعليم الصهيوني يعتبر الولد « مادة خاما » يريد واضعو « القيم » الصهيوينيون ان يصنعوا منها الالة التي يريدونها ، بقوله : « ... ماذا يريدون من التربية على اساس القيم ؟ ارادوا منها ان تخلق شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه جماعية ، صورا فكرة تخلص الارض والشعب صلى انها غاية الكمال . ارادوا تقديس العمل ، ونسي الوقت نفسه ارادوا تطوير القوة بأسلوب الحياة المعاصرة . ووعظوا من أجل الاستعداد للخدمة المتواصلة والخلق ومن أجل الاخلاص للوطن ولحركة العمل ، من أجل استعادة ميراث الاجداد وعودة الشعب المختار ... كل هذا موجود في برامج التعليم ... التربية تنقرر بواسطة قوى الضغط المتنافسة بسلطتها ، وعلى سلطتها ... ان هذه التربية ما هي الا عملية تجنيد لجنود مبتدئين ، لكي ينضفوا غدا لضرعات الكبار المتعبين . هذه التربية هي قوة محكومة وموجهة لخدمة مستخدميها ، وهي من القوة بحيث تستطيع التغلب على كل ما ينافسها . ان هذا الاسلوب من التربية يحول الانسان الى مادة خام طبيعية ، ويتجاهل العنصر الانساني وجوهه ... ثم ما هي القيم ؟ انهم لا يعرفونها ... والقوى [ الحزبية ] هي التي تسجل قائمة هذه القيم ... ومتى ينجح التعليم على اساس هذه القيم ؟ عندما يكرر الصغار ما يقوله الكبار بصوت خافت ضعيف ... » (١٨) .

ووصف هذا الاديب ، الداعي الى التربية الحرة ، اسلوب التربية الصهيونية على انه « خليط من الضغط والاغراء بهدف الحصول على تغيير مقصود في الانسان ... ان هذا التعليم

وخاصة قدرة الجيل الشاب على تحمل العبء الكبير الذي افناه التاريخ اليهودي المعاصر على عاتقه ... ان تعميق الجذور الروحية والفكرية لجيل الدولة ، يتطلب تعميق معرفته وتضامنه مع تلك الفترة الجيدة في ارض اسرائيل التي سبقت قيام الدولة ، والتي لا تقل في جدولها القومي من اهمية الخروج من مصر او عودة صهيون . وعندما يتميق [ في هذه المواضع ] سيعلم [ الجيل الشاب ] جيدا من اين جئنا ، ماذا كان هنا قبلنا ، لماذا نحن هنا والى اين نتجه . هذه المهمة ليست ملقاة فقط على عاتق جهاز التربية والتعليم ، ولكن على عاتقه في الدرجة الاولى ... » (١٩) .

وافرد الون في خطابه مكانا بارزا لاهمية « المدارس الزراعية - الاستيطانية » قائلا ان سياسة التربية والتعليم في هذه المعاهد قائمة على اساس ثلاث : « ١ - تقوم البلاد على الاستيطان ، وما تزال فيها مناطق شاسعة تنتظر المستوطنين ، ٢ - هناك مستوطنات صغيرة متعطشة للمزيد من المستوطنين ، ٣ - كل تقدم وتطور في هذه المستوطنات يعزز قوة الاستيعاب فيها » (٢٠) .

ولعل افضل وصف لاسلوب التربية الصهيونية الموجه والغروض في اسرائيل ، ما كتبه صبيد كلية الاداب في الجامعة العبرية في القدس ، تسفي ادار ، في كتابه « التربية اليهودية في اسرائيل والولايات المتحدة » . وجاء في هذا الكتاب قول ادار : « بينما تكتسب التربية القومية الطبيعية عن طريق التعرف على الثقافة القومية ، تسعى خطة التوعية اليهودية الى اكساب هذه التربية بصورة مباشرة عن طريق الوعظ والتوجيه . وبينما تقوم التربية القومية على اساس التربية الانسانية الواسعة ، فان خطة التوعية اليهودية تسعى الى الخصوصية [ خصوصية الشعب اليهودي ] ... » .

وكتيجة لذلك تشوه التربية اليهودية في جهاز التربية العام ، وتتحول الى تربية من اجل التعصب القومي ، تربية شعورية عدوانية وموجهة . وهي بهذا تتنافس مع جوهر التربية ... ان فكرة التوعية اليهودية وبرامج التدريس الجديدة تعيد تدريس التوراة الى انماطه التقليدية [ التلمودية ] ... » (٢١) .

ويظهر مدى الوعظ والتوجيه في حقل التربية والتعليم ايضا مما قاله النائب موشي تسفي نيريا

الصهيونية الاساسي هو خدمة اهداف الحركة الصهيونية . ومع ان هذه الاهداف ذات طليمة عنصرية وغير انسانية ، فان ما يسمى التربية القومية في اسرائيل يقوم على اسس عنصرية وغير انسانية . وأكد ذلك النائب الاسرائيلي مئير فيلنر بقوله ، في خطاب القاہ في الكنيست عام ١٩٧٠ : « ان التربية الصهيونية في اسرائيل تسمى لترسيخ مشاعر التعالي القومي والعنصرية ومعاداة العرب والروح العسكرية وانكار حقوق الاخرين ... ان كل سياسة الحكومة الاسرائيلية غير انسانية ، بما في ذلك سياستها تجاه تربية اولادنا. ... » (١٥).

### التربية القومية في برامج التعليم

لكي نتعرف على مدى اتباع سياسة التربية الصهيونية اسلوبا موجها ، مفروضا من فوق وقائما على اسس العنصرية والشوطينية والتعصب القومي والروح العسكرية العدوانية يكنى ان ننظر الى برامج التعليم المقررة في المدارس الاسرائيلية ، التي تدرس بموجبها مواضيع مثل التاريخ واللغة والدين والادب والموطن ، حيث ان هذه المواضيع هي التي تمس القضايا القومية ، خاصة في مرحلة الدراسة الثانوية .

### برنامج تدريس التاريخ للمدارس الثانوية

يسجل برنامج تعليم التاريخ للصفوف الثانوية في المدارس اليهودية ، الاهداف التالية من تدريس هذا الموضوع :

الهدف الاول : « ان يتوصل الطالب السى اعتبار ان الحضارة الانسانية ثمرة للجهود المشتركة لليهود وشعوب العالم ، اثناء العصور ، وان يقدرها تقديرا صحيحا ما ساهم به شعبنا ، وما ساهمت به الشعوب الاخرى في تكوين هذه الحضارة . هذا بالاضافة الى تقوية وعي الطلاب بروابط المشاركة الانسانية ، وتنمية رغبتهم في المساهمة في الاعمال المؤدية الى تقوية اوامر الاخوة والسلام بين الشعوب » (١٦).

ان روح التعالي القومي والعنصرية ظاهرة بوضوح من صياغة هذا الهدف . فهذه الصياغة تضع « اليهود » في احدى كفتي الميزان ، وتضع شعوب العالم كلها في الكفة الاخرى ، ثم انها

الموجه ليس الا عمليات غسل دماغ ، تكرية ، ارغام واغراء ، واغلاق عقول ... » (١٧). اي ان اسلوب التربية الصهيونية ، بحسب رأي سميلانسكي ، يجعل الطالب اليهودي ، باختصار منغلقا على نفسه وعاجزا عن التفكير الحر ، وأداة في ايدي القوى الحزبية المسيطرة على الكيان الصهيوني لتحقيق اهدافها .

وأكد هذا الاتجاه أيضا البروفيسور يعقوب لورخ ، الذي اطلق على وزارة المعارف والثقافة اسم « وزارة الخنق » ، قائلا : « يوجد لدينا ما اعتبره « المؤامرة الكبرى » في التعليم التي تقتل متعة الدراسة . في الصف الاول يجربون الولد على حمل حقيبة وزن ٥ كغم لكي يسلبوا منه حرية الحركة . بعد ذلك ، وخلال ١٢ سنة يقضيها في المدرسة الابتدائية والثانوية ، يسلبون منه حرية الحركة النفسية - العقلية . وعندها يتحول الطلاب الى ما يسوونه عندنا « شباب طيبون » ... لا توجد لدينا ، في هذه البلاد ، عادات دراسة ، بل عادات اداء الوظائف المدرسية ... » (١٨).

ونجد دجما لهذا الكلام من قبل بعض الطلاب ايضا ، اذ أعلن بعضهم امام احد برايلسي الصحف : « لا يتيحون للطلاب فرصة التفكير ، لا في المدرسة ولا في الجيش ، لانني اذا فكرت ، لن احارب جيدا ... في هذه البلاد تبدأ حياتك في سنة ما بعد العشرين من العمر [ أي بعد انتهاء الدراسة الثانوية وفترة الخدمة الالزامية في الجيش ] ... ان الجيش لا يهمني وانا ادرس فقط لكي انجح في الامتحانات . لا يوجد معلم كفوء أسأله لماذا انا موجود هنا ، بدون أن يبسدا بالثرثرة حول الحق التاريخي والميراث اليهودي . انني لا اريد ان اتعلم تقديس شيء ... اعتقد أن الجميع يفتكرون مثلي ويخافون من التعبير عما يشعرون . وانا أيضا اتقول ما اتوله في ساعات الضعف فقط ... » (١٩).

يتبين من هذه النماذج من الحوار ، حول دور التربية القومية في الكيان الصهيوني واساليبها ، ان سياسة التربية القومية هذه تمتد اسلوب الفرض والتوجيه . والا هم من ذلك ، يتضح من مضمون هذا الحوار ان هدف سياسة التربية

ايضا مطالبين بالاخلاص لدولة اسرائيل وخدمتها ليس لانها تخدمهم وتخدم شعبيهم ، بل فقط «بداغى الشعور بالصر المشترك للشعبين العربي واليهودي في الماضي والحاضر» (٢٠).

الهدف الرابع : ان تنطبع شخصية الشباب بسمات الرجال المشهورين للاساسة اليهودية والعالم «(٢١)». والملاحظ هنا ان الطالب اليهودي مطالب بان يتضامن اولاً مع الشخصيات اليهودية المشهورة وبعد ذلك مع شخصيات عالمية . ولكنه غير مطالب بالتضامن مع شخصيات عربية مشهورة رغم الحديث عن « المصير المشترك للشعبين » في البرنامج العربي لتعليم التاريخ . اما الطالب العربي فانه مطالب ، كما ينص الهدف الموازي في برنامج التاريخ للمدارس العربية ، بالتضامن مع شخصيات يهودية مشهورة ، وعليه «... ان ينطبع بسمات الرجال المشهورين في العالم ولا سيما العرب واليهود» (٢٢).

اما الهدف الخامس والاخر فهو : ان يتعلم الطالب ويعتاد البحث في مشاكل المجتمع الانساني والحكم فيها عن طريق التحليل والاستنتاج ، وان يعمل على حلها بواسطة التفكير الذاتي الانتقادي . فالواضح ان هذا الهدف خال من النزعة القومية . ولكونه كذلك نجد انه ورد ايضا في برنامج تعليم التاريخ للمدارس الثانوية العربية في اسرائيل .

توزيع حصص تعليم التاريخ : يخصص برنامج التاريخ للمدارس الثانوية ( الفرع الادبي ) ، اليهودية والعربية ، ٤١٦ حصة ( الصف التاسع : ٩٦ حصة ، العاشر : ٦٤ حصة ، الحادي عشر : ١٢٨ حصة والثاني عشر : ١٢٨ حصة ، وفي الفرع العلمي ٢٨٤ حصة ، وهي موزعة من حيث المواضع حسب الجدول التالي » (٢٣).

ويظهر من الجدول التالي ان نحو ٤٠ ٪ من حصص التاريخ للطالب اليهودي تخصص لدراسة تاريخ اليهود ، بينما يدرسن تاريخ العرب خلال اقل من ٢ ٪ من مجموع الحصص . كما يظهر من هذا الجدول انه حتى الطالب العربي يتعلم ، من ناحية عدد الحصص ، من تاريخ الشعب اليهودي اكثر مما يتعلمه عن تاريخ شعبه العربي .

تضع « اليهود » في المرتبة الاولى وبعد ذلك تأتي كل شعوب العالم ، ثميا مع شعائر « شعب الله المختار » . ويتأكد هذا الاتجاه اكثر عند مقارنة هذا الهدف بالهدف الموازي في برنامج تدريس التاريخ للمدارس العربية الثانوية في اسرائيل : « ان يتوصل الطلاب الى اعتبار الحضارة الانسانية ثمرة للجهود المشتركة لكافة شعوب العالم خلال العصور... » (١٧).

الهدف الثاني : « غرس الوعي القومي اليهودي في قلوب الشبيبة ، وتقوية شعورهم بالمشاركة مع المصير اليهودي ، وزرع الحس لليهود في قلوبهم - حب اليهود في البلاد وفي انحاء العالم وتقوية ارتباطاتهم النفسية مع كافة ابناء هذا الشعب » (١٨).

ان هذا الهدف يقوم على اساس النظرية الصهيونية الداعية الى وحدة الشعب اليهودي وخلق القومية اليهودية الواحدة . فالطالب اليهودي مطالب بحب اليهود ايما كانوا ، على اعتبار انهم شعب واحد ، وعلى اعتبار ان هذه « الامة الواحدة » سيكون مضرها ، ويجب ان يكون مضرها ، الهجرة والاستيطان في « ارض الاجداد » . ونلاحظ ان مثل هذا الهدف غير موجود في برنامج تعليم التاريخ في المدارس العربية في اسرائيل ، مع العلم ان وزارة المعارف والثقافة نفسها هي التي تضع البرامج العربية والعربية .

الهدف الثالث : « ان يفهم الطالب اهمية دولة اسرائيل من اجل تأمين الوجود البيولوجي لليهود ، واستمرار وجودهم التاريخي وان ينمي به شعور المسؤولية الفردية تجاه توطيد اركان الدولة وتطويرها ، ولانارة روح الاستعداد لخدمتها والقيام بمطالبها » (١٩).

أي ان الطالب اليهودي في اسرائيل مطالب بان يقتنع انه بدون دولة اسرائيل وتوطيد اركانها وتطويرها ، لا يمكن ضمان وجوده ووجود شعبه اليهودي ، بيولوجيا وتاريخيا ، وانه يجب ان يقوم بكل ما تتطلبه منه هذه الدولة دناعنا عنس وجوده . ويلاحظ عند الاطلاع على البرنامج العربي لتدريس التاريخ للطالب العرب في اسرائيل انهم

توزيع حصص تدريس التاريخ في المدارس الثانوية الاسرائيلية  
( بالنسبة المئوية )

| ثانوية عربية<br>( علمي ) | ثانوية يهودية<br>( علمي ) | ثانوية عربية<br>( أدبي ) | ثانوية يهودية<br>( أدبي ) |               |
|--------------------------|---------------------------|--------------------------|---------------------------|---------------|
| ٢٠٤٦                     | ٤٠٤٩                      | ٢٠٤٢                     | ٣٨٤٨                      | تاريخ اليهود  |
| ١٩٤٥                     | ٢٤١                       | ١٩٤١                     | ١٤٤                       | تاريخ العرب   |
| ٥٩٤٩                     | ٥٧٤٠                      | ٦٠٤٧                     | ٥٩٤٨                      | التاريخ العام |
| % ١٠٠                    | % ١٠٠                     | % ١٠٠                    | % ١٠٠                     | المجموع       |
| (٢٨٤)                    | (٢٨٤)                     | (٤١٦)                    | (٤١٦)                     | ( عدد الحصص ) |

مغادها ان في البرنامج العبري مكانا بارزا « لما قدمه الميراث اليهودي للحضارة الانسانية » بينما لا يوجد اي ذكر لما قدمه العرب لهذه الحضارة . وحتى بالنسبة للاداب العالية ، فان تعليمها لطلاب اليهودي يؤكد على الاتجاه القومي بينما لا يفعل البرنامج العربي ذلك . فالطلاب اليهودي ، مثلا ، يتعلم الادب الكلاسيكي ، واما الطالب العربي فيتعلم الادب القديمة لصر وفارس واليونان والهند والصين . وفي الشعر يتعلم الطالب اليهودي انتاج الشعراء الصهيونيين القوميين ، مثل بيبليك وتشرتيخوفسكي وغيرهما واما الطالب العربي ، فلا يجد في الانتاج الشعري الذي يتعلمه الا الطبيعية والتأمل والحب ، وهو ايضا يتعلم شعر بعض الشعراء الصهيونيين القوميين « بينما لا يتعلم شيئا عن الشعر النضالي العربي واللسطيني ، لا في اسرائيل ولا خارجها » (٢٦) .

تعليم الدين : يعلم موضوع الدين في اسرائيل ضمن مواضيع الادب واللغة ، ولكن هناك فروقا تلفت الانتباه بين برنامج تعليم الدين للطلاب العرب وبرنامج تعليم هذا الموضوع للطلاب اليهود ... ومن اهم هذه الفروق :

أ - تركز اهداف تعليم الدين للطلاب اليهودي على « تنمية الوعي القومي » و « وحدة الشعب اليهودي » وغير ذلك . بينما لم يرد ذكر لاي هدف من تعليم القرآن ، مثلا ، للطلاب العربي .

ب - ان حصص تعليم الدين لليهود والعرب في المدرسة الثانوية موزعة بشكل جائر ، كما يظهر من الجدول التالي (٢٧) :

تعليم اللغة : يضع البرنامج العبري لتدريس اللغة في المدرسة الثانوية ، سبعة اهداف منها اثنان ( الاول والرابع ) يركزان على القضايا القومية ، وهما (٢٤) : « أ - اكساب الطالب مثل الامة العليا واراها ومشاعرها اثناء مراحل تطور الامة [ اليهودية ] في فترات مختلفة ، وتقوية الرباط التاريخي الذي لم ينفصل بين الشعب وبلاده وثقافته . ويجب الكشف بشكل خاص عن جهود وانجازات هذا الجيل والاجيال القريبة منه ، من اجل النهضة القومية والبعث الحضاري والثقافي والاجتماعي وتقريب ذلك من نفسه » . « د - اعداد الطالب لاتصال حي مع القضايا والتيارات الفكرية التي الهبت عالمنا في عصور مختلفة ، ومع حوافز ومذاهب شعبنا [ اليهودي ] ومسالكة في مسيرته التاريخية » .

وواضح من هذين الهدفين مدى التركيز القوي على القضايا القومية ، وعلى استخدام تعليم اللغة ايضا كوسيلة لخلق وتقوية الرابطة بين الطالب اليهودي و « بلاده » . فموجب خطة القيمين على جهاز التعليم هذه يجد الطالب مبرا لوجوده في فلسطين ولا ينظر الى نفسه كجئس لارض الغر . فهدف تعليم اللغة وادابها هو ، اذن ، « تقوية الرباط التاريخي الذي لم ينفصل ... مع « ارض الميعاد » ، في حين لا يشر البرنامج العبري وحتى العربي الى الرابطة بين الشعب العربي الفلسطيني وارضه .

وفي مقارنة اجراها بعض الباحثين الاسرائيليين (٢٥) بين برامج تعليم اللغة وادابها في المدارس اليهودية والعربية توصلوا الى نتيجة

| تعاليم دينية يهودية | تعاليم دينية اسلامية | المدارس اليهودية | المدارس العربية |
|---------------------|----------------------|------------------|-----------------|
| ٦٤٠ حصة             | صفر                  |                  |                 |
| ٢٥٦ حصة             | ٣٠ حصة               |                  |                 |

وحفظ الفقرة التالية من سفر التثنية ( ١١ : ٢٤ - ٢٥ ) : « كل مكان تدوسه ابطان اعدائكم يكون لكم . من البرية ولبنان ، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم . لا يقف انسان في وجهكم . الرب الهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الارض التي تدوسونها كلما كلمكم . » (٢٦).

وبعبارة اخرى ، ان « ارض اسرائيل الكبرى » ليست موجودة فقط في عقول غلاة الصهاينة ، بل انها موجودة ايضا في برامج تعليم الاولاد اليهود التي تضعها وزارة المعارف والثقافة .

وتؤكد المحامية التقدمية فلينسيا لانغر ، التي تخرجت هي ايضا من المدارس الاسرائيلية ، ان سياسة التربية الصهيونية تركز على تعليم الطالب اليهودي من الحرب وترسخ فيه مشاعر التعصب القومي والحقد على العرب « لكي يحاربهم جيدا ، ولكي لا ترجف يده عندما يضغط على الزناد ... » (٢٧).

ان سياسة زرع الحقد على الشعب العربي تتم ايضا عن طريق تجاهل الحضارة العربية ، وتحقير دور الشعب العربي الحضاري ، وتزييف صورة العربي عند الإشارة اليه . واذا كانت اللغة العربية تدرس في المعاهد الاسرائيلية ، فليس الهدف من ذلك التفاهم مع العرب والتقرب اليهم ، بل « لان حرب تشرين اثبتت افتقار الجيش الاسرائيلي الشديد الى جنود يعرفون اللغة العربية » (٢٨).

#### ازمة تربية ام ازمة صهيونية ؟

يحظى جهاز التربية والتعليم بالرعاية البالغة ، ماديا ومعنويا ، من قبل المؤسسة الصهيونية . « فالتربية هي « صناعة » دقيقة جدا ، لانها تعمل على تكوين ائمن كنز لدى الدولة ، وهو جنيل الشباب » (٢٩) . وهذا الجهاز خاضع للاصلاحات المستمرة . ففي عام ١٩٦٨ بدأ تطبيق « اصلاح

ويظهر من برنامج تعليم السدين ان الطالب اليهودي يتعلم الكثير من تعاليم التوراة والنظود ، الذي وصفه البروغسور الاسرائيلي التقدمي ، بـ « اسرائيل شاحاك » ، بقوله : « ان قوانين النازية اكثر اعتدالا من تعاليم النظود » (٣٠) . وبينما لا يدرس الطالب اليهودي شيئا من تعاليم الديانتين الاسلامية والمسيحية ، فان الطالب العربي يتعلم الديانة اليهودية ، اذا قيس ذلك بعدد الحصص فقط ، اكثر بنحو ٧ - ٨ اضعاف مما يتعلمه عن دينه .

والبرنامج العبري لتعليم الديانة اليهودية للطالب اليهودي يركز ايضا على النواحي القومية . ومن بين الاهداف التي يسجلها هذا البرنامج (٣١) :

« ( ١ ) ان يتعرف الطالب على ابناء الامة وقادتها وانبيائها وابطالها ، وعلى تاريخ الشعب في بلاده . ( ٢ ) ان يتعرف الطالب الى ارض اسرائيل ، طبيعتها واثارها وان يقف على الرابطة بين الشعب وبلاده . ( ٣ ) ان يتعرف الطالب على الاسس التي تقوم عليها مبادئ التوراة وما تقدمته للحضارة الانسانية ... »

والملاحظ في هذا البرنامج انه يؤكد بشكل خاص على سفر يشوع بن نون ( الذي اباح قتل الاطفال والنساء وهدم بيوت اريحا ) (٣٢) ، حيث ان هذا الكتاب يدرس في الصف الرابع الابتدائي ويععاد تدريسه في الصف الثامن الابتدائي (٣٣) .

ومن الجدير بالذكر ان التمييز على تربية الطالب اليهودي يحاولون ان يغرسوا في نفسه ، منذ حدايته ، ابن تقع « حدود ارض اسرائيل » . ففي نقاش حول نشاط وزارة المعارف والثقافة اجراه الكنيست عام ١٩٧٠ ، قال النائب مئير فيلنر ، منتقدا مواضع التعليم التي تربي على الشوفينية والروح العسكرية والتعصب القومي ، انه يتوجب على ابنه ، وعمره ١٢ سنة ، دراسة

هو حق اسرائيل التاريخي على منطقة الساحل التي لم يسكنها اليهود قديما ؟

\* الطالبة حانا بيت - هلحمي ( الثاني عشر ) :  
« هل حقنا الادبي ، التابع من محاولة القضاء علينا في الحرب العالمية الثانية ، يعطينا الحق في اقامة دولة مستقلة لليهود ؟ »

\* الطالب يائير ارمون ( الحادي عشر ) : « هل احتلت ايلات بسبب الحق التاريخي ام بسبب مصالح اخرى : سياسية او اقتصادية ؟ ... »

ووصفت اجابات الكتاب على هذه الاسئلة بانها « كانت مطلعثة ومرتبكة ، تشبه اجابات عالم الرياضيات الذي لا يستطيع الاجابة لماذا ٢ + ٢ = ٤ ، لانه يعتقد ببداية الاجابة » (٣٩).

يتضح هنا ، الى حد ما ، ان سياسة التربية الصهيونية المفروضة والموجهة بدأت تفشل في مهمة اقناع الشبيبة بالمسلطات الصهيونية ، بسبب ازمة الحركة الصهيونية ذاتها ، والتي كشفت عنها حرب تشرين . ويتضح ، من جهة اخرى ، ان الاوساط الصهيونية تتهرب من الاعتراف بالازمة الابدولوجية والسياسية التي تواجه الحركة الصهيونية ، وبدلا من انتقاد النظرية الصهيونية ، توجه اللوم الى اجهزة التربية والتعليم . « ... فالمذنب الرئيسي هو وزارة المعارف والثقافة ، فهي المسؤولة عن ظاهرة رامي لفتيه(٤٠) ، وقد تؤدي في المستقبل الى ظواهر اخطر » (٤١).

ومع ان بعض المفكرين الاسرائيليين دعوا الى التخفيف من المبالغة في التربية القومية الموجهة والمفروضة ، مثل الاديب بزهار سيلانسكي(٤٢) ، الا ان جهاز التعليم الرسمي عمد الى المزيد من المبالغة في هذا الاتجاه . فقد شكلت لجنة خاصة لدراسة وضع « الوعي اليهودي لدى الشبيبة » وقدمت تقريرا « مقلعا » لوزير المعارف والثقافة ، عما تبين لها من افتقار الشبيبة لهذا « الوعي » . وبموجب هذا التقرير وضعت خطة لتعميق « الوعي اليهودي » تقوم على الاسس التالية(٤٣) :  
« ١ - الافتراض من المنابع الروحية للشعب اليهودي على امتداد اجياله ، ٢ - تعميق دراسة تاريخ الصهيونية وتاريخ الشعب اليهودي ، ٣ - ادراك وحدة الشعب اليهودي عالميا ، ٤ - السعي

في التربية » ، بحيث استحدثت المرحلة الاعدادية في المدارس الثانوية ، والتي يستمر تطبيقها حتى الان . وكان لهذا الاصلاح من ناحية التوعية هدفان : ( ١ ) رفع مستوى التعليم ، ( ٢ ) تحسين وتطوير عملية الدمج الاجتماعي(٤٤).

ولكن على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من التركيز على التربية الصهيونية في برامج التعليم وغيرها ، ظهرت اصوات كثيرة في السنوات الماضية تنتقد بشدة جهاز التربية والتعليم ، وتتهمه بالفشل والتقصير في مجال التربية القومية . وقد نشأ هذا النقد عن شكوك الشبيبة بجدوى العيش على الحراب وجدوى « الحل الصهيوني » فبعد حرب حزيران ، التي قال عنها المسؤولون انها خاتمة الحروب ، جاءت حرب الاستنزاف وعمليات المقاومة الفلسطينية الموجهة بحيث اخذ بغض طلاب صفوف الثاني عشر يودعون بعضهم في حفلة الختام قائلين : « الى اللقاء في قائمة القتلى » معبرين عن عدم حماسهم للخدمة في الجيش . وظهر عدد من الشباب الذين رفضوا فعلا الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، وكان ابرزهم غيورا نويمان الذي دخل السجن بسبب رفض الخدمة العسكرية في سنة ١٩٧١ . ثم جاءت حرب تشرين فعمقت شكوك الشبيبة . وبدأ بعض الطلاب يطرح الاسئلة التالية : « الى متى سنحارب في هذه البلاد ؟ لماذا يكرهونا ولماذا يقف كل العالم ضدنا ؟ هل كتب علينا العيش على الحراب الى الابد . وما جدوى هذا كله » (٣٧) .

وفي مقابلة تلفزيونية ، اجريت بين طلاب المدرسة الثانوية في ايلات ( ام الزرشراش ) ومجموعة من الكتاب الاسرائيليين وجه الطلاب اسئلة « مذهلة » ، هذه نماذج قليلة منها : (٣٨) .

\* الطالب يغثال لغنشتاين ( الصف الثاني عشر ) : « هل يوجد للحق التاريخي اية قبيحة ام انه مجرد حيلة سياسية ؟ » .

\* الطالب اران عيدان ( الحادي عشر ) : « ان حقنا على ارض اسرائيل يتناقض مع التطلعات القومية للشعب الفلسطيني ، فكيف يمكن في نظركم حل هذه القضية ؟ »

\* الطالب عوفر نلسون ( الثاني عشر ) : « ما

ابتعاد الشباب عن العمل في الزراعة وسيطرة العمال العرب على أعمال الزراعة والبناء وغيرها ويمبر احد المرين عن قلق المؤسسة الصهيونية من هذه الظاهرة قائلا : « اعتقد انه اذا فلع العرب معظم اراضي الدولة فائنا سنفقد حقنا على هذه البلاد » (٤٨).

هناك اذن ازمة في التربية الصهيونية القومية ولكن السؤال هو : هل تكن هذه الازمة في جهاز التربية والتعليم ، ام انها تكمن في النظرية الصهيونية ذاتها ؟

وفي اعتقادنا ان هذه الازمة تكمن في الايديولوجية الصهيونية واهدافها .

من ناحية ثانية ، لم تستطع الحركة الصهيونية ، منع الشبيبة من الوقوع في تناقضات أساسية . فمن الناحية الاولى تعمل الصهيونية على اقتناع الشباب باستاطر دينية وتاريخية قديمة : « حقنا على هذه البلاد تابع من الجذور اليهودية ، وبدون هذه الجذور لن يكون لنا حق والعرب سيكوتسون على حق ... فاذا لم نبرز خصوصية الشعب [ اليهودي ] وخصوصية رابطته مع هذه البلاد ، التي لا مثيل لها في اي مكان في العالم ، فسان الحجة العربية ستكون قوية وسيثائر بها كل من هو بعيد عن الجذور الروحية اليهودية ... » (٤٩) . ولكن ، من جهة ثانية ، تريد الحركة الصهيونية اقامة مجتمع عربي مادي ، وتقيم جهاز التربية والتعليم على اساس المجتمع المادي الغربي . فهذا التناقض ، والازمة التي تواجهها الحركة الصهيونية اليوم . كان لا بد لهما ان يولدا التمزق في نفوس الشبيبة في اسرائيل ، واي جهاز تعليمي لن يستطيع التغلب على هذه الازمة ، ما دامت الحركة الصهيونية تسيير في نفس الطريق .

### خلاصة

من كل ما تقدم يمكن اجمال الملاحظات التالية حول التربية القومية في اسرائيل :

١ - ان التربية القومية في الكيان الصهيوني لها معنى خاص ، تابع من طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها التي تبني التربية القومية على اساس التعصب القومي والعنصري والشوفينية والروح العسكرية العدوانية والعداء للعرب والتوسع ،

لبناء مجتمع قدوة عادل في اسرائيل ، كما اراده انبياء اسرائيل ، ه - تعميق الوعي بمركية أرض اسرائيل والقدس في تاريخ الشعب اليهودي وحياته .

من ناحية ثانية ، بدأت وزارة المعارف بطبع كراسات عن قضايا سياسية راهنة لتدريبها في مختلف المراحل الدراسية ، مثل « النزاع - العربي - الاسرائيلي - صراعات ، لقاءات ، وبحث عن سبل » ، « ايثاق الوطني الفلسطيني » ، « قرارات الامم المتحدة » (٤٤) وغيرها . ومن الواضح ان وزارة المعارف والثقافة تريد ان تفسر هذه المواضيع وان تجيب على اسئلة الطلاب من وجهة النظر الصهيونية الرسمية .

ولوحظ ايضا ان بعض المنشورات الاسرائيلية بدأت تنشر ترجمة لبعض الادباء والشعراء العرب ، وان الاختيار يقع على قطع الانتاج العربي الاشد نقمة ضد الصهيونية واسرائيل . مثلا بقول الاديب الشاب اهود بن عزار انه قرأ ترجمة لبعض إنتاج نزار قباني ومجموع درويش في نشرة « اسرائيل والعرب » التي يشرف عليها يهوشفاط هرخابي ، وتوزع على المدارس الاسرائيلية ، واتضح له بعد قراءة هذا الانتاج انه « لا يوجد مع من نتكلم » (٤٥) ، اي انه بعد هذه المطالعة فقد الامل بجذوى الحوار مع العرب .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الادب الصهيوني الذي يثائر به الطالب اليهودي في المدرسة ، او عن طريق المطالعة الحرة ، مليء بالتحريض على العرب . وقد شهد على ذلك مؤخرا الشاعر ابوت يشورون . بقوله ان « الادب العبري لم يقيم بوظيفته الرئيسية وهي تقربنا من المشكلة العربية والشعب العربي في هذه البلاد . انه لم يخبرنا انه يوجد شعب عربي هنا ولم يعدنا لذلك ... » (٤٦) .

ومن الامور التي يشكو منها بعض الاسرائيليين ويلومون جهاز التربية والتعليم عليها ، فقدان الروح الطبيعية لدى الشباب ، مع العلم ان « قانون التعليم الحكومي لعام ٥٧١٣ = ١٩٥٣ » ينص على ضرورة « الاعياد الطلائعي » (٤٧) ، ويتجلى هذا من افتقار المستوطنات في الاراضي المحتلة الى اعداد كافية من المستوطنين ، ومن

- ٤ - تمر التربية القومية الصهيونية بأزمة نابعة من الازمة التي تمر بها الحركة الصهيونية ايدولوجيا وسياسيا واجتماعيا .
- ٥ - المؤسسة الصهيونية تواجه « أزمة التربية القومية » ليس عن طريق اعادة النظر في النظرية الصهيونية وسياسة الحركة الصهيونية بل عن طريق لوم جهاز التربية والتعليم وترسيخ نفس الخط التعليمي الذي بدأت تظهر عليه علامات الفشل ، مما سيؤدي بالضرورة الى ازمت اشد في المستقبل .
- ٢٢ - أنظر الملاحظة ( ١٧ ) أعلاه .
- ٢٣ - عن دراسة للدكتور يوحنا بيرس وآخرين ، مجلة « مغاموت » تشرين الاول ١٩٦٨ .
- ٢٤ - البرنامج العبري لتعليم اللغة في المدرسة الثانوية اليهودية ، ص ٢٥ .
- ٢٥ - هارتس ، ١٩٧١/٢/١٩ .
- ٢٦ - المصدر نفسه .
- ٢٧ - الدكتور يوحنا بيرس وآخرين ، المصدر السابق .
- ٢٨ - معارف ، ١٩٧٥/٤/٨ .
- ٢٩ - برنامج تعليم التوراة ( الروضة - الثاني عشر ) القدس ، ١٩٧١ ، ص ١ .
- ٣٠ - أنظر مقال الاتحاد ، ١٩٦٧/٤/٧ ، حول دراسة لجورج تمارين كان نشرها في مجلة « نيو أوتلوك » سنة ١٩٦٦ .
- ٣١ - برنامج تعليم التوراة ، ص ٥ .
- ٣٢ - محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٦/١٥ ، ص ٢١٠٥ .
- ٣٣ - فليستيا لاتفر ، « بأم عيني » ، اصدار المؤلفة ، تل ابيب ، ١٩٧٤ ، ص ١٢ .
- ٣٤ - مجلة « بمحانيه » ، ١٩٧٥/٣/١٩ ، ص ٤ .
- ٣٥ - دانكه هنريش ، دافار ، ١٩٧٤/٨/٢٣ .
- ٣٦ - المصدر نفسه .
- ٣٧ - معارف ، ١٩٧٤/١/٢٨ .
- ٣٨ - معارف ، ١٩٧٤/٣/٢٤ .
- ٣٩ - يديعوت أحروثوت ، ١٩٧٤/٣/٨ .
- ٤٠ - شاب اسرائيلي معتقل بسبب انتمائه الى « الجبهة الحمراء » .

- بحجج دينية وتاريخية وانكار الحقوق المشروعة لشعوب أخرى .
- ٢ - يضع الكيان الصهيوني جهاز التربية والتعليم من حيث الاهية في المرتبة الثانية بعد الجهاز العسكري والامن ويعتبره مكملا له .
- ٣ - تفرض التربية الصهيونية على الشبيبة اليهودية بشكل قسري مباشرة ولا تترك له مجال الاختيار الفكري ، جريا على قاعدة « اعمل [ هذا ] ولا تفعل [ ذاك ] » ، « اعمل ولا تعمل » والدولة هي المسيطرة ، بدون منافس ، على اجهزة التربية والتعليم .

- ١ - كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، ١٩٧٤ ، ص ٦١٧ .
- ٢ - المصدر نفسه .
- ٣ - قاموس المصطلحات الصهيونية ، اصدار « بيت معارف » تل ابيب ، ١٩٧٣ ، ص ٤٣ .
- ٤ - دافار ، ١٩٧٤/٨/٦ .
- ٥ - المصدر نفسه .
- ٦ - هارتس ، ١٩٧٤/٨/٢٠ .
- ٧ - محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٦/١٥ ، ص ٢٠٨٢ .
- ٨ - المصدر نفسه .
- ٩ - حسب اتينايس هارتس ، ١٩٧٠/٣/١٥ .
- ١٠ - محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٦/١٥ ، ص ٢٠٩٨ .
- ١١ - هارتس ، ١٩٧٤/٩/٣٠ .
- ١٢ - المصدر نفسه .
- ١٣ - يديعوت أحروثوت ، ١٩٧٤/١/١٨ .
- ١٤ - ملحق هارتس ، ١٩٧٤/٤/٢٦ .
- ١٥ - محاضر الكنيست ، ١٩٧٠/٦/٣٠ ، ص ٢١٠٤ .
- ١٦ - وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية : البرنامج العبري لتعليم التاريخ في المدرسة الثانوية ، ص ٣٥ .
- ١٧ - برنامج تعليم التاريخ للمدرسة الثانوية العربية ، ص ١٠٢ .
- ١٨ - أنظر الملاحظة ( ١٦ ) أعلاه .
- ١٩ - المصدر نفسه .
- ٢٠ - أنظر الملاحظة ( ١٧ ) أعلاه .
- ٢١ - أنظر الملاحظة ( ١٦ ) أعلاه .

- ٤٧ — الوثائق الاسرائيلية ، كتاب القوانين ،  
١٩٥٣/٨/٢٠ ، المادة ٢ ( النسخة العربية ) .  
٤٨ — شلومو يتسحاتي ، معاريف ، ٢/٢٨ /  
١٩٧٥ .  
٤٩ — دكتور يهودا موريشيل ، معاريف ، ٢/٢٨ /  
١٩٧٥ .

يوسف حمدان

- ٤١ — يديعوت آحرونوت ، ١٩٧٤/٣/٨ .  
٤٢ — ملحق دافار ، ١٩٧٤/٩/١٣ .  
٤٣ — يديعوت آحرونوت ، ١٩٧٤/١/١٣ .  
٤٤ — دافار ، ١٩٧٤/٨/٧ .  
٤٥ — أهود بن عزاز ، يديعوت آحرونوت ، ٢/٢١ /  
١٩٧٥/٣ .  
٤٦ — يديعوت آحرونوت ، ١٩٧٤/١٠/١١ .

## هل بدأت تتحقق نبوءة توينبي في عودة الاسرائيليين الى « المجر » ؟

السنوي لحكومة اسرائيل يؤكد ان الهجرة « اكثر  
العوامل حسما واهمية في امن اسرائيل » (٤) .

وكان اول من أشار الى هذا ، بصورة غير  
مباشرة ، هو بنحاس سناير رئيس الوكالة  
اليهودية ، حين ذكر ان من المتوقع ان يتراوح  
عدد النازحين هذا العام بين ١٥ - ٢٠ السف  
اسرائيلي مقابل ٢١ الفا في العام الماضي ١٩٧٤ .  
و١٣ الفا عام ١٩٧٣ ، بينما كان المعدل السنوي  
قبل حرب اكتوبر ٧٥٠٠ نازح (٥) .

وللوهلة الاولى يحسب المرء ان التروح هذا  
العام سيكون ، مبدئيا ، أقل قليلا من العام الماضي ،  
ولكن التجربة أثبتت ان التقديرات الاسرائيلية  
جميل ، غالبا ، في هذه النقطة بالذات التي  
تقدير الحد الأدنى . ففي العام الماضي مثلا قدر  
مكتب الاحصاء المركزي في اسرائيل ان عدد  
النازحين عام ١٩٧٤ سيتراوح ايضا بين ١٥ -  
٢٠ الفا بينما بلغ ، بشهادة سناير مؤخرا ، ٢١  
الفا ، بل ان دايان ، المشهور بصراحته ، قدر  
عدد النازحين خلال الشهور الخمسة من بدء حرب  
اكتوبر حتى نهاية فبراير عام ١٩٧٤ بحوالي ٦٧  
الف نازح يهودي (٥) .

أما بالنسبة للمهاجرين الى اسرائيل فمن  
المتوقع ، طبعاً ، ان تكون الارقام الحكومية أقل

في عام ١٩٧٢ ، عندما بلغت الهجرة التي  
اسرائيل قمتها بعد هزيمة ١٩٦٧ ( ٥٦ الف  
مهاجر ) ، كانت مفاجأة ان يتنبأ ارنولد توينبي ،  
المؤرخ البريطاني الشهير ، بأن الاسرائيليين  
سيعودون في النهاية الى المجر بالشتات . ولكن  
لم تمش شهور حتى بدأت النبوءة تتحقق ، فقد  
بدأ عدد المهاجرين يهبط بسرعة ، وعدد النازحين  
يرتفع بسرعة ، حتى ان وزير الهجرة ،  
شلومو روزن ، ذكر ، في منتصف مايو ( ايار )  
الماضي ، ان عدد النازحين هذا العام سيقوق عدد  
المهاجرين . وقد وصف ذلك بأنه « كارثة » (٦) .

صحيح انه كانت هنالك نكتة اسرائيلية مشهورة  
ظهرت قبل حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة وكانت تقول :  
« على آخر شخص يغادر مطار اللد ان لا يسمى  
اطفاء النور » . وكان سبب هذه النكتة هو ان  
عدد النازحين من اسرائيل قد ازداد بحيث أصبح  
في عام ١٩٦٧ ، يتعادل تقريبا مع عدد المهاجرين  
اليها (٦) . ولكن ما يحدث هذه الايام اخطر من ذلك  
بكثير . فاول مرة في تاريخ اسرائيل تشير  
التوقعات والتقديرات المبدئية الى ان عدد النازحين  
سيقوق عدد المهاجرين اليها هذا العام . ويستترتب  
على ذلك نتائج سياسية خطيرة ، ذلك  
ان الهجرة ليست مسألة اجتماعية واقتصادية ،  
وانما هي عند اسرائيل قضية امن . بل ان الكتاب

الآخرة بشهور) (١٠).

ومن سخريّة القدر ان مشكلة هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، التي كانت سبب الازمة الرئيسية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وكادت تحطم سياسة الوفاق او التهدة بين القوتين العظميين ، قد تحولت الى مهزلة . ذلك ان ساير يتوقع ان يتحول نصف المهاجرين اليهود ، تقريبا ، من الاتحاد السوفييتي الى غير اسرائيل ( امريكا واوروبا الغربية ) بعد ان كانت النسبة ٤ ٪ عام ١٩٧٢ ، و ١٨ ٪ عام ١٩٧٣ كما ان عدد المهاجرين السوفييت الى اي مكان عموما في انخفاض شديد . ففي يناير ( كانون الثاني ) من هذا العام قدم اليهود لموسكو ١٥٠ طلبا للهجرة فقط . كما ان ١٥٠ شخص ممن حصلوا على تصريح بالسفر من موسكو خلال عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ قد اوقفوا سفرهم بالفعل . وقد جاءت الى موسكو بعثة خاصة من الكونجرس الامريكي لفحص ظاهرة التناقص هذه بعد ادعاء اسرائيل ان السبب هو رفض روسيا اخراج اليهود منها ، ولكنها اكتشفت على الطبيعة وعلى لسان رئيسها اليهودي جوشوا ايلبرج ، ان اليهود السوفييت « أصبحوا أقل رغبة في الهجرة للخارج وان عدد طالبي الهجرة يقل كل عام وان هذا التناقص سوف يستمر » (١١) . والذي يطلق حكومة اسرائيل ، أكثر من ذلك طبعاً ، هو أن معظم النازحين منها من قدامى المهاجرين . وتقدر جريدة الجارديان البريطانية (١٢) هذه النسبة بحوالي ٧٥ ٪ بينما ترى جريدة يديوت احرونوت (١٣) الاسرائيلية رأيا مخالفا ، وهو ان ٨٥ ٪ من النازحين في العام الماضي من مواليد اسرائيل ( المصابرا ) . وتؤكد ذلك بقولها أن معظم النازحين من الأطباء والمهندسين والاقتصاديين الذين تتراوح اعمارهم غالبا بين ٢٥ - ٣٠ سنة ، وهم غالبا ما يتجهون الى امريكا وكندا واستراليا (١٤) .

وسواء كان هذا أم ذلك صحيحا ، فإن القاسم المشترك بين هاتين الفئتين هو أنهم « من الاسرائيليين المقيمين في اسرائيل منذ مدة طويلة » كما يقول روزن وزير الهجرة . وهو أمر له دلالات بالغة الأهمية خصوصا وان من بين النازحين اعضاء في الحكومة ووفود رسمية .

دانها من التقديرات المبدئية الرسمية ، وهذا الفرق يتراوح بشدة من عام لآخر ، فقد كان الخطأ في التقدير ١١ الفا عام ١٩٦٨ وخمسة الاف عام ١٩٧٠ والفيين عام ١٩٧١ . ثم قلت المبالغة في التقديرات المبدئية بعد حرب اكتوبر ، حفاظا على البقية الباقية من ثقة الاهالي بالبيانات الحكومية ، خصوصا بعد ان تبين لها منذ عام ١٩٧١ ان عددا كبيرا من المهاجرين يعودون في نفس العام . وقد قدرت اذاعة اسرائيل هذه النسبة عام ١٩٧١ بحوالي ٤٠ ٪ (١٥) .

وعلى أية حال فان عدد المهاجرين لاسرائيل بدأ ينخفض بشكل حاد بعد حرب اكتوبر ، فبينما كان عددهم ٥٦ الفا عام ١٩٧٢ ، هبط عام ١٩٧٣ الى ٤٥ الفا ، ثم الى ٣٢ الفا عام ١٩٧٤ . ومن المتوقع ان يصل هذا الرقم عام ١٩٧٥ الى ١٦ الفا فقط . فقد اذيع رسميا ، ان الهجرة خلال الربع الاول من هذا العام قد هبطت الى النصف بالمقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي ( من ١٦٠٠ الى ٤٨٠٠ ) (١٦) .

وهذا ما جعل شلومو روزن ، وزير توطين المهاجرين ، يقول في ١٥/٥/١٩٧٥ ، ان الاسرائيليين النازحين سيفوتون عدد المهاجرين هذا العام . وأضاف ان المشكلة ليست فقط في انخفاض معدل الهجرة ولا في نسبة المهاجرين الجدد الذين يغادرون اسرائيل مباشرة ، ولكنها في عدد الاسرائيليين المقيمين في اسرائيل منذ مدة طويلة والذين يريدون مغادرتها « وهو عدد وصل الى معدلات مخيفة » (١٧) ، على حد قوله .

والطريف هنا ان اثنين من كبار المسؤولين في الوكالة اليهودية عن تشجيع هجرة اليهود من استراليا وولاية كاليفورنيا بأمريكا قد هاجرا أيضا من اسرائيل هذا العام ، كما هاجر سفيرا اسرائيل في بون وفيينا ، واستقر الاول في لندن والثاني في فيينا (١٨) .

ويرجع انخفاض الهجرة الى اسرائيل ، أساسا ، الى انخفاض الهجرة من الاتحاد السوفييتي . فقد وصل الى اسرائيل في شهر ابريل ( نيسان ) هذا العام ، مثلا ٧٠٠ مهاجر فقط ، وهو رقم يقل عن نصف عدد من هاجر في نفس الشهر من عام ١٩٧٣ ( اي قبل الحرب

اضافية للحد من النازحين ، فقد طلبت من سلطات كل بلد يهاجر اليه الاسرائيليون بعدم تجديد فترة الإقامة الاولى لاجبارهم على العودة الى اسرائيل . كما يدور البحث حول اصدار قانون يلزم المهاجرين القيمين مؤقتا بتسجيلهم كمهاجرين دائمين بعد ثلاث سنوات على اقامتهم في اسرائيل .

اما بالنسبة للمتساقطين من اليهود السوفييت الذين يغادرون الاتحاد السوفييتي بحجة الهجرة الى اسرائيل ثم يهاجرون الى دول أخرى غيرها ، فقد بدأت اسرائيل تحاول منع الهيئات اليهودية وغير اليهودية من تقديم اي نوع من المساعدات لهم . كما انها دأبت على استرداد اجرة الانتقال وسائر المساعدات التي قدمتها لهم السفارة الاسرائيلية في فيينا عند وصولهم اليها ، هذا فضلا عن الاعتداء المتكرر على من غادر منهم اسرائيل وعاد الى فيينا في انتظار السماح له بالعودة الى روسيا ، بل انه عثر على بعضهم قتل على قضبان السكك الحديدية في النمسا .

أما بالنسبة لزيادة المهاجرين الى اسرائيل من روسيا فقد بلغ من اسفاف الحكومة الاسرائيلية انها كانت تزور خطابات بأسماء اليهود المفقودين خلال الحرب العالمية الثانية وترسلها الى اقاربهم في روسيا فيعرفون الى اسرائيل مهاجرين لرؤية اعرانهم ثم لا يلبث ان يكتشفوا الخديعة ولكن بعد فوات الاوان وبعد ان يكونوا قد باعوا كل ممتلكاتهم في روسيا وأصبحت عودتهم الى وطنهم الاصلي شبه مستحيلة . واليوم نجد في أوروبا والمانيا والنمسا بالذات آلافا من هؤلاء ، وقد اتخذ بعضهم شكل الازمة ، بسبب ضغوط اسرائيل التي تطالب بعدم تجديد اقامتهم .

وقد كانت ضربة سياسية بارعة من بعض الدول العربية حين أعلنت انها تعتبر هؤلاء ضحايا الوبهم والتعريف وانها ترحب بعودتهم اذا كانوا اصلا من ابنائها كما أعلنت حكومات اليمن والسودان والعراق . وقد أعلن الرئيس السوداني جعفر نمري مثلا أكثر من مرة دعوته لليهود السودانيين للعودة الى اوطانهم « وقد استجاب لها بعض المواطنين السودانيين اليهود ممن نزحوا عن السودان . وهي دعوة سأواصلها لكي افتح باب الخلاص لهؤلاء الذين ضلهم الوبهم يوما فعاشوا بشاعة التمييز العنصري » (١٩) .

وفي البداية كان النزوح يتم بكم شديد وكانه « خيانة » للدولة والدين (١٥) . وهكذا كانت الارقام الحقيقية للنازحين تختلف عن الارقام الرسمية ، لان الاخيرة كانت تمثل فقط النازحين الذين أعلنوا عن رغبتهم ، وقدموا طلبات نزوح ، وصفا حساباتهم مع الحكومة . والارقام التي نشرها مكتب الاحصاء المركزي باسرائيل تبين مثلا أن عدد النازحين بصورة صريحة عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ ، كان ٢٤٢٠٠ و ٢٤٨٠٠ على التوالي ، بينما كان الرقم الفعلي للنازحين ٧٤٨٠٠ و ١٠٥٠٠٠ على التوالي (١٦) .

والخوف من الاتهام الصامت بالخيانة ليس هو السبب الوحيد لتكتم عدد النازحين ، فهناك أسباب أخرى تماثلها أهمية ، منها انه يجب على النازح صراحة ان يصفى حساباته ، ويدفع الضرائب المستحقة ، ويسدد ديونه تجاه وزارة الاستيعاب والمهاجرين والآخرين ، أضف الى ذلك انه لا يستطيع ان يخرج بأكثر من ٤٥٠ دولارا كما عليه ان يدفع ضريبة سفر مقدارها ٧٠٠ ليرة ١٥٠ ٪ ضريبة اضافية على قيمة تذكرة الطائرة ، الامر الذي يجعل تكاليف السفر باهظة للغاية . وعلى هذا الاساس يفضل الكثيرون (ان لم يكن الاغلبية) ان يغادروا البلد كسائحين لفترة قصيرة ثم لا يعودون ابدا (١٧) .

وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ أصبح الناس أكثر جراءة في التعبير صراحة عن رغبتهم في الهجرة امام اصدقائهم ولكنهم استمروا مع ذلك في اسلوب التكتم والسرية ، حتى ليقال ان في الولايات المتحدة وحدها حوالي مائتي الف اسرائيلي (١٨) بينما تقدرهم الاحصاءات الرسمية بخوالي خمسة وعشرين الفا فقط .

وبشكل عام أصبح الشباب بعد الحرب يعبر بصوت عال وبأسلوب لاذع عن عزمهم على النزوح نهائيا ، ولم يعد ذلك عندهم هريا من الدولة او خيانة لرفاق السلاح . يؤكد ذلك ان استفتاء اجراه معهد بوري الاسرائيلي في اكتوبر ( تشرين اول ) ١٩٧٤ دل على ان ٨٤٤ ٪ من مجموع السكان ١٦٤٨ ٪ من الشباب يفكرون في النزوح خلال العامين المقبلين .

ولواجهة ذلك اتخذت الحكومة احتياطات

### تدهور السياحة

اما السبب الثاني فهو تدهور الاحوال الاقتصادية ، فقد خففت قيمة الليرة الاسرائيلية مرتين منذ نوفمبر ( تشرين ثاني ) حتى يونيو ( حزيران ) في خلال عام واحد وتسع مرات منذ قيام اسرائيل بحيث هبطت قيمتها من جنيه الى عشرة قروش ان لم يكن اقل . ثم ان اسرائيل فيها أعلى نسبة ضرائب دخل في العالم كله ، فضلا عن الارتفاع الجنوني في الاسعار عامة ، وفي السلع الاستهلاكية خاصة . وكان اكثر ما أضر بالاقتصاد الاسرائيلي هو هبوط السياحة بنسبة ٦٣ ٪ خلال الشهور الثمانية الاولى من عام ١٩٧٤ . ( السياحة هي مصدر اسرائيل الاول من النقد الاجنبي ) .

وعندما قام الفدائيون في اسرائيل في ٧٥/٣/٦ بعملية الانتحارية في قلب تل ابيب ونسفوا فندق سافوي على انفسهم بعد ان قتلوا واصابوا معهم نحو ١٥٠ شخصا في الفندق وفي دار سينما مجاورة ، التي ٢٥ ٪ من السواح رحلتهم الى اسرائيل فوراً . وأسوأ من ذلك ان الاهالي تزايدت شكوكهم في استهانة الحكومة بأرواحهم لانها ترفض في كل عملية انتحارية مطالب الفدائيين بالانفراج عن زملائهم المسجونين ، وتلجأ دائما الى مهاجمة الفدائيين متحملة بهذا مسؤولية ما يحدث بعد ذلك دائما من قتل جماعي للرهائن يقسم به الجيش والفدائيون على السواء . وكان هذا من اكبر الاسباب التي جعلت الاهالي يشكون في قدرة الدولة على حمايتهم .

العامل الثالث وراء متغيرات الهجرة والنزوح هو صعوبة الاندماج وازدياد الشعور لدى المهاجرين بالاغتراب وخاصة بين يهود الاتحاد السوفيتي ، الذين يمثلون حاليا الغالبية الساحقة من المهاجرين . . . وقد كانت مفاجأة ان يشير استفتاء بين الشباب الاسرائيلي مؤخرا الى ان ٦٤ ٪ منهم لا يؤمنون بصحة حث اليهود على الهجرة الى فلسطين المحتلة (٢٢) . وقد ذكرت وكالة اليونايقتيرس انه ظهرت في عام ١٩٧١ منشورات معادية للمهاجرين الجدد بتوقيع جماعة تصف نفسها بانها من « الصابرا الساخطين » . والفرقة العنصرية في اسرائيل ضد اليهود الشرقيين والسود غنية عن التعريف، ولكن الغريب هو ان المهاجرين الاوروبيين

من الملاحظات الهامة ان العوامل الاقتصادية كانت السبب الاول وراء متغيرات الهجرة والنزوح قبل حرب - اكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن بعد الحرب أصبحت مشكلة الامن هي السبب الاول ، يليها تدهور الاوضاع الاقتصادية من بطالة وارتفاع في الاسعار ، وازدياد الشعور بالاغتراب وصعوبة الاندماج في المجتمع الاسرائيلي خصوصا بالنسبة لليهود السوفييت ، والفساد الاداري ، خاصة في الجيش ، وبشكل عام « فقدان الثقة بالقادة وبالمستقبل » (٢٣) .

اما من مشكلة الامن فقد كانت حرب اكتوبر زلزالا قوميا ، ليس فقط بسبب فداحة الخسائر البشرية فيها ، والتي تدرها هنري كيسنجر ، وزير خارجية امريكا ، خلال وجوده في الكويت ، بحوالي ١٢ الف قتيل و٢١ الف جريح ، بل أيضا بسبب اهتزاز الثقة بالجيش والحكومة وقدرتهما على حماية الاهالي . وقد عزز ذلك تصاعد العمليات الفدائية بعد الحرب ، وخاصة الانتحارية منها ، في عمق اسرائيل ، حتى أصبح الاتقبال على شراء متاريس ابواب المنازل ظاهرة ملحوظة . ومن الطريف ، في هذا الصدد ، ان الصحف اليهودية قد ذكرت ان المتاجر والبنوك في مدينة بير السبع في جنوب اسرائيل قد أغلقت ابوابها يوم ١٢ ديسمبر ( كانون اول ) ١٩٧٤ عندما تجول ثلاثة من الفلسطينيين فيها لجرد أنهم كانوا يرتدون الكوفيات العربية على رؤوسهم .

وقد أيد شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلية ذلك ، حين ذكر ، يوم ١٩٧٥/٥/٢٠ ، ان الاسبوع السابق قد شهد ١٨ عملية فدائية في الضفة الغربية وحدها ، وان نصف عمليات الدوريات الاسرائيلية موجهة حاليا ضد الارهاب والتخريب الذي ساعد بدوره على تفشي الجريمة (٢٤) . وهو اعتراف اسرائيلي جديد من نوعه ، ويستحق دراسة مستفيضة مستقلة . فقد قال هليل ان عدد القتلى من ضحايا العمليات الفدائية عام ١٩٧٣ بلغ تسعة فقط ، بينما بلغ في العام المنتهي في شهر مارس ( آذار ) الماضي من هذا العام ( ١٩٧٥ ) ٨٢ قتيلاً . . . وأضاف قائلا ان جرائم السرقة خلال نفس المدة زادت بنسبة ٥٠ ٪ وازداد الفساد والجرائم الاقتصادية بنسبة ١٢٠ ٪ (٢٥) .

حاول موشي ريفلين المدير العام السابق للوكالة اليهودية ان يبرر ذلك بطريقة طريفة : « حين قال « صحيح ان يهودا كثيرين ليسوا مستعدين للحياة في اسرائيل ، ولكنهم على استعداد للموت مني سبيلها » .

خلاصة القول ان هناك عوامل كثيرة جسيمة ظلت تؤثر على حركة الهجرة قبل ان تفرجها حرب ١٩٧٣ . فقد قال البروفيسور روبرت جولدي في رسالته المسابقة الى جريدة دافار : « انني وزوجتي قد قابلنا خلال العامين اللذين قضيناها في اسرائيل مئات المهاجرين من روسيا وبولندا ورومانيا وامريكا الجنوبية والهند وكندا وسنغافورة والولايات المتحدة طبعاً ... واستطيع القول بصدق ودون مبالغة اننا لم نجد واحدا منهم مهتما بالبقاء في البلد ، فكل مهاجر ان لم يكن قد عاد إلى دياره فهو يخطط للعودة » .

وهكذا ، فان كل الشواهد تشير الى ان وضع اسرائيل هذا العام سيكون اسوأ مما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧ مباشرة ، وهي لا يمكن ان تسكت على زيادة عدد النازحين عن المهاجرين لاول مرة بمقدار ستة آلاف هذا العام ( ١٦ ألف مهاجر مقابل ٢١ ألف نازح على وجه التقريب ) ناهيك عن ١٢ ألفا نزحوا من مناطق خط النار الى الداخل بسبب الامن ، لان هذا سيؤدي الى نتائج خطيرة جدا ، عقابدا وعسكريا واقتصاديا وماليا ، وهذه عينات منها :

( ١ ) ابراز الغثيل الحضاري لاسرائيل وغثيل الايديولوجية الصهيونية في وحدة الشعب اليهودي ( ٨٧ ٪ من طلبة المدارس الثانوية في اسرائيل يعتبرون اي يهودي يعيش خارج اسرائيل غريبا عنهم وفق احصائية اجريت عام ١٩٦٦ ) ( ٢٥ ) . وفي باريس ( آذار ) ١٩٧٤ تقام هذا الشعور بين الشباب الى ابعاد خطيرة . . . ففي اجتماع حضره ١٥٠ طالبا وطالبة في المرحلة الثانوية لمناقشة كيف هزت حرب اكتوبر « القيم القومية والصهيونية لدى الشباب » ، والتي سجلها الكاتب الاسرائيلي يزار سميلانسكي ، في وثيقة أصبحت تعرف باسم وثيقة سميلانسكي . ظهرت عبارات نقد عنيفة متشائمة مثل « لقد انتهت الدولة » . . . « ليست لدينا ايديولوجية ولا مطامح » . . . « عندنا شكوك في

الجدد يشكون من نفس المعاملة السيئة حتى ولو كانوا من أمريكا .

تقول المهاجرة الامريكية اُنيتا شاجام أنها وجدت الاسرائيليين « شرسين وكريهين وغير ودودين » ( ٢٤ ) . ويقول روبرت جولدي ، أستاذ الفلسفة الامريكي اليهودي في جامعات امريكا الذي أقام في اسرائيل فترة ، في رسالة له بجريدة دافار في ١٩/١١/١٩٧١ « اننا لا نستطيع العيش مع هؤلاء الناس ، ليس فقط لانه يصعب التعامل معهم ويميلون للشجار ، وصاحبون وعيذون ، وانما أيضا لانهم لا يريدوننا هنا ولا يتورمون عن غشنا في المطاعم والتاكسيات والتاجر » .

العامل الاخير ، ( وهو محصلة لكل ما سبق ) هو اهتزاز العقيدة الصهيونية وصحة نظريتها في أن تكون المكان الامن الوحيد لليهود العالم ، وانهم لا بد ان يهاجروا يوما ما الى اسرائيل . فيفض النظر عن ان اسرائيل لا تضم سوى عشرين في المائة تقريبا من يهود العالم ، فقد اكتشف اليهود خارجها وداخلها ان اليهود ليسوا شعبا متجانسا يسهل اندماجه واستيعابه في « ارض الميعاد » وان المجتمع الاسرائيلي ليس مجتمع المساواة والرخاء أو الحل الوحيد « للمشكلة اليهودية » . وقد هز العالم تصريح برونو كرايمسكي ، مستشار النمسا ( وهو من أب يهودي ) ، خلال زيارة الرئيس السادات للنمسا في شهر يونيو ( حزيران ) الماضي حين قال إنه « ليست هناك مشكلة يهودية ، بل مشكلة فلسطينية » .

ومما زاد من غيظ الشباب الاسرائيلي الصهيوني التجمس للهجرة هو انه ظل يرى كبار الصهاينة في الخارج لا يهاجرون الى اسرائيل ، بل وينزحون عنها . وكذلك فقد كان الموضوع الرئيسي في المؤتمر الصهيوني العالمي الثامن والعشرين ، الذي عقد في اوائل عام ١٩٧٢ ، هو تشجيع الهجرة بحيث انه قرر اسقاط العضوية عن كل صهيوني لا يهاجر الى اسرائيل بعد مضي سنتين من عضويته في المؤتمر ، وقد صدر هذا القرار بأغلبية ضئيلة جدا ( ١٠٤ أصوات ضد ٩٨ ) ومع ذلك لم تكتب له الحياة ، لان منظمة هداسا النسائية ، وهي من اكبر الجهات التي تجمع التبرعات لاسرائيل ، قد دعت بالانسحاب من المؤتمر . وهكذا أوقف العمل به ، سرا . وقد

السكان ( من الهجرة والتنازل ) وعدد النازحين ضئيلا جدا ( حوالي ٢٧ الفا فقط ) هذا العام . وفي العام الماضي ازداد اليهود ٣٦ الفا وعرب فلسطين المحتلة كلها ٦١ الفا (٢٧) . وإذا استمر هذا التناقص في الهجرة والتنازل مع تزايد النزوح وبقاء الاحتلال فان هذا سيؤدي بعد سنوات الى اكثر من « كارثة » على حد تعبير وزير الاستيعاب روزن . لان معناه تجمع عدد السكان اليهود ان لم يكن تناقصهم كما يحدث في كثير من الدول المتقدمة ، مع فارق هام هو ان النزوح من اسرائيل سيكون أكثر من غيرها للأسباب التي سبق ذكرها ، ومعنى هذا ان استمرار الوضع ( وهو سيستمر على الأرجح ) قد يؤدي على الأقل الى تفوق عرب المناطق المحتلة على يهود اسرائيل في التعداد قبل نهاية هذا القرن ( التعداد الحالي ٢,٩ مليون يهودي و٥,١ مليون عربي ) .

( ٥ ) نزيه اسرائيل أساسا من النازحين من حيلة الشهادات العليا والمهنيين كالأطباء والمهندسين والاقتصاديين ، وهؤلاء الكبار المؤهلون لا يعوضهم في الخبرة المواليد الجدد ولا المهاجرون الجدد ( ومعظمهم من الاتحاد السوفييتي ) لان الآخرين لا يستطيعون التعامل مع الحكومة والاهالي بسهولة ، حتى ولو كانوا مهنيين خبراء في بلادهم ، وذلك بسبب مشاكل اللغة واختلاف تخصصهم ، فالذي كان محاميا في روسيا لا يستطيع ان يعمل مثلا في القضاء الاسرائيلي ، لانه لا يعرف عنده شيئا ، وقس على ذلك . ولذلك فهم يعملون غالبا في مهن بعيدة عن مجال تخصصاتهم .

( ٦ ) قد يؤدي استمرار ظاهرة النزوح - كما يقول تقرير للجامعة العربية - « الى سيطرة فئة الصابرا على المجتمع ، بما يظنون من تطرف في السياسة الخارجية وعنصرية تجاه اليهود الشرقيين ، وعلى الرغم من ان غالبية الصفوة الاقتصادية والسياسية من يهود روسيا وبولندا ، فانها تفسح المجال تدريجيا بسبب عامل التقدم في السن لمثلي الصابرا الأكثر شباهيا ، الذين يشكلون الآن نسبة عظمى من الصفوة العسكرية ، ونحو نصف سكان اسرائيل » .

( ٧ ) النتيجة النهائية لكل ما تقدم ، هو ان حكومة رابين الضعيفة ( وهو من الصابرا ) ستكون

حقنا في الوجود على هذه الأرض « ... لماذا نحن هنا ، وما المستقبل الذي ينتظرنا ؟ » ... « التاريخ اليهودي لا يعني شيئا بالنسبة لنا » ... « هل أرض اسرائيل هي الامكانية الوحيدة المتاحة أمامنا للحياة ؟ » ... « انهم يدعوننا الى الحرب ، ويسوقوننا ونحن مغمضو الاعين ، ولكن لاي سبب نموت ؟ » ... ومعنى هذا ان الشخصية القتالية للشباب الاسرائيلي أصبحت موضع شك وأصبحت النظرية الصهيونية في فرض الصلح على العرب بالقوة موضع شك أيضا ، ولو بين المتعلمين فقط .

( ٢ ) تمثل الاستيطان في المناطق المحتلة ، وخاصة في منطقة المرتفعات السورية ( الجولان ) التي لا يعيش فيها الآن أكثر من ٥٠٠ يهودي ، رغم ان المشروع الاصلي الذي نشر في يناير عام ١٩٦٩ كان يستهدف توطين ٥٠٠ الفا هناك قبل عام ١٩٧٩ ، وقس على ذلك سائر المستعمرات العسكرية التي تزيد عن الستين في المناطق المحتلة .

( ٣ ) قد تؤدي زيادة النزوح عن الهجرة الى تعادل تعداد العرب مع اليهود في المناطق المحتلة خلال ثلاثين عاما ، حسب تقدير مكتب الاحصاء المركزي بالقدس للسكان عام ١٩٦٨ على اساس بقاء معدل تزايد السكان الطبيعي العرب واليهود على حاله ، حينذاك ، وهو ١٦ في الاف بين اليهود و٤١ في الاف بين العرب ، مع بقاء الهجرة على معدلها في ذلك العام ( ٢٠ الفا من المهاجرين مقابل نصف هذا الرقم من النازحين ) . وكان من رأي شاول فريدلاندر (٢٦) « ان هذا سيخلق مشكلات أمن معتدة في حالة نشوب حرب جديدة مع العرب ، فضلا عن كافة المخاطر التي تميز الدولة ذات التوحيثيتين اللتين سيؤدي تعداد كل منهما في هذه الحالة عن مليونين » . ولكن هذه المعادلة تغيرت بعد ان أصبح النازحون أكثر من المهاجرين فضلا عن انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية بمقدار الثلث .

( ٤ ) الانخفاض المستمر في عدد المواليد نتيجة قلة الامتثال على الزواج ، وقلة الرغبة في التنازل . فقد هبطت نسبة التكاثر الطبيعي ( الفرق بين المواليد والوفيات ) بين يهود اسرائيل من ٢٠ في الاف عام ١٩٧٠ الى ١٧ في الاف عام ١٩٧١ الى حوالي ١٣ في الاف عام ١٩٧٤ اي حوالي ٢٢ الفا . وفي هذه الحالة سيكون الفرق بين زيادة

الذي دفعوه من دمائم في حرب عام ١٩٧٣ .

ولكن الحكومة قد استطاعت غسل مخ-الاحالي تماما . ومن هنا جاء قول الرئييين السادات ان اسرائيل لا تريد السلام ولا تقدر عليه . . . وانتهى في مؤتمره الصحفي في الكويت يوم ١٤/٥/١٩٧٥ الى ان « احتمال الحرب ليس بعيدا أبدا واحتمال محاولة الاستعادة خرافة اسرائيل التي لا تقهر وجيشها الذي لا يقهر وسيطرتها وسيادتها كلها أمور واردة في كل وقت وفي كل دقيقة . . . ونحن مستعدون لها » .

خلاصة القول ان الهجرة اكثر العوامل حسما وأهمية في أمن اسرائيل . وحيث ان الامن هو عجل اسرائيل الذهبي المقدس ، فيجب ان نتوقع من اسرائيل قريبا رد فعل مضاد عنيف-قبل ان ينتهي الامر بسلكتها الى الشتات والعودة الى المهجر ، كما تنبأ بذلك ايضا توينبي .- واغلب الظن انها ستنتهز فرصة اول انفجار جديد في المنطقة لطرد اكبر عدد ممكن من عرب المناطق المحتلة لحفظ التوازن السكاني بين اليهود والعرب المتيمين فيها قبل فوات الاوان .

- ١٦ - دافار ، ١٨/٦/١٩٦٨ .
  - ١٧ - و.أ.ف. ، ١٨/١٢/١٩٧٤ .
  - ١٨ - جريدة « الراي » الاردنية ، ٢٧/٢/١٩٧٥ نقل عن وكالة نوفوستي السوفييتية .
  - ١٩ - « المصور » القاهرية ، اول يونيو (حزيران) ١٩٧٥ .
  - ٢٠ - وكالة وفا ، ١٤/١/١٩٧٥ نقل عن جريدة الجارديان البريطانية .
  - ٢١ - وكالة الاسوشيتد برس ، ٢٠/٥/١٩٧٥ .
  - ٢٢ - نفس المصدر .
  - ٢٣ - « الاهرام » القاهرية ، ١٢/٥/١٩٧٥ .
  - ٢٤ - جريدة « اليوم » اللبنانية ، ٢٦/١١/١٩٧١ نقل عن جريدة معاريف .
  - ٢٥ - الاهرام ، ١٢/٥/١٩٧٥ .
  - ٢٦ - شاول فريدلاندر ، « تأملات في مستقبل اسرائيل » ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة ، ١٩٦٨ .
  - ٢٧ - و.أ.ف. ، ١/١/١٩٧٥ .
- محمد أحمد رمضان

اكثر تشددا في سياستها الخارجية تجاه العرب ، وخاصة في محادثات جنيف المقبلة ، لاستعادة هيبة الدولة وسبعتها في التفوق العسكري مثلما فعلت عام ١٩٦٧ . وقد سبق ان أدى تشددها في محادثات كيسنجر الى انهيار مهبته . . . وبالتالي الى دعم موقف الحكومة الاسرائيلية ازاء المعارضة ودعم موقف رابين ازاء معارضيه في داخل حزب العمل . وقد دل استفتاء قامت به جريدة دافار على تأييد ٨٤.٦ ٪ من السكان لسياسة الحكومة المتشددة التي لا تملك أكثر من ٦٦ مقعدا من مجموع ١٢٠ من مقاعد الكنيست . وهذا يفسر قول ايجال لون، وزير الخارجية ، مؤخرا ان تشدد الحكومة يرجع الى « أسباب داخلية » .

ونحن قد نفهم سبب تشدد الحكومة الصهيونية ولكن تأييد السكان الشرقيين المطحونين لها بهذه النسبة غير مفهوم . فقد صدرنا الى المجتمع الاسرائيلي - كما قال الرئيس السادات أكثر من مرة - كل مشاكلنا السابقة من ضياع وانهيار معنوي ، وهذا كئيل بان يدفع سكان اسرائيل للحرص على السلام بأي ثمن بعد الثمن الفادح

- ١ - وكالة الانباء الفرنسية ( و.أ.ف. ) ، ١٥/٥/١٩٧٥ .
- ٢ - جريدة دافار ، ١٨/٦/١٩٦٨ .
- ٣ - الكتاب السنوي لاسرائيل - عام ١٩٥١ .
- ٤ - و.أ.ف. ، ١٥/٥/١٩٧٥ .
- ٥ - تقرير ادارة الهجرة بالأمم المتحدة عام ١٩٧٥ .
- ٦ - اذاعة اسرائيل ( عبري ) ، ١٨/١٠/١٩٧١ .
- ٧ - وكالة انباء المانيا الغربية ( د.ب.أ. ) ، ١٨/٤/١٩٧٥ .
- ٨ - و.أ.ف. ، ١٥/٥/١٩٧٥ .
- ٩ - مجلة « كل شيء » اللبنانية ، ٢٤ أيار ( مايو ) ١٩٧٥ .
- ١٠ - و.أ.ف. ، ٢٢/٥/١٩٧٥ .
- ١١ - وكالة الاسوشيتد برس ، ٣٠/٥/١٩٧٥ .
- ١٢ - وكالة وفا ، ١٤/١/١٩٧٥ .
- ١٣ - وكالة وفا ، ٢٤/١/١٩٧٥ .
- ١٤ - يديعوت احرونوت ، ١٥/٢/١٩٧٤ .
- ١٥ - « ظاهرة النزوح من اسرائيل » ، تقرير الجامعة العربية ، مايو ( أيار ) ١٩٧٢ .

## المستشرقون ومعاهد الاستشراق في اسرائيل

ج - ارتباط اليهود والعرب التاريخي والحضاري مع الشرق الاسلامي ، ثم ان تعلم اللغة العبرية وقواعدها ومفرداتها يحتاج الى معرفة مبدئية باللغة العربية حتى على مستوى المدرسة الثانوية . وكذلك فان فهم الشعر والادب الديني والفلسفي اليهودي خلال العصور الوسطى يتطلب دراسة خلفية الاسلام . ويضيف هايد قائلا : ان هذه المعرفة لتلك القومية التاريخية تتطلب دراسة واسعة وعميقة للغة العبرية وآدابها في الجامعة العبرية . وينعكس ذلك ايضا على الابحاث التي تجري فيها ، فهناك طلاب مثلا يعدون قاتونا عربيا - عبريا ضخما يتوجبه من اساتذتهم . وآخرون يعدون الكتب غير المتداولة لاستخدامها في الابحاث التاريخية والاجتماعية لبلدان حوض البحر المتوسط خلال العصور الوسطى (٢).

ويواصل هايد شرحه لدوافع الاهتمام بالاستشراق فيقول : لعل التحدي الاساسي لعلنا انه لا ينبع من مشاركتنا في تاريخ الشرق الاوسط في الماضي ، بل من واقفنا في الحاضر والمستقبل . فغضبة انشاء اسرائيل للغرب او للشرق نوقشت كثيرا دون ان يوصلنا هذا النقاش ، حتى الآن ، الى اراء متبلورة ومقبولة . ومهما يكن توجهنا الادبي ، وعلاقتنا السياسية مع جيراننا ، فانه ليس هناك من ينكر ان مستقبلنا القومي مرتبط بمستقبل الشرق الاوسط ، والى حد ما بمستقبل دول اسيا وافريقيا الاكثر بعدا . فهذه الحقيقة ينبغي ان تضفي على اهتمامنا بالشرق الاوسط اهمية خاصة وحيوية ووعيا يزيد عما لدى المستشرقين من بلدان الغرب (٣).

ان اهتمام اسرائيل بالاستشراق لا يعود الى دراسة العرب فقط ، بل ايضا دراسة اليهود الذين تجلبهم الصهيونية من بلدان الشرق الى اسرائيل ، حيث كان من الصعب اندماج هؤلاء اليهود مع الطوائف القريبة في اسرائيل ، الامر الذي خلق مشكلة التفرقة بين الامكان ، اي اليهود الغربيين وبين السفارديم ، اليهود الشرقيين . ويقول هايد في هذا المجال : ان استيعاب العدد الكبير من المهاجرين من دول

بدا تطور الدراسات العربية في اسرائيل مع اهتمام العلماء اليهود ، في امكان متعددة من العالم بالاستشراق ، وخاصة في ألمانيا في القرن التاسع عشر . واحتل هؤلاء العلماء امكانهم في عدد كبير من الجامعات في العالم ، ووضعوا خدماتهم تحت تصرف الصهيونية العالمية . ثم قدم البعض منهم الى الجامعة العبرية في القدس ، حيث قاموا بتطوير قسم الدراسات الشرقية ، الذي أخذ يخرج دفعات من الطلبة اليهود في هذا الميدان .

وهنا لا بد من الإشارة الى الاهمية التي تعلقها اسرائيل على الاستشراق والى الحوافز التي تقدمها للاهتمام به ، وخير ما يشير الى ذلك ما كتبه البروفيسور اوريال هايد ، أحد اساتذة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية . يقول هايد : لقد لعبت العلوم الشرقية والاسلامية دورا هاما في تاريخ شعبنا الثقافي ، ومنذ العصور الوسطى عندما كان اليهود يساهمون في نقل فلسفة الاسلام الى اوروبا ، وحتى يومنا هذا ظهر كثير من العلماء اليهود المتخصصين بدراسة الشعوب الاسلامية وثقافتها وحضارتها وتاريخها . وهناك في ايماننا هذه ، نسبة لا بأس بها من المستشرقين اليهود وان مجرد وجود مكتبة اجنيس جولد تسيهر ، وهو يهودي هنغاري ومن كبار المستشرقين في الاسلام ، في مكتبة الجامعة العبرية يمكن من استخدامها كرمز لهذا التتابع التاريخي (٤).

ويستعرض البروفيسور هايد المزاي التي يتمتع بها المستشرقون اليهود بالمقارنة مع المستشرقين الغربيين فيعزوها الى العوامل التالية :

أ - ان الكثيرين من الطلبة اليهود ، الذين يلتحقون بالجامعة يلون باللغة العربية ، ومنهم من درس العلوم الشرقية في المدرسة الثانوية .

ب - على الرغم من اغلاق ابواب البلدان العربية في وجه طلبة الاستشراق اليهود ، فانهم يستعيضون عن ذلك بالسفر الى تركيا وايران وغيرها من بلدان الشرق القريبة من اسرائيل خلافا للمستشرقين الغربيين الذين تبعد عنهم هذه البلدان .

والأفريقية لتحقيق نظامها التوسعية . وتدرك إسرائيل ان المواجهة مع العالم العربي تتطلب فريقاً من التخصصين في الشؤون العربية يتوزعون في جميع دور الصحف والنشر والمؤسسات الحكومية والجامعات . كما ان التغلغل الإسرائيلي في اسيا وأفريقيا يتطلب بدوره جيلاً من الشبان يلم بمشاكل هاتين القارتين ولغاتها وتقاليدهما .

ولهذا السبب طورت إسرائيل قسم الدراسات الشرقية واقامت معاهد متعددة لتخريج الباحثين واعداد الدراسات ، واهم هذه المعاهد :

١ - **معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية** . وقد تأسس عام ١٩٢٦ . ومما يدرسه هذا المعهد ، بصورة خاصة ، اللغة العربية وادبها الكلاسيكي ، وكذلك الحضارة العربية التي شملت الديانة الإسلامية والتاريخ العربي في القرون الوسطى ، وكذلك الفلسفة والقانون وعلم الآثار والفنون وتاريخ العلم في الإسلام ثم اللغة العربية الحديثة وادبها واصولها اللغوية (٧) .

وخلال عام ١٩٣٥ ، قام هذا المعهد بمشروعين الاول : اعداد ديوان ضخم عن الشعر العربي القديم . وفي سبيل ذلك تسجل كل كلمة تظهر في هذا الشعر على بطاقة خاصة مع ذكر اصلها . وقد تم تسجيل اكثر من مليوني بطاقة حتى الآن . ويستخدم هذا الديوان ، كمرجع اساسي في البحوث حول تطوير اللغة العربية . والمشروع الثاني هو اعادة طباعة كتاب البلاذري وهو موسوعة كبرى للتاريخ العربي القديم .

ومن اهم محتويات هذا المعهد مجموعة من الصور والرسومات لمان اسلامية وتحف فنية تروى على اربعة الاف . وقام المعهد بابحاث عدة في مجال العلوم الشرقية . منها بحث اعده البروفيسور ويل عن الحديث والقرآن وبحث آخر عن تاريخ اللغة التركية . ومنها ايضا ترجمة القرآن وابن هشام وسيرة محمد والى ليلة وليلة الى اللغة العبرية ، ومنها ايضا الابحاث التي اعدها الدكتور بولتسكي عن اللغة القبطية والادب العربي الحديث (٨) .

وبعد اقامة إسرائيل اخذ المعهد يعد الباحثين في الشؤون المعاصرة للشرق الاوسط ، وذلك بتكليف من الحكومة ، حيث توسع المعهد بتدريس اللغة

الشرق يتطلب فهما واسعا للظروف السائدة في بلدانهم الاصلية ودراسة تقاليدهم الخاصة ، في الوقت نفسه مساعدة هامة لمعرفةنا العلمية وللفهم والتفهم المتبادلين بين الطوائف (٩) .

### مؤتمرات الاستشراق

يتمثل اهتمام إسرائيل والصهيونية بالاستشراق بحرصها على الاشتراك في مؤتمرات المستشرقين الدولية التي تعقد بين الحين والآخر . فقد اشتركت إسرائيل في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في باريس عام ١٩٤٨ ، حيث وفد اليه مستشرقون يهود من بلدان مختلفة . كما اشتركت أيضاً في المؤتمر الدولي للمستشرقين ، الذي عقد في اسطنبول عام ١٩٥١ ثم في كامبردج نسي صيف عام ١٩٥٤ . حيث اشترك في هذا المؤتمر مجموعة كبيرة من المستشرقين اليهود من اقطار مختلفة . وقد ادخل اعضاء الوفد موضوعات عن إسرائيل واليهود والتوراة وتعاليم التلمود وحضر المؤتمر مجموعة من المستشرقين الاسرائيليين منهم ايلوية وبنعاط وجوطشطاين وجويكين وغيرهم . كما حضر المؤتمر ايضا يغال يدين ثاني رئيس اركان للجيش الإسرائيلي الذي التقى محاضرة حول « الاحتلال العسكري بين مصر وفلسطين منذ القدم » (٥) .

كما بعثت إسرائيل الى مؤتمر المستشرقين الدولي السادس والعشرين الذي عقد في نيودلهي خلال شتاء عام ١٩٦٤ ، وفدا من الجامعة العبرية يرأسه البروفيسور ايلون والاساتذة اوريال هايد وحايسيم رابين وبيسع شتعاى وطوبيا جيليلوم وجفرال بير . وساهم الاساتذة الاسرائيليون بابحاث ومحاضرات عن الاسلام والحضارة والادب العربية والتوراة . ويقول الدكتور بير ان رئيس الدائرة الإسلامية في المؤتمر قال له ، ان الاعضاء الاسرائيليين قدموا ابحاثا ممتازة عن الاسلام . هذا وتستغل إسرائيل هذه المؤتمرات للدعاية وكسب صداقة الوفود . ويقول الدكتور جيليلوم : اعتقد ان زيارة الوفد كانت حملة اعلامية هامة بصورة غير مباشرة (٦) .

### معاهد الدراسات العربية والشرقية في إسرائيل

فكرت إسرائيل على خلق جيل من الباحثين والخبراء في الشؤون العربية والاسيوية

سنة او اكثر في بعض الاحيان ، وتؤمن اننا عندما نتناول المشكلات الحاضرة نستطيع الافادة من الماضي وتوقع ما سيحدث في المستقبل . اننا لا نعمل في التنبؤات ولكن معرفة الوضع الحالي ، ومعرفة الاحداث التي أدت اليه ، تمكننا من معرفة ما سيحدث في المستقبل» (٩).

ولدى المعهد مصادر وغيرة من المعلومات ابتداء من الصحف والنشرات الطبية التي تصدر في العالم العربي وانتهاء بما تذيمه محطات الاذاعة العربية ، وكل هذه تدخل كتمصاصات في ارشيف خاص . ويترأس معهد شيلواح شمعون شمير ، ( حل مكانه الدكتور حايبم شاكيد ) ، ويساعده خمسة باحثين يتناولون على متابعة ما يجري من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية في البلد الذي يشرف عليه . ويضم المعهد ستة اقسام ، يترأس كل قسم « باحث » يحمل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية ، مع مراعاة وضعه في القسم الذي يختص بالبلد الذي تناولته دراسته الجامعية . وهو يتقن لغة هذا البلد وله دراية باللهجيات المختلفة المتداولة فيه . ويضم كل قسم مجموعة من الباحثين يتقنون ايضا اللغة العربية .

ويتقسم المعهد الى ستة اقسام :

- ١ - دائرة مصر : يشرف عليها رئيس المعهد الدكتور شمعون شمير ، ويبدو ان اصله مصري.
- ٢ - سوريا : يشرف عليها الدكتور افيجدور ليفي ، وهو احد الباحثين البارزين في معهد شيلواح . درس في قسم الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية في القدس .
- ٣ - دائرة العراق : يشرف عليها الدكتور اوبرمال وان . وهو مؤلف كتاب عن العراق في عهد عبد الكريم قاسم .

( ٤ ) دائرة السودان ، يشرف عليها الدكتور حايبم شاكيد ( الذي أصبح رئيسا للمعهد ) وهو خريج الجامعة العبرية . حاز على درجة الدكتوراه من لندن ، اثر تقديم رسالته حول تاريخ المهدي في السودان (١٠).

( ٥ ) دائرة ايران : يشرف عليها باحث آخر هو اريه شمويلفيتس ، وهو من مواليد فلسطين

العربية ، الفصحى والعامية . ويقوم هذا المعهد بتسجيل جميع اللهجات التي يتحدث بها الفلسطينيون ، حيث يختارون طلابا عربيا من كافة القرى لتسجيل لهجاتهم وحصر كل لهجة سائدة في القرى والمدن الفلسطينية .

ولا بد هنا من الإشارة الى ان معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية يصدر مجلة فصلية تدعى « همزاج هيحاداش » ومعناها بالعربية « الشرق الجديد » . حيث تنشر هذه المجلة دراسات عن العالم العربي في كافة المجالات والحقول . وفيها ابواب دائمة عن الاخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في كل بلد عربي . وحتى انها تترجم الاشعار والقصص والروايات العربية الى اللغة العبرية.

٢ - معهد شيلواح : يعتبر معهد شيلواح في تل ابيب من اهم المعاهد الاسرائيلية لجمع المعلومات عن الشرق الاوسط . فقد انشيء عام ١٩٥٩ عندما شعر الاسرائيليون بضرورة استغلال المعلومات الغزيرة عن الشرق الاوسط المتوفرة لديهم . ومن رواد الدعوة الى تأسيس هذا المعهد المستشرق اليهودي رؤبين شيلواح\* والذي سمي المعهد باسمه ، ويهوشفاط هركابي الذي عمل رئيسا للاستخبارات العسكرية في الجيش الاسرائيلي واسحق اورن من كبار ضباط الجيش والذي تولى ادارة المعهد اثر تأسيسه . واستطاع اورن ان يوفر للمعهد منذ بدايته مادة ارشيفية نادرة وهي عبارة عن مجموعة من الصحف العربية منذ عام ١٩٤٨ . والمشروع الرئيسي لهذا المعهد هو اصدار كتاب سنوي شامل عن الشرق الاوسط حيث يتضمن التحليلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط .

هذا ويحرص المعهد على جمع الاعداد اليومية لاكثر من مائتي صحيفة تصدر في الشرق الاوسط . ويقول الدكتور حايبم شاكيد احد المسؤولين في المعهد ، والذي أصبح الان رئيسا له : « يختلف معهدنا عن معاهد الابحاث في العالم ، اذ اننا لا نتابع الاحداث حسب متابعتها التاريخي ، بل نحاول ان نرى ما يشغل الشرق الاوسط اليوم . وربما نحتاج الى الرجوع للوراء ٢٠٠ - ٣٠٠

وتضم مكتبة المعهد ٧ آلاف مجلد ، وتخرج منه عام ١٩٦٦ ، ٢٢٢٣ طالباً من ٨٥ دولة .

٥ - المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية :  
تتضمن على مكتبة تضم ٤٥ ألف مجلد . تتشتمل  
بأبحاث عن اللغات السامية والآداب والتاريخ  
والآثار .

٦ - دار ويلفرد اسرائيل للفنون والدراسات  
الشرقية : تأسست عام ١٩٤٧ في كيبوتس هازوريع  
بالقرب من حيفا . افتتحت عام ١٩٥١ . وهي مركز  
للمطالعة والدراسة والمعارض الفنية .

٧ - اللجنة الأكاديمية الاسرائيلية الخاصة  
بشؤون الشرق الاوسط : ذكرت « جيروزاليم  
بوست » في عددها ١٩٧١/٨ ، انه تالفت في  
اسرائيل لجنة أكاديمية تعنى بشؤون الشرق الاوسط  
برئاسة شارل برادو . وقالت الصحفية ان هدف  
هذه اللجنة ، هو اعداد المعلومات المتعلقة بالصراع  
العربي الاسرائيلي ، ووضعها تحت تصرف  
الاساتذة والمثقفين الامريكانيين الذين يزورون  
اسرائيل . وأضافت « تهدف اللجنة الى تزويد  
المثالث من الاكاديميين الاصدقاء الذين يزورون  
اسرائيل بالمعلومات والافكار التي تمكنهم من  
مهاجمة اعداء اسرائيل بعد عودتهم الى بلادهم .  
وتعمل اللجنة من خلال جمعية الاساتذة الامريكانيين  
من اجل السلام في الشرق الاوسط » .

٨ - معهد اسرائيلي لجمع الوثائق والبحث في  
تاريخ الشعب الفلسطيني : وقد اقيم هذا المعهد  
على جبل المكسر في القدس بهدف جمع المادة  
الوثائقية الوفيرة في البلاد مثل افلام مايكروفيلم  
لوثائق محفوظة موجدة في الخارج تتعلق بتاريخ عرب  
البلد خلال الاجيال الاخيرة . ويشرف على هذا  
المعهد الدكتور موشيه معوز . ويقوم هذا المعهد  
بتصنيف المادة حسب مجالات رئيسية : عرب  
فلسطين في عهد الانتداب ، عرب الضفة الغربية  
خلال العهد الازدني ، وعرب قطاع غزة خلال فترة  
الحكم المصري ، و« عرب اسرائيل » منذ ١٩٤٨ ،  
عرب الضفة والقطاع منذ ١٩٦٧ ، الفلسطينيين  
والنزاع الاسرائيلي - العربي (١٤) .

وهناك العديد من هذه المساهد التي تتبع  
المخابرات والوزارات الحكومية بصورة مباشرة .  
وان ما تقوم به هذه المعاهد وتلك ، من ابحاث

ومختص بمشكلات تركيا وايران .

( ٦ ) دائرة العلاقات العربية ويشرف عليها  
الدكتور دافيد شيرون وهو يختص بالعلاقات بين  
البلدان العربية وتطورها (١١) .

وتكمن أهمية معهد شيلواح في ان الاجهزة  
الرسمية في اسرائيل تعتمد عليه لادها بالمعلومات  
عما يجري في العالم العربي . وهو على اتصال  
دائم مع وزارة الخارجية وجهاز الاستخبارات .  
كما يهتم المعهد ايضا بالمقاطعة العربية ووسائل  
مكافحتها . وأصدر معهد شيلواح مجموعة من  
الكتب عن العالم العربي اهمها كتاب سوريا تحت  
حكم البعث وكتاب السيادة العربية في المرأة  
السوفياتية وكتاب مثقفون في العالم العربي (١٢) .

٣ - مركز الدراسات العربية والافرو -  
آسيوية : اقيم هذا المركز في معهد جمعيات حبيبة في  
المثالث . واطن هذا المركز عن غايته وهي « خدمة  
قضية محددة ، اي قضية التفاهم والتعاون بين  
اليهود والعرب في اسرائيل والمنطقة . ويعمل من  
اجل تحقيق ابناء الشعبين كي يفهم كل واحد آمال  
الشعب الاخر ، كما يعنى بالنشاط الاجتماعي  
لتطوير المجتمع العربي في اسرائيل » . ويخضع  
المعهد لاشراف حزب ميام الصهيوني اليساري ولهذا  
يكثر من تشدقه عن السلام .

ولكن ليست هذه هي الاهداف الحقيقية لهذا  
المركز ، اذ ان هدفه الانساني هو اعداد دراسات  
عن العرب في اسرائيل لا من اجل تطوير الازواض  
الاقتصادية والاقتصادية للعرب ، بل من اجل رصد  
تحركاتهم في اسرائيل ، ومتابعة ميولهم وفهم  
عقليتهم ، وبالتالي محاربة اية ظاهرة لا تستسيقها  
السلطات . كما انه يسعى بطريق ذكي وخبيث  
لاستيعاب الشباب العربي هناك ، بعد ان فطن  
نفسه بلباس يساري مزيف . ويقوم هذا المركز بنشر  
سلسلة من دراسات عربية وافرو - آسيوية ،  
منها دراسة عن التركيب المهني والمشكلات  
الاقتصادية للسكان العرب في اسرائيل .

٤ - المعهد الافرو - آسيوي للدراسات  
العملية والتعاون : تأسس هذا المعهد في تل ابيب  
عام ١٩٦٠ لتدريس التنمية والتعاون والمشكلات  
العملية للطلبة الافرو - آسيويين . ويقرأه  
الياهو ايلات ، الرئيس السابق للجامعة العبرية .

زياده وغسان شراره وائيس صايغ وغيرهم .

كما يقوم الاسرائيليون بدراسة الشعر العربي القديم والحديث ، حيث يقومون بترجمة نماذج منه الى اللغة العبرية . ولنأخذ مثلا شموئيل موريه المتخصص في الشعر العربي الحديث الذي قام بترجمة ديوان ادونيس ( علي أحمد سعيد ) : «كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل» ، وديوان محمد الماغوط « حزن في ضوء القمر » (١٧) .

كما يقومون بدراسة العرب الذين يعيشون بينهم منذ اكثر من ربع قرن فهم يرقبونها بعين ساهرة ، واكثر ما يهمهم هو تطور الوعي والمشاعر القومية لدى هؤلاء ، فنرى ان هناك دراسة تحمل عنوان « الانتهاء القومي للعربي الاسرائيلي » اعدھا الدكتور يوحنا بيرس استاذ العلوم الاجتماعية في الجامعة العبرية ونيره ديفيس وكانت معيدة في الجامعة العبرية (١٨) . كما قام ستة من الخبراء في الشؤون العربية باعداد دراسة عن العرب في اسرائيل تشتمل على دراسة المواضيع التالية : السكان العرب في اسرائيل تحليل ديموغرافي ، حجم السكان العرب - التوزيع الجغرافي ، سكان المدن والقرى ، التقسيمات التي طرأت على القرية العربية هناك ، الوصف الاسلامي ، وضع الشعر والادب لدى العرب في اسرائيل ، والجيل العربي الناشيء وموقفه من الدين . ومما يؤكد اهتمام الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، ما تحدث به اثنان من رؤساء الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية السابقين ، والمهتمين الان بهذا الشأن . فقد تحدث عن ذلك يهوشفاط هركابي بقوله : هناك امر هام جدا ، لقد تعودنا ان نسأل ماذا يفعل العرب ، لا ماذا يفكرون . كما أرى الان انهم يفكرون بشكل ممتاز ، ايديولوجيتهم اصبحت عقلانية وتصرفاتهم في كل ما يتعلق بالنزاع اصبحت منطقية ، يوجد لديهم مؤسستان كبيرتان لبحث النزاع العربي الاسرائيلي [مركز الابحاث ومؤسسة الدراسات] . واذا ما احتجت الى مادة ما ، وعن اسرائيل ايضا ، اجدها هناك . واما الجنرال ( احتياط ) حاييم هرتسوغ فيقول : انا مشترك بمنشوراتهم ، ان افضل بحث قرأته عن حرب الاستنزاف نشره هم ، وكتبه دكتور فلسطيني (١٩) .

ودراسات علمية وسرية والتي يقوم باعدادها الخبراء الاسرائيليون في الشؤون العربية تستغل استفلا تايا ، فعلى الصعيد الرسمي توضع تحت تصرف مخططي السياسة والثامن على الاجهزة التنفيذية كي تكون مخططاتهم مبنية على تحليلات علمية دقيقة . ولا شك ان اسرائيل تعتمد على التخطيط للمدى البعيد ، لادراكها انها تعيش في منطقة تنبذها ، ويهملها ان تعرف كل شيء من العالم العربي . ولهذا فهي تتابع باهتمام دراسة التطورات في العالم العربي . ومن اهم الامور التي تهتم بها اسرائيل كثيرا هو حجم وسرعة التطور العلمي والتكنولوجي في البلاد العربية . كما تهتم اسرائيل بتعليم وتنقيف الشبان ، عن العالم العربي . ولهذا فالدراسات الشرقية تحظى في اسرائيل باهتمام كبير في جميع الازواضع وخلال مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية . ويبدأ الاهتمام بهذه الدراسات بتعميم دراسة اللغة العربية في بعض المدارس تهيدا لتابعة الدراسات الشرقية الجامعية في المستقبل . ففي العام الدراسي ١٩٦٩ / ١٩٧٠ تم تدريس اللغة العربية في اربع وسبعين مدرسة ثانوية في اسرائيل وبلغ عدد الطلاب الذين يدرسونها حوالي ١٢ ألف طالب . وتشتمل عشر من هذه المدارس على فروع للدراسات الشرقية ، يتلقى فيها الطالب دروسا موسعة في اللغة العربية القديمة والحديثة وكذلك تاريخ العرب والاسلام (١٥) .

ومن اهم المواضيع التي يقومون بتدريسها وبيحتها ، التاريخ الدبلوماسي والسياسي للمشكلة الفلسطينية . وكذلك الحروب العربية - الاسرائيلية والاتصالات الدبلوماسية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وكذلك دراسات عن العالم العربي ، منها ، دراسة عن غلال القاسم - خطوط عمله على طريق استقلال مراكش (١٦) ، ودراسة عن القبائل اليمنية وكذلك « مسألة الفلسفة القومية في الفكر العربي المعاصر » حيث تم الاعتماد في ذلك على كتاب الدكتور تسطنطين زريق « الوصني القومي » ، وكذلك الاعتماد على دراسات ومؤلفات ساطع الحصري وكتاب حسن صعب « دروب القومية العربية » . وكذلك دراسة مؤلفات تدري طوقان وعبدالرحمن البزاز وهشام شرابي ونقولا

### ماذا كان دورَ المستشرقين في حرب أكتوبر

كان للتطبيقات والمعلومات التي قدمها المستشرقون الإسرائيليون تسبب وانف من الانتصار العسكري الذي حققته إسرائيل عام ١٩٦٧ . فانه بالمقدار الذي نظر فيه الإسرائيليون الى دايان عام ٦٧ وبالهيئة التي اغدقها عليه وعلى غيره من العسكريين ، اغدقت الهيئة ايضا على المستشرقين الاسرائيليين ، واخذ الطلب يزداد عليهم وعلى مؤلفاتهم ، حيث كانوا يدعون لاجراء مقابلات في الوسائل الاعلامية المختلفة ، كما ان التهافت قد ازداد عليهم في مراكز الابحاث والجامعات المختلفة . ولكن ماذا حدث بعد حرب اكتوبر ؟ ففي غمرة الاتهامات التي تبادلها الاسرائيليون فيما بينهم ، بالنسبة الى مسؤولية التقصير والاهمال في حرب تشرين ١٩٧٣ ، كان للمستشرقين والخصمين بالشؤون العربية ، افرادا ومعاهد ، نصيب من هذه الاتهامات . وقد كتب الدكتور اوري ميلشتاين مقالا في ملحق دانار (٧٤/٤/١٩) بعنوان : « ابن كان المستشرقون ؟ » عرض فيه آراء هؤلاء بعضهم في بعض وفي مسؤوليتهم عن التقصير ، وفي اخفاء حقائق كثيرة تنشأ في العالم العربي عن الاسرائيليين ، والتكليف مع وجهة نظر المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . فقد نقل ميلشتاين عن البروفيسور يهوشاف هركابي ، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقا ، والذي ينظر اليه كثيرون على انه الخبير الاكاديمي الاول في اسرائيل ، بمسائل الصراع العربي - الاسرائيلي » توله : « انني لا اعتبر فشل تشرين الاول ١٩٧٣ ، فشلا للمسيحيين فقط ، بل هو فشل اكبر ، واذا شئت تقصير ، لرجال الفكر في الدولة . فهم لم يتخوا للشعب فهم اوضاعه : لقد قال وزير الدفاع انه لا يتوقع حدوث حرب خلال عشر سنوات وجاء متبهاها بيلد ( احد كبار المستشرقين ) وكتب ان وزير الدفاع يبالغ ، فلن تكون هناك حرب لفترة اطول كثيرا . وكتب عشرة مقالات اخرى ، وقال : لماذا يبالغون في المسألة الامنية . وانا اتساءل : هل تستطيع امة ان تكون مستعدة للحرب عندما يقولون لها صباح مساء ، انه لا يتوقع حدوث حرب ، وان الطرف الاخر قد تنازل عن الحل بالقوة ؟ » ودعا هركابي الى التدقيق في دور بيلد ، وشمعون شمير الاستاذ

في جامعة تل ابيب ورئيس معهد شيلواح سابقا ، في « تقصير حرب يوم الغفران » . ورد شمير بانه لم ينصرف الى الكتابة في الصحف ، كما فعل هركابي ، وانه عني بتوضيح « ان في العالم العربي جماعة تسمى للتسوية مع دولة اسرائيل . لعلها جماعة هامشية ، ولعلها لا تمارس اليوم تأثيرا على صانعي القرارات . واعتبر شمير هركابي منظر حالة الركود « التي سادت المجتمع الاسرائيلي خلال السنوات الاخيرة » . فقد وزعت مقالاته على الجيش الاسرائيلي « بعشرات الالف من النسخ » واقرت وزارة المعارف والثقافة كتيباته في برامج التعليم في المدارس ، كما مثل امام لجنة الخبائية والان ، ودعته فولدا مئر السى الاستشارة ، قبل الحرب وبمدها . « وقد وجهت افكاره الخط الحكومي ، وكانت ، بصورة خاصة ، اساسا لموقف فولدا » . كما انهم شمعون شمير ، هركابي ، ايضا بانه نشر افكارا مشوهة عن المجتمع العربي ، ادت الى الاستهانة به ، وهو الذي اوجد مصطلح « لا سامية عزية » . وعرض شمير نموذجا للخلافات بينه وبين هركابي ، هو ان هذا الاخير يعتقد بان مصر مستعدة للانتظار طويلا وعدم القبول بتسوية منفردة في سيناء ، بينما يرى شمير العكس . « ولكنني حذرت من الحرب اكثر من هركابي . . . فقد قلت ان المسادات خارج الى الحرب بسبب سيناء ، وانه لا يجوز الشك في مدى ارتباط المصريين الفعلي بصحراء سيناء » .

كما فرض ميلشتاين رأي الدكتور حايم شناكد ، رئيس معهد « شيلواح » اليوم ، وكان الخلاف الرئيسي بين المستشرقين ، بحسب شناكد : « هل ينبغي لدولة اسرائيل ان تتطلق من الافتراض بانه لا يوجد اي حل للصراع بين اليهود والعرب ، وان الشرق الاوسط يعيش حروبا دورية لا يمكن الخروج منها ، او انه يمكن اتخاذ العديد من الخطوات للحيلولة دون الحرب . لقد كان رأبي ينيل الى الاحتمال الثاني . كان واضحا لي انه اذا توصل العرب الى الاستنتاج ان ثمة وضعاً يمكنهم من حل المشكلة بالقوة ، واذا وصلوا الى حالة من اليأس ، فسيحاولون استخدام القوة . ولكنني اعتقدت ان على دولة اسرائيل ان تشمل كل ما في وسعها ، بمهام المبادرة السياسية ،

الفئة الثالثة ، وهي اخطر هذه الفئات ، فتضم اولئك المثقفين الذين درسوا الثقافة الاسلامية من الكتب . وللحقيقة فقد اثار اولئك الخبراء ، شكوكي حتى في الماضي . فقد زعموا : « ان العرب ، بسبب ثقافتهم الخاصة ، يتجاهلون الواقع ، ويقعون ضحية خيالهم . وقدموا اكثر من مرة ، الى من طلب برهانا على ذلك ، للابحاث الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨ وحرب الايام الستة . ولم تكن اية كلمة منها صحيحة ، كان كله كذبا وينم عن خيال خصب .

« ولكن الحرب الاخيرة اثبتت ان هذا الادعاء ليس صحيحا دائما . هذه المرة كانت بلاغات الناطق العسكري المصري دقيقة للغاية » .

واضاف جيفع : « لدى خبرائنا ادعاء اخر : ان العرب لا يفهمون الا لغة القوة فقط . لقد كان هذا الادعاء الاساسي للخبراء الذين ولدوا في الدول العربية ، او من القدامى الذين عملوا مع العرب في البيارات . ولكن الواقع لا يثبت ان الخبراء كانوا على حق . لم تكن هناك مظاهره قوه اكبر من حرب الايام الستة . . . وماذا كانت النتيجة ؟ الرضوخ للغة القوة ؟ لقد اعد السادات حربا جديدة . « ان معلقنا — وخصوصا في الازاعة — يخبرونا كل يوم عن الانتقاسات والخلانسات في العالم العربي . وان كل المؤتمرات والمشاورات وزيارات الوزراء المتبادلة ليست الا تعبيرا عن الصراع الداخلي في العالم العربي . وهكذا خلق لدى الجمهور انطباع بان العالم العربي عسالم منهار عاجز عن التكفل » .

بعد هذه الحملة العنيفة من الاتهامات ضد المستشرقين الاسرائيليين ، وتحميلهم مسؤولية تشويه الحقيقة ، وخداع الجمهور والاساط الحاكمية . رأت اوساط اسرائيلية بعدم اقتضار الاطلاع على المعلومات التي تصل من العالم العربي على هؤلاء المستشرقين وحدهم ، بل يجب تقديمها وعرضها على الجمهور الواسع . ولكي يطلع عليها اكبر عدد من الجمهور ، الذين لا يجيدون اللغة العربية ، لذا راوا اصدار نشرة مترجمة من العربية الى العبرية ووضعها في متناول كل من يريد وكل من يهيم الامر . وقد سميت هذه النشرة « العرب واسرائيل » ، وهي عبارة عن

للحيلولة دون تولد وضع كهذا . وقد اعتقدت فعلا ان هناك خيارات عديدة في يدنا » .

واضاف ميلشتاين ان الجمهور يأخذ على المستشرقين والخبراء بالشؤون العربية ، انهم لم يتنبأوا بحرب تشرين . وتوجه ميلشتاين بسؤال في هذا الموضوع الى الدكتور ايثار رابينوفيتش ، من معهد « شيلواج » فأجاب : نحن لم نسأل ، ولم يكن من مهماتنا ان نتنبأ بحرب تشرين الاول ٧٣ بالذات . نحن جزء من مؤسسة جامعية ، ونعمل داخل جهاز لا يملك معطيات للتنبؤ بالحروب خلال ايام أو اسابيع او اشهر . نحن لا نشترك في اجتماعات سرية ، والكثيرون منا ، يبحثون في الحقيقة ، في مشكلات مختلفة تتعلق بالدول العربية ، وليس بالصراع بالذات » .

واستعرض ميلشتاين تاريخ الاهتمام الاسرائيلي — الجامعي بالشؤون العربية ، فذكر ان الجامعة العبرية في القدس لم تهتمس بها حتى اوائل الخمسينات . ولكنه خلال السنوات الاخيرة فقط تجمع باحثون شبان في الجامعات في القدس وتل ابيب ، وفي الجامعات الفتية ، وكرسوا معظم وقتهم للمشكلات الحاضرة في منطقتنا . كما نقل ميلشتاين عن هركابي قوله : « ان المستوى الثقافي للبحوث العربية حول الصراع يتفوق على ما لدينا الى حد كبير . انني ارى نشراتهم وكتاباتهم ، والمجهود الذي يبذلونه من اجل فهم هذا الموضوع ، بطريقتهم هم طبعاً . اننا لا نصل الى رسخ تقدمهم » .

كما وصلت الحملة ضد المستشرقين الى اوجها عندما شن اهرون جيفع في دافار ( ٧٣/١٢/١٠ ) هجوما على من يعتبرون خبراء بالشؤون العربية في اسرائيل بقوله : « يبدو لي ان زمن الخبراء بالانفسية العربية ، على اختلاف انواعهم ، الذين اثروا فينا بأرائهم وتقويماتهم قبل الحرب ، قد انتهى ومن الافضل لهم ان يفتشوا عن مصدر رزق آخر » .

« ويمكن تقسيم خبراء الامس الى ثلاث فئات . منهم من اعتاد ان يعلن : ولدت في العراق وانهم العرب . وقسم الفئة الثانية الذين تذكروا ايام صباهم ، عندما كانوا يعملون مع العرب كبرائين على العمال العرب في بيارات بتاح تكفا . أما



## النزاع العربي - الاسرائيلي في كتب العلوم الاجتماعية للمدارس الثانوية في الولايات المتحدة

والاجنبية الأخرى . وتمطي الكتب المدرسية الاولاد المعلومات التي يحتاجون اليها حول التاريخ البشري وثقافات العالم الذي فيه يعيشون . ونشر الدراسات في حقل علم النفس الاجتماعي المتصلة بعملية التنشئة الاجتماعية الى ان التعليم المكتسب في المدرسة الابتدائية والثانوية يبيل الى ان يكون له تأثير مستديم . فالواقف التي يتخذها البالغون ازاء جماعات معينة يمكن تعقبها ، بشكل جزئي ، الى ما تعلمه في المدرسة الابتدائية والثانوية . وستوضح الامثلة التالية ما نصده . يتناول المثل الاول ادخال نظرية النشوء والارتقاء الى الكتب المدرسية الخاصة بالمدارس الثانوية ، وهو حدث ولد قدرا عظيما من الجندل بين الذين يدركون التأثير المستديم للتربية على عقول التلاميذ . فالخصوم يعترضون على الفكرة على اساس انها ستسبب عقول الاولاد وتجعلهم يشككون في جميع الاديان والمعتقدات التي تقدم خلق الانسان كعمل من اعمال الله ، والمؤيدون يدعون انها ستزيد التفكير العلمي بين التلاميذ فيغني ذلك بدوره المدنية المعاصرة المرتكزة على العلم . المثل الثاني ذو صلة بالجدل الذي حصل في كاليفورنيا عام ١٩٥٩ حول كتب العلوم الاجتماعية المدرسية . فان فريقا خاصا مكلنا بتقييم الكتب المدرسية الجديدة ، من الصف الرابع الى الصف الثامن ، شجبتها على اساس انها تمثل معاملة مشوهة لحياة الاطفال ، مما يمكن ان يفضي الى رفض طفل الاقلية لعين هويته كخص من الاقلية (٢) . وفي الاونة الأخيرة رفعت الحركة النسوية صوتها عاليا في انتقاد الكتب المدرسية كمصدر رئيسي لتطوير صور نمطية سلبية عن النساء . وتدعي النساء ، بحق ، ان معظم الكتب المدرسية تنقل اعتقادا واضحا بأنه لا يوجد أمامهن غير اربع مهن - مبرضة ، مسكرتيرة ، معلبة ، او ام . والاستنتاج الواضح الذي يمكن الوصول اليه من هذه الامثلة وغيرها هو ان الكتب المدرسية لها فعلا تأثير مستديم على عقول التلاميذ ، ولذا يجب على المربين ان يكونوا معنيين بكل من تصميم الكتاب المدرسي وانواع المواد التي يحتويها .

تظهر السجلات التاريخية ان الكتب المدرسية كانت قيد الاستعمال منذ وقت طويل . وثمة بعض الادلة التي تشير الى ان الكتب المدرسية كانت تستخدم في مدارس اليونان وروما القديمتين (Encyclopedia of Education ، المجلد ٩ ، ص ٢١٤) . والكتب المدرسية هي اليوم اساس التعليم الرسمي في جميع مستويات المدرسة . ويشعر الدارس الجامعي ضائعا ومتحيرا عندما لا يستخدم الاساذ كتابا او كتبا مدرسية متعددة . والحالة اكثر بروزا وخطورة في المدارس الثانوية والابتدائية ، حيث تؤلف الكتب المدرسية ، نظريا وعمليا في آن معا ، حجر البناء الاساسي للتعليم . وعند كلا المستويين يعتمد معظم المعلمين ( اما بسبب عدم وجود التدريب او الاهتمام او الوقت ) اعتمادا كبيرا ، ان لم يكن كليا ، على الكتب المدرسية . وليس المعلمون الذين يستخدمون قراءات اضافية ومكاملة الا الاقلية . ويقدر الدكتور بروس جويس ، الرئيس السابق لتعليم معلمي المدارس الابتدائية في جامعة شيكاغو ، ان نحو ٨٠ بالمئة من معلمي الامة الابتدائيين يستخدمون الكتب المدرسية كأداتهم التعليمية ومصدر معرفتهم الرئيسيين . ويقول الدكتور جويس : « ان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي مدعو لاتقان مجموعة مواضيع تمتد من ادب الاطفال الى القراءة ومن الحساب الى العلوم . وبما ان ثلثة من الناس يمكنها ان تصير خبيرة في حقل كثيرة كهذه ، فان معلم المدرسة الابتدائية النموذجي يعتمد اعتمادا كبيرا على النصوص والكتب الدليلية » . ويضيف ان المشكلة في المدرسة الثانوية هي اكبر من ذلك على الأرجح . « لان معلم المدرسة الثانوية يعمل مع عدد من التلاميذ يصل الى ١٥٠ يوميا ، فانه يتعذر عليه ان يحضر مواد منفصلة تفصيلا خاصا لكل ولد او حتى لكل صف . وعليه ان يعتمد على الرزمة الجاهزة ، الكتاب المدرسي » (١) .

والكتب المدرسية - خصوصا تلك التي لها صلة بالانسانيات والعلوم الاجتماعية - هي المصدر الرئيسي الذي يكتسب منه الطالب المواقف والاعتقادات والمشاعر حول شعبه والاقوام العرقية

والى ذلك ، تمارس معظم حكومات العالم ، ان لم يكن جميعها ، قدرا كبيرا من السيطرة على مؤسسة التعليم ، ولا سيما عند مستوي المدرسة الابتدائية والثانوية . فالتعليم يعتبر أهم من أن يتوكأ لزوات الأفراد الخاصين وحاجاتهم . وتعتمد نوعية الحياة ، فضلا عن معدل ومدى النمو الاجتماعي والاقتصادي ، اعتمادا جزئيا على ما يعلم في المدارس . كذلك ، تستخدم الحكومات الكتب المدرسية لتنقل الى التلميذ معرفة تتعلق ببلده وبالأمم الأخرى . وبالتالي ، يمكن أن تكون الكتب المدرسية وسيلة لنقل وتطوير صور سلبية عن البلدان الأجنبية . ويتم ذلك بواسطة عمليتين : الإغفال والإرتكاب Omission and Commission . ويعني الإغفال عدم بحث مواضيع يمكن أن تلقي ضوءا ايجابيا على البلد أو البلدان موضع البحث . والإرتكاب هو عملية يجري بواسطتها تضييق النص اثنوا خارجة عن الموضوع ، غير كاملة ، غير صحيحة ، متحيزة وخاطئة بغية توليد صورة مشوهة وسلبية عن البلد ( البلدان ) أو الجماعة ( الجماعات ) . موضع البحث .

يجدر بنا في هذا النطاق ان نستشهد بلوتر هـ . المانز : « الكتب المدرسية يمكن ان تكون البذرة لخصام نهائي من التفاهم والصداقة الدوليين عن طريق تقديم حقائق صحيحة نوعا وكما وفي موقعها الصحيح ، ولكن يمكنها أيضا ان تكون البذرة لحصول من سوء التفاهم والكراهية والاختلاف بين السكان الوطنيين ونحو طرق الحياة الأخرى عن طريق تقديم اقوال خاطئة ، غير متوازنة وغير صحيحة على انها حقائق » . وكانت هذه الحقيقة هي التي اثارت ، في اعقاب مؤتمر السلام عام ١٩١٩ مباشرة ، قدرا كبيرا من الاهتمام والقلق حول علاقة الكتب المدرسية بالتفاهم والثوابا الحسننة الدولية . ومنذ ١٩٢٦ تبنت عصبة الأمم قرارا يحث اعضاءها على مراجعة كتبها المدرسية لحذف الكره والمعلومات المتحاملة والمقرضة . الا ان المحاولة اخفقت لان الدول الاعضاء لم تتخذ خطوات جدية لتنفيذ القرار . وفي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، قامت عدة بلدان بصورة افرادية ، كما قامت لجان دولية ، بمحاولات لتشجيع البلدان على تحسين نوعية كتبها المدرسية بغية زيادة فرص السلام وتحسين التفاهم الدولي .

والى ذلك ، فان كل حرب عربية - اسرائيلية قد صنعت تدفق الدولارات من الولايات المتحدة الى

الا ان الجهود الجدينة والمخلصة الاولى لازالة المعلومات المشوهة والدعاوة القومية غير الصحيحة من كتب التاريخ والعلوم الاجتماعية المدرسية لم تبذل الا في ١٩٥٠ عندما رعت اليونيسكو حلقتين دراسيتين دوليتين ، احدهما في بروكسيل والاخرى في سيفر . ومنذ ذلك الحين عقدت بضع حلقات دراسية اخرى . ولا بد من القول هنا ان الجهود ليست ناجحة جدا حتى الان . فان دراسة اخرة قام بها المكتب الدولي للتعليم في جنيف تشير الى ان معظم البلدان ما زالت تستعمل كتباً مدرسية لنشر المشاعر القومية ولتعليم الاولاد معلومات مشوهة ومضللة حول البلدان الأجنبية ، وهو امر لا يسهم كثيرا في السلام والانسانية والتفاهم . مثال ذلك ان مراجعة اخرة للكتب المدرسية البريطانية كشفت عن الجملة التالية : « الياباني الماكز طور صناعة الكلفور ووسمها » (٣) .

هذه الدراسة هي محاولة لان أبحث بشيء من التفصيل النزاع العربي - الاسرائيلي كما هو مغروض في كتب العلوم الاجتماعية المدرسية للمدارس الثانوية المتوسطة والعالية للسنة المدرسية ١٩٧٤ - ١٩٧٥ في الولايات المتحدة ، فضلا عن الكتب الاضافية والمكتلة المتواصلة للمعلمين والتلاميذ في مكتبات المدارس . وقد وقع الاختيار على النزاع العربي - الاسرائيلي نظرا لاهميته في السياسة الدولية ، وتفضيلاته للسلام والاستقرار العالميين ، وتأثيره على الاقتصاد الأميركي . لقد بقي النزاع مغنا خلال الاعوام السبعين الماضية وسيبقى مغنا على الأرجح لمدة غير قصيرة . وقد أدى حتى الان الى اربع حروب واسعة النطاق ، سقط خلالها الالوف من القتلى والجرحى . ودامت حرب تشرين الاول - اكتوبر ، ١٩٧٣ ، ١٧ يوما عمدا خلالها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى اعادة امداد المتحاربين بالاسلحة فيما كان القتال محتدما . واقترب كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي من المواجهة : حالة تاهب عالمية للقوات المسلحة الامريكية وصفها الرئيس السابق نيكسون بانها اسوأ أزمة منذ مواجهة الصواريخ الكوبية للعام ١٩٦٢ ( كونغريشنال كورتولي ، ص ٢ ) .

## تدفق الدولارات الى اسرائيل

( لقد دفع حتى الآن ثمن باهظ للملاحة غير الطبيعية بين الولايات المتحدة واسرائيل )

١٩٤٨ - ١٩٧٣

|                                       |   |
|---------------------------------------|---|
| ١٤٧٣ بليون دولار                      | معمونة اقتصادية من حكومة الولايات المتحدة                                   |
| ١٤٤٢ بليون دولار                      | مساعدة عسكرية من حكومة الولايات المتحدة<br>تبرعات خاصة ( معفية من الضرائب ) |
| ٢٤٥٩ بليون دولار                      | مؤسسات  |
| ١٢٩٠ بليون دولار                      | أفراد   |
| ١٢٠٥ بليون دولار                      | سندات اسرائيل*  |
| ١٢٠٥ بليون دولار                      | قروض من مصارف امريكية   |
| ١١٤١٤ بليون دولار                     | المجموع في اكتوبر ، ١٩٧٣  |
| ٢٤٢٠ بليون دولار                      | معمونة عسكرية خاصة لاسرائيل ١٩٧٣  |
| ٢٨٠ بليون دولار                       | تبرعات خاصة وسندات منذ حرب اكتوبر   |
| ١٤٤١٤ بليون دولار                     | المجموع   |
| ( أي ٤٤٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلي ) |   |

\* غير خاضعة لضريبة مساواة الفائدة Interest equalization tax كما هي السندات الاجنبية الاخرى .

بمعلومات موضوعية ومعقولة حول النزاع .

## النزاع العربي - الاسرائيلي

ان جميع الروايات في كتب الدراسات الاجتماعية المدرسية حول النزاع العربي - الاسرائيلي هي مواءمة لاسرائيل اما بشكل صريح او على نحو متع . ولا يمكن اعتبار اي من الروايات مواءمة للعرب حتى بصورة معتدلة . كذلك يخصص لاسرائيل مساحة اكبر مما يخصص للبلدان العربية وتبحث بمزيد من التفصيل . فأحد الكتب المدرسية للصف السادس يخصص صحتين ونصف الصفحة من النص مرفقة بتسع صور جيدة وحديثة لاسرائيل ، في حين لا يخصص للعربية السعودية الا ثلثي صفحة وللعراق ربع صفحة فقط . ويبحث نص آخر احدى عشرة امة ، اثنتان منها مصر واسرائيل . فيخصص المؤلفون ٣٥ صفحة لمصر ، ٦٢ صفحة لاسرائيل ، اي نحو نصف ما هو مخصص لمصر . والى ذلك ، فان طبعات المعلمين او اقسام الاسئلة في نهاية الفصول تشدد ايضا على تعلم موال لاسرائيل باقتراحها ان يضع التلاميذ تقارير

اسرائيل - على الصعيدين العام والخاص . والجدول اعلاه يفصل المعمونة في اكتوبر ١٩٧٣ . وفي الآونة الاخيرة ، وغيبا - تواجه الولايات المتحدة صعوبة اقتصادية بالغة ببطالة تبلغ ٨ ٪ ، طلبت اسرائيل معمونة عسكرية واقتصادية بقيمة بليونين دولار ، تقريبا ١٥٠ بليون دولار من المعمونة العسكرية اما في شكل تسليف او منح ، و ٢٥٠ مليون دولار لاستيراد سلع ونحو ٣٠٠ مليون دولار للمعمونة المؤازرة . وحجم طلب اسرائيل مساو للمبلغ الذي طلبته اسرائيل ، ٢٢٢ بليون دولار ، بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ( ارباب ريبورت ) ، شباط - فبراير ١٩٧٥ ، العدد ٥ ، ص ١ ) .

يؤكد البحث الوارد اعلاه اهمية النزاع العربي - الاسرائيلي ، لذا ستركز دراستنا على كيفية تعريف تلامذة المدارس الثانوية الحالية ، المتوسطة والعالية ، لهذا النزاع ، وهم الذين سيتولون مراكز المسؤولية وسيلعبون ادوارا مباشرة في رسم السياسة الامريكية ازاء هذا النزاع . كيف يبحث في كتبهم المدرسية والى أي حد يزود التلاميذ

او يقوموا بمشروع يرتكز على معلومات مستتقة من وسائل الاعلام . فان كتب الصف السابع المدرسية تقترح المشروعات التالية للتلاميذ : « احتفظوا بسجل تصاصات عن التطورات الراهنة في العلاقة العربية - الاسرائيلية في الاراضي المتوسطة » . ( ارشدوا التلاميذ للأصفاء الى تقارير في نشرات الاخبار الاذاعية والتلفزيونية ثم اكتبوا مقالة لسجل التصاصات . ) « كذلك اطلبوا من التلاميذ ان يجمعوا مواد متعلقة بهذا الموضوع من الصحف ومجلات الاخبار . ابحثوا اية حلول قد تقترحها هذه المقالات مع الصف . ضعوا افضل المقالات في سجل القصاصات » (٤). ويقترح كتاب مدرسي للصف السادس العمل التالي على التلاميذ : « ابدؤوا سجل تصاصات او لوحة نشرات اخبار عن الشرق الاوسط . اجمعوا مقالات وصورا من الصحف والمجلات تصف أحداثا في مصر واسرائيل وبلدان اخرى في الشرق الاوسط » (٥). وبما ان وسائل الاعلام في هذا البلد متحيزة لاسرائيل ودائما تنشر مقالات تعبر بالتفصيل ، بطريقة او باخرى ، عن وجهة نظر اسرائيل ، فان هذه المشروعات والاعمال والاستئلة تميل الى تعزيز وجهات النظر الاسرائيلية وزيادة مصداقيتها .

وبالاضافة الى ذلك ، فان معظم مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية المتوسطة تحتزن قراءات اضافية عن اسرائيل اكثر مما عن العرب . والى ذلك ، يؤلف معظم هذه القراءات الاضافية كتاب يعطون على اسرائيل . ولدى احدى المدارس الثانوية المتوسطة في ساكرامنتو خمسة كتب مكرسة لاسرائيل وحدها ، ولكن كتابين فقط عن الشرق الاوسط بوجه عام ، وكلاهما يحتوي على معلومات عن الاسرائيليين والعرب على السواء . وهذا الوجود الاضائي للقراءات الاضافية حول اسرائيل يتيح للتعلمين ان يتعلموا المزيد عن اسرائيل ويشجع التلاميذ على اختيار اسرائيل بدلا من بلد عربي ، كموضوع لتقاريرهم او مشاريعهم الدراسية . واذا رغب التلميذ في اختيار بلد عربي ، عليه ان يذهب الى مكتبة اخرى في مكان آخر ، وهو امر مزعج لا يبدط من عزم الذين يبلغون الثانية عشرة فحسب ، بل طلاب الجامعات والمعلمين ايضا . . . . . ويتغاضى معظم الكتب المدرسية عن الحق

الشرعي للفلسطينيين ، الذين شردوا من ارضهم التي عاشوا فيها منذ عشرات القرون . وتستخدم عدة كتب بصورة متعمدة كلمة عربي بدلا من فلسطيني لكي يظن القارئ النزاع هو بين جليات الجبار وداود الصغرى ، بين العرب والاسرائيليين ، وليس بين الفلسطينيين والاسرائيلي . وقد جاء في احد كتب الصف السادس : « ان اكبر مشكلة انما سببها العرب الذين فروا من اسرائيل خلال القتال » (٦). ويقول كتاب آخر لنفس الصف : « لادى تأسيس اسرائيل ، فر نصف مليون عربي » (٧) ( لاحظ هنا ان المؤلف استخدم عبارة عربي ، بدلا من فلسطيني عربي . كذلك لاحظ انه يبخص تقدير عدد الفلسطينيين الذين اُكروها على الخروج من ارضهم ) . ويقول كتاب مدرسي للصف السابع : « عام ١٩٤٨ شن العرب ، تعاونهم الجامعة العربية ، حربا على فلسطين » (٨). ( هنا يفترض المؤلفون بأن فلسطين هي ارض يهودية وبأن العرب كانوا يشنون حربا على فلسطين ) . وينشر المؤلف نفسه في الزاوية السفلى اليمنى من الصفحة ٢٥٢ صورة امرأة وفتاة صغيرة . وجاءت تحت الصورة : « تتقاسم هذه الام وطفلتها مصر مليون ونصف المليون لاجء عربي شردتهم الحرب » . واخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « ان كثيرين من العرب الذين كانوا يعيشون في فلسطين الغربية فروا وصاروا لاجئين » (٩). وهذه الكتب المدرسية تديم بشكل او باخر تحريفا غولدا مئير وغيرها من الزعماء الاسرائيليين الذين يزعمون انه لا يوجد هناك شعب فلسطيني . . . . .

وتعرض الكتب المدرسية دائما رواية مؤيدة لليهود ، كما هو واضح من الرواية التالية المعاد سبكها : « كان اليهود يعيشون في اسرائيل لاعوام كثيرة ويحطمون ، رغم التثقت ، بالعودة في يوم من الايام الى ارض الموعد ، التي يسمونها صهيون ، وصار الحلم حقيقة واقعة في ١٩٤٨ عندما أسست اسرائيل » . وفي هذا النطاق ايضا يقول كتاب مدرسي للصف السابع : « الصهيوني يريد تأسيس وطن لليهود . وكان من الطبيعي ان يأملوا في العودة الى وطنهم القديم في فلسطين » (١٠). ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السابع : « كانت الامة الجديدة اسرائيل . . . كانت وطننا لليهود . وكان هذا الشعب قد طرد من

المدرسية المحتوى الكامل لقرار التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧ ، وينسوع خاص الفترة التي دعت الي- منطقة دولية حول القدس ، كما لا تطلع التلميذ على ان الامم المتحدة خرقت مبدأ تقرير المصير في اتخاذها مثل هذا القرار . لقد تجاوزت الجمعية العامة نطاق سلطتها كما حددها الميثاق . وأخفقت المحاولات العربية لرفع القضية الى المحكمة الدولية ، وخضعت الجمعية العامة لضغط الولايات المتحدة السياسي فاقترت القرار . والى ذلك ، فان أيما من الكتب المدرسية لا يبحث كون الجمعية العامة للامم المتحدة اقترت ، في الرابع عشر من ايار ( مايو ) ، ١٩٤٨ ، قرارا آخر بواحد وثلاثين صوتا ضد سبعة اصوات ، مع استنكاف ١٦ عضوا عن التصويت ، وهو قرار من شأنه تعليق الجهد لتنفيذ قرار التقسيم . ومنح القرار الجديد السلطة لوسيط ليتفحص الحالة بأكملها ويوصي بإجراءات قد يعتبر انه يحسن بالجمعية العامة النظر فيها في ما بعد(١٧) .

ويشير معظم الكتب المدرسية ، ان لم يكن كلها، الى ان العرب كانوا المعتدين في النزاع . فقد غزوا دولة اسرائيل الصغيرة لدى اعلان استقلالها . وتدعي بعض الكتب المدرسية ان العرب يعترفون اغتاء اسرائيل . وفي ما يلي بضعة امثلة . فان كتابا مدرسيا للصف السابع يقول : « اعلن اليهود دولة اسرائيل في القسم الذي خصصته لهم الامم المتحدة . ونتيجة لذلك غزت الجامعة العربية اسرائيل من ثلاث جهات »(١٨) . وفي سياق آخر يشير المؤلفون انفسهم الى « الغزو العربي غير الناجح لاسرائيل في ١٩٤٨ »(١٩) . وجاء في كتاب مدرسي آخر للصف السابع : « في الرابع عشر من ايار ، ١٩٤٨ . . . اعلن اليهود دولة اسرائيل كامة جديدة ومستقلة . وعلى الفور شنت الدول العربية الحرب على الدولة الجديدة »(٢٠) . ويدعي كتابا مدرسي للصف السادس : « هجمت جيوش عربية من جميع البلدان المحيطة باسرائيل على الدولة الجديدة . وكان متوقعا من مصر قيادة هذه البلدان »(٢١) . ويقول نص آخر : « في ١٩٤٨ قام العرب ( يعني الفلسطينيين ) تعاونهم الجامعة العربية ( مصر ، سوريا ، لبنان ، الاردن ، العراق ، العربية السعودية واليمن ) بشن حرب على فلسطين »(٢٢) . ويقول المؤلف نفسه في نص

وطنه منذ مئات السنين »(١١) . وأخيرا ، يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « منذ ذلك الحين ( العام ٧٠ ميلادي ) حلم الشعب اليهودي بالعودة الى وطنه . لكن فلسطين كانت في القبضة المتينة لحكام مسلمين . ولم يكن بإمكان اليهود العودة »(١٢) . ويقول كتاب مدرسي للصف السابع : « في الازمنة القديمة كانت القدس عاصمة المملكة اليهودية . ولنحو النفي سنة خلت دمرت المملكة . واعتقد كثيرون من اليهود الذين تبعثروا في بلدان أخرى انهم ذات يوم سيغدودون الى أرض اجدادهم . وكانوا كل سنة في عيد الفصح يعربون عن الامل : « السنة القادمة في القدس »(١٣) . ولا يشرح اي من الكتب المدرسية الاهداف السياسية للحركة الصهيونية في استعمار فلسطين واقامة رأس جسر للدولة الامبريالية .

تشير جميع الكتب المدرسية الى قرار الامم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، ١٩٤٧ ، الذي قسمت فلسطين بموجبها الى دولة يهودية ودولة عربية . ويقول احد الكتب المدرسية الخاصة بالصف السادس : « قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى قسمين . فصار نصفها بلدا حرا [ لاحظ هنا استخدام المؤلف كلمة « حر » للبلد اليهودي فقط . بهذه الطريقة ينشر التحيز والمحاباة ضد العرب بالاستدلال ] للشعب اليهودي . وصار النصف الآخر جزءا من الاردن »(١٤) . ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « في التاسع والعشرين من نوفمبر ، ١٩٤٧ ، وافقت الجمعية العامة على تقسيم فلسطين باقتراع ٣٣ الى ١٣ ، مع عدم اقتراع ١٣ آمة على القضية . واقترح كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للتقسيم(١٥) . ويزعم كتاب آخر : « كانت الحالة متفجرة الان ، فتدخلت الامم المتحدة وأوصت بتقسيم فلسطين الى دولتين منفصلتين ، عربية ويهودية »(١٦) . تزعم الكتب المدرسية الاضافية للصف الثامن ان الامم المتحدة قسمت فلسطين الى دولتين ، اسرائيل والاردن . « في ١٩٤٧ ، قسمت الامم المتحدة فلسطين الى دولتين ، اسرائيل الى الغرب ، والاردن الى الشرق . وصارت اسرائيل بلدا يهوديا والاردن بلدا عربيا » . خلط المؤلف هنا بين الدولة العربية والاردن . ولم ينشر اي من الكتب

آخر: « قامت قوات عربية من عدد من البلدان ، بينها مصر والاردن وسوريا والعراق ، بغزو اسرائيل . وكان اليهود مصممين على المحافظة على حريتهم . فردوا الغزاة على اعقابهم » (٢٣) . ويقول كتاب مدرسي للصف السادس : « لم يرض العرب بالحل ( خطة تقسيم الاسم المتحدة ) . فقامت جيوش مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان والعربية السعودية بغزو اسرائيل . لكن الاسرائيليين هزموا الجيوش العربية شر هزيمة على كل جبهة » (٢٤) . واخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « رفضت امم الشرق الاوسط وشمال افريقيا العربية الاعتراف بامة اسرائيل الجديدة وكانت مصممة على تدميرها . واندلعت حرب ، في ١٩٤٨ ، بين اسرائيل والامم العربية » (٢٥) . مثل هذه المعلومات التاريخية المضللة والمشوهة التي حد بعيد تنسم عقول التلاميذ ضد العرب . وان ايا من الكتب المدرسية المذكورة اعلاه لا يخبر التلاميذ الجانب العربي من القصة — علما بأنه هو الجانب الصحيح . كما لا تحاول ان تخبر التلاميذ ان الجماعة الصهيونية احتلت الكثير من القرى والمدن والاراضي الواقعة في « القسم العربي من فلسطين » قبل الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ بوقت طويل . فقد تولت الجالية الصهيونية في فلسطين الامور على هواها بعد قرار الامم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من نوفمبر ولجات الى القوة ، فهاجمت واحتلت مدنا وبلدانا رئيسية في فلسطين قبل انسحاب القوات البريطانية في الخامس عشر من مايو ، ١٩٤٨ ، أي قبل التأسيس الرسمي لدولة اسرائيل . وليس هذا بالمكان المناسب لدعم هذه الحقيقة بالوثائق ، ولكن يكفي ان نستشهد برئيس وزراء اسرائيل السابق بن غوريون : « قبل ذهاب البريطانيين ، لم يدخل العرب او يستولوا على اية مستوطنة يهودية بها كانت بعيدة ، في حين ان الهاجانا . . . استولت على العديد من المراكز العربية وحررت طبريا وحيفا ويافا وصدد . . . وهكذا في يوم القدر كان ذلك الجزء من فلسطين حيث تستطيع الهاجانا العمل خاليا من العرب » (٢٦) . وفي مقدمة كتاب يوسف اوليتزكي من الاضطرابات الى الحرب ، اعيد نشرها في كتاب بن غوريون « بحث اسرائيل وقدرها » تحت عنوان « بدلا من خلاصة » كتب

وتعمل عدة كتب مدرسية ان تخبر التلاميذ لماذا نزع الفلسطينيون عن ديارهم . فأخذ الكتب المدرسية يقول : « الا ان هناك ، اليوم ، قلة من العرب في اسرائيل . وقبل تنظيم الامة الجديدة ، وقعت حرب بين شعب اسرائيل والبلدان العربية المجاورة ، التي فر اليها معظم العرب في اسرائيل » (٢٨) . ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس ان العرب « فروا من اسرائيل خلال القتال . كان الوف منهم قد ذهبوا الى الاردن المجاورة » (٢٩) . ويدعي كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « لدى تأسيس اسرائيل ، فر نصف مليون عربي » (٣٠) . واخيرا جاء في كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « ان كثيرين من العرب الذين فروا من اسرائيل خلال الحرب صاروا الان مشردين ، يقتلهم الجذور ، يعيشون في الفقر ، داخل حدود اسلامية » (٣١) . واهملت جميع الكتب المدرسية ان تخبر التلاميذ ان الفلسطينيين اكرهتهم على الخروج وطردتهم المناسة الصهيونية الرامية الى افراغ البلاد من سكانها الوطنيين . كما تهمل جميعها بحث السياسة الصهيونية الرامية الى الاستعمال الواسع النطاق للحرب النفسية التي تستهدف خلق الذعر والخوف بين الفلسطينيين كيما يغادروا بيوتهم . فقد كانت الضربة الاكثر تدميرا للسكان الفلسطينيين هي القتل الوحشي لنحو ٢٥٠ شيخا وامراة وطفلا في قرية دير ياسين المسالمة . وكان تشويه الجثث والتفيل بها ، وعرض

آخر: « قامت قوات عربية من عدد من البلدان ، بينها مصر والاردن وسوريا والعراق ، بغزو اسرائيل . وكان اليهود مصممين على المحافظة على حريتهم . فردوا الغزاة على اعقابهم » (٢٣) . ويقول كتاب مدرسي للصف السادس : « لم يرض العرب بالحل ( خطة تقسيم الاسم المتحدة ) . فقامت جيوش مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان والعربية السعودية بغزو اسرائيل . لكن الاسرائيليين هزموا الجيوش العربية شر هزيمة على كل جبهة » (٢٤) . واخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « رفضت امم الشرق الاوسط وشمال افريقيا العربية الاعتراف بامة اسرائيل الجديدة وكانت مصممة على تدميرها . واندلعت حرب ، في ١٩٤٨ ، بين اسرائيل والامم العربية » (٢٥) . مثل هذه المعلومات التاريخية المضللة والمشوهة التي حد بعيد تنسم عقول التلاميذ ضد العرب . وان ايا من الكتب المدرسية المذكورة اعلاه لا يخبر التلاميذ الجانب العربي من القصة — علما بأنه هو الجانب الصحيح . كما لا تحاول ان تخبر التلاميذ ان الجماعة الصهيونية احتلت الكثير من القرى والمدن والاراضي الواقعة في « القسم العربي من فلسطين » قبل الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ بوقت طويل . فقد تولت الجالية الصهيونية في فلسطين الامور على هواها بعد قرار الامم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من نوفمبر ولجات الى القوة ، فهاجمت واحتلت مدنا وبلدانا رئيسية في فلسطين قبل انسحاب القوات البريطانية في الخامس عشر من مايو ، ١٩٤٨ ، أي قبل التأسيس الرسمي لدولة اسرائيل . وليس هذا بالمكان المناسب لدعم هذه الحقيقة بالوثائق ، ولكن يكفي ان نستشهد برئيس وزراء اسرائيل السابق بن غوريون : « قبل ذهاب البريطانيين ، لم يدخل العرب او يستولوا على اية مستوطنة يهودية بها كانت بعيدة ، في حين ان الهاجانا . . . استولت على العديد من المراكز العربية وحررت طبريا وحيفا ويافا وصدد . . . وهكذا في يوم القدر كان ذلك الجزء من فلسطين حيث تستطيع الهاجانا العمل خاليا من العرب » (٢٦) . وفي مقدمة كتاب يوسف اوليتزكي من الاضطرابات الى الحرب ، اعيد نشرها في كتاب بن غوريون « بحث اسرائيل وقدرها » تحت عنوان « بدلا من خلاصة » كتب

١٩٥٦ ، نتيجة لإغلاق الرئيس عبد الناصر خليج العقبة « (٣٥) ». وأخيرا يقول كتاب مدرسي للصف الثامن : « في ١٩٥٦ . انسحبت القوات البريطانية ، واستولت مصر على القناة وأغلقتها في وجه السفن الإسرائيلية . ثم أرسلت إسرائيل جيشا ليهبط على القناة ، ونزلت القوات البريطانية والفرنسية للاستيلاء على منطقة القناة . وقد أرادت إن تخير مصر على إبقاء القناة مفتوحة لسفن جميع الأمم « (٣٦) . ولم يحاول أي من الكتب المدرسية تقديم الجانب العربي من القصة كما أن أيا منها لم يذكر هجوم إسرائيل على المركز الفلسطيني في غزة في شباط ( فبراير ) ١٩٥٥ الذي قتل فيه الكثيرون من الجنود المصريين ، وهو حدث أدى إلى إحياء اهتمام مصر في بناء جيش قوي .

جميع الكتب المدرسية التي تبحت ١٩٦٧ تتجوز باليوم بصورة ثابتة على العرب للحرب وعلى الرئيس المصري عبدالناصر بنوع خاص . مثال ذلك ان كتابا مدرسيا للصف السابع يقول : « تخم العرب على شن هجوم على إسرائيل فدمرتة وكانت مصر قائدة الهجوم » . ويضي المؤلف قائلا : « هوجت إسرائيل مرة أخرى من ثلاثة جوانب من قبل جيرانها العرب « (٣٧) . « خلال ربيع ١٩٦٧ ، اعترضت مصر سفينة إسرائيلية تتحرك من البحر الأحمر الى خليج العقبة ، فشنّت إسرائيل الحرب على الفور ! » ( علما انه ليست هناك أدلة تؤيد هذا الزعم . فقد قال عبدالناصر انه لن يسمح لسفن ترزح العلم الإسرائيلي ، أو لسفن تحمل مواد استراتيجية ، بعبور مضيق تيران . ولم ترسل إسرائيل أية سفينة لعبور المضيق قبل حرب الأيام الستة ) . ويقول المؤلف نفسه في سياق آخر : « كانت الحرب الثالثة في ١٩٦٧ ، ومرة أخرى كان السبب المباشر إغلاق خليج العقبة « (٣٨) . وأخيرا يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « في حزيران ١٩٦٧ سدت الجمهورية العربية المتحدة ، التي كانت ما تزال بقيادة عبدالناصر ، منفذ إسرائيل الى البحر الأحمر ونقلت قوات الى حدود إسرائيل . ودعا عبدالناصر جميع الدول العربية الى سحق إسرائيل والمطالبة بها من جديد كأرض عربية . لكن إسرائيل ردت الجيوش العربية على اعتبارها « (٣٩) . ولم يتحدث أي من الكتب المدرسية عن سلوك إسرائيل العدوانية في الأشهر التي سبقت حرب

ال فلسطينيين الذين لم يسقطوا قتلى في سيارات شحن مكشوفة عبر القدس المجاورة ليصق عليهم ، والمؤتمر الصحافي الذي عقد للإعلان عن العمل الشنيع ، من صنع احدي وحدات القوة الاسرائيلية السرية ، ارغون زفاني ليثومي . هذا الحادث وغيره خلق مناخا من الذعر والخوف والخيبة دفع الكثيرين من الفلسطينيين الى البحث عن السلامة في البلدان العربية المجاورة . وحتى قبل التأسيس الرسمي لإسرائيل في الخامس عشر من مايو ، ١٩٤٨ ، كان ما يزيد على ٣٠٠ الف فلسطيني قد أخرجوا من فلسطين الى مكان آمن في بلد مجاور .

ان الكتب المدرسية تغفل وتخبيء حقائق عديدة قد تؤدي صورة إسرائيل . مثال ذلك ان أيا من الكتب المدرسية التي شملتها هذه الدراسة ، في معرض بحثها اغتيال وسيط الأمم المتحدة السويدي برنادوت مع معاونه العقيد الفرنسي في السابع عشر من أيلول ( سبتمبر ) ، ١٩٤٨ ، في القدس ، لا يذكر ان عصابة شترن هي التي قتلتة . فنجد الكتب المدرسية للصف السابع يقول : « الوسيط الاول ، الكونت برنادوت من السويد ، قتل « (٣٦) . ويقول كتاب مدرسي آخر : « أرسلت الأمم المتحدة لجنة وساطة برئاسة الكونت فولك برنادوت السويدي لتقريب هدنة ، وفي سبتمبر ، اغتيل برنادوت في القدس « (٣٦) . كما ان أيا من الكتب التي شملتها الدراسة لا يذكر ان جناحا من فندق الملك داود يضم عسكرياوية الحكومة وجزءا من مقر القيادة العسكرية NSF في الثاني والعشرين من تموز ( يوليو ) ، ١٩٤٦ ، مسببا الموت لنحو مئة موظف حكومي ، بريطاني وعربي ويهودي .

وتبيل معالجة حرب ١٩٥٦ بين المصريين والإسرائيليين الى ان تكون سطحية ، متحيزة ، وأحيانا تبقى بلا بحث على الإطلاق . فالكتب المدرسية للصف السابع تقول : « انه ( أي عبدالناصر ) معاد بمرارة لإسرائيل وقد اثارت اصطداماته الصادة مع سوريا خوفا نسي إسرائيل الى حد انها غزت مصر في أواخر ١٩٥٦ . وكذلك هاجمت مصر كل من بريطانيا وفرنسا ، لتلقها على سلامة القناة « (٣٤) . ويصف كتاب مدرسي آخر للصف السادس حرب ١٩٥٦ على النحو التالي : « جاءت ( الحرب ) الثانية في

جميع مجالات الحياة ، ولا سيما في تحويل الصحراء الخالية الى « واحة بزهره » . وعلى نحو مناير ، تشدد جميع الكتب المدرسية على تأخر وتخلف العرب وعجزهم عن التنمية رغم الموارد الهائلة الموجودة تحت تصرفهم . ولا بد ان يؤدي مثل هذا التصوير الى قنبي التلاميذ شعورا متعاطفا مع وجهة نظر اسرائيل ومؤيدا لها . وفي ما يلي عدة امثلة مستقاة من كتب مدرسية مختلفة خاصة بالصف الثالث الى الصف الثامن . فان كتابا مدرسيا للصف الثالث يصف « إنجازات اسرائيل » على النحو التالي : « لنحو ثلاثين سنة خلقت ، قامت أمة جديدة ( اسرائيل ) في اراضي آسيا الصحراوية » . ويكمل المؤلفون : « عندما وصلوا ( أي اليهود ) الى اسرائيل ، شاهدوا الارض الجافة المقفرة . ولم يكن يهطل فيها الكثير من المطر . وكانت قلة من الناس تعيش في الصحراء . فبنى الرواد الاوائل مجتمعا في الصحراء . وزرعوا المحاصيل . وشيدوا المنازل ، وبيطه صمات الصحراء خضراء » (٤٦) . ومؤلف هذا النص يري القراء صورتين ، احدهما تتعلق بالصحراء التي اكتشفها اليهود لدى وصولهم الى فلسطين ، والصورة الثانية تظهر إنجاز الاسرائيلي في جعل الصحراء تزهر . ويصف كتاب مدرسي آخر للصف الثالث إنجازات اسرائيل على النحو التالي : « كانت الثقب صحراء لآلاف السنين . وكان يعتقد ذات يوم انه لا يمكن انتاج اية غلال في هذه الارض الحارة الجافة . واستقر شعب اسرائيل في الثقب . فروض الصحراء بالعمل المجتهد والماء والعلم » . ويقول كتاب مدرسي للصف الخامس : « اسرائيل هي أمة من الناس يخلقون ، بواسطة التفكير الواسع الخيال والتخطيط الدقيق والعمل المجتهد ، مزارع وكروم غناب خصبة من الاراضي الصحراوية القاحلة والمستنقعات » (٤٤) . ويقول المؤلفون انفسهم في سياق آخر : « لم يسبق لشعب قط ان عمل باجتهد اكبر ، ضد جموعات اعظم ، لاعادة تعمير ارض اصبحت مدينة الحياة وقاحلة بسبب ترون من الاهمال . لكن شعب اسرائيل يواجه التحدي بخيال واسع ونشاط ، وهو ببعونة العلم الحديث يحول ارضا مقفرة خاوية الى امة نشيطة منتجة » (٤٥) . ويقول كتاب مدرسي آخر للصف السادس : « حينما وصل المهاجرون اليهود الى فلسطين في اوائل القرن العشرين وجدوا ارضا من

الخامس من يونيو ( ١٩٦٧ ) . وهو سلوك كان من شأنه تصعيد التوتر الى حد كبير وافضى الى الازمة التي نجحت عنها الحزب . ففي الثالث من نوفمبر ، ١٩٦٦ ، على سبيل المثال ، كانت اسرائيل قد سددت ضربة برية جسيمة الى قرية السموع الاردنية قتل فيها عدد من المدنيين والجنود الاردنيين . وتهدم قسم كبير من القرية . كذلك فان ضربة جوية ضد سوريا في المسابع من ابريل اوصلت الطائرات الاسرائيلية الى مسافة لا تبعد عن دمشق غير بضعة اميال . ولا يأتي اي من الكتب المدرسية على ذكر التصاريح المهيبة للمشاعر التي ادلى بها القادة الاسرائيليون ضد سوريا في شهر ابريل . ومعالجة حرب ١٩٦٧ في الكتب المدرسية هي معالجة منمجة جدا بالفعل ولا تمكن التلميذ من تقدير وادراك تعقيدات المسألة ولا تساعده في اتخاذ قرار قويم فيما يتعلق باسباب الحرب ونتائجها .

وتنقسم عدة كتب مدرسية استهزأ العدا في الشرق الاوسط عن طريق الانحاء باللوم على العرب . فالمرء يتعلم من احد الكتب المدرسية للصف السابع ان « عداة الامة العربية نحو اسرائيل يمتد المسائل ايضا في الشرق الاوسط » (٤٠) . ويقول نص آخر : « ان الكراهية المشتركة التي يشعر بها العرب نحو اسرائيل تشكل ما يمكن تسميته ازمة دائمة » (٤١) . ولا يهتم اي من الكتب المدرسية باخبار القارئ عن الكراهية الاسرائيلية نحو العربي . ويشرح احد الكتب المدرسية العداة العربي نحو اسرائيل على انه ناجم عن كون الاخيرة بلد ديموقراطي . يقول كوليرزون : « ان مثال الديموقراطية في اسرائيل يخلق مشكلة لبعض البلدان العربية . ويخشى الحكام ان تتعلم شعوبهم من الامثلة التي يقدمها اليهود ، وقد تطالب بان يكون لها صوت اعظم في اختيار المسؤولين وفي ادارة الحكومة . واذا ما نبت هذه الحركة ، فان الخطر قد يهدد الحكم الدكتاتوري في عدة امم عربية » (٤٢) . الا انه لا يصر الى اطلاع القارئ على الاقلية العربية في اسرائيل ومعالجة عرب فلسطين كموطنين من الدرجة الثانية .

النقطة الاخيرة التي يجب التشديد عليها في هذا البحث هي التصوير والتشديد المتواصل للكتب المدرسية المذكورة على « إنجازات اسرائيل في

يستشهد بالكثير من المسافرين الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الاوروبيين ، الذين زاروا فلسطين في القرون السابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر ، مما يفيد بأن « أجزاء كبيرة من فلسطين كانت منذ عهد بعيد خصيبة ومنتجة » (٥١).

كما ان هذه الكتب المدرسية لا تخبر القارئ بأن مشاريع الري في صحراء النقب تبين انها غير اقتصادية منذ ١٩٥٥ . الا انه ابقى على هذه المشاريع لاسباب عسكرية وسياسية .

لقد اظهر البحث القصير اعلاه ان معالجة النزاع العربي - الاسرائيلي في الكتب المدرسية المستخدمة في كل من المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية المتوسطة في كاليفورنيا ولايات اخرى هي معالجة غير مرضية على الاطلاق . فالكثير منها يحتوي على اقوال هي اما غير صحيحة ، او مشوهة ، او غير كاملة ، او تروي جانباً واحداً من القضية . وبالتالي يميل التلاميذ الى تطوير انطباعات وافكار خاطئة حول هذا النزاع . ويؤدي بهم هذا الى العطف على وجهة النظر الاسرائيلية وتأييدها . وتدعو الحاجة الى بذل جهود عظيمة لتصحيح الوضع . ولتحقيق ذلك نقترح برنامجاً يتألف من خمس خطوات :

١ ) ينبغي جعل المواد الاضافية المكملة حول النزاع ، والمثلة لوجهة النظر العربية ، للمستويين الابتدائي والثانوي ، متوفرة لكل من المعلمين والتلاميذ .

٢ ) ينبغي القيام بمحاولة لاتعاق الناشئين بعرض نظرة متوازنة الى النزاع .

٣ ) . واخيراً - وربما كانت هذه هي الخطوة الاهم - على العرب ان يتصلوا بجالس التعليم في الولايات المختلفة وينصحوها باختيار نصوص تزود القارئ بأبحاث متوازنة للنزاع .

٤ ) يجب الاتصال بالمعلمين لدعوة محاضرين يمثلون وجهة النظر العربية .

٥ ) اقامة ندوات خاصة وحلقات دراسية حول النزاع لمعلمي المدارس الابتدائية والثانوية ، لكي تتاح الفرصة امام المعلمين لمعرفة الجانب العربي من المسألة .

الصحاري ، جاءوا الى فلسطين بقليل من المال وببضعة موارد . وتجمع المهاجرون معا لمواجهة مشقات محاولة جعل الصحراء ارضا زراعية » . ( The Social Science ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤٤ ) . ويقول كتاب مدرسي آخر : « اسرائيل بلد آخر ذو صحراء . لكن خطوط انابيب قد مدت ، مزودة بعض مناطق الصحراء بالماء . وبفضل خطوط الانابيب ، صار الري ممكناً ، وشيدت هنا وهناك مستوطنة زراعية تدعى كيبوتز » (٤٦) . وأرفق المؤلف النص بسبع صور جميلة تمثل التغيير والاسلوب الحديث للحياة في كيبوتز في صحراء اسرائيلية . ويصف كتاب مدرسي للصف السابع جهود اسرائيل لجعل الصحراء تزهر على النحو التالي : « ان قناة ونفقا وخط انابيب تحمل الماء الى اراضي صحراء النقب في الجنوب فتجعل من الممكن زراعة ألوف الهكتارات الاضافية من الارض . وهذا مثل جيد على ما يمكن فعله لجعل المناطق الصحراوية مفيدة نافعة » (٤٧) . وتحدث كتاب مدرسي آخر للصف السابع عن انجاز اسرائيل على النحو التالي : « عن طريق الري والعمل الجتهد ، حول الاسرائيليون الكثير من المناطق الصحراوية سابقا الى بساتين حمضيات مزهرة ، وحقول تمح ، وبساتين تين وشجر زيتون » (٤٨) . ويدعي كتاب مدرسي آخر للصف السابع : « تم ادخال أحدث طرق الزراعة العلمية ، فالاسمدة تستخدم لاعادة الخصوبة المفقودة الى التربة . وجفنت المستنقعات . ورويت ألوف الهكتارات من الصحراء بالماء من آبار عميقة وسدود جديدة » (٤٩) . وأخيراً ، يقول كتاب مدرسي للصف السادس : « التربة جيدة جدا في منطقة النقب بالجنوب ، لكن متوسط سقوط المطر لا يزيد على بوصة واحدة . وتستخدم اسرائيل خطوط الانابيب لنقل نحو ٣٢٠ مليون متر مكعب من الماء سنويا من بحيرة كينيريت ( بحيرة الجليل ) في الشمال الى النقب الجاف . وفي عشرين سنة زادت اسرائيل الارض التي يمكن استخدامها للمحاصيل بنسبة ٥٠٠ ٪ » (٥٠) . وتديم جميع هذه الكتب المدرسية ، الاسطورة الصهيونية القائلة بأن ارض فلسطين كانت صحراء . وتدحض الادلة التاريخية هذا الافتراض حذفاً قاطعاً . ففي مقالة لرتشارد بينيز ، استاذ الانكليزية في الجامعة الامريكية في بيروت ، عن جعل الصحراء تزهر ،

## : الحواشي

- ٢٤ - مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .
- ٢٥ - مصدر رقم ٦ ، ص ٧١١ .
- Ben-Gurion. *Rebirth and Destiny of Israel*, New York : Philosophical Library, 1954, p. 530
- ٢٧ - المصدر السابق ، ص ٢٩١ .
- Barrows, Harlan, *et al.*, *Old World Lands*, Chicago: Silver Burdett Co., 1961, p. 168
- ٢٩ - مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .
- ٣٠ - مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .
- ٣١ - مصدر رقم ٥ ، ص ٢٥٣ .
- ٣٢ - مصدر رقم ٨ ، ص ٥٥٣ .
- ٣٣ - مصدر رقم ١٠ ، ص ٥٧٩ .
- McCrocklin, James, *The Making of Today's World*, Boston: Allyn & Bacon, Inc., 1962, p. 704
- ٣٥ - مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .
- ٣٦ - مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .
- ٣٧ - مصدر رقم ٥ ، ص ٢٥٣ .
- ٣٨ - مصدر رقم ٧ ، ص ٢٣٧ .
- Okum, Mitchell, *The Challenge of America*, New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1973, p. 735
- ٤٠ - *Wallbank, et al.*, *Living World History*, Atlanta: Scott, Foresman & Co., 1964, p. 720
- ٤١ - مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٨٩ .
- ٤٢ - مصدر رقم ٨ ، ص ٥٥٣ .
- ٤٣ - مصدر رقم ١١ ، ص ١٦٤ .
- Gartler, Marion, *et al.* *Understanding Israel*, Sacramento, CA, State Department of Education, 1969, p. 6.
- ٤٥ - المصدر السابق ، ص ٧ .
- Bacon, Phillip, *Regions Around the World*, Palo Alto: Field Educational Publ. Inc., 1972, p. 123
- ٤٧ - مصدر رقم ٨ ، ص ٣٢٨ .
- ٤٨ - مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٩٧ .
- Ahischwed, Ben, *Exploring the Old World*, p. 91
- ٥٠ - مصدر رقم ٥ ، ص ٢١٨ .
- ٥١ - نشرت المقالة في مجلة شؤون فلسطينيين ، عدد ٢ في مايو ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .
- Black, Hillel. *The American School Book*, New York: William Morrow & Co., 1967, p. 5.
- Los Angeles Times*, December 10, 1973, p. 3
- Sacramento Bee*, May 27, 1969. — ٢
- Yohe, Ralph Sandlin, *et al.*, *Exploring Regions of the Eastern Hemisphere*, Chicago: Follett Educational Corp, 1971, p. 72
- Davis, O., *Learning About Countries and Societies*, New York: American Book Co., 1971, p. 256
- Hunnicot, C. W., *The Great Adventure*, Syracuse: The Lo W. Singer Co., 1963, p. 350.
- Shorter, Bani, *et al.*, *Eleven Nations*, Lexington, Ginn and Co., 1972, p. 237
- Kolevzon, Edward, *et al.*, *Our World and Its People*, Allyn and Bacon, 1968, p. 326
- Wood, L. C., *et al.*, *America, Its People and Values*, New York : Harcourt Brace, Jovanich, 1975, p. 761
- Roger, Lester, *et al.*, *Story of Nations*, New York, Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1965, p. 758
- McKay, S. W., *The Communities We Build*, Chicago : Follet Publishing Co., 1973, p. 164
- ١٢ - مصدر رقم ٦ ، ص ٢٤٩ .
- Cooper, Kenneth, *The Changing Old World*, Sacramento, CA. State Department of Education, 1964, p. 67
- ١٤ - مصدر رقم ٦ ، ص ٣٥٠ .
- ١٥ - مصدر رقم ٥ ، ص ٢٤٨ .
- Platt, Nathaniel, *Our World Through the Ages*, New York : Muriel Jean Drummond, 1967, p. 696
- Sayegh, Faye. *The Arab-Israeli Conflict*, New York: The Arab Information Center, 1964, p. 19.
- ١٨ - مصدر رقم ١٦ ، ص ٦٦٦ .
- ١٩ - المصدر السابق ، ص ٦٩٧ .
- ٢٠ - مصدر رقم ١٠ ، ص ٧٥٩ .
- ٢١ - مصدر رقم ٥ ، ص ٢٤٨ .
- ٢٢ - مصدر رقم ٨ ، ص ٢٢٧ .
- ٢٣ - المصدر السابق ، ص ٥٥٣ .

## الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة

الوطنية للطلاب العرب ، او تقدير لمصالحهم وتطلعاتهم ، وبما ان السلطات المحتلة قد اعلنت عن ضم القدس نهائيا الى اسرائيل رغم ارادة المجتمع الدولي وهيئاته ، فقد ألغت نهائيا مناهج التعليم العربية في هذه المدينة واستبدلتها بمناهج جديدة تخدم أهداف التوسع الاسرائيلي ، وتربوي الطلبة العرب بروح التسويب واللاوطنية ، ولائحات ذلك نورد هنا بعض الامثلة التي توضح مدى التلاعب والابتخاف بالقيم من خلال العبث بالمناهج التعليمية العربية .

**في القدس :** لقد برز التشويه وتزييف الحقائق على أشده في مناهج التاريخ والاجتماعيات واللغة العربية والتربية الاسلامية ، ومن مطالعة المناهج المفروضة على طلاب القدس نلاحظ الظواهر التالية : أ - تكثيف المعلومات عن تاريخ اسرائيل في مختلف العصور وخاصة العصور القديمة منها والتأكيد على انها جزء من المنطقة . ب - حشو ادمغة الطلاب بالمعلومات المفصلة عن دولة اسرائيل وتطوراتها واسسها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمثل العليا التي تقوم عليها (٢) . ج - محاولة خلق اجيال عربية مهزوزة غائقة لكل صلة حية مع جذورها ، ووضعية الارتباط بالارض والوطن ، كجزء من مخطط انتهاء الوجود الوطني والكنافي للشعب الفلسطيني .

ان نظرة متأنية الى منهاج التاريخ للصفوف الخامس والسادس والثامن . ترينا الى أي حد يجري الاهتمام بتاريخ اليهود . والى أي حد بالمقابل يجري تشويه التاريخ العربي وعدم التركيز على أية قيمة من القيم الانسانية التي يحويها هذا التاريخ . ففي منهاج التاريخ للصف الخامس الابتدائي يحتل الحديث عن العبرانيين تلك المنهج الدراسي بالاضافة الى ان بقية مواد المنهج تدرس من زاوية علاقتها باليهود في فلسطين ، فمدى دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم يركز المنهج على انتشار المستوطنات اليهودية المزدهرة في الجزيرة . وفي دراسة الامبراطورية الفارسية يجري التركيز على كورش مبدئ تعاطفا شديدا معه . كما يبرزون تصريحه بالعودة الى اسرائيل وبناء الهيكل الثاني ، وفي دراسة اليونان يتناول

تجاول اسرائيل باستمرار ان تدعي بأنها « واحة الديمقراطية » في الشرق الاوسط . وان احتلالها للارض العربية هو « عدل » احتلال ظهر نسي التاريخ ، وان العرب يفتخرون تحت ظل الاحتلال الاسرائيلي بامتيازات وحرقات لم تكن متاحة لهم من قبل . فهل تتسجم هذه الادعاءات مع منطق الواقع وحقيقة الاوضاع التي يعيشها العرب تحت الاحتلال ؟ مما لا شك فيه ان اسرائيل تستفيد الى حد كبير في مغالطاتها حول الديمقراطية من مظاهر معاداة الديمقراطية التي تنتفش في اكثرية البلدان العربية ، كما ان اوضاع التخلف المترتبة على استمرار التبعية للامبريالية في بعض هذه البلدان ، تعطي اسرائيل مظلة مناسبة لتزوير الحقائق عن الوضع الفكري والثقافي والاقتصادي الذي يعاني منه العرب في ظل الاحتلال .

فمن بين كافة انواع العنف والارهاب تبرز مسألة الاضطهاد الفكري والثقافي في الارض المحتلة كأنصع دليل على مدى الانسحاق الذي يتعرض له العرب على أيدي السلطات الاسرائيلية المحتلة . ومدى القهر الذي يجعل حياتهم جحيما لا يطاق . مما يحتم ضرورة التخلص من الاحتلال في اسرع وقت ومواصلة الحياة في حرية وكرامة وسلام .

### تغيير المناهج التعليمية

لم تقتصر عملية تزوير الحقائق عن الوضع في الارض المحتلة على أجهزة الاعلام الاسرائيلية الرسمية . ففي عملية مسح قام به فريق من الباحثين من دائرتي جغرافية وتاريخ الشرق الاوسط في جامعة حيفا يتأولون التذليل على ان « هدف السلطات الاسرائيلية بعد الحرب مباشرة كان اعادة الحياة الطبيعية بسرعة الى جميع القطاعات ، متبعة في ذلك مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للسكان » (١) .

الا ان الواقع يشير الى عكس ذلك تماما . فبمناذ الايام الاولى لاحتلال القدس والضفة الغربية اطلقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي يدها في مناهج التعليم العربية تغيرها وتشويهها وتبلاؤها بالمغالطات التاريخية التي تخدم اهدافها التوسعية والعدوانية ، دون أي اهتمام بهراعاة المشاعر

يهودية منذ القدم<sup>(٩)</sup>.

ب - اعداد الطلاب نفسيا لنوايا اسرائيل التوسعية ، بحيث تظهر هذه النوايا وكأنها طموحات قومية مشروعة ، « فني كتاب ( اسرائيل : جغرافيا وموطن ) وعلى الصفحة ٢٣ تحت عنوان ( حدود اسرائيل ) نقرأ ( الحدود الطبيعية لاسرائيل تمتد من نهر القاسية في الشمال الى ايلات في الجنوب ومن البحر المتوسط في الغرب الى غور الاردن في الشرق ) »<sup>(١٠)</sup> . وعلى الصفحة ١٢٧ من كتاب آخر عن جغرافية اسرائيل ذكر ان غور الاردن يقسم اسرائيل الى قسمين شرق اسرائيل وغرب اسرائيل<sup>(١١)</sup> . ومن الضروري هنا ان نلاحظ تناقض التحديد السابق مع هذا التحديد ، ومدى النزعة التوسعية التي ينطوي عليها التحديد الاخر .

ج - اضعاف ايمان الطالب العربي بنفسه وبقومه وذلك باظهار تأخرهم والحط من شأنهم اجتماعيا واقتصاديا . « فني كتاب اسرائيل جغرافيا وموطن على الصفحة ١٨٦ وخلال بحث عن العربية السعودية ذكر ان الماء نادر وعزيز المثال ، وهناك من لا يقتلون غالبا ، لانه لا يوجد ماء من اجل الاستحمام . والبدو يسحون أيديهم في الرمل من اجل تنظيفها من الاوساخ »<sup>(١٢)</sup>.

« يستخدم نفس الكتاب صورا تظهر النواحي البدائية في المجتمع العربي مع تعليقات تحت الصور لتأكيد هذه البدائية ، على الصفحة ١٤٧ مثلا صورة لدمشق تظهرها مجموعة اكواخ طينية »<sup>(١٣)</sup>.

اما بالنسبة لمنهج التربية الدينية فقد جرى حذف الآيات والاحاديث التي تحض على الجهاد في سبيل الوطن . واما مادة الادب العربي فقد خضعت لاتجاه القعيم على الشعور الوطني والترويج للاتجاهات اللاوطنية التي تنظر الى القيم الضرورية لربط الطلاب بأرضهم ووطنهم ، وضرورة التضحية من اجل الوطن اذا ما داهمهم الخطر كما يجري بالنسبة لاي شعب من الشعوب .

في **الصفة القربية** : لم تقم سلطات الاحتلال هنا باستبدال المناهج التعليمية كلية كما جرى في القدس ، ذلك انه تحت تأثير الاضراب الذي امتد أكثر من شهرين والذي نظمه المعلمون والطلاب ،

المناهج « مقاومة اليهود في اسرائيل . انتشار الديانة اليونانية بينهم وثورتهم على اليونان مستشهدين بالكلبيين ويهودا المكابي وانتصاراته »<sup>(١٤)</sup>.

وهكذا نرى ان تدريس التاريخ في الصف الخامس الابتدائي يدور كلية حول العبرانيين ويهدف الى ترسيخ الاعتقاد في اذهان الطلاب ان فلسطين بلد يهودي منذ القدم<sup>(١٥)</sup> . وما دام الامر كذلك ، فلا مانع لدى المسؤولين الصهيونية ان يجردوا الطالب العربي من أبسط حقوقه الانسانية ، فيطالبونه في كتاب « مذنيات اسرائيل » بالتحديد بأن « علينا التزامات تجاه الدولة التي نعيش فيها ، كل واحد منا عليه ان يحترم الدولة وقادتها . علينا ان نظهر الاحترام الواجب نحو علم الدولة وشعاراتها والمحافظة على سيادتها وسلامتها »<sup>(١٦)</sup>.

اما مناهج التاريخ للصف السادس الابتدائي ، فان التاريخ الاسلامي يحظى بنسبة ٥٦ ٪ من المناهج . ولكن عرض هذا التاريخ يقسم بتثويته كامل ، اذ يجري تصويره وكأنه سلسلة من الغزوات والحروب المستمرة ضد الامم الاخرى ، وفي كتاب الجغرافيا لهذا الصف « على الصفحة ٤٩ توصف الفتوحات الاسلامية بالمعدوان الاسلامي »<sup>(١٧)</sup>.

واما مناهج التاريخ للصف الثامن فان نسبة ٥٠ ٪ منه مخصصة لدراسة دولة اسرائيل مع اشارات اخرى عن اليهود في بقية مواد المناهج المتعلقة باوريا ، اما ما يتعلق بالعرب فان المناهج يمر مرورا سريعا على استقلال الشعوب العربية بعد الحرب العالمية الثانية ويتركز فقط على ادخال النفوذ السوفياتي في مصر والشرق<sup>(١٨)</sup>.

ولو استعرضنا بقية كتب الاجتماعيات فانبأ نلاحظ الظواهر التالية :

أ - بروز سياسة التهويد بكل ابعادها من خلال : ا - استبدال اسماء البلدان والانهار العربية باسماء عبرية . « وحينما ظهرت كلمة فلسطين فقد غيرت الى ارض اسرائيل او دولة اسرائيل ، وجبال نابلس أصبحت شمرون وجبال القدس أصبحت جبال يهودا »<sup>(١٩)</sup> . ٢ - ربط الاماكن المختصة بتاريخ العبرانيين ٢٠ - توجيه الطلاب والفرس في نفوسهم وعقولهم ان فلسطين

عدة قرون . ولكن السلطات المحتلة لا تطبق ان تبقى هذين البيتين من شعره في المنهاج نظرا لمضمونها :

ولي وطن آليت ألا أبيعته  
وألا أرى غسري له الدهر مالكا  
وحبب أوطان الرجال اليهوس

مأرب قضاها الشباب هنالك  
ولم تطف المسألة عند هذا الحد . غاية جملة في كتب قواعد اللغة العربية تشير الى تعلق الفلسطيني بحقه المشروع في وطنه تعرضت للحذف واستبدلت بجملة اخرى ركيكة وغارقة من أي مضمون ، ان جملة « أحن الى عروس البحر يافا » تعتبر في نظر المحظين الاسرائيليين تحريضا عدوانيا لا يطاق .

وكما حدث في القدس بالنسبة لمنهاج التربية الدينية فقد حدث في الضفة الغربية حيث جرى حذف كل الآيات والأحاديث التي تحض على الجهاد والتضحية في سبيل الوطن .

ان اقدام السلطات الاسرائيلية المحتلة على تغيير وتشويه المناهج التعليمية في الارض المحتلة يتنافى تماما مع قرار المؤتمر العام لليونسكو الذي أقر في دورته التاسعة سنة ١٩٥٦ رقم ٧٠٨١ الدعوة الى تأمين الظروف الضرورية التي تضمن المحافظة على التراث الوطني والديني والثقافي للناس في كل مكان وعدم تغييره تحت أية اعتبارات سياسية .

كما يتنافى هذا الاجراء التعسفي مع الاعلان العالمي لحقوق الانسان - المادة ٢٦ - التي تنص على ان للأبناء حقا طبيعيا في اختيار نوع الثقافة التي يمكن ان تقدم لأطفالهم .

**تبرير مفضوح :** لقد ادعت سلطات الاحتلال انها قامت بتغيير المناهج دون أي مساس بمشاعر العرب او قيمهم الروحية ، وانها لم تحذف من هذه المناهج سوى « مادة الكراهية التي تناقض مبادئ حقوق الانسان » . ولعل الامثلة الطويلة التي أوردها سابقا تدحض مثل هذه الادعاءات .

ومن ناحية اخرى فان « مادة الكراهية » التي تلصقتها سلطات الاحتلال بالمناهج العربية تمارس على نحو واسع ومكثوف في المطبوعات الاسرائيلية

فقد اضطر الصهاينة الى التراجع عن قرار الغاء ٧٦ كتابا . واكتفوا بتغييرها من أي مضمون وطني ، ومن أية اشارة الى قضية الشعب العربي الفلسطيني ، كما لغروا هذه المناهج من أية مادة تحث على التضحية والنضال من اجل استرداد الحق والوطن .

ففي مادة التاريخ حذفت الفصول المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وحيثما وردت كلمة « فلسطين » في أية صفحة من صفحات الكتب فقد حذفت واستبدلت بكلمة « اسرائيل » ، وهكذا اصبح الوضع بالنسبة لفلسطين « فليس لها تاريخ وليس للطالب حق في معرفة اي شيء قبل سنة ١٩٤٨ طبقا لما تريده السلطات الاسرائيلية . واذا ذكرت فلسطين قبل ١٩٤٨ فانها تعطى اسم « اسرائيل » . ففي احدى الجمل يعطون الطالب ان اول مطبعة دخلت اسرائيل كانت في سنة ١٨٦٨ » (١٤).

« كذلك حذفت السلطات الاسرائيلية كل الاجزاء المتعلقة بصلاح الدين الايوبي ، الفتوح العربي للاندلس ، استقلال الجزائر ، ومعركة اليرموك . وحذف فصل كامل عن تاريخ القدس من كتاب للصف الثاني الثانوي » (١٥).

يعترف الاسرائيليون بأن « الكتب تراقب وتدقق ويحذف منها كل مادة الكراهية التي تناقض مبادئ حقوق الانسان » (١٦). ولا شك ان هذا الاعتراف صادق في مسألة المراقبة والتدقيق ، ولكنه بعيد عن الصدق فيما يتعلق بمبادئ حقوق الانسان . « فعلى الصفحة ٦١ من كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر اسقطت الجملة التالية ( كل نضالات الناس في العصر الحديث موجهة ضد الامبريالية التي عانت منها الاممة العربية ) » (١٧). غاية كراهية تناقض مبادئ حقوق الانسان يحتوي عليها النص السابق ام انه التنازل التام مع الامبريالية والدفاع عنها الذي ما انفكت تمارسه السلطات الاسرائيلية !!

بالنسبة لمادة اللغة العربية فقد حذفت كل الموضوعات او الجمل التي تحتوي على دلالات وطنية حتى ولو كانت هذه الموضوعات مسابقة على الصراع العربي الاسرائيلي بألف عام . فمثلا الشاعر ابن الرومي عاش في العصر العباسي قبل

الكثير من الشروط الملائمة لتدريس الطلاب فيها وخاصة في القرى .

و - النقص الفادح في الوسائل المعينة والأجهزة والمختبرات والملاعب .

ز - تقليص المدارس المهنية الى حد كبير مما يؤدي الى ترك الطلاب الذين لا يرغبون مواصلة التحصيل الأكاديمي للبدارس وتحولهم الى عمال ، « فقد كان عدد المدارس المهنية في سنة ١٩٦٦ ( ١٣ ) مدرسة وفي سنة ١٩٧٢ تناقصت الى مدرستين فقط » (٢٠) .

ح - اغلاق المدارس لفترات طويلة كلما تصاعد النضال الوطني ضد الاحتلال مما يسبب الخسارة للطلاب ولا يمكنهم من انتهاء المنهاج المقرر .

ط - ممارسة عمليات الاعتقال والسجن والإبعاد ضد الآلاف من الطلبة والمعلمين .

### طمس التراث الثقافي في القدس كجزء من عملية التهوديد

ان التراث الثقافي العربي الذي يميز مدينة القدس ويحفظ لها عروبيتها ، يتعرض الآن ومنذ المدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ الى هجمة شرسة ، وذلك لطمس هذا التراث وتضييعه من أجل تسهيل عملية الضم والتهوديد التي اعلنت عنها السلطات الاسرائيلية المحتلة ، والتي جوبهت برفض قاطع من غالبية دول وشعوب العالم ، ومن قبل الهيئات الدولية المختلفة أيضا .

ولقد قامت اسرائيل بعدة إجراءات تستهدف تكريس عملية الضم والتهوديد ومنها :

أ - « بدأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي حفريات في أماكن متعددة من داخل الأحياء العربية المصادرة داخل السور والمناطق الملائمة للحائطين الجنوبي والغربي من الحرم الشريف ، واتخذت من هذه الحفريات وسيلة لتضديع ما فوقها من أبنية سكنية وتجارية ودينية وحضارية ، والتسبب في انهيارها ثم هدمها واجلاء سكانها » (٢١) .

بالإضافة الى ازالة حي المغاربة وانشاء ساحة كبيرة أمام حائط المبكى وكذلك هدم مئات البيوت في حارة الشرف واقامة عمارات لا تتناسب والطابع التاريخي للمدينة .

وذلك لتربية الأجيال اليهودية بروح الكراهية للعرب على نحو عنصري بغيض .

فقد ذكرت جريدة الليومود في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٧١ ما يلي : « تعرضت عدة كتب للهراتين نشرت حديثا في اسرائيل الى حملة نقد خلال حوار نظمته راديو اسرائيل . وقد احتج المشاركون في الحوار ضد العنصرية المعادية للعرب التي تتسم بها هذه الكتب » .

وفي ملحق هارتس بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٠ كتبت الكاتبة الاسرائيلية تمار مروز مقالا جاء فيه « ان احدى الظواهر المفزعة في مجال أدب الاطفال في البلاد هي الكتب التي تصدر بين حين وآخر . ويطلقها الاطفال بحماسة ، والتي تروي دائما كيف ينتصر الطلل او الاطفال الابطال على العرب المضحكين والافياء » (١٨) . وتضيف الكاتبة مقتطفة مقاطع من رسالة بعث بها الى جريدة هارتس أب فاضب يقول في رسالته « الآن تقع يدي على كتب ، كل مضمونها واسلوب التعبير فيها والرسوم التي ترافقها مفعمة بالغرور ومشاعر التوق وتساعد أكثر من أي شيء آخر على كراهية الجيران » (١٩) .

### إجراءات قمعية أخرى

لم يتوقف الاضطهاد الفكري والثقافي في الأرض المحتلة على موضوعة المناهج التعليمية فقط ، وإنما تغداه الى جوانب أخرى في جهاز التربية والتعليم يمكن ايجازها فيما يلي :

أ - اغلاق مكتب التربية والتعليم في القدس نهائيا واعتقال عدد من المسؤولين فيه لعدة اشهر .

ب - تعيين ضباط تربية اسرائيليين في مكاتب التربية والتعليم في الضفة الغربية ، يتحكمون في هذه المكاتب ويمارسون عمليات ضغط وتعسف ضد المعلمين والطلاب .

ج - حرمان المعلمين من تأسيس نقابة علمية تدافع عن حقوقهم وتؤمن لهم شروطا مهيشية افضل في ظل الأوضاع القاسية التي يعيشونها .

د - عدم التوسع في تلبية احتياجات المدارس القائمة مثل اضافة غرف جديدة ودورات مياه وغيرها من المستلزمات الضرورية .

ه - استخدام الابنية القديمة التي تفتقر الى

المعادية للصهيونية التدخل لمنع الحفريات الأثرية في منطقة القطعة في القدس العربية ، وقام البوليس بتفريقتهم واعتقل سبعة منهم للاستجواب . ورغم كل ذلك فما زالت سلطات الاحتلال تتحدى الرأي العام العالمي وكل المؤسسات الدولية على نحو أحق وغير مسؤول .

#### سراقات مكتسوفة

ولا تكفي سلطات الاحتلال بكل ما أقدمت عليه من تجاوزات في الأرض المحتلة ، فهي جاهدة منذ الأيام الأولى للاحتلال بالتفتيش عن الآثار في مناطق مختلفة من الأرض المحتلة والاستيلاء عليها ووضعها في المتاحف الإسرائيلية .

كما قامت « بوضع اليد على المتحف الفلسطيني والشروع في اتخاذ إجراءات لنقل محتوياته إلى إسرائيل ، كما أن السلطات الإسرائيلية تخطط أيضا لنقل مخطوطات البحر الميت إلى إسرائيل » (٢٦) .

#### اضهاد المثقفين والكتاب

إن التفتيش لإجراءات السلطات الإسرائيلية المحتلة ضد المؤسسات الثقافية والتعليمية ، وضد المثقفين والكتاب في الأرض المحتلة ، يدرك الهدف الأساسي الذي تسعى إليه هذه السلطات من وراء إجراءاتها المتلاحقة ، وهو تدمير كل إمكانية للنهوض الثقافي في الأرض المحتلة الذي يستتبع بالضرورة تنمية الشخصية الفلسطينية وبلورتها على نحو لا تريده سلطات الاحتلال بل تفرغ منه .

ففي مقابلة مع صحيفة معاريف بتاريخ ٢٢/١١/١٩٧٤ يقول شموئيل طوليدانو مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية « إن السؤال هو كيف يمكن العيش على أفضل وجه مع أقلية قومية ليس لرغباتها القومية حل في إسرائيل » . ويضيف طوليدانو قائلا « إن الثقافة تزيد من حدة المشاعر القومية ومن قدرة التعبير عنها وتمنحها قوة ووزنا أكثر » (٢٧) .

فالإ جانب اغتيال الكتاب والمثقفين الفلسطينيين أمثال قسان كلفاني ، كمال ناصر ، وإيل زعيتير ، ومحمود الهمشري الذي تم خارج الأرض المحتلة على أيدي عملاء إسرائيليين ، فإن الأرض المحتلة تشهد صنوتا من الإرهاب والعسف تلحق بالمثقفين والكتاب

إن العقارات العربية التي تهدمها سلطات الاحتلال في القدس « هي جزء من أروع الأبنية الإسلامية التي بنيت في القرون الوسطى » (٢٨) .

ب - غيرت سلطات الاحتلال معالم المدينة ، وطوتها بمجموعات من الأحياء السكنية ذات العمارات العالية مما طمس أفق المدينة وشوه شكلها ، ودفع بعض المهندسين الإسرائيليين أنفسهم إلى انتقادها .

ج - توأمت سلطات الاحتلال على « إحراق المسجد الأقصى واستمرار الاعتداءات على الأماكن الدينية الإسلامية في القدس » (٢٩) . بالإضافة إلى « الاعتداءات على الأماكن المسيحية الدينية والمقدسة » (٣٠) .

لقد جوبهت هذه الإجراءات الإسرائيلية بالكثير من الاستهجان والاستنكار لدى العديد من الهيئات الدولية ، فلقد أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة العديد من القرارات التي تدعو إلى إلغاء كل هذه الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل ، بالإضافة إلى قرارات أخرى بنفس المضمون اتخذت من قبل مجلس الأمن .

كما أصدرت منظمة اليونسكو عدة قرارات لردع إسرائيل ومنعها من مواصلة الحفريات في مدينة القدس ومن تغيير معالمها وذلك « للحفاظ بدقة على كل المواقع والمباني وسائر المباني الثقافية في الأرض المحتلة وخاصة في مدينة القدس القديمة » . وقد كان آخر هذه القرارات قرار المجلس التنفيذي العام رقم ٤٤١ الذي اتخذ بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٧٤ والذي أدان « إسرائيل لموقفها المناقض لإهداف التي تتوخاها المنظمة - أي اليونسكو - كما وردت في ميثاقها التأسيسي باستمرارها في تغيير معالم مدينة القدس التاريخية ، وفي إجراء الحفريات التي تشكل خطرا على آثارها وذلك عقب احتلالها غير الشرعي لهذه المدينة » (٣١) .

بالإضافة إلى موجات الغضب الجناهوري والنضال المتعاظم الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ضد مخططات الاحتلال عموما ، وضد محاولات تهويد القدس خاصة ، فقد ذكرت جريدة الشعب الصادرة في الأرض المحتلة بتاريخ ٢٢/٤/١٩٧٥ الخبر التالي « حاول خمسة عشر شخصا من أعضاء طائفة ( ناطوري كارتاس ) اليهودية

غسان حرب ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٨ - الشاعر الشعبي راجح غنيم ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٩ - محمد البطراوي ، رئيس تحرير صحيفة الفجر حاليا ، اعتقل وافرغ عنه . ١٠ - حسيب النشاشيبي ، مدير ادارة صحيفة الفجر ، اعتقل وافرغ عنه . ١١ - الصحفي عادل سبارة ، حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، ١٢ - الشاعر طلال حماد ، حكم عليه بالسجن سنتين . ١٣ - الصحفي غازي علم الدين ، اعتقل وحكم عدة اشهر وافرغ عنه . ١٤ - الشاعر والرسام والصحفي محمد عبد السلام حكم عليه بالسجن اربع سنوات . ١٥ - خليل السواحري ، كاتب قصة وناقد وصحفي ، اعتقل مرتين ثم ابعد خارج الوطن .

هـ - الأبعاد : ويعتبر هذا الاجراء غير الانساني من أخطر الاجراءات التي تتبناها السلطات المحتلة ضد الشعب العربي الفلسطيني عامة ، وضد المثقفين وقادة الرأي والفكر من ابنائه على نحو خاص . ويرمي هذا الاجراء الى تفرغ الارض المحتلة من العناصر القيادية الواعية التي تؤثر في بلورة الرأي العام ، ومن الكوادر المتفتحة القادرة على اغناء الشخصية الوطنية الفلسطينية . لقد أذمت سلطات الاحتلال الاسرائيلي « حتى عام ١٩٧٤ على ابعاد حوالي ١٥٨٠ شخصية قيادية من مختلف القوى السياسية والمهنية والطبقات الاجتماعية شملت رجال دين ومحامين وأطباء ومهندسين وسياسيين ورؤساء بلديات وصحافيين ومدربين ونقابيين وعمالا وطلابا . وما زالت سلطات الاحتلال تمارس هذه الجريمة على مستح ومشهد من العالم اجمع » (٢٨) .

ان اكثرية المبعدين هم من المثقفين الذين كانوا يلعبون ادوارا اساسية في الحياة الثقافية والفكرية للشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة ، والذين كانوا يشغلون مراكز حساسة في قيادة المؤسسات الثقافية والتعليمية والنقابية المهنية والنوادي والصحف وهيئات الرأي العام المختلفة . ويضيق المجال هنا عن ايراد أمثلة لتأكيد هذه القضية ، ولكن الاستنتاج الرئيسي الذي يكن وراء هذه الظاهرة الخطرة وغير الانسانية ، يظل استنتاجا صحيحا وأكيدا وهو ان السلطات المحتلة

والصحفيين ، وذلك لشل قدراتهم وتعطيلها ، وتفرغ الارض المحتلة من قادة الرأي والفكر الذين يستطيعون التأثير في الرأي العام وقيادة الجماهير . وتنوع اساليب الاضطهاد التي تمارس ضد المثقفين والكتاب والصحفيين ، الا ان ابرز هذه الاساليب ينحصر فيما يلي :

أ - استدعاء العديد من المثقفين ( كتاب ، صحفيون ، اطباء ، صيادلة ، محامون ، مهندسون ، معلمون ) الى مراكز التحقيق حيث يتولى رجال المخابرات استجوابهم وذلك من اجل اشاعة جو من الارهاب لاعاقبة هؤلاء المثقفين عن ممارسة أي نشاط خلاق .

ب - فرض أوامر الإقامة الجبرية لاشهر وسنوات على العديد من المثقفين .

ج - النفي داخل البلاد الى مدينة بعيدة وتحديد الإقامة فيها لعدة اشهر ، وقد نفذ هذا الاجراء ضد عدد من المثقفين والقادة السياسيين في اعقاب الاحتلال مباشرة .

د - الاعتقال والسجن وما يرافقه من تحقيق وتعذيب وحشي ، واسناد مختلف التهم الى المثقفين واصدار احكام جائرة بالسجن ضدهم ، او اصدار أوامر اعتقال اداري بحقهم لعدم ثبوت اية تهمة تدبيرهم . وفيما يلي اسما بعض الكتاب والصحفيين الذين تعرضوا للاعتقال والسجن على ايدي السلطات المحتلة : ١ - المؤلف والصحفي بشير البرغوثي ، اعتقل ثمانية اشهر وقدم للمحاكمة وبريء من التهمة المنسوبة اليه . ٢ - تميم الاشيب ، عضو هيئة تحرير جريدة الوطن السرية الصادرة في الارض المحتلة ، وعضو هيئة تحرير قضايا السلم والاشتراكية حاليا ، اعتقل اداريا حوالي ثلاث سنوات ثم ابعد خارج الوطن . ٣ - محمود شمير ، كاتب قصة وصحفي ، اعتقل اداريا على فترتين مدة عشرين شهرا وفرضت عليه الإقامة الجبرية مدة ستة اشهر ثم ابعد خارج الوطن . ٤ - الصحفي غسان طهبوب اعتقل لمدة شهر بتهمة اقامة الندوات السياسية في القدس . ٥ - الشاعر خليل توما ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٦ - الصحفي صلاح سالم ما زال معتقلا اداريا منذ سنة دون توجيه تهمة ضده . ٧ - الصحفي

الفكري والثقافي في الارض المحتلة . فلتقد جرت محاولتان لحرق جريدة الشعب ، ثم قامت اجهزة المخابرات بتوجيه التحذيرات الى رئيس تحريرها علي الخطيب ، وما لبثت بعد ذلك ان ابعدهت من وطنه ليلحق بتوافل المبعدين العديدة .

واما جريدة الفجر فقد تعرض صاحبها الصحفي يوسف نصر الى الاعتقال ، ثم توافيات سلطات الاحتلال مع بعض المجرمين على اختطافه الى جهة مجهولة حتى الآن .

يضاف الى ذلك كله ، الحاق أشد الضرر بالحركة الادبية والفكرية التي كانت تنمو وتزدهر قبل الاحتلال ، وتراجعها الى ابعد الحدود بسبب قلة مجالات النشر ، الى جانب الرقابة المشددة على الندوات الفكرية والادبية والسياسية ، واستدعاء القائمين عليها للتحقيق وتعريضهم لممارسات ارهابية متنوعة ، مما يؤدي الى تراجع الكثيرين من المثقفين وانزوائهم تحت وطأة العسف الذي تبرع فيه السلطات الاسرائيلية المحتلة ، وللتدليل على واقع الحياة الادبية قبل الاحتلال فاننا نتطلف الفقرة التالية من عملية المسح التي قام بها فريق الباحثين الاسرائيليين « كان الادب متطورا الى حد ما في الضفة الغربية ، حيث ان غالبية الاردنيين من اهل الفكر كانت تتجمع هناك . كان كثير من الكتاب والشعراء يعيشون في هذه المنطقة وكانت تنتشر في جميع المنطقة كثير من المطابع النشيطة » (٢٩).

ان الاضطهاد الفكري والثقافي الذي تمارسه سلطات الاحتلال في الارض المحتلة يعتبر جزءا من ظاهرة اوسع تشمل اضطهادا متعدد الجوانب والمظاهر لشعب يروح تحت نير الاحتلال ، ولكنه رغم كل العسف والارهاب والاضطهاد ما زال يناضل بكل مثابرة ودأب من اجل تحرير ارضه وانتزاع حقوقه المشروعة في وطنه فلسطين .

جادة في تدمير المقومات الفكرية والثقافية للشعب العربي الفلسطيني تسهيلا لتنفيذ مخططاتها التوسعية التي تهدف الى الغضاء على هذا الشعب وانكار وجوده القومي والاستيطان فوق ارضه المقتصبة .

### ملاحج اخرى للاضطهاد

تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلي بممارسة عنلية مبرمجة لضعاف واقع الحياة الفكرية والثقافية في الارض المحتلة ، ومن ثم افكار الحياة الروحية للناس على نحو مريع ، بحيث يتحولون الى مجرد خدم وعبيد ينسحقون يوميا في المؤسسات والمصانع الاسرائيلية .

ثممة هجرة واسعة نسبيا خارج ارض الوطن من بين صفوف خريجي الجامعات الذين ينهون دراستهم في الخارج ويعودون — بوساطة التصاريح السنوية — ليفاجأوا بعدم وجود اية فرصة للعمل امامهم ، مما يضطرهم الى البحث عن عمل مناسب في احدى البلدان العربية المجاورة او غيرها من الاقطار .

وهناك ايضا تفسيق مستمر على النقابات والادنية التي تسهم الى جانب نشاطاتها المتعددة في تغطية جزء من مهمات التفتيش الوطني لجمهور العمال والطلاب والشباب المخربين في صفوفها . ومن هنا نفهم معنى النقمة المستورة على هذه المؤسسات والتكيل بقادتها واعتقالهم وابعادهم .

كذلك فهناك رقابة مشددة على الصحف التي تخطو على بداية الطريق بتهدب وحذر تحت ضغط الارهاب والعسف ، مما يجعلها في اغلب الاحيان عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات الناس وتطلعاتهم المشروعة .

ولعل ما جرى لصحيفتي الشعب والفجر اللتين تصدران في القدس خير دليل على الاضطهاد

٤ — المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٥ — Ibrahim al-Abid, *Israel and Human Rights*, (Beirut: Palestine Research Center, 1969), p. 146.

٦ — المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

٧ — صبا الفاهوم ، المصدر نفسه .

١ — التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ،

نيسان ١٩٧٤ ، ص ١ .

٢ — صبا الفاهوم ، مجلة الثقافة العربية ،

العدد السابع ، ايار ١٩٧٤ ، ص ٤٦ .

٣ — المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٢١ - روجي الخطيب ، مجلة شؤون فلسطينية ،  
 كانون الثاني - شباط ١٩٧٥ ، ص ١٠٠ .  
 ٢٢ - المصدر السابق ، ص ١٠٣ .  
 ٢٣ - المصدر السابق ، ص ١٠٧ .  
 ٢٤ - المصدر السابق ، ص ١٠٩ .  
 ٢٥ - مجلة الآداب ، آذار ١٩٧٥ ، ص ٧ .  
 ٢٦ - المبادئ ، ص ١٥٩ .  
 ٢٧ - ملف قضايا اسرائيلية ، مركز الابحاث  
 الفلسطينية ، ٦ آذار ١٩٧٥ .  
 ٢٨ - عبد الحسن ابو ميذر ، تقرير منسوخ عن  
 الاعداد السياسي .  
 ٢٩ - التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ،  
 نيسان ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

٨ - المبادئ ، ص ١٤٥ .  
 ٩ - صبا الفاهوم ، المصدر نفسه ، ص ١٤١ .  
 ١٠ - المبادئ ، ص ١٤٤ .  
 ١١ - المصدر نفسه ، ص ١٤٥ .  
 ١٢ - المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .  
 ١٣ - المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .  
 ١٤ - المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .  
 ١٥ - المصدر نفسه .  
 ١٦ - التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ،  
 نيسان ١٩٧٤ ، ص ٨ .  
 ١٧ - المبادئ ، ص ١٤٨ .  
 ١٨ - نشرة الارض ، العدد ٤٤ ، ١٩٧٤/١١/٧ .  
 ١٩ - المصدر السابق .  
 ٢٠ - التعليم والثقافة في المناطق تحت الادارة ،  
 نيسان ١٩٧٤ ، ص ٢ .

**محمود شقير**

محمود شقير، كاتب وكاتب مسرحي فلسطيني، ولد في بلدة حيفا عام 1930. عمل في الصحافة والكلام المسرحي. له مسرحيات عديدة من بينها "الغرفة رقم ١٠١" و"الغرفة رقم ١٠٢".

محمود شقير، كاتب وكاتب مسرحي فلسطيني، ولد في بلدة حيفا عام 1930. عمل في الصحافة والكلام المسرحي. له مسرحيات عديدة من بينها "الغرفة رقم ١٠١" و"الغرفة رقم ١٠٢".

صدر عن مركز الابحاث كتاب

**مقررات المجلس الوطني الفلسطيني**

**في مختلف دوراته**

**اعداد راشد حميد**

١٩٧٥

تتبع النسخة ٨ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي . اطلب نسختك من مركز الابحاث

قسم التوزيع ص.ب ١٦٩١ بيروت

## [ ١ ]

## النظام الجديد في البرتغال والصراع العربي الإسرائيلي

وعند قيام حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ أعلن وزير خارجية البرتغال في مؤتمر صحفي في ٦/٨ / ١٩٦٧ ، ان لزمة الشرق الاوسط مكنت الاتحاد السوفيتي من تحقيق طمحه الاستعماري القديم بدخول البحر الابيض المتوسط (١) .  
وفي الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة في أعقاب الحرب صوتت البرتغال ضد مشروع القرار الالبراني الذي كان يسانده الاتحاد السوفيتي الخاص بوقف اطلاق النار وانسحاب القوات الاسرائيلية ، وامتنعت عن التصويت على باقي المشروعات .

واتناء حرب تشرين الاول ( أكتوبر ) منحست الحكومة البرتغالية للولايات المتحدة الأمريكية حق استخدام القاعدة الكبرى في جزر الأزور (التابعة للبرتغال) في عمليات نقل السلاح والعتاد الى اسرائيل . وخلال هذه العمليات تم نقل قرابة ٢٥ الف طن من السلاح لاسرائيل مما كان له أثر كبير في تقوية وتدعيم المجهود الحربي الاسرائيلي (٢) .  
وبعد قيام النظام الجديد في البرتغال واعلانه عن منع استخدام قاعدة الازور في نقل السلاح الى اسرائيل (٣) - أخذت اسرائيل ، واليهود في الغالبية العالية ، في خلق العتبات امام النظام الجديد ، عن طريق مساعدة جركات التمرد في جزر الازور ، والتي تطالب بالاستقلال عن البرتغال ، ومن المعلوم ان مدبري هذا التمرد ، هم من موظفي نظام كاتيانو الديكتاتوري الذين تم طردهم من لشبونة وبعض العناصر من العالين في القاعدة الجوية . وتقوم بتزويدهم بالسلاح شركات دولية تعمل في تهريب الاسلحة (٤) . ويقوم بتحويل هذه

ماتت في البرتغال في ٢٥ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٤ حركة سياسية جديدة اطاحت بالحكم الديكتاتوري ( حكم سالازار وكاتيانو ) . واشتركت في هذه الحركة عناصر من قواد الجيش - ومن بينهم الجنرال سينولا - تعاونت معها الاحزاب السياسية اليسرية التي كان نشاطها محظورا خلال فترة الحكم الديكتاتوري ، وأهمها الحزب الاشتراكي بزعامة ماريو سوارسن والحزب الشيوعي بزعامة الفارو كونيال .

وعلى الرغم من أن النظام الشيامي الجديد في البرتغال ما زال في مرحلة عدم الاستقرار الناتج عن تضارب الآراء والاتجاهات داخل الحركة - خاصة بين الاشتراكيين والشيوعيين - فان هذا النظام قد اتخذ موقفا واضحا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي يعد مغايرا تماما لموقف النظام السابق . ويستهدف هذا التقرير الغاء الضوء على علاقات البرتغال بكل من اسرائيل والبلاد العربية ، وموقف النظام الجديد من الصراع العربي الاسرائيلي . وقضية فلسطين ، واحتمالات المستقبل بالنسبة للعلاقات العربية البرتغالية .

## العلاقات البرتغالية - الاسرائيلية

لم تتم علاقات دبلوماسية بين البرتغال واسرائيل وان كان لاسرائيل اتصالية عامة في لشبونة . وهناك علاقات في المجال الاقتصادي ، وعلى سبيل المثال فقد وقعت اتفاقية بين شركة أمكور الاسرائيلية لانتاج الآلات الزراعية وحكومة البرتغال تعضي بقيام الشركة بتصدير ٥٠٠ مائنة زراعية الى اسرائيل تبلغ قيمتها ٢٠ الف دولار (١) .

١ - أعلن رئيس الحكومة البرتغالية ماسكو جونالغيس ان البرتغال لن تسمح للطائرات الأمريكية التي تحمل معدات حربية لإسرائيل بأن تهبط في قاعدة جزر الأزور ، وأكد ان بلاده « لن تتخذ أي خطوة أو توافق على أي إجراء يتخذ ضد الشعب العربي»<sup>(١)</sup>.

٢ - كما أعلن رئيس الحكومة البرتغالية ان حل مشكلة الشرق الأوسط يجب ان يتم بالوسائل السلمية التي تضع في حسابها المصالح الشرعية لشعوب المنطقة وعلى وجه الخصوص شعب فلسطين<sup>(١١)</sup>.

٣ - وصف وزير الخارجية البرتغالي السابق - ماريو سوارسن - القضية الفلسطينية بأنها « قضية استعمارية اخرج فيها شعب من دياره وحل مكانه افراد جاءوا من كل اطراف الدنيا»<sup>(١٢)</sup>.

كما أعلنت البرتغال - في بيان مشترك مع رومانيا - انه يمكن التوصل لتسوية عادلة لمشكلة الشرق الأوسط عن طريق الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية وانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة<sup>(١٣)</sup>.

٤ - أعلن وزير الخارجية السابق ماريو سوارسن ، موافقة بلاده على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لشبونة<sup>(١٤)</sup>. وعلى هذا الاساس فان موقف النظام الجديد في البرتغال من الصراع العربي الإسرائيلي وقضية فلسطين ، يتركز في ضرورة التوصل الى تسوية سلمية تقوم على انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية .

#### احتمالات المستقبل بالنسبة للعلاقات

##### العربية البرتغالية

من العرض السابق يمكن القول بأنه أصبح واضحاً للإمامة موقف النظام الجديد في البرتغال من القضايا العربية . بالإضافة الى محاولاته اقامة علاقات ودية مع الدول العربية سواء عن طريق الزيارات التي قام بها المسؤولون البرتغاليون لبعض البلاد العربية ( ومن بينهم ماريو سوارسن وزير الخارجية السابق ووزير الحزب الاشتراكي

الحركة المليونير اليهودي هاري اوينهايمر ، الملقب بملك الذهب والماس في جنوب افريقيا ، وهو صهيوني يشترك في كل مؤتمرات اصحاب الملايين التي تعقد في القدس وتل ابيب ، ونتيجة لجهوده تشغل الجالية اليهودية في جنوب افريقيا المركز الثاني في العالم - من حيث تقديم المساعدة المالية لإسرائيل - بعد الجالية اليهودية في الولايات المتحدة<sup>(١٥)</sup>.

#### العلاقات البرتغالية العربية

تمود العلاقات بين العالم العربي والبرتغال الى سنة ٧١١ ميلادية حينما غزا العرب شبه جزيرة ايبيريا التي ظلت تحت الحكم الاسلامي حتى منتصف القرن الثالث عشر .

وفي عصر الكشوف الجغرافية احتدم الصدام بين المصالح التجارية البرتغالية والمصالح العربية ودارت بين أساطيل الجانبين معارك عديدة . وكان عامل الدين كامناً وراء الصراع .

وقد قامت الدول العربية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال بسبب موقفها من المستعمرات الافريقية ، وذلك تنفيذاً لقرارات الامم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في هذا الشأن .

وبعد تغير النظام السياسي في البرتغال ووضوح تأييده للقضايا العربية واتجاهه الى منح الاستقلال للمستعمرات الافريقية أصدر مجلس جامعة الدول العربية في دورته الثالثة والستين القرار رقم ٣٢٣٦ الذي ينص على ان المجلس لا يري « ما يحول واعادة العلاقات بين البرتغال والدول العربية الراقية في ذلك »<sup>(١٦)</sup>.

وقد اعادت سوريا العلاقات مع البرتغال في ٢٠/٢/١٩٧٥<sup>(١٧)</sup> كما اعادت مصر العلاقات معها في ٢٥/٢/١٩٧٥<sup>(١٨)</sup> وكذلك تونس والعراق .

#### موقف النظام الجديد من الصراع

##### العربي الإسرائيلي وقضية فلسطين

يمكن عرض موقف النظام السياسي الجديد في البرتغال من الصراع العربي الإسرائيلي وقضية الشعب الفلسطيني من خلال تصريحات المصادر المستولة ، على النحو التالي :

بالإضافة الى استثناء البرتغال من اي خطر  
بترولي قادم فيما لو تم استخدام سلاح البترول  
مرة أخرى في الصراع العربي الاسرائيلي .

٢ - تقديم المساعدات المالية والقروض طويلة  
الاجل وتوسيع مجالات التعاون الاقتصادي والفني  
واقامة مشروعات مشتركة .

٣ - اعادة العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال  
بالنسبة للدول العربية التي لم تضم تلك الخطوة  
بعد ، وتقوية العلاقات الثنائية . واقامة نمط  
جديد للعلاقات بين الجانبين اساسه التفاهم  
المتبادل والمصلحة المشتركة .

وعلى هذا الأساس يمكن ضمان عدم استخدام  
قاعدة جزر الأزور لمساعدة اسرائيل خلال اي  
صراع مقبل . بالإضافة الى كسب صوت البرتغال  
الى جانب القضايا العربية في الأمم المتحدة  
وداخل مجموعة السوق الأوروبية المشتركة اذا  
نجحت محاولات البرتغال في دخول السوق .

وهو حزب الاغلبية ) او عن طريق انشاء جمعية  
صداقة برتغالية عربية تحت اسم « جمعية  
اصدقاء الدول العربية » التي اعترفت بها حكومة  
البرتغال رسميا في ٢٦ سبتمبر ( ايلول )  
١٩٧٤ (١٥) .

وعلى الدول العربية ان تساعد النظام الجديد  
في البرتغال على الاستقرار في هذا الاتجاه عن  
طريق دعمه من الناحيتين السياسية والاقتصادية ،  
وخاصة وانه يواجه مؤامرات امريكية وصهيونية  
تستهدف القضاء عليه واعادة النظام الديكتاتوري  
القديم . ويمكن للدول العربية استخدام الوسائل  
التالية :

١٢ - ضمان تزويد الاقتصاد البرتغالي بحاجته  
من البترول خاصة وان البرتغال سوف تنفد بترول  
انجولا بعد حصولها على الاستقلال . ويمكن  
للدول العربية البترولية الواعدة في شمال افريقيا  
ان تلعب هذا الدور .

### الحواشي

- ٩ - الاهرام ١٩٧٥/٢/٢٦ .
- ١٠ - الاهرام ١٩٧٥/٤/١٣ ، مصدر سابق .
- ١١ - وكالة أ.ب ١٩٧٥/٤/٣ ، مصدر سابق .
- ١٢ - وكالة أ.ش.أ ١٩٧٤/١١/٨ .
- ١٣ - وكالة أ.ش.أ ١٩٧٥/١/٦ .
- ١٤ - الاهرام ١٩٧٥/٥/٥ .
- ١٥ - وكالة أ.ش.أ ١٩٧٤/٩/٢٦ .

عبد المنعم عباس

- ١ - اليوميات الفلسطينية ، المجلد العاشر ،  
ص ٢٢٦ .
- ٢ - وكالة رويتر ، ١٩٦٧/٦/٨ .
- ٣ - الاهرام ، ١٩٧٥/٤/١٣ .
- ٤ - وكالة أ - ب ١٩٧٥/٤/٣ .
- ٥ - وكالة فوسفتي ، ١٩٧٥/٢/١٩ .
- ٦ - المصدر السابق .
- ٧ - من ٢٢٣٦ / د ٦٣ / ص ٤ .
- ٨ - وكالة رويتر ١٩٧٥/٢/٢٠ .

## اسرائيل والحركة الانفصالية في نيجيريا

من أخطر الاحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها القارة الافريقية في اواخر سنوات الستينات ، الحركة الانفصالية في نيجيريا والتي تخضت عن قيام دولة بيافرا في الاقليم الشرقي المنشق عن اتحاد نيجيريا الفيدرالي ، بزعامة الكولونيل اوجووكو الحاكم العسكري السابق للاقليم الشرقي من البلاد . ولم تعش جمهورية بيافرا أكثر من ثلاثين شهرا ابتداء من يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٦٧ الى يوم ١٥ يناير سنة ١٩٧٠ . ثم حسم السلاح الموقف بين الفريقين المتحاربين . وكانت الغلبة النهائية للقوات الفيدرالية التي تمكنت من ارجاع الاقليم الشرقي الى الدولة النيجيرية الفيدرالية .

ولقد كان للابعاد الدولية للحرب الاهلية في نيجيريا ، اهمية خاصة وأثر عميق في تطور مجريات الاحداث وفي تصاعد هذه الازمة الافريقية . ويلقي هذا التقرير بعض الضوء على السياسة الاسرائيلية تجاه قضية بيافرا منذ بدايتها وحتى نهايتها ، وذلك بمناسبة الانقلاب العسكري الاخر في نيجيريا الذي اطاح بالجنرال جيون .

الولايات المتحدة والمانيا الغربية واسرائيل بالتآمر على سيادة نيجيريا ، والعمل على تقويض دعائم الوحدة الافريقية عن طريق تقديم المعون العسكري والتحالف مع سلطات جنوب افريقيا وروديسيا والحكومة البرتغالية (١) .

وركزت الصحافة اللبناية على دور المرتزقة الاسرائيليين في الصراع النيجيري وقائلهم كجنود وكخبراء عسكريين في صف الانفصاليين ، وكان معظمهم يعمل من قبل مع القوات المتمردة بقيادة تشومبي في الكونغو (٢) ، أما الصحافة الليبية ، فقد ذكرت ان الحكومة الاتحادية النيجيرية تسيدت مراسلات متبادلة بين بعض الانفصاليين في اقليم بيافرا . وبذلك روتشيلد الصهيوني ، وان تلك المراسلات انما تدل على ان البنك يشترك في تمويل عملية الانفصال (٣) .

ولقد دعم صحة الاتباء الواردة سلفا في الصحف السورية واللبنانية والليبية ما اذاعه راديو اسرائيل في ٣ اغسطس ١٩٦٨ من ان الكولونيل اوجووكو قد بعث برسالة مسجلة الى الحكومة الاسرائيلية يدعوها فيها الى مساعدة حركته الانفصالية ، بعد استمرار الحرب الاهلية لاكثر من عام كامل . ولم تحدد الاذاعة الاسرائيلية او رسالة حاكم اقليم بيافرا ماهية المساعدات

مرت العلاقات النيجيرية الاسرائيلية بازمات حادة طيلة سنوات الحرب الاهلية نظرا للمساندة العسكرية الكاملة التي قدمتها الحكومة الاسرائيلية الى انفصاليي الاقليم الشرقي بنيجيريا ضد الجانب الفيدرالي في الازمة . ووصل الامر بين الدولتين ، نيجيريا واسرائيل ، لدرجة ان اصدرت سفارة نيجيريا في باريس ، بعد اندلاع الحرب بشهور معدودة ، بيانا رسميا وزعته على السفارات الاجنبية في باريس (٤) ، يعلن ان اسرائيل تساعد المتمردين في بيافرا بالمعدات العسكرية ، وانه كانت تجري مفاوضات بين الجانبين بواسطة حكومة البرتغال لتوقيع اتفاق بين بيافرا واسرائيل ، تمدد اسرائيل بمقتضاها البياناين بعشرين ألف مدفع رشاش من طراز « عوزي » المنتج في مصانع توجد في البرتغال وفي مقابل ذلك فان بيافرا مستعدة ان تمنح اسرائيل امتيازاً للتقيب عن البترول في اراضيها بالاقليم الشرقي لنيجيريا .

ولقد اهتمت الصحافة العربية بكشف الدور الاسرائيلي في اذكاء الفتنة بين طرفي الصراع الاهلية . فنشرت الصحافة السورية ان عددا من اصحاب دور النشر في نيجيريا اصدروا بيانا في اواخر اغسطس ١٩٦٧ ، اي بعد اسابيع قليلة من نشوب القتال في نيجيريا ، اتهموا فيه كلا من

واجب الحكومة الاسرائيلية ارسال المساعدات التصوي لبيافرا .

ثم تعرضت الكاتبة كما درج عليه العديد من المعلقين السياسيين من وصف قبائل الايبو بانهم « يهود افريقيا » ، ولما كان يردده بعض رجال قبائل الايبو من اساطير حول كونهم احدى قبائل اسرائيل الضائعة . وعلقت الكاتبة على هذا بقولها ان دور قبائل الايبو في نيجيريا يشبهه في بعض النواحي دور اليهود التاريخي قبل اقامة دولة اسرائيل ، فالايبو كانوا تجارا ورجال اعمال والعديد منهم هاجر الى الشمال وتعرض للمذابح . لهذا فان مطالبة الايبو بالسيادة على الاقليم الشرقي وانشاء دولة مستقلة هو الحل الوحيد والبدل للمذابح التي تعرضوا لها ، فبيافرا واسرائيل خرجتا الى الوجود كاجراءات جماعية ضد الموت والدمار .

وذكرت الكاتبة ان البيافريين حاولوا تظليل استراتيجيات اسرائيل في غزو مناطق شاسعة من نيجيريا في الاسابيع الاولى للحرب ولكنهم لم ينجحوا في ذلك لانهم لم يمتلكوا قدرة البقاء والقوة مثل اسرائيل .

هذه المقالة للكاتبة اليهودية تعبر عن الجوهر الدعائي للسياسة الاسرائيلية في الازمة النيجيرية، حيث برزت اجهزة الاعلام الاسرائيلية ، مسانديتها للانفصاليين على اساس تقارب المعطيات التاريخية في كل من التكوين الاسرائيلي والتركيب الاجتماعي لقبائل الايبو في نطاق اتحاد نيجيريا الفيدرالي .

**ثالثا :** في اواخر شهر يوليو ١٩٦٦ ، اتهم راديو نيجيريا اسرائيل (٩) بارسال عدد كبير من الدبابات والمدافع والصواريخ لبيافرا تحت غطاء المساعدات الانسانية ، كما اذاع ان خبراء اسرائيليين يديرون رجالا من بيافرا على حرب العصابات وكان هذا هو الاتهام الرسمي الثاني من جانب الحكومة الفيدرالية لنيجيريا للحكومة الاسرائيلية بالتدخل غير المشروع في صف الانفصاليين .

**رابعا :** عندما انهزت القوات الانفصالية وانتهت جمهورية بيافرا بالفعل وعادت الوحدة الوطنية الى اتحاد نيجيريا الفيدرالي في يناير ١٩٧٠ ، ظهر التعاطف الشديد سواء في الاوساط

المطلوبة ولكن بدا منها ان اوجووكو كان على اتصال سابق باسرائيل (٥) .

وبالرغم من كل ما ورد في الصحف العربية عن السياسة الاسرائيلية اثناء الازمة النيجيرية ، فان الدراسة الموضوعية والنظرة العلمية المحايدة تقتضي التقرير بأن الدلائل والشواهد على الدور الاسرائيلي في تأييد جانب الانفصاليين البيافريين قليلة بالفعل . وتتمثل اهم تلك الدلائل والشواهد في بعض المظاهر الواقعية المحدودة التي حدثت اثناء الحرب الاهلية ، ثم فيها بعد انهيار بيافرا ، وهي ما يلي :

**اولا :** النداءات الانسانية التي وجهتها بعض الشخصيات الدينية اليهودية والمذهبية الصهيونية الى الضمير العالمي ، من اجل تقديم يد العون الى الاهالي المدنيين ، ضحايا الحرب ، من ابناء الايبو . ففي نداء وجهه جاكوب كابلان كبير حاخامي فرنسا السى جميع يهود فرنسا ، حث الحاخام يهود فرنسا على المساهمة الفعالة في اغانة البيافريين ، قائلا (١٠) « نحن الذين كنا ضحية أكبر وانقطع مجزرة في التاريخ نشعر بنفس الام اولئك الذين يتعرضون لخطر من نفس النوع » . وبعد ذلك بايام قليلة وجه ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي نداء الى كل الطوائف والمنظمات اليهودية والصهيونية كي تشارك ايجابيا في عمليات نجدة اهالي اقليم بيافرا المنشق في نيجيريا (٧) .

**ثانيا :** نشرت مجلة ميدستريم (٨) التي تصدرها مؤسسة تيودور هيرتزل في نيويورك مقالا بقلم الكاتبة اودري سموك تارنت فيه بين اسرائيل وبيافرا ، وذهبت الكاتبة الى ان عددا من الزعماء في بيافرا قد اعلنوا انه يوجد تقاطع تشابه مشتركة بين اسرائيل وبيافرا ، فجنش بيافرا اقل عددا وعدة من الجيش الفيدرالي ، مثلما كان الحال بالنسبة لقوات كل من اسرائيل والدول العربية في حرب يونيو ١٩٦٧ . ولذلك فان انتصار جيش اسرائيل خلال ستة ايام يمكن ان يتخذ امثولة لجيش بيافرا . وذكرت الكاتبة ان اسرائيل قد أرسلت الى بيافرا من المساعدات ما قيمته نصف مليون جنيه استرليني ، وان وزير خارجية اسرائيل قد قاتل في الكينست في يوم ٩ يوليو ١٩٦٦ ، ان من

إثناء سنوات الحرب الأهلية وما بعدها مع الدول العربية عامة نتيجة للنعون النعناع العسكري الذي قدمته حكومة مصر الى الجانب الفيدرالي في الازمة النيجرية . وفي هذا المصدد ينطبق على الموقف الاسرائيلي من تلك الازمة المبدأ الذي ينص على أن « صديق العدو عدو » .

واخيرا كانت من اهم خلفيات المساندة الاسرائيلية للنيجريين ، ما اشتركت فيه اجهزة كل من الدعاية الاسرائيلية والدعاية النيجرية في عواصم الدول الغربية ، من اكساب الحرب الاهلية في نيجيريا لونا عنصريا اذ صورتها على انها حركة سياسية مشروعة ، من الواجهة الانسانية والاخلاقية لإنشاء اقليم واحد وجنس واحد(١٢) وتراث تاريخي مشترك ، يدافعون بها عن بقائهم والا تعرضوا للفناء من جانب غالبية النيجريين ، وبعد ان لاقوا اضطهادا اجتماعيا اينما حلوا في المناطق المحيطة بأراضيهم الاصلية.

وبذلك استفادت اسرائيل دعائيا بتقديم الحرب الاهلية النيجرية ، بشكل يعيد الى الالذهاب الاوروبية ، ذكرى الكيان اليهودي المعذب في انحاء اوروبا في القرون الماضية ، ثم الحروب الاسرائيلية الدفاعية في العصر الحديث ، ضد التهديدات العربية المحيطة بالدولة الاسرائيلية من كافة جوانبها .

ولكن رغم تيقن الحكومة الفيدرالية لنيجيريا من الدور الاسرائيلي السياسي والعسكري والدعائى، المؤيد للانفصاليين ، الا انها لم تقدم على اي اجراء رادع فيه فعالية تجاه اسرائيل ، مثل قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كما نادت بذلك الصحافة النيجرية ، طوال فترات الحرب وما بعدها . وتفسر ذلك يكمن في الانشطة الاقتصادية الاسرائيلية الضخمة التي توجد منذ سنوات في نيجيريا . فاتجاه نيجيريا الفيدرالي يعد من الاسواق الرئيسية في افريقيا ، التي تستوعب صادرات شركة كايبرز غرايزر الاسرائيلية ، كما تشترك رؤوس اموال اسرائيلية في معظم شركات استغلال المطاط في نيجيريا . وتقوم المؤسسات الاسرائيلية بتنفيذ الكثير من المشروعات الهامة الاقتصادية في اقاليم نيجيريا المختلفة الشرقية والغربية وتعمل خاصة في ميادين الانشاء والطرق

الرسمية او الصحافة الاسرائيلية ، مع الجانب الانفصالي الى المنتهزم . ففي يوم ١٤ يناير ١٩٧٠ ، وهو تاريخ استسلام القوات النيجرية للقوات الفيدرالية ، نشرت جريدة دافار الاسرائيلية(١٣) تحت عنوان « سقطت بيافرا ضحية التقاعس الدولي » ، خبرا قالت فيه ان المؤتمر الثامن لمنظمة نجمة داوود الحمراء قد اعلن ان شعبا جريئا وفخورا سقط الان ضحية ، التقاعس الدولي المصحوب بالفساق والظنون . وتلى هذا التصريح بيان اصدره اريه نياب السكرتير العام لحزب العمل الاسرائيلي جاء فيه ان حزب العمل الاسرائيلي يعرب عن تأثره للفاجعة التي حلت بشعب بيافرا ، وكأبناء شعب تعرض للإبادة خلال اجيلال عدة ، يشمر اعضاء حزب العمل ، كما يشعر مواطنو اسرائيل ، بعطف شديد على مصير ابناء بيافرا .

وفي اليوم التالي مباشرة ، قال وزير خارجية اسرائيل ابا ايان ، امام الكنيست الاسرائيلي ، اثناء مناقشة موضوع انهيار بيافرا(١٤) : « ان الامم المتحدة عاجزة عن الاسهام جيدا في تدعيم السلام والامن ، وان الدول الكبرى التي تتصرف على أساس انها تتحكم في مصير السلام العالمي قد حولت هذا المبدأ الى سخرية ، وان التكتل السياسي في افريقيا وقف الى جانب نيجيريا ، ووضع العالم في موقف حرج .

تلك كانت بعض المظاهر الثابتة واقعيما للسياسة الاسرائيلية في الازمة النيجرية ، ننقل بعدها الى تحليل اهم الاعتبارات التي حركت تلك السياسة .

ان اول عوامل المساندة الاسرائيلية لانفصاليي الاقليم الشرقي ، تكمن في الاستثمارات الاقتصادية البترولية التي طمعت الحكومة الاسرائيلية في الحصول عليها مستقبلا ، من الدولة النيجرية في حالة استقرارها على تلك الاراضي الغنية بحقول البترول .

ومن النواحي السياسية ، استهدفت اسرائيل تحقيق عدة اغراض اهمها توسيع نطاق نفوذها في افريقيا عامة بما يشمل غرب القارة على وجه الخصوص . كذلك رغبت اسرائيل في وضع العراقيل امام حكومة يعقوب جيون التي تتاربت

والتمير والمشروعات المائية . كما تشرف الشركات الاسرائيلية على ١٢ مزرعة مساحة كل منها ١٥٠٠ فدان ، على نمط مزارع اسرائيل التعاونية . وتسهم اسرائيل بنسبة ٦٠٪ من رأس مال شركتين تعملان في مشاريع المياه وحفر الابار . كذلك تقوم شركة تاهل الاسرائيلية باستصلاح الاراضي الزراعية في شرق نيجيريا . وقد طلبت نيجيريا مؤخرًا من شركة ايبير الاسرائيلية ارسال اخصائين في تنظيم خطوط المواصلات خارج المدن ، كما اشتركت اسرائيل في بناء مركز صناعي في بور هاركورت (١٢) .

وبذلك يمكن فهم عدم الاستجابة الذي لاقته صحيفة صنداى بوبست الناطقة باسم حكومة نيجيريا الاتحادية ، عندما هاجمت في يونيو ١٩٧٢ ، اسرائيل ووزير خارجيتها ابا ايبان ، ودعت الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وذلك بعد ان اعلنت الاخيرة رفضها لقرار منظمة الوحدة

وفي أول يونيو عام ١٩٧٣ ، اعلن الجنرال يعقوب جيون ان بلاده : « لن تتردد في قطع علاقاتها باسرائيل اذا اصرت على تجاهلها لنصائح منظمة الوحدة الامريكية » . وجاء ذلك في مؤتمر صحفي عقده جيون لدى عودته من اديس ابابا بعد ان ترأس مؤتمر القمة الافريقي في مايو ١٩٧٣ . وطالب جيون الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية بالتفكير في اتخاذ اجراء سياسي واقتصادي ضد اسرائيل ، اذا رفضت الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة . وظهر تأييد الحكومة النيجيرية الصريح للحق العربي في ازمة الشرق الاوسط ، حين اقدمت على قطع علاقاتها الدبلوماسية في يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، مع اسرائيل ، تضامنا مع الدول العربية .

١ - ٧ ، القاهرة أكتوبر ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

٩ - *Daily Times*, Lagos, 29 July 1969.

١٠ - د. عدنان العمدة ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

١١ - **الرجع السابق** .

١٢ - محمد حقي ، « انتهت أكثر حروب الستينات تعقيدًا » ، جريدة الاهرام ، ١٢ يناير ١٩٧٠ .

١٣ - *New York Times*, 14 August 1969.

## نازلي معوض احمد

- ١ - *Le Monde*, 28 Février 1968.
- ٢ - **البعث السورية**، يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٧ .
- ٣ - **الحوادث اللبنانية**، يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٦٧ .
- ٤ - **الرائد اللبني** ، يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦٧ .
- ٥ - جريدة الاهرام ، يوم أغسطس ١٩٦٨ .
- ٦ - *Le Monde*, 8 Août 1968.
- ٧ - *New York Times*, 13 August 1968.
- ٨ - د. عدنان العمدة ، « المخطط الامبراطوري ضد تحرير افريقيا » ، **السياسة الدولية** ، ع . ٢٦ ،

## شهريات

## (١) المقاومة الفلسطينية

وكانت سوريا البائدة في الدعوة اليه في الكلمة التي القاها السيد عبد الحليم خدام ، نائب رئيس الوزراء السوري ووزير الخارجية ، ثم اعتبه الاخ ابو اللطف ، رئيس الدائرة السياسية في متف ، الذي خدد المسألة كما يلي : « اتنا نعلم ان الامر يرجع الى مجلس الامن الذي يملك الحق في اتخاذ اية توصية بشأن طرد اي عضو من منظمة الامم المتحدة . ولكن هذا لا يمنع الجمعية العامة للامم المتحدة ان تتخذ قرارا بطرد اي عضو من اعضائها خارج قاعة الاجتماعات العامة للجمعية وحرمانه من المشاركة في دورتها . وتستطيع الجمعية العامة ان تمارس هذا الحق في كل دورة من دوراتها حيث لا نص ضمن ميثاق الامم المتحدة يحول دون مثل هذا الاجراء على ان ترفع الجمعية العامة طلبها الى مجلس الامن بطرد اسرائيل من الامم المتحدة كليا . ولذا فان وفد متف ... يامل ان يخرج [ المؤتمر ] بقرار الموافقة على طرد اسرائيل من الامم المتحدة » .

وقد خرج المؤتمر نتيجة مداولاته بقرار يتفق مع هذا الرأي الذي طرحه متف ، فقد جاء في مقدمة القرارات المتعلقة بفلسطين ان المؤتمر « يعتبر ان الابتاء على عضوية اسرائيل في منظمة الامم المتحدة امر يتفانى مع مبادئ الامم المتحدة ويشجعها على التمرد على قراراتها وتواطئها مع الانظمة العنصرية التوسعية العدوانية » . واستنادا الى ذلك قرر المؤتمر « دعوة الدول الاعضاء للتعيل في المحافل الدولية والامم المتحدة على طرد اسرائيل من المنظمة الدولية لانتهاكها المتكرر لميثاق الامم المتحدة ، ورفضها تنفيذ قرارات هذه المنظمة » .

ان اشترك اربعين دولة ( هي الدول التي

المعركة من اجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة بعد ان كسبت منظمة التحرير الفلسطينية معركة الشرعية الدولية باعتراف الامم المتحدة بها ممثلة الشعب الفلسطيني وذلك في الدورة التاسعة والمشرين للجمعية العمومية للمنظمة الدولية في السنة الماضية ، كان من الطبيعي ومنطوق الاشياء ان تسمى متف الى النضال السياسي من اجل نزع هذه الشرعية عن اسرائيل في ضوء حقيقة واحدة هي استحالة تلاقي الاضداد على صعيد واحد ، باعتبار ان الوجود الاسرائيلي هو نقيض الوجود الفلسطيني ، وان الاعتراف باحدهما ، ان كان هذا الاعتراف بنظريا مع نفسه ومع مقدماته التي يستند اليها ، لا يحل الا معنى النفي للاخر . وهكذا مع اقتراب موعد انعقاد الجمعية العمومية للامم المتحدة نشطت متف مع كل صعيد مؤثر لخوض المعركة الهادفة الى احكام العزلة من حول اسرائيل في الدوائر والمنظمات الدولية توطئة لمعركة فاصلة على صعيد الامم المتحدة تركز فيها هذه العزلة بطرد اسرائيل من الامم المتحدة وهي خطوة ، ان ثبت ، ستكون الوجه الاخر لاعتراف المجتمع الدولي بمتف ، الوجه المستكمل بنزع الشرعية الدولية عن اسرائيل . وكان من الطبيعي ان تقابل متف معركتها على ارض دول العالم الثالث اكثر الميادين خصبا لانمار النضال السياسي الفلسطيني ضد اسرائيل . وكان انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلابية في جده ( افتتح في ١٢ تموز ) الفرصة الاولى التي اتاحت من اجل هذا الهدف . وكان ابرز ما استحوذ على اهتمام مؤتمر جده في اليوم الثالث لانعقاده الطلب السوري - الفلسطيني بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ،

الشيوخ « سيعيد النظر جدياً في استمرار الولايات المتحدة عضواً في الأمم المتحدة تحت هذه الظروف » .

كان لا بد لهذه الحملة ان يكون مصيرها الفشل ان لم تجد الفجوة العربية التي تنفذ من خلالها . فالاجماع العربي ، بالإضافة الى الحق الواضح في هذه القضية ، كان ينبغي له ان يكون ذا تأثير ايجابي في مواقف دول العالم الثالث . واكثر من ذلك فان التهديدات الاميركية كان لا بد لها ان تجد ردود فعل معاكسة ، ان احسنت ادارة المعركة ، تنشل الهجمة الاميركية . وقد نظمت وكالة « الاسوشيتدبرس » ( ٧/١٩ ) بعض ردود الفعل على هذه التهديدات فأوردت قولاً ل احد السفراء الاوروبيين في الأمم المتحدة اكد فيه « ان اي قرار من مجلس الشيوخ الاميركي لن يساعد بل سيكون له مفعول عكسي » . كما ذكر مندوب لاحدى الدول الغربية الصديقة لإسرائيل ان اي قرار من هذا النوع يضر اكثر مما ينفع . وذكرت الوكالة ان هؤلاء الدبلوماسيين يعتقدون انه بسبب تهديد مجلس الشيوخ الاميركي بقطع المساعدات عن الأمم المتحدة ، فان الدول الاعضاء في المنظمة الدولية ستقوم بتحركات جماعية من اجل طرد اسرائيل . كما ستضطر للانضمام الى الخط المتصلب في المنظمة كي لا تتهم بانها تستسلم للضغط الاميركي .

كان الاختيار العملي لتأثير الحملة المضادة في مؤتمر القمة الافريقية الذي بدأ جلساته في كيبالا باوغندا في ٢٨ تموز . وكان واضحاً منذ ما قبل انعقاد المؤتمر ان الحملة المضادة وجدت فجوتها العربية في الموقف المصري .

ففي اليوم السابق للمؤتمر عقد الرئيس أنور السادات مؤتمراً صحافياً في الخرطوم ( أ.ش.أ — ٧/٢٧ ) قال فيه « اذا كنا نطالب إسرائيل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيجب ان تكون إسرائيل في الأمم المتحدة حتى تنفذ هذه القرارات . . . ان وجود إسرائيل في الأمم المتحدة وتنفيذها قرارات الأمم المتحدة أجدى من طردها حتى لا نتدخل من كل شيء » . وكان المقصود من هذا الموقف واضحاً وهو لا يتعلق من قريب أو بعيد بضرورة التزام إسرائيل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي أصبحت مخالفتها والتدخل منها و « من كل شيء » جزءاً أساسياً من تراث المنظمة الدولية وتاريخها ،

حضرت مؤتمر جدة ) في هذا القرار ادخل المعركة من اجل طرد إسرائيل مرحلة عملية تنظر في حال تكرار مثل هذا القرار على صعيد دولي آخر بنتائج ستعكس حتماً لمصلحة الهدف من المعركة ، حال انعقاد الجمعية العمومية للأمم المتحدة وهي الساحة الرئيسية لجميع هذه المقدمات التمهيدية . وهكذا بدأت الحملة المضادة من جانب إسرائيل والولايات المتحدة لتفريغ الانتصار في مؤتمر جدة من مضمونه ولحيلولة دون ان يصبح مطلباً دولياً . وكان اتجاه إسرائيل في هذه الحملة المضادة موجهاً الى مصر بشكل مباشر يفرض ابتزازي يربط ما بين طردها من الأمم المتحدة والتهديد بوقف المساعي للوصول الى تسوية جزئية في جبهة سيناء . وكان هذا الاتجاه واضحاً في التصريح الذي ادلى به « مصدر مazon » في تل ابيب لبعض وكالات الأنباء في ( ٧/١٧ ) والذي قال فيه « ان التحرك العربي لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة قد يسيء الى غرض التفاوض الهادف للوصول الى حل مؤقت بين إسرائيل ومصر » . وبالتأكيد فان الولايات المتحدة لم تكن بمعزل عن مثل هذا الاتجاه وان كانت قد وسعت دائرة حملتها لتشمل دول العالم الثالث بالتهديد بوقف مساعداتها لها ودعمها للأمم المتحدة ، في محاولة لاختضاعها لمشيئتها الاستعمارية . وقد كان هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركي ، واضحاً في هذه المحاولة في التحذير الذي وجهه (في خطاب ألقاه في جامعة ويسكنسن يوم ٧/١٤ ) الى دول العالم الثالث من ان الولايات المتحدة قد تعيد النظر في مساهمتها المالية في موازنة الأمم المتحدة اذا استمرت هذه الدول في جعل المنظمة الدولية « مكاناً للمواجهة » بدل ان تكون « قاعة يجري فيها التفاهم بين الأمم » . وبعدها ذكر كيسنجر بان الولايات المتحدة هي التي تقدم اكبر دعم مادي للمنظمة الدولية قال « ان مساندة الشعب الاميركي قد تسحب اذا لم تحترم الاكثية العددية وجهات نظر الاقلية » . وقد صمدت الولايات المتحدة حملتها تلك بالقرار الذي وافق عليه مجلس الشيوخ الاميركي في ٧/١٨ والذي جاء فيه « ان مجلس الشيوخ سيعيد النظر في مختلف التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث المعنيسة اذا طردت إسرائيل » ، وحذر من ان مجلس

أن الطرف العربي الذي عارض قرار الطرد وجد نفسه في نهاية المطاف معزولاً تماماً عن الاتجاه العام السائد في المؤتمر ولم ينجح سوى في كسب دولة افريقية واحدة تساند موقفه علناً ( وكالة الأنباء الفلسطينية « وفا » ٨/٥ ) .

وقد تسبب هذا الموقف السلبي في ضعف القرار الذي اتخذته المؤتمر بصدد إسرائيل فلم ينص على ذلك صراحة وإنما جاء فيه أن المؤتمر « يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية اتخاذ أكثر الإجراءات ملائمة لتعزيز الضغط المفروض على إسرائيل في الأمم المتحدة ووكالاتها المختصة ، بما في ذلك حرمان إسرائيل من عضويتها في هذه المؤسسات » .

وقد علق الاخ زهير محسن ، رئيس الندوة العسكرية في م.ت.ف. ، على هذا الموقف بقوله ( في تصريح نشرته « النهار » ٨/١٢ ) : « أما الادعاءات التي صدرت بعد المؤتمر في محاولة لتبرير الموقف الغريب واللامنتطقي الذي وقفته مصر بالذات في معارضة قرار الطرد فكلها ادعاءات لا تستند الى أي منطق ولا تستهدف غير تقديم المزيد من الترضيات والتعبير عن أقصى الولاء للولايات المتحدة ورفباتها ومصالحها وسياساتها ... وسيكون لهذا القراجع الجزئي الذي سجله مؤتمر كينبلا انكاسات سلبية على اجتهاد دول عدم الانحياز المقبل في ليبيا ، وسوف يسجل تاريخياً بأن بعض العرب وقفوا ضد مصالحهم ونشطوا ضد قضيتهم وقدموا لعدوهم خدمة مجانية كبرى ، لم يكن يحلم بها على الاطلاق ومن دون أي مقابل » .

على أي حال ، فإن نشاطات م.ت.ف. واتصالاتها التي أعقبت مؤتمر كينبلا ، تؤكد أنها تعمق مسيرتها نحو طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، وهي التي بدأ التمهيد لها منذ اختتام الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية ، وسيكون مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المقرر عقده في ليبيا بالبيرو في ٢٥ آب الخطوة ما قبل الأخيرة لتقرير دخول المعركة الأكثر حسماً على أرض الأمم المتحدة في دورتها المقبلة .

#### الموقف من الأردن

تعمدت بعض الصحف العربية في الآونة الأخيرة نشر أنباء احتمال قيام « مصالحة » بين م.ت.ف.

وإنما المقصود كان هو اظهار « حسن النوايا » تجاه إسرائيل واستجابة لموقفها الإبتزازي المتعلق بالتسوية الجزئية مع مصر .

مع هذا الموقف المصري الذي رافقته حملات اعلامية مركزية تشطت م.ت.ف. التي كان وفدها المراقب برئاسة الاخ ابو عمار ، مع بعض الوفود الاخرى ( كان موقفاً وفدي الجزائر وليبيا بارزين في هذا المضمار ) لتفشييل الحملة المضادة . وقد أعطى الاخ ياسر عبد ربه ، رئيس دائرة الاعلام في م.ت.ف. وعضو الوفد الفلسطيني ، صورة عما دار في المؤتمر في هذا الصدد : « من مجموع ٤٦ دولة افريقية شاركت في أعمال المؤتمر أعلن رؤساء وممثلو ٤٠ دولة على الاقل تأييدهم بدون تحفظ لقرار طرد إسرائيل من الجمعية العامة للأمم المتحدة وسائر وكالاتها . وكانت الدول التي استقلت حديثاً مثل موزامبيق وغينيا بيساو من أشد الوفود حماساً لمشروع قرار الطرد . ويكتفي أن نقول ان بعض الدول التي كانت تتخذ موقفاً متردداً في السابق بشأن طرد إسرائيل قد حسبت موقفها من قرار الطرد في ضوء المناقشات التي جرت والتي ساهم فيها الوفد الفلسطيني بفعالية ... ومن المؤسف حقاً ان الدول الخمس [ التي شذت عن الموقف الإفريقي وهي زيمبر وغانا وسيراليون والسنگال وليبيريا ] لم تجرؤ على اعلان معارضة مكشوفة لقرار طرد إسرائيل بقدر ما حاولت ان تتسلح بالموقف المصري وتتخذة ذريعة للتصل من تأييد قرار الطرد ... وقد زيمبر برئاسة موبوتو أعلن صراحة انه لا يستطيع تأييد قرار الطرد ما دام وفد مصر يتخذ موقفاً سلبياً منه . [ قالت زيمبر انها ضد مشروع القرار كليا سواء بصيغته الاصلية او بالصيغة المعدلة . أما وفود غانا وسيراليون والسنگال وليبيريا فقالت انها لم تطلق تفويضا واضحا من رؤساء دولها الغائبين عن اجتهاد القمة لكنها قد تقبل بها . ولدى التصويت على القرار سجلت الدول الخمس تحفظاتها رسمياً ] ... ان وزير خارجية افريقيا أعلن صراحة امام المجتمعين ان وزير خارجية دولة عربية قد حرضه على معارضة قرار الطرد ، الامر الذي يستغربه هذا الوزير الإفريقي كمال قال ، لانه لا يفهم كيف يمكن لدولة ذات اراض محتلة ان لا تطالب بفرص عقوبات حازمة على عدوها ...

٦/٢٧] تؤكد على قرب وقوع « مصالحة اخوية » بين الثورة والنظام العميل في الاردن ٠٠٠ وفي الحقيقة فقد نفت الثورة قيام أية اتصالات ، الا ان سيل الاخبار لم ينقطع ، مما يشير الى ان هذه « المصالحة الاخوية » تجد من يدفع ومن يضبط باتجاهها لسبب في نفس يعقوب » ، وقالت المجلة « ان دعوة المصالحة ليست الا محاولة مكشوفة لجر الثورة الى التسوية الامبريالية ، وارغامها على تفويض النظام الاردني لعقد صفقة تصفوية مع العدو الصهيوني وضد الشعب الفلسطيني » .

في هذا المناخ جاءت تصريحات الملك حسين الى بعض الصحافيين الاميركيين ( نقلتها وكالات الانباء في ٨ آب ) والتي استبعد فيها عودة قواعد الفدائيين الفلسطينيين الى الاردن « مهما يكن نوع الاتفاق العسكري مع سوريا » ، اذ قال « لن أسمح للفدائيين بدخول هذا البلد مرة اخرى . هذا نهائي » . وقد ذكر زيد الرفاعي ، رئيس الوزراء الاردني ، في المناسبة نفسها « ان سوريا تعرف ذلك ومصر تعرف ذلك . وهو أمر غير مطروح للمفاوضة » . ولم يكن هذا الموقف ليخرج عن الخط الذي اتبعه النظام الاردني منذ مجازر ايلول والاحراج حتى الان ، كما ان أي موقف آخر ينبغي الا يكون متوقعا منه . وقد أوضح الاخ ياسر عبد ربه ان تصريحات الملك « تجيء دليلا جديدا وقويا على حقيقة نوايا نظام الملك حسين تجاه قرارات الرباط التي أعلن الملك موافقته عليها شكليا بينما أضر استمرار عدائه وحقده على الثورة والحقوق الفلسطينية . ونجى هـ سـ ذه التصريحات الآن في وقت يظن الملك حسين ان علاقاته العربية وبعض التطورات السياسية الاخيرة لدى بعض الانظمة في اتجاه الحل الاميركي يمكن ان تعطيه قطاء مناسباً لتحركاته المشبوهة والمكشوفة للعداء للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني » ( وفا ، ٨/٩ ) .

ومع وضوح الموقف الاردني لجهة عودة المقاومة الى الساحة الاردنية فقد جاء النفي و « التوضيح » اللذان صدرتا بعد أيام قليلة على تصريحات الملك حسين ليؤكدوا بصفة جازمة ان استئثار النظام بالساحة الاردنية هو أمر لا يقبل الجدل بالنسبة

والنظام الهاشمي في الاردن على اساس اقامة بعض قواعد للفدائيين ومكاتب سياسية ضمن اطار معين . وقد صرح مصدر اعلامي مسؤول في الثورة الفلسطينية ، ردا على ذلك بما يلي : « نشرت بعض الصحف البيروتية ووكالات الانباء ، نقلا عن صحيفة الوطن الكويتية نبأ يتعلق باقامة قواعد فدائية مسيطر عليها في الاردن ، وكذلك مكاتب للثورة هناك ، واننا نوضح ما يلي : ان هذا النبأ عار عن الصحة تماما ، وان موضوع التواجد الفدائي فوق الارض الاردنية هو مطروح اساسا كبند في جدول أعمال المؤتمر الرباعي الذي كان مقررا ان ينعقد منذ سبعة أشهر ولم ينعقد حتى الان ، على الرغم من طلب م.ت.ف. المتكرر بضرورة عقده » . ( وفا ، ٧/٢١ ) .

وقد كتبت مجلة « فلسطين الثورة » ، الجريدة المركزية لسم.ت.ف. ، ( ٧/٢٠ ) عن الموقف تجاه ما تردد من انباء عن هذه « القواعد المسيطر عليها » ما يلي « ان قاعدة فدائية معزولة عن شعبها ومحرومة من رواند جماهيرها ، ليست أكثر من وجود مؤقت ، محسوب ومسيطر عليه يتقرر مصيره وفق المخطط الامبريالي الجاري تنفيذه ، في ظل اللهاث المجاني وراء حكمة وحسنة الحكام الامبرياليين في الولايات المتحدة الاميركية . [ و ] ان الضمانات والتعهدات في ظل المناخ الامبريالي السائد ، وفي ظل الممارسات الخاطئة التي لم تبق ولم تذر لا يمكن ان تشكل تيدا مانعا جانعا ، يفل يد النظام الاردني ويمتنع من التصرف بالقضية الفلسطينية على ضوء اتفاقاته ولقاءاته بالمعدو الصهيوني واعلان العدو المتكرر ان الاردن هو الذي يمثل الفلسطينيين وهو الذي يقرر مصيرهم » .

وفي اثناء ذلك كان النظام الاردني يمارس مواقفه ممارسة عليية من المقاومة الفلسطينية فقد نشرت وكالة الانباء الفلسطينية ( وفا ) في ٧/٢٣ أسماء اثنين وعشرين مناضلا فلسطينيا من أصل سبعة وعشرين مناضلا اعتقلتهم السلطات الاردنية خلال الاسبوعين اللذين سبقا نشر النبأ « بينما كانوا في طريقهم الى فلسطين المحتلة . لقادية مهماتهم النضالية » . وعلى الرغم من هذا الدليل الحسي على موقف النظام من المقاومة فقد « انتشرت اخبار من هنا وهناك [ كما تتول « فلسطين الثورة »

الا ان هذا النجاح انتقص من قيمته الكلية ومضمونه الفعلي واقع غشل انعقاد المؤتمر نفسه في موعده المقرر ومكانه الاصيل الامر الذي كان يحد ذاته نجاحا لا يظل من قيمته للاصرار الفلسطيني على حضور المؤتمر .

وقد بدأت « القضية » عندما أعلن النائب العمالي لسلي هاكيفاد ( ٨/٨ ) ان مريضة ضد حضور الوفد الفلسطيني قدمت الى مجلس العموم وعليها توقيع نحو ١٠٠ نائب بريطاني وتصف الدعوة الموجهة الى « المنظمة الراهبية » بأنها « غير مقبولة على الاطلاق » . وقد اثار هذا الموقف جدلا في بريطانياه وأوردت وكالات الانباء ( ٨/٨ ) انه سبب « احراجا متزايدا لوزارة الخارجية البريطانية » . غير ان الموقف الفلسطيني كان حاسما في هذا الصدد ، فقد أعلن الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، بتأكيد « ان فلسطين ستشارك في جميع المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي تدعى اليها بها في ذلك المؤتمر البرلماني الدولي المقرر عقده في لندن » ( وفا ، ٨/١٠ ) . كما كان الموقف العربي ، في هذا الشأن ، متماسكا فقد أكد مجلس الاتحاد البرلماني العربي ، في بيانه الذي صدر في دمشق يوم ٩/٨ من اجتماعاته التي عقدت يوم ٦ و٧ آب ، تمسكه الكابل بحضور المجلس الوطني الفلسطيني كعضو مراقب في مؤتمرات الاتحاد البرلماني ، واستنكر كل المساعي التي تبذل للحيلولة دون حضور المجلس الوطني الفلسطيني مؤتمر لندن ، وناشد المجلس « كل البرلمانات الصديقة وجميع البرلمانيين ذوي الضمير الحر الذين تفهموا عدالة القضية العربية ووقفوا الى جانبها ان يكونوا على يقظة تامة وحذر كامل من المساعي المعادية المفضوحة للصهيونية وسواها ، والتي تحتهد كي تضع العالم مرة اخرى على حافة الخطر » .

ازاء ذلك حسم روي جنكيز ، وزير الداخلية البريطانية ، الجدل الذي اثير وصرح ( ٨/١٣ ) بأنه لا يستطيع ايجاد سبب لرفض دخول أعضاء من المجلس الوطني الفلسطيني الى بريطانياه تلبية لدعوة وجهت اليهم لحضور مؤتمر للاتحاد البرلماني الدولي بصفة مراقبين .

### عصام سخيني

اليه . وفي معرض النفي جاء تأكيد هذه الحقيقة . فقد وصف ناطق رسمي اردني ( ٨/١٣ ) « ما نسب » الى الملك حسين من انه لن يسمح للفدائيين بدخول الاردن مرة اخرى بأنه « لم يكن دقيقا ولا صحيحا » . وقال الناطق ان الملك حسين أوضح في لقاء له مع الصحافيين الاجانب ان « علاقة الاردن بـ م.ت.ف. علاقة طبيعية ولا سيما بعد مؤتمر القبة في الرباط حيث أعلن الاردن قبوله رأي القيادات العربية باعتبار م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » و اضاف « وفي معرض الحديث عن الماضي بتجاربه وأخطائه رفض الملك ، باسم كل مواطن اردني ، مجرد السماح بتكرار الماضي على الساحة الاردنية ، ايمانا منه بوجود ووقوف أهلها صفا واحدا ويدا واحدة في وجه ما يهدد القضية والاردن والعرب من تحديات واطار » . ومع هذه المزايم عن « العلاقة الطبيعية » بين المنظمة والاردن أوضح الناطق الاردني انه « عندما تظهر عناصر الخير في المنظمة على عناصر الشر والهدم فيها ، وعندما يثبت صدق النيات ومصفاؤها ، وعندما تصبح القضية هي الغاية السامية الوحيدة ، سيعرف الجميع ان هذا البلد يقف في الطليعة العربية بذلا وتضحية وعطاء » . غير ان السؤال الذي يكشف حقيقة الموقف الاردني والذي يجدد فعلا قبوله « العلاقات الطبيعية » مع المنظمة ، هو ما هي المقاييس والقيم التي يقيس النظام في ضوئها « عناصر الخير في المنظمة » و « عناصر الشر والهدم فيها » ؟ اليست هي المقاييس التي لا تحتل سوى معنى واحد : « الترويض » . وهو الذي ما انفكت الشعوب المعادية عن محاولات ممارسته منذ كانت الثورة ؟

### المؤتمر البرلماني الدولي

حضور المؤتمرات الدولية واحد من أساليب النضال السياسي التي تخوضها م.ت.ف. على صعيد دولي . وهي في الوقت نفسه هدف للحملات الاسرائيلية والصهيونية في محاولات ناشلة على الاغلب لحاصرة هذا النضال . وعلى الرغم من النجاح الذي حققته الصهيونية الدولية في التأثير على كندا ومنع وفد من م.ت.ف. من المشاركة في مؤتمر علم الجريمة الذي كان مقرا عقده هناك ،

## (٢) القضية الفلسطينية دولياً

من التجاوب مع رغبات مصر . وفي الوقت ذاته نشرت مجلة « تايم » الأمريكية مقابلة مع رابين اشار فيها الى رأي الحكومة الاسرائيلية المعروف بان اتفاقاً جديداً لفصل القوات بين سوريا واسرائيل — على غرار الاتفاق المزمع عقده في سيناء — غير ممكن « بسبب جغرافية الجولان وطوبوغرافيتها » وحث مصر على عدم ترك موقفها يتأثر بهذا الواقع خاصة وان اي اتفاق جديد مع مصر يجب ان تليه « فترة من الاتفراج تمتد سنوات عدة من دون اية ضغوط او تهديدات » . و اضاف رابين قائلاً انه بعد مرور هذا العدد من السنوات ستكون اسرائيل مستعدة للبحث في عناصر اتفاق شامل ومفصل وفقاً لتطور الوضع في مصر وبعض الدول العربية الاخرى . ولا يفوتنا ان نذكر تكرار رابين من جديد رفض حكومته التفاوض مع منظمة التحرير .

بطبيعة الحال كان لهذه التصريحات وقمهما السوء في الاوساط الحاكمة في مصر اذ انها لا تتجاوب مع الالاحاح المصري على ضرورة الاسراع في تحقيق التسوية الجزئية . وكان لا بد للسلطات المصرية من اتخاذ خطوة معينة للرد على الموقف الاسرائيلي المتصلب والمماطل معاً . ففي منتصف شهر تموز اعلن اسماعيل فهمي — وزير خارجية مصر — بصورة مفاجئة قرار مصر برفض التمديد لمهلة القوات الدولية في سيناء والتي تنتهي في ٢٤ تموز . وبرر فهمي هذا القرار بقوله ان اسرائيل استغلت الهدوء النسبي السائد على الجبهة لكي تركز احتلالها للاراضي العربية بدلاً من ان تساعد في الجهود الهادئة الى اقامة سلام دائم في المنطقة . وبما ان اسرائيل ترى في وجود القوات الدولية عودة الى حالة اللاحرب واللاسلم فان مصر وجدت نفسها مضطرة لاتخاذ هذا القرار . يضاف الى ذلك ان هدف مجلس الامن من تكوين قوات الطوارئ ليس تكريس الهدوء على الجبهة بحيث تعود حالة اللاحرب واللاسلم والى استقرار الاحتلال مما يجعل استمرار وجود القوة الدولية مناقضاً لاهداف المجلس واغراضه في

ما زالت التفاعلات المتعلقة بمحاولات التوصل الى اتفاق جزئي جديد بين مصر واسرائيل تسيطر على التطورات الدولية المرتبطة بالقضية الفلسطينية . ويمكننا ان نلقتط خيط هذه التفاعلات مجدداً من خلال التصريحات التي ادلى بها رابين عند عودته الى تل ابيب بعد الزيارة التي قسام بها لواشنطن حيث قابل كبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم الرئيس فورد ( راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٤٨ ، اب ١٩٧٥ ، ص ٢٦٢ وما بعده ) . وتأتي اهمية هذه التصريحات من تشدها وطابعها المماطل خاصة بالقياس الى خلفية التفاوض العام الذي انتشر اثر قمة سالسبورغ بين السادات وفورد والذي وصل الى ذروته في الاخبار التي جرى تداولها بشكل واسع حول توصل مصر واسرائيل الى اتفاقية جزئية جديدة ( المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ) .

ذكر رابين في تصريحاته ان عملية التفاوض مع مصر ستكون طويلة ولا يجوز توقع اية تطورات دراماتيكية على هذا الصعيد في الوقت الحاضر . والمخ الى ان هذه العملية الطويلة قد تستغرق « أسابيع او اشهر او ربما سنة » لان مصر لا تريد « التحدث الينا مباشرة » مما لا يترك اي مجال كي تكون المفاوضات قصيرة وسريعة . وفي هذا التصريح اشارة خفية الى مطلب اسرائيل — الذي سيصرح عنه رابين فيما بعد — باجراء مفاوضات مباشرة وجها لوجه مع مصر كشرط لتحقيق الاتفاق الجزئي . ورفض رابين الموافقة على اي جدول زمني محدد « مفروض من الخارج » او على اية مهل تصوى « تفرض على اسرائيل » لتحقيق الاتفاقية المطلوبة . وبتحديد اكبر اكد رابين ان اسرائيل ترفض اعتبار موعد انتهاء انتداب القوات الدولية في سيناء ( ٢٤ تموز ، ١٩٧٥ ) كموعداً اقصى للتوصل الى هذه الاتفاقية . و اضاف قائلاً بان هناك دلائل تشير الى ان مصر مستعدة لتفسير موقفها من اجل تسهيل الوصول الى اتفاقية جديدة في سيناء ولكن اذا لم يكن هذا التغيير كبيراً لن تتمكن اسرائيل

نداء مجلس الأمن كان منسجما مع هدف الدبلوماسية المصرية وهو « استمرار التحرك نحو السلام وبسرعة وبدون ابطاء » ورفض النداء اية محاولة لتجميد الموقف في المنطقة . وعلى اثر ذلك اتخذ مجلس الامن قرارا في ٢٦ تموز دعا غيه جميع الفرقاء المعنيين لتنفيذ قرار مجلس الامن الرقم ٢٣٨ لعام ١٩٧٢ . وقرر تجديد انتداب قوة الطوارئ الدولية لمدة ثلاثة اشهر اخرى كما طلب من الامين العام لهيئة الامم ان يقدم تقريرا عن الوضع في الشرق الاوسط والخطوات المتخذة لتنفيذ القرار ٢٣٨ قبل انتهاء فترة الثلاثة اشهر المشار اليها .

ما أن تمت تسوية مشكلة تجديد قوات الطوارئ في سيناء حتى عادت الحكومة الاسرائيلية السى تصعيد مواقفها مجددا . وقد اتضح هذا التصعيد في التصرفات الاسرائيلية التالية : ( ١ ) اعلن استحقاق راين بان اسرائيل لن توقع اتفاقا مؤقتا جديدا مع مصر الا اذا سبقته مفاوضات مباشرة وجها لوجه بين الطرفين لان موافقة اسرائيل على التفاوض مع مصر من خلال مساهمي الولايات المتحدة لا يمكن ان تصل الى نهايتها المتوقعة بدون مثل هذه المفاوضات المباشرة . أما اذا رفضت مصر هذا النوع من المفاوضات « فاعليها ان تفهم ان عملية التفاوض ستكون طويلة » .

( ٢ ) اعلان راينين في ٢٦ تموز ان حكومته رفضت كافة الاقترحات المصرية المطلقة بالاتفاق المصري حول سيناء جملة وتفصيلا ، وتأكيد مرة اخرى ان المفاوضات ستكون طويلة واشترطه لنجاحها صدور اعلان مصري رسمي ينص على « ان استخدام القوة لم يعد له مكان فسي بنية العلاقات المصرية الاسرائيلية » ، وان جنتع العلاقات في الاراء بين البلدين يجب ان تسوى بسلام . ومن طريق المفاوضات « ( ٣ ) تصريح شمعون بيريز - وزير الدفاع الاسرائيلي - بان المقترحات الاسرائيلية الاخرى التي جرى نقلها الى مصر بواسطة الولايات المتحدة هي « مقترحاتنا النهائية » وهذا يعني « اننا لن نتقدم بمزيد من التنازلات » لانا « ذهبنا بعيدا وبعيدا جدا في هذا الميدان » كذلك اتهم بيريز مصر - عبر هذه الحملة التصعيدية - باثارة المضاعف الضخمة في وجه الوصول الى الاتفاقية الجزئية « حتى انه

تشكيلها . كذلك أكد فهمي ان قوات الطوارئ لا يمكن ان تبقى على ارض سيناء بدون موافقة السلطات المصرية . وتبعت مصر هذا القرار بخطوة اخرى هي ابلاغ قرارها الى مجلس الامن والطلب اليه اتخاذ قرار جديد يقضي بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . وبينت الحكومة المصرية في طلبها هذا ان بقاء القوات الدولية مرهون بنوعية القرار الذي سيتخذه مجلس الامن حول هذا الموضوع . وكان رد الفعل الامريكى على هذا التحرك تسريب معلومات تقول بان الحكومة الامريكية ستعارض اي قرار جديد قد يقدم عليه مجلس الامن من شأنه الاخلال بتساويز القرار رقم ٢٤٢ . بعبارة اخرى رفضت الولايات المتحدة طلب السادات الى مجلس الامن اتخاذ اي قرار جديد يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي والاحتلال القائم للاراضي العربية . اما بالنسبة للجانب الاسرائيلي فقد صدرت تصريحات وتلميحات وتعليقات توحي بان مسألة الوصول الى اتفاق جزئي غير مستبعدة ابدا ، كما انها لا تتطلب كثيرا من الوقت ، لان « عناصر جديدة » قد طرأت على المفاوضات مع مصر ، مع التأكيد بان القرار المصري لا يساهم في تسهيل المفاوضات الجارية . ( وكل هذا الكلام الاسرائيلي يتعارض مع ما كان قد قاله راين حول احتمالات التوصل الى تسوية جزئية سريعة ) وبعد مداوات سياسية على اعلى المستويات ومشاورات دبلوماسية وجهه رئيس مجلس الامن نداء الى الرئيس السادات يناشده استقاط اعتراض مصر على تجديد انتداب قوة الطوارئ في سيناء . وصوت ١٣ عضوا في المجلس ( من اصل ١٥ ) الى جانب قرار توجيه هذا النداء العاجل ولم يشترك العراق والصين في التصويت . وشدد النداء على ان تجديد انتداب قوة الطوارئ لفترة اخرى سيساهم في خلق الجو المناسب للتقدم نحو السلام العادل والدائم في المنطقة ، وانه سيتمتع حالة الركود من السيطرة على الشرق الاوسط . واستجابت السلطات المصرية لهذا النداء فاعلن اسماعيل فهمي في ٢٤ تموز قرار الرئيس السادات تجديد مهلة القوات الدولية ٣ اشهر اخرى تنتهي في ٢٤ تشرين الاول . وبرر الوزير المصري هذه الاستجابة السريعة ( او التراجع عن الموقف القوي السابق ) بقوله ان

الآخيرة عكست تحولا بارزا نحو التقارب مع المفهوم الاسرائيلي على الرغم من استمرار وجود ثغرات مهمة بين الطرفين والتي لا بد من سدها . وترددت انباء كذلك حول احتمال عودة كيسنجر الى المنطة للقيام بجولة دبلوماسية جديدة لبرام الاتفاق الجزئي ، قبل نهاية شهر آب . وبهذا الصدد ذكر بيريز ان اسرائيل « مهمة بايجاد تسوية مع سوريا شريطة ألا تمس هذه التسوية اية مستوطنة اسرائيلية في مرتفعات الجولان او تؤدي الى الانسحاب منها » . كذلك ذكرت الانباء الصحفية ان المقترحات المصرية المقدمة الى اسرائيل تنطوي على النقاط التالية : ( ١ ) تقوم مصر بوضع كتيبتين في الطرف الغربي من الممرات الاستراتيجية في سيناء بدون ايراد اي ذكر للطرف الشرقي من الممرات وهو الطرف الذي تصر اسرائيل على الاحتفاظ به . ( ٢ ) توافق مصر على ممر أضيق مما كانت تطالب به يصل الممرات الاستراتيجية بحقول البترول بأبو رديس . ( ٣ ) توافق مصر على وجود امريكي في مراكز المراقبة المصرية والاسرائيلية على طرفي الممرات وتجاهل الوجود الاسرائيلي في بعض هذه المراكز ( هنا تذكر الانباء ان اسرائيل مصرة على ادارة مراكز المراقبة بنفسها حتى مع توفر العنصر الامريكي فيها ) . ( ٤ ) توافق مصر على وجود اسرائيلي ومحطات مراقبة اسرائيلية على مرتفعات ممر الجدي . أما على الجانب المصري فقد ذكرت صحيفة الاهرام ان كيسنجر متفائل باحتمال التوصل الى اتفاق جديد لفصل القوات في سيناء في اواخر هذا الشهر . كما توقعته ان يزور الوزير الامريكي المنطقة تريبا لانجاز الاتفاق قبل انعقاد مؤتمر الدول غير المنحازة في ٢٤ آب في الجيرو . ودعمت الاهرام نأها بالقول ان الولايات المتحدة تدرس مسألة تعويض اسرائيل الخسائر التي سببها نتيجة انسحابها من خطها الدفاعي الحالي ومن حقول النفط في أبو رديس على ان تغطي التعويضات تكاليف اقامة خطوط دفاعية اسرائيلية جديدة بعد الانسحاب .

ومن الملاحظ انه مع طرح كل هذه الاخبار قيد التداول ظهرت تصريحات امريكية تشير الى موضوع كان قد طرح سابقا ثم سحب من التداول وهو موضوع قيام الخبراء الامريكيين بالاشرف على محطات المراقبة المتقدمة في جبهة سيناء . فقد

يحق لنا ان نتساءل ما اذا كانت مصر تهتم بالاتفاق فعلا » لان المقترحات المصرية تتجاهل تماما مطالب اسرائيل و« وتطلب منا الكثير بدون ان تقدم شيئا في مقابل ذلك » . كما اتهم بيريز مصر بتعليق الامل على اثاره التوتر بين الولايات المتحدة واسرائيل على أمل الحصول على تنازلات جديدة نتيجة للضغط الامريكي . وأكد بيريز ان السادات يرتكب خطأ كبيرا اذا كان يعتقد انه سيققق هدفه هذا . ولخص الوزير الاسرائيلي الاحتمالات التي يمكن ان تنشأ نتيجة فشل المحاولات الجارية حاليا للوصول الى تسوية جزئية مع مصر بقوله : اما ان تستأنف الاشتباكات او يبقى الوضع القائم على حاله او تحدث تغيرات سياسية في مصر تؤدي الى اعادة نظر جديدة في الوضع .

أما الجانب الامريكي فقد شارك أيضا في حملة التصعيد هذه اذ أعلن كيسنجر في مؤتمر صحفي بأن البوابة بين الموقفين المصري والاسرائيلي مسدودة زالت هائلة وان « غوارق كبيرة » ما زالت تفصل بين الطرفين . لذلك استنتج بأنه من السابق لاوانه القول ما اذا كان سيتم التوصل الى اتفاق جزئي أم لا لان مواقف الطرفين « متباعدة الان حول مسائل اساسية وجديّة » . أما الرئيس فورد فقد خفف قليلا من حدة تصريحات كيسنجر بدعوته كل من مصر واسرائيل الى اظهار مقدار كبير من « الاعتدال والمرونة » لتحقيق تقدم في المساعي السلمية . وألح الرئيس الامريكي الى ضرورة تحقيق مثل هذا التقدم خوفا من حدوث مجابهة امريكية سوفياتية نتيجة اندلاع حرب جديدة في الشرق الأوسط .

الجدير بالإشارة هنا ان انباء اخذت تتوارد خلال الاسبوع الثاني من شهر آب تقول بأن تحولا قد طرأ على الموقف التفاوضي المصري باتجاه الاقتراب من الخطوط العريضة للموقف الاسرائيلي والمقترحات التي ينطوي عليها والتي وصفها بيريز بأنها نهائية كما مر معنا . فقد ذكرت مصادر اسرائيلية ان مقترحات مصر الجديدة — التي وصلت الى الحكومة الاسرائيلية عبر الولايات المتحدة — قدمت بعض الاستجابة لمطالب اسرائيل خاصة فيما يتعلق بالحملات العربية الاقتصادية والدعائية ضد الدولة الصهيونية . كذلك ذكرت المصادر الاسرائيلية ان « المقترحات المصرية

هذه الحملة الى المؤتمر الاسلامي-الذي انعقد في جدة في منتصف شهر تموز . وقد تقدمت كل من سوريا ومنظمة التحرير بمشروع قرار يدعو الدول الاسلامية لتأييد فكرة طرد اسرائيل من الامم المتحدة والعمل على تنفيذها . وقرر المؤتمر تكوين لجنة دائمة مؤلفة من ممثلي ١٣ دولة من الدول الاعضاء تسمى لجنة القدس مهمتها متابعة تنفيذ القرارات التي يتخذها المؤتمر الاسلامي حول فلسطين والتي تتخذها الهيئات الدولية المؤيدة لواقف المؤتمر في هذا الشأن . ودعا البيان الذي صدر عن المؤتمر الدول الاعضاء للعمل في المحافل الدولية والامم المتحدة على طرد اسرائيل من المنظمة الدولية . كما طالب مجددا الدول الاعضاء التي لا تزال لها علاقات سياسية او ثقافية او اقتصادية مع اسرائيل بقطع هذه العلاقات . ووجد المؤتمر تأكيد على ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ومطالب الدول الاعضاء بتنفيذ قرارات المؤتمرات الاسلامية السابقة حول قضية فلسطين . كذلك أعلن المؤتمر تمسك المسلمين بمدينة القدس ومزم حكوماتهم الاكيد على العمل من اجل تحريرها واعادة السيادة العربية عليها مع الإصرار على ألا تكون القدس موضع أية مساومات أو تنازلات مع ضرورة تقديم الدعم المالي اللازم لتدعيم الوجود العربي الاسلامي في المدينة المقدسة . وقرر المؤتمر ايضا مساندة الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية في فلسطين وممارسة حقه في السيادة على ارضه واقامة سلطته الوطنية المستقلة . هذا بالإضافة الى تقديم الدعم الفعال لدول المواجهة لاسترجاع كل الاراضي المحتلة بكل الوسائل المتاحة . وأكد المؤتمر ان السلام العادل والدائم في فلسطين والشرق الاوسط لا يمكن ان يتم التوصل اليه الا على اساس انسحاب اسرائيل الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة وممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الكاملة .

بعد هذين النجاحين على صعيد الحملة لطرد اسرائيل من هيئة الامم المتحدة تقدمت الولايات المتحدة في محاولة للوقوف في وجه هذه النجاحات واجهاضها بكافة الطرق . على سبيل المثال حذر كيسنجر في شهر تموز دول العالم الثالث من ان

إشراك الرئيس غورد-السي-أن ارسال الولايات المتحدة جنودها وخبرائها الى سيناء للقيام بهذه المهمة هو أمر وارد جدا . كما أعلن ستيسكو من استعداد حكومة بلاده لدراس أية اقتراحات بتكليف كادرات امريكية للذهاب الى سيناء لحمل المسؤوليات المذكورة سابقا .

وكجزء من الاخذ والرد الجاري حول مسألة التسوية الجزئية قام أمين عام هيئة الامم بزيارة للقاهرة في الاسبوع الاخير من شهر تموز حيث اجرى مباحثات مع الرئيس السادات وكبار المسؤولين في القاهرة . وعند وصوله شدد غالدهايم على خطورة الموقف في الشرق الاوسط بسبب عدم التوصل الى حل شامل ونهائي للمشكلة . كما رحب بالجهود الهادفة الى تحقيق اتفاق جديد للفصل بين القوات في سيناء وعبر عن توقعه بأن الاشهر الثلاثة المقبلة « ستسفر عن تقدم حقيقي نحو سلام نهائي في المنطقة » وأشار الأمين العام الى اعتقاد معالجة أزمة الشرق الاوسط معالجة ناجحة على مؤتمر جنيف . وعلى اثر مباحثاته مع الرئيس السادات ذكر غالدهايم ان مباحثاته كانت « بناء للفاية » وامتدح قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٢٢٨ كأساس لتسوية النزاع الاسرائيلي على اساس سليمة . وأوضح غالدهايم بأنه لا يتسوي زبارة اسرائيل في الوقت الحاضر .

التطور الهام الآخر على الصعيد الدولي الذي يمس القضية الفلسطينية هو الحملة الكبيرة التي جرت في اوساط دول العالم الثالث لطرد اسرائيل - او تعليق عضويتها على أقل تعديل - من الجمعية العامة لهيئة الامم . وقد ظهرت بوادر هذه الحملة في مؤتمر المرأة الذي انعقد في المكسيك منذ فترة قصيرة حيث صدر قرار يدين الصهيونية بمراحة ووضوح . وقد عارضت كل دول اوربا الغربية بالإضافة الى الولايات المتحدة وكندا واليابان طبعاً وبعض دول العالم الثالث المرتبطة مباشرة بالامبريالية الامريكية والتابعة لها . مع ذلك فقد أجز قرار الادانة الاكثرية اللازمة لتبنيه بفضل اتجاه السواد الاعظم من دول العالم الثالث نحو وضع الصهيونية في موضع الحركات العنصرية وتشبيهها بالؤسومات القائمة على التمييز ضد السود في جنوب افريقيا . بعد هذا النجاح انتقلت

كل الدلائل تشير الى ان مؤتمر قمة دول منظمة الوحدة الافريقية سيدعو بصراحة وبصورة مباشرة الى طرد اسرائيل من الامم المتحدة وحتى الى فرض العقوبات عليها الى ان تنسحب من الاراضي الغزبية المحتلة وتتعرف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . في الواقع اتفق وزراء خارجية الدول الافريقية في اجتماعاتهم التحضيرية لمؤتمر القمة على رفع توصية الى الرؤساء بطرد اسرائيل من هيئة الامم ( او تعليق عضويتها على اقل تعديل ) . غير ان الموقف المصري الذي عبر عنه الرئيس السادات في المؤتمر لم يترك مجالاً امام مؤتمر القمة لاقرار توصية وزراء الخارجية . وجدير بالاشارة ان السادات كان قد قال في مؤتمر صحفي عقده في الخرطوم ، انه « اذا كنا نطالب اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة فيجب ان تكون اسرائيل في الامم المتحدة حتى تنفيذ هذه القرارات » كما أكد السادات « ان وجود اسرائيل في الامم المتحدة وتنفيذها لقرارات المنظمة الدولية اجدى من طردها حتى لا تتحلل من كل شيء » . وقد كبر الرئيس السادات هذا الموقف في مؤتمر القمة مما جعل اي قرار افريقي بطرد اسرائيل سيبدو « ملكيا أكثر من الملك » ومزاوردا على الدولة صاحبة العلاقة المباشرة بالنزاع مع اسرائيل . لذلك لم يخرج المؤتمر الا بقرار مانع يطلب من كل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية اتخاذ الاجراءات الملائمة لتعزيز الضغط على اسرائيل داخل الامم المتحدة وكالاتها بما في ذلك امكان حرمان اسرائيل من عضويتها في هذه الوكالات . وحتى هذا القرار المانع خضع لتحفظات عدد من الدول الافريقية بحجة الموقف المصري المذكور . من جهة اخرى أكد المؤتمر مساندته الكاملة والفعالة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع لاسترجاع حقوقه الوطنية وحقه في العودة الى وطنه فلسطين في تقرير مصيره واقامة سلطته الوطنية المستقلة .

على سعيد آخر قام الرئيس المكسيكي بزيارة كل من القاهرة وعمان وتل ابيب خلال جولة يجريها في الدول الاسيوية - الافريقية . وأعلن الرئيس المكسيكي خلال وجوده في القاهرة اعتراف بلاده بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية وبمنظمة التحرير الفلسطينية وضرورة استعادة الاراضي العربية

بلاده استعداد النظر في مساهمتها المالية في موازنة الامم المتحدة اذا استمرت الدول المذكورة في تحويل « المنظمة الدولية الى مكان للمواجهة بدلا من ان تكون مكانا للتفاهم بين الامم » . واتهم كيسنجر دول العالم الثالث بسوء استخدام الامم المتحدة عن طريق ما أسماه « بعمليات التصويت المتحيزة » التي تؤدي « الى نتائج غير عادلة » اعتمادا على « خطط اعباطية » ولم يخف كيسنجر سبب انزعاجه من الاكثوية التابعة للمسلم الثالث في الجمعية العامة اذ قال انه اذا فقدت الدول الكبرى ، وخصوصا تلك التي تقدم الدعم المالي الاساسي لهيئة الامم ( أي الولايات المتحدة ) ، تقنتها في المنظمة تصبح الجمعية العامة مهددة بالزوال وبفقدان التأثير المعنوي الذي تتمتع به . وفي الوقت نفسه اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا انتقد فيه بشدة الجهود المبذولة لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وهندد القرار باعادة النظر في كافة التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث اذا جرى طرد اسرائيل من المنظمة الدولية . هذا بالإضافة الى اعادة النظر في موضوع استمرار الولايات المتحدة عضوا في المنظمة . أما الحكومة الاسرائيلية فقد هدّدت على لسان وزير خارجيتها بأنه في حال تعليق عضوية اسرائيل في هيئة الامم فان جميع نشاطات المنظمة الدولية في اسرائيل ستتوقف . مما يعني :

( أ ) كف اسرائيل عن التقيد بقرارات هيئة الامم المتعلقة بالمنطقة ، ( ب ) تأثر اتفاقات مك الارتباط مع مصر وسوريا على اعتبار ان الامم المتحدة هي غريق أصيل في هذه الاتفاقات ، ( ج ) تأثر مؤتمر جنيف واحتمالات انعقاده على اعتبار انه قائم ضمن اطار هيئة الامم وبرئاسة أمينها العام ، ( د ) تأثر مساعدات هيئة الامم الى « اللاجئين الفلسطينيين » عبر الانروا في الاراضي المحتلة .

ويبدو انه كان لهذه الحيلة الامريكية - الاسرائيلية المضادة تاثيرها في كبح التعبئة الجارية لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية . وقد ظهر تأثير الحيلة المضادة في الاوساط الحاكمة المصرية وبعض الدول الافريقية كما تبين ذلك جليا في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في أواخر شهر تموز في كمبالا عاصمة اوغندا . استنادا الى ما جرى في مؤتمر المرأة في المكسيك ومؤتمر الدول الاسلامية كانت

عرضه بتزويد الاردن بهذه الاسلحة مما حدا بالسلطات الاردنية التهوديد بالاسمي للحصول على الاسلحة المطلوبة من « مصادر اخرى » . ( ٢ ) . في منتصف شهر تموز شنت اجهزة الاعلام السوفياتية حملة قوية على الصحف المصرية متهمه اياها بتعمد تشويه سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط . واثارة النزعات المناوئة ضد السوفيات في الاوساط العربية . واتهم الجانب السوفياتي الصحافة المصرية « بالانضمام الى جوقه الدعاية الامبريالية والصهيونية » . على سبيل المثال اعربت البراغدا عن استياء الاتحاد السوفياتي من تعليقات الصحف المصرية التي تتعمد التشكيك بقيمة التعاون الاقتصادي المصري السوفياتي مذكرة بدور الاسلحة السوفياتية وأهميتها في حرب تشرين ١٩٧٢ وفي بيان القوة العربية الحالية . ( ٣ ) طلبت الحكومة الكندية من هيئة الامم تأجيل انعقاد المؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة الذي كان سينعقد في تورنتو . والسبب وراء هذا الطلب رغبة مراقبين عن منظمة التحرير حضور المؤتمر . الا ان لجنة المؤتمرات في الامم المتحدة رفضت الطلب الكندي وقررت نقل مقر المؤتمر من تورنتو الى جنيف وعقدته في التاريخ المحدد له سابقا .

المحتلة وتنفيذ كل قرارات هيئة الامم باعتبار ان كل هذه الاشياء هي الاساس الذي لا يمكن ان تقوم بدونه أية تسوية لمشكلة الشرق الاوسط . كما وعد بنقل وجهة النظر هذه الى الزعماء الاسرائيليين . وعند انتقاله الى هناك دعا السلطات الاسرائيلية الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والى ادراك ان حصولها على حدود آمنة يتوقف على حل القضية الفلسطينية . وعلى اثر مشاوراته مع رابين أعلن الرئيس المكسيكي بأنه قرر ارسال وزير خارجيته الى القاهرة على أمل تحقيق تقدم في المحادثات بين مصر واسرائيل حول التسوية الجزئية في سيناء . ولم يعرف شيء بعد عن نتائج هذه الوساطة الجديدة والمفاجئة .

أخيرا هناك بعض التفاصيل التي لا بد من الاشارة اليها بسرعة وهي تلخص بالنقاط التالية : ( ١ ) برزت حملة قوية داخل مجلس الشيوخ الامريكي استهدفت الاتفاق الذي جرى التوصل اليه بين الحكومة الامريكية والملك حسين لتزويد الاردن بـ ١٤ بطارية من صواريخ هوك المضادة للطائرات بالإضافة الى مجموعة اخرى من الاسلحة ذات الطابع الدفاعي . وقد سحب فورد

### ( ٣ ) المناطق المحتلة

سلطات الاحتلال الاسرائيلية توقيفهم لمدة تزيد عن السنة دون ان تقدمهم الى المحاكمة . وفي اليوم الذي بدأ فيه المعتقلون اضرابهم قام وفد يمثل امهات وذوي المعتقلين الاداريين في مدينة نابلس بمقابلة الحاكم العسكري للمدينة ، وقدم له مذكرة حول استمرار توقيف ابنائهم دون تقديمهم للمحاكمة . وقد جاء في المذكرة كما نشرتها صحيفة الشعب ( ٧٥/٧/١١ ) التأكيد على النقطتين التاليتين :

١ - لقد مضى على المعتقلين مدة تقارب الخمسة عشر شهرا وانه خلال هذه المدة كان جواب السلطات المعنية عن تكرار المراجعات بشأن المعتقلين ان التحقيق لم ينته بعد .

٢ - « ان بقاء ازواجنا وابنائنا داخل السجن لا يخدم السلام في هذه المنطقة على الاطلاق . ولا شك ان السلام القائم على العدل هو رغبتنا ورغبة الكثيرين من ابناء الشعب الفلسطيني والاسرائيلي » .

وفي الوقت الذي اخذت فيه سلطات الاحتلال تتكتم خيرا اعتصام المعتقلين وضرابهم عن الطعام ، كان خبر هذا الاعتصام يسري بين كافة ابناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة . واخذت ردود الفعل تتوالى من مختلف المناطق والاتجاهات .

ففي يوم ٧٥/٧/١٧ اعتصم في دار البلدية بنابلس وفد من امهات وزوجات المعتقلين الاداريين في سجن نابلس المركزي . واجتمع مع السيد عادل الشكعة نائب رئيس البلدية للمطالبة بمساعدة ابنائهم الذين يواصلون اضرابهم عن الطعام منذ ثمانية ايام . وجاء في معرض مطالبتهن بتدخل البلدية قولهن « اننا نطالب ان ندخل نحن وعائلانا السجن مع اقاربنا المعتقلين او ان يتم اطلاق سراحهم » . وحملن الامل المتحددة وسكرتها العام مسؤولية ما سيحدث لابنائهن وازواجهن المعتقلين . وناشدن الصليب الاحمر بالعمل السريع على اطلاق سراح الموقوفين . وكان وفد من هؤلاء النسوة قد اجتمع قبل ذلك مع رئيس البلدية في

عدا عن تواصل النضال العسكري الفلسطيني في المناطق المحتلة طوال سنوات الاحتلال السابقة ، برزت في السنوات الاخيرة - على وجه التحديد - اشكال نضالية هامة تعتمد على المبادرات الجماهيرية واشراك اوسع الفئات الشعبية في النضال ضد الاحتلال ومقاومة سياساته البغيضة . وما تشهده المناطق المحتلة في هذه الايام من تكليف وتمديد للكفاح المسلح ، ما هو الا نتيجة طبيعية لتحسس الجماهير الراضحة تحت الاحتلال لمسؤولياتها الوطنية ، بعد ان نزلت الى مواجهة المحتلين في الشوارع عبر المظاهرات والاعتصام والاضراب والمسيرات وغيرها من طرائق النضال المتبعة .

لقد جاء تعدد اشكال النضال في السنوات الاخيرة بعد ان ظل لسنوات يقتصر على الكفاح المسلح كشكل نضالي وحيد ، تطورا هاما في مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني بحيث اتسع المجال لكافة ابناء الشعب للمساهمة في دحر الاحتلال عبر اشكال النضال المتاحة .

وشهدت المناطق المحتلة في الفترة الاخيرة مثلين بارزين في هذا المجال . الاول هو الاعتصام عن الطعام الذي اعلنه الموقوفون الاداريون في سجون الاحتلال وتضامن المعتقلين السياسيين معهم . وقد الهب الاعتصام هذا اعقب المشاعر لدى الجماهير الفلسطينية ليس داخل الوطن المحتل فحسب وانما خارج الوطن . والثاني الاجراء الذي اقدمت عليه سلطات الاحتلال بتقسيم الحرم الابراهيمي في الخليل بحيث اصبح جزء من الحرم يخص اليهود واخر للمسلمين . وقد اثار هذا الاجراء الاحتلالي بدوره اعقب المشاعر لدى ابناء الشعب الفلسطيني وقاد ردود فعل واسعة شملت كافة مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة وامتدت الى ردود فعل رسمية على الصعيد العربي .

#### اضراب المعتقلين عن الطعام

اعلن المعتقلون الاداريون في سجن نابلس اضرابا مفتوحا عن الطعام احتجاجا على مواصلة

ابو ايل ، عبد الباسط الخياط ، جمال فريخ ،  
راجح غنيم ، احمد دحلول ، زهير عميرة ومحمد  
بغدادى . ( الشعب ١٩٧٥/٧/٢٢ ) .

وعلم فيما بعد ان سلطات الحكم العسكري  
جددت اعتقال الموقوفين الاداريين في سجن نابلس  
لمدة ستة اشهر اخرى ابتداء من ١٩٧٥/٧/٢٠ بعد  
ان مضى على اعتقالهم اكثر من خمسة عشر  
شهرًا . ( الفجر ١٩٧٥/٧/٢٢ ) .

الا ان تجديد فترة التوقيف لم يوقف المعتقلين عن  
مواصلتهم الاضراب عن الطعام . وقد نشرت  
« الفجر » بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢٦ انهم ما زالوا  
مضربين عن الطعام الامر الذي ادى الى تدهور  
صحتهم . وقد ادى ذلك الى قيام الهيئات النسائية  
والنقابات المهنية والاندية والغرف التجارية بتقديم  
مذكرة احتجاج على استمرار الاعتقال وتجديده  
وطالبت بالافراج عنهم او تقديمهم الى المحاكمة .

وانتقل اعتصام زوجات وامهات واخوات  
المعتقلين المضربين عن الطعام في سجون اسرائيل  
الى بنىة المجلس الاسلامي بالقدس يوم ١٩٧٥/٧/٢٩  
١٩٧٥ . وقد اصدر رئيس الهيئة الاسلامية نداء  
الى وزير الشرطة طالب فيه بتدخله السريع للبت  
في مصير هؤلاء المعتقلين والافراج عنهم . وورد في  
النداء كما نشرته صحيفة الفجر يوم ١٩٧٥/٧/٣٠  
« ... لقد اعتصمت هؤلاء السيدات في بنىة  
المجلس الاسلامي يوم امس لذلك فانني اطالب  
بتدخلكم السريع . امل ان المس النتائج الحاسمة  
للبت في مصير هؤلاء المعتقلين والافراج عنهم » .  
وقد بعث رئيس الهيئة الاسلامية بنسخ من هذا  
النداء الى كل من وزير الدفاع الاسرائيلي والحاكم  
العسكري للعام للضفة الغربية ومدير مكتب  
جمعية الصليب الاحمر الدولي .

من ناحية اخرى قدم رئيس بلدية نابلس احتجاجا  
الى الحاكم العسكري بعد ان منعت السلطات  
مقابلة الاهالي لذويهم المعتقلين بعد مضي حوالي  
عشرين يوما على اضرابهم وبعد ان ساءت صحة  
العديدين منهم ونقلوا الى المستشفيات . ( الفجر  
١٩٧٥/٧/٢١ ) . غير ان وزير الدفاع الاسرائيلي  
لم يستجب لنداء رئيس بلدية نابلس باطلاق سراح  
الموقوفين الاداريين او محاكبتهم بصفة عاجلة .  
( الشعب ١٩٧٥/٨/٥ ) . وفي وقت لاحق ذكرت

نابلس الحاج معزوز المصري وطالبته التدخل في  
الموضوع . تقدمت البلدية على اثر ذلك طلب  
السماح لوفد من المجلس البلدي بالاجتماع مع  
وزير الدفاع الاسرائيلي او الحاكم العسكري العام  
للضفة الغربية لدراسة هذا الموضوع . غير ان  
المجلس البلدي الى ذلك الحين لم يتلق ردا على  
طلبه هذا . ( الفجر ١٩٧٥/٧/١٨ ) .

وعندما دخل اضراب الموقوفين يومه العاشر  
اتصل مكتب المحامية طيتسيا لانغر بالصليب الاحمر  
الدولي لطلب تدخله في الامر . فكان جواب الصليب  
بان المضربين يتلقون جرعات من الطعام السائل  
بصورة قسرية .

وقد اوردت صحيفة الشعب كشفا باسماء  
الموقوفين الاداريين المضربين عن الطعام موزعا  
على عدة سجون هي كما يلي :

١ - سجن كتار يونا : يعقوب فراج ، فاروق  
السلفيتي ، محمد ابو غربية ، الشاعر خليل  
ثوما . وقد جددت مدة توقيفهم ٦ اشهر اخرى بعد  
ان مضى على اعتقالهم حتى ذلك التاريخ ١٥  
شهرًا .

٢ - سجن الخليل : عطالله رشماوي ، محمد  
سعادة ، عبد المجيد حمدان . جدد لهم في ١٩٧٥/٧/٢٠  
١٩٧٥ لمدة ستة اشهر اخرى بعد ان مضى على  
اعتقالهم ١٥ شهرًا . اما خليل رشماوي وداود  
نصر فقد جدد لها التوقيف لمدة ثلاثة اشهر من  
التاريخ نفسه بعد ان مضى على توقيفها ١٠  
اشهر . اما مصطفى ابو سنية وسالم جابر فلم  
يعرف المصير الاداري لكل منهما . وكذلك الامر  
لم يعرف مصير الموقوفين الاداريين من قطاع غزة  
وهم : محمد عاشور ، زويد العجة ، عياد العابدة ،  
زويد عليان ، عثمان ابو عيسى .

٣ - سجن رام الله : خضر العالم ، عبدالله  
البيعات ، عبد الحميد ابو الحصص ، عبد  
الريماوي ، تيسير العاروري ، غسان حرب ،  
عدنان داغر ، حسين الطويل ، صلاح زهران ،  
عادل برغوثي ومحمد برغوثي . ولم يعرف المصير  
الاداري لهؤلاء جميعا .

٤ - سجن نابلس : خلدون عيد الحق ، عباس  
عيد الحق ، ليبي فخر الدين ، الدكتور فرحان

المذكرات واقاموا المظاهرات والاعتصامات ، واكثروا من التعديّات على المصلين المسلمين . وكانت اجر محاولة لهم في هذا النطاق الاعتصام الذي بدأه عدد من المستوطنين اليهود في الحرم الابراهيمي يوم ١٩٧٥/٧/٢٦ ولم تخرجهم منه الا قوات الشرطة في اليوم التالي . وفي يوم ١٩٧٥/٧/٢١ قام وزير الدفاع الاسرائيلي بزيارة للخليل وللمستوطنة المجاورة كريات اربع حيث اطلع من المستوطنين على رغبتهم في الاستيلاء على الحرم الابراهيمي وتوسيع المستوطنة وبناء الحي اليهودي في الخليل . وفي الجلسة التالية للحكومة عرض وزير الدفاع مقترحاته لتقسيم الحرم الابراهيمي فانقرت الحكومة اقتراحه . وصدر بيان رسمي اذاعه وزير الاديان الاسرائيلي يقول ان « التدبير الجديد يقوم على مبدأ التساوي في الحقوق دون تمييز » ( ر.أ.١٠٠ . ١٩٧٥/٨/٧ ) .

ولقد كان لهذا الاجراء الاسرائيلي بدوره اوسع اثر واعيقه لدى الجماهير الفلسطينية داخل الوطن المحتل وخارجه . ففي الضفة الغربية قامت البلديات بارسال برقيات احتجاج الى وزير الدفاع على ذلك الاجراء .

لم يتوقف الاحتجاج بالطبع عند رمع المذكرات وبرقيات الاحتجاج سواء من البلديات او المجلس الاسلامي الاعلى في القدس ، بل امتد ليشمل قطاعات واسعة من الجماهير الشعبية . ففي مدينة الخليل قام المصلون الذين ادوا صلاتهم يوم ١٩٧٥/٨/٦ في الحرم الابراهيمي نفسه ، بمظاهرة عنيفة في شوارع الخليل احتجاجا على سلطات الاحتلال واجراءاتها المتعلقة بالحرم . وقد اعلن التلفزيون الاسرائيلي في حينه ، ان قوات الشرطة التي تدخلت لتفريق المتظاهرين بالقوة اوقفت ٢٠ متظاهرا ، وان عدة اشخاص اصيبوا بجراح اثناء تبادل المتظاهرين الحجارة مع رجال الشرطة والسيارات العسكرية الاسرائيلية ، وقالت وكالة الصحافة الفرنسية التي اوردت الخبر ، ان المصلين توجهوا من الحرم الى ساحة البلدة وهم يهتفون بشعارات معادية لاسرائيل ، وان عدة مئات من المواطنين انضموا اليهم ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى ارسال جنود اضافيين الى مدينة الخليل بعد ان تصاعد التوتر فيها على اثر الاشتباك والاعتقالات .

وكالة الصحافة الفرنسية ان المعتقلين الاداريين الذين بدأوا اضرابا عن الطعام في سجن نابلس قد وافقوا في صباح يوم ١٩٧٥/٨/٦ على وضع حد لاضرابهم الذي بدأ منذ يوم ١٩٧٥/٧/١١ . وقالت الوكالة ان وقف الاضراب قد تم بعد وعد قدمه شمعون بيرس وزير الدفاع الاسرائيلي الى رئيس بلدية نابلس بان تعيد اللجنة الخاصة بحث حالة المعتقلين خلال ١٥ يوما .

وخلال فترة اضراب الموقوفين عن الطعام ، واضافة الى التضامن الشامل معهم من قبل جماهير الارض المحتلة ، امتدت الحملة التضامنية هذه لتشمل مناطق التجمعات الفلسطينية خارج الارض المحتلة . ففي عمان دعت لجنة الدفاع عن المعتقلين الى اعتصام في مقر لجنة اتقاذ القدس ، وطير الجنعمون برقيات احتجاج من هناك الى الامم المتحدة والهيئات الدولية المعنية .

وفي بيروت دعت لجنة الدفاع عن المعتقلين والاتحادات الشعبية الفلسطينية الى اعتصام في مقر الامم المتحدة حيث ابرقت ايضا الى المؤسسات الدولية المعنية ببرقيات احتجاج على مواصلة العدو لسياساته التعسفية ضد ابناء الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وخاصة المعتقلين منهم .

وفي دمشق كذلك دعت منظمة التحرير الفلسطينية الى مؤتمر صحفي اعلنت فيه تضامنها مع المعتقلين ونددت بسياسات الاحتلال وفضحت اساليبه ومحاولاته لترويض الجماهير الفلسطينية وتقر ارادتها الوطنية .

### تهويد الحرم الابراهيمي

منذ مدة طويلة ومحاولات العدو وخاصة مستوطنيه في كريات اربع تتواصل للاستيلاء على الحرم الابراهيمي واضرحة الانبياء في مدينة الخليل . واستطاع المستوطنون اليهود من خلال التأييد الرسمي لهم من قبل سلطات الاحتلال اقامة الشعائر الدينية في الحرم في بادئ الامر ، ثم اخذوا رويدا رويدا بالاستيلاء على جانب من الحرم لاقامة الشعائر والصلوات فيه ، كما خصصوا ركنا منه للاحتفاظ بمكتبة دينية .

غير ان محاولات اليهود للاستيلاء على الحرم الابراهيمي تصاعدت في الفترة الاخيرة ، حيث رفعوا

للجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر والمكونة من ١٣ دولة عربية وإسلامية .

وفي القاهرة بعثت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بناءً على طلب الاردن الى الدول العربية الاعضاء بمذكرات تتضمن طلب الحكومة الاردنية عقد مؤتمر طارئ لوزراء خارجية الدول الاسلامية كما تطالب باتخاذ موقف عربي موحد لدعم الطلب الاردني . وتلقى رئيس الحكومة الاردنية بريقة من الامين العام للمؤتمر الاسلامي يقترح فيها عقد اجتماع تيمهدي عاجل للاعداد مؤتمر وزراء الخارجية في العاصمة الاردنية . فوافقت الحكومة الاردنية على الاقتراح . الا ان منظمة التحرير الفلسطينية ابلغت الامين العام للمؤتمر الاسلامي رفضها عقد اجتماع لجنة القدس في عمان . وظالبت بعقد الاجتماع في دمشق او القاهرة او جدة ، وذلك بسبب موقف النظام الاردني من مقررات الرباط . فقرر اخيراً عقده في جده يوم ١٨/٨/١٩٧٥ .

#### تدهور صحة المطران كجوجي

اوردت الاذاعة الاسرائيلية يوم ٢٨/٧/١٩٧٥ نبأ نقلته عن طبيب عربي من القدس زار المطران كجوجي في سجنه مؤخراً فقالت : « ان كجوجي يعاني من خطر الاصابة بالشلل اذا ما بقي سجيناً » . وبعد ذلك بايام قليلة اوردت صحيفة الضفة الغربية ان المطران قد اعلن اضراباً عن الطعام ابتداء من يوم ٢/٨/١٩٧٥ ، احتجاجاً على المعاملة السيئة التي يلقاها في المعتقل ، حيث يعيش في زنزانه ضيقة رطبة لا يدخلها النور بعيداً عن بقية المعتقلين السياسيين .

ونشرت صحيفة الشعب يوم ٢٩/٧/٧٥ تقريراً عن-ضحة المطران وضعه المحامي علي زافع الذي قام بزيارة المطران بناء على تكليف من بطريركية الروم الكاثوليك بالقدس . وجاء في التقرير ان المحامي توصل الى الحقائق التالية :

١ - لا تزال حالة المطران الصحية تدهور الى الغلق ولا تزال رجلاه متورمتان ويشعر بالهم في ظهره بالعمود الفقري . ورغم مرور اسبوع على التقرير الذي وضعه الطبيب الاخصائي انطوان طرزوي وجاء فيه بان المطران مهدد بالشلل اذا لم يعالج بسرعة ، ورغم ان التقرير سلم الى طبيب السجن كوهن الذي درس الطب في الجامعة

. اوردت وكالة الانباء الفلسطينية ( وفا ) فيما بعد تقريراً من الضفة الغربية جاء فيه ، ان قري ومدن الضفة تستعد لاعلان الاضراب يوم ١٥/٨/١٩٧٥ بعد صلاة الجمعة ، وذلك احتجاجاً على قرار سلطات الاحتلال المتعلق بالحرم الابراهيمي . وقال التقرير ان الدوائر العسكرية الاسرائيلية تعرب عن خشيتهما في ان تتحول التظاهرات التي ينظمها المواطنون الفلسطينيون الى تحركات مشابهة للانتفاضة التي حدثت عشية عرض الغضية الفلسطينية في الدورة التاسعة والعشرين لهيئة الامم المتحدة . كما تخشى الدوائر الاسرائيلية من تصعيد الموقف وتطويره الى ما أسمته « باضرابات خطيرة » . وقالت ( وفا ) ان المجلس الاسلامي الاعلى في القدس اصدر اوامره الى جميع ائمة المساجد والخطباء بتخصيص خطبة الجمعة لموضوع « التدنيس » . كما اقترح عدد من اعيان الضفة الغربية القيام بهجرة الى الخليل والتظاهر امام الحرم الابراهيمي .

ونكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية ان المسؤولين من الامن استدعوا اعيان الضفة الغربية وبلغوهم بان قوات الامن لن تسمح باي خروج على النظام العام .

واضاف تقرير « وفا » يقول ان الانباء الواردة من الضفة الغربية تؤكد ان جو الغلق والتوتر يسود مدن الضفة الغربية وان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات امن مشددة لمواجهة التحرك الشعبي المتوقع تماظره ، كما حذرت المواطنين من المشاركة في الاضراب المقرر وحذرت التجار من اغلاق محلاتهم والا تعرضوا لاقصى العقوبات .

وكما سبق ان ذكرنا فان ردود الفعل تعدت نطاق الضفة الغربية لتشمل مختلف الجاهير والمؤسسات الفلسطينية والعربية خارج الوطن المحتل .

ففي عمان بعث رئيس الوزراء الاردني ببرقيات احتجاج على الاجراء الاسرائيلي الى الامم المتحدة ، كما دعت الحكومة الاردنية الى عقد اجتماع عاجل لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، وبعثت بطلبها هذا الى الامين العام للمؤتمر الاسلامي بجدة . وقام الامين العام للمؤتمر الاسلامي باتصاله مع الدول الاسلامية فقر الرأي على عقد اجتماع

الصباح . وهو ليس حرا في التجوال طوال اليوم كما تدعي الصحيفة . والمطران ليس هو الذي اختار غرفة المرح كما تدعي الصحيفة ، بل انه طالب صراحة بنقله منها ، وانه لا يقوم بالتمارين الرياضية وصحته لا تسمح له بذلك قطعيًا . كما ان الصحيفة تضرب عرض الحائط بالتقرير الطبي الذي وضعه طبيب اخصائي وتدعي صراحة بان هذا التقرير والنشر المجدد عن صحة المطران ما هو الا جزء من حملة واسعة تستهدف اطلاق سراحه . ومع ان قضية اطلاق سراحه قضية هامة ويطالب جميع الوطنيين باطلاق سراحه فعلا وذلك من قبل ان يصاب بهذه الامراض الخطيرة . الا ان الامر الهام اليوم هو ان يعالج المطران وعلى جناح السرعة ( الشعب ١٩٧٥/٧/٣١ ) . وقد ادى تواتر الانباء عن تدهور صحة المطران كوجي في السجن الى قلق شعبي عام وخوف على حياته . وقد زاد هذا القلق التقرير الطبي الذي نشرته الصحف والذي يشير الى ان المطران اصبح مهددا بالاصابة بالشلل العام . وقد وردت هذه المشاعر عبر مطالبة تقدم بها رؤساء بلديات بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا الى سلطات الاحتلال للافراج الفوري عن المطران المعتقل والذي يقضي محكومية مدتها ١٢ عاما .

### عيسى الشعميني

الكاثوليكية في بيروت ، فانه لم يجز للمطران تصوير باشعة اكس ولم يتوفر له العلاج اللازم .

٢ - لا يزال المطران يعيش في غرفة المهر ... ولا يسمح له بالبقاء مع السجناء السياسيين العرب الموجودين في القسم رغم مطالبته بوضعه معهم .

٣ - كتب المطران عدة رسائل الى ادارة المسجون العامة والى ادارة سجن الرملة شارحا وضعه الصحي ومحلا اياهم مسؤولية تدهور صحته ولم يلق اي جواب حتى التاريخ المذكور .

٤ - يطالب المطران بنقله حتى يكون مسجوناً في دير كما تقتضي القوانين الكنسية او حتى في اي بيت خاص اسوة مثلا برئيس عصبة الدفاع اليهودي الذي تم سجنه في نيويورك قبل عدة اشهر .

٥ - بعد الاطلاع على الخبر الذي نشرته صحيفة يديعوت احرونوت يوم ١٩٧٥/٧/٢٨ على رأس صفحاتها الاخيرة وتدعي فيه على لسان المطران بان صحته جيدة وليست له اية ادعاعات ، تبين ان هذا الخبر مليء بالتلفيق والكذب . فالمطران لا يعيش مع السجناء السياسيين العرب ولم يجز ان استقبلهم في مقابلة خاصة كما تدعي الصحيفة الاسرائيلية ، وهو موجود في غرفته طوال الليل والنهار عددا ساعتين ونصف الساعة في

## (٤) اسرائيليات

## تزايد احتمالات توقيع اتفاقية جديدة في سيناء

رغم الحديث عن ان الخلافات ما زالت قائمة بين الطرفين حول نقاط حيوية ، ظهرت في الايام الاخيرة عدة دلائل توحى بأن عقد الاتفاق بات قريبا وبعد أن صرح رابين في حزيران الماضي ، ان المفاوضات حول تسوية جزئية في سيناء قد تستمر لمدة نصف سنة أخرى ، أعلن وزير الدفاع بيريس في ٢٦/٧/٧٥ ان « المفاوضات حول تسوية جزئية دخلت مراحلها الاخيرة . واذا لم تتجح هذه المفاوضات الان فسيكون من الصعب ان تبقى على قيد الحياة » ( دافار ، ٢٠/٧/٧٥ ) .

وفي ١٠/٨/٧٥ صرح رابين نفسه في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ختام زيارة الرئيس المكسيكي انتشيفريا الى اسرائيل ان تقدما قد احرز في الاسابيع الاخيرة في المفاوضات حول تسوية جزئية في سيناء ، رغم انه « ما زالت هناك فروق في مواقف الطرفين يجري العمل على ازالتها » ( راا ، ١١/٨/٧٥ ) .

ولوحظ ان التصريحات الرسمية والتعليقات الصحفية الاسرائيلية كانت تستعمل سابقا تعبير « هوة واسعة » بدلا من تعبير « فروق » الذي تستخدمه حاليا .

وكان احد المعلقين في صحيفة دافار شبه الرسمية قد ذكر ان « هناك دلائل على اننا وصلنا الى المحطة الاخيرة في مفاوضات التسوية الجزئية ، وهو ما وجد تعبيرا عنه في التصريحات الاخيرة الصادرة عن الفريق الاسرائيلي المفاوض ... ان الوضع الحزبي اليوم يمكن من المصادقة على المقترحات الاخيرة للحكومة الاسرائيلية » ( حفاي ايشد - دافار ، ١١/٨/٧٥ ) .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ، اثناء انعقاد مؤتمر هلمسكي ، ان فوررد وكينسجر « يظهران نبرة جديدة من التفاؤل حول إمكانية عقد اتفاقية جزئية في سيناء » ( يديعوت احرونوت ، ٤/٨/٧٥ ) . وأعلن أيضا ان الولايات المتحدة « وافقت للمرة الاولى منذ فشل مهمة كينسجر في اذار

تميزت التصريحات والتعليقات الاسرائيلية ، في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي ، حول إمكانية التوصل الى تسوية جزئية اخرى في سيناء بالتشاؤم . ولكن في الاسبوع الاول من الشهر الحالي حدث العكس وتحولت النغمة الى التفاؤل المشوب ببعض الحذر . وظهر اكثر من دليل على ان المفاوضات بين مصر واسرائيل تقترب من مرحلة التوصل الى اتفاق .

وفي ٢٤/٧/٧٥ رفضت اسرائيل على لسان رئيس حكومتها خارطة مصر « المضادة » ، التي اعتبرت ردا على خارطة اسرائيل « الاخيرة » ، والتي كانت قد قدمت لمصر في ١٤/٧/٧٥ . ولكن رغم ذلك استمرت المفاوضات ، وفي ٢٨/٧/٧٥ سلم السفير الامريكي هرمان ايلتس الحكومة المصرية خارطة اسرائيلية « ثانية » . وفي ٢/٨/٧٥ نقل السفير ايلتس الرد المصري الى فوررد وكينسجر في بلغراد حيث كانا هناك ، بعد أن حضرا مؤتمر هلمسكي . وفي ٥/٨/٧٥ نقل السفير الاسرائيلي في واشنطن سمحه دينتس الرد المصري الى حكومته ، وعلى الاثر اجتمع الفريق الوزاري المفاوض ( رابين ، لون ، بيريس ) في مكتب رئيس الحكومة يتسحاق رابين في تل ابيب ، بتاريخ ٧/٨/٧٥ ، لمناقشة الرد المصري . وذكرت مصادر حكومية بعد الاجتماع لمراسل اذاعة اسرائيل للشؤون السياسية ، شالوم كيتال ، ان « الموقف المصري يقترب من نواح عديدة حتى من الموقف الاسرائيلي نفسه » ( ر.ا.ا ، ٨/٨/٧٥ ) .

## دلائل توحى بقرب عقد اتفاق

نشرت أجهزة الاعلام الاسرائيلية خلال الاسبوعين الماضيين المزيد من التفاصيل والتعليقات حول نقاط الخلاف والالتقاء في المقترحات المضادة والايضاحات والاستيضاحات المتبادلة ، بين الطرفين المصري والاسرائيلي ، حول التسوية الجزئية في سيناء . ورغم الحذر الذي يميز التصريحات الاسرائيلية حول إمكانية عقد الاتفاق ،

اجتماع الحكومة الاسرائيلية الذي قدم فيه كلا من راين وبيريس والون تقارير حول اخر ما وصلت اليه المفاوضات حول هذا الموضوع . وكانت الحكومة قد اصدرت في نهاية الاجتماع بياناً اعلنت فيه أن « الفريق المفاوض سيستمر في المفاوضات » ( ١١ ، ٧٥/٨/١١ ) . وذكرت الاذاعة الاسرائيلية أن رئيس الحكومة سيجتمع في اليوم التالي ( ٧٥/٨/١١ ) بلجنة الخارجية والامن في الكنيست ، لتقديم تقرير حول الموضوع . وعلم ان كتلة ليكود طلبت عقد الاجتماع العاجل بحجة « عدم تزويدها بمعلومات موثوقة » حول اخر التطورات بشأن التسوية الجزئية ( المصدر نفسه ) .

#### اقتراحات مصر قبل « التخفيف »

نشرت المصادر الاسرائيلية مزيداً من التفاصيل حول « خارطة مصر » المقدمة في ٧٥/٧/٢٤ ، وهي الخارطة التي رفضتها اسرائيل « غسي مجملها » ، ثم قيل انها « خففت » من قبل مصر في ردها الذي نقله السفير الاميركي ايلتس الى كيسنجر في ٧٥/٨/٣ .

وذكر احد المعلقين ان اسرائيل رفضت الخارطة المصرية للأسباب التالية : ( ١ ) ان خط الانسحاب الاسرائيلي في الخارطة المصرية اعيق من الخط الذي اقترحه اسرائيل . ( ٢ ) خط الحدود داخل المنطقة العازلة الذي اقترحه مصر اعيق الى جهة الشرق مما اقترحه اسرائيل ، ( ٣ ) يضع الاقتراح المصري علامات سؤال حول مسألة نقاط المراقبة سواء من حيث مواقعها او من يشغلها ، فمصر ترفض وجود اسرائيليين فيها وتوافق على وجود اميركي محدود هناك ( يهوشاع طيرة - هارتس ، ٧٥/٧/٢٧ ) .

وقال معلق اخر ان مصر ، في اقتراحها الاخير ، ترفض التواجد الاميركي في اجهزة الانذار وتريد تعميق خط الانسحاب الاسرائيلي نحو الشرق ، بينما تريد تقديم خط تقدم جيشها نحو الاتجاه نفسه ( حفاي ايشد - داغار ، ٧٥/٧/٢٧ ) .

وذكر مراسل في واشنطن ان مصر « لا تريد فقط انسحاب الجيش الاسرائيلي الى الشرق ، ولكنها تريد ايضاً تقديم جيشها ، ليس فقط في كل المنطقة العازلة القائمة حالياً الى مسافة كبيرة الى الشرق

الماضي على دعوة وفد رسمي اسرائيلي السى واشنطن للتباحث في مسائل العون الامني والاقتصادي لاسرائيل » ( هارتس ، ٧٥/٨/٤ ) . وكانت اجهزة الاعلام الاسرائيلية قد نشرت سابقاً ان الولايات المتحدة اشترطت هذه الدعوة بنجاح التسوية الجزئية . وقد سافر هذا الوفد فعلاً الى الولايات المتحدة في ٧٥/٨/١٠ ( ١١ ، ٧٥/٨/ ) .

وذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان مباحثات الوفد الاسرائيلي في واشنطن ستشتمل على موضوع تمويل اقامة خط دفاعي جديد ، بعد الانسحاب من سيناء ، وعلى تعويض اسرائيل عن خسارة نفط حقول ابو رديس ( المصدر نفسه ) .

وبالاضافة الى الدلائل المذكورة ، هناك دلائل اخرى منها حديث المصادر الاسرائيلية عن عزم الدكتور كيسنجر القدوم الى المنطقة في ٧٥/٨/٢٠ ، وذلك بعد ان أعلن سابقاً انه لن يحضر الى المنطقة الا اذا وصلت احتمالات النجاح في تحقيق تسوية جزئية الى نسبة ٩٠ ٪ . ومن ناحية ثانية ، ذكر مراسل صحيفة هارتس في واشنطن ان اسرائيل « وافقت على فكرة قبول التسوية الجزئية مقابل عدم طردها من الامم المتحدة » ( دان مرغليت - هارتس ، ٧٥/٧/٢٩ ) . ومن المعروف ان موقف مصر من هذا الموضوع في مؤتمر كنبالا ينسجم مع هذه « الفكرة » . ومن بين الدلائل التي قد تشير الى قرب احتمال الوصول الى تسوية جزئية ، ان اجهزة الاعلام الاسرائيلية وصفت الرد المصري الاخير ، الذي نقله السفير ايلتس في ٧٥/٨/٣ الى كيسنجر في بلغراد ، على انه « مخفف » ، على الرغم من ان هذه الاجهزة نقلت عن الاهرام تصريحاً للرئيس السادات ، صدر بعد ذلك الرد ، مفاده انه لم يحدث اي تغيير في الموقف المصري وان مصر لن توافق على عقد اتفاق بدون الانسحاب من المرات وابو رديس (جروزاليم بوست ، ٧٥/٨/٥ ) .

ولعل من دلائل قرب التوصل الى اتفاق ايضاً ، ان كتلة ليكود المعارضة طلبت في ٧٥/٨/١٠ عقد اجتماع عاجل للكنيست الاسرائيلي على الرغم من عطلته الصيفية ، لمناقشة موضوع التسوية الجزئية مع مصر . وقد وجهت هذه الدعوة بعد

انسحابا اسرائيليا اعرق (دان — مرغلبيت — هارتس ، ٧٥/٧/٢٨) .

وأما بخصوص مدى عمق هذا الانسحاب الاسرائيلي في الخارطة الثانية ، فقد ذكر أن الفريق الاسرائيلي المفاوض وافق على أن تبقى القوات الاسرائيلية في مساحة عمقها ١٠ كم في ممر الجدي، وأخرى عمقها ٢٠٠ م فقط في ممر المتلا (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/٨/١) .

### اخطاء رايبين

في معرض الحديث عن تغيير الخرائط الاسرائيلية وجه نقد الى رئيس الحكومة يتسحاق رايبين واتهم انه وقع في اخطاء اوجبت تعديل المقترحات التي قدمها الى واشنطن . فقد ذكر احد المراسلين أن رايبين اخطأ عندما التقى مع الرئيس فورد ووافق على تقديم القوات المصرية في المنطقة العازلة حاليا مقابل بقاء القوات الاسرائيلية في جزء من الممرات، «الامر الذي عرض رايبين الى نقد شديد في القدس»، لأن تقديم القوات المصرية لا يعني فقط أن مصر ستفرض ١٠ كم بل سيكون ذلك بمثابة الغاء لمبدأ نزاع سلاح كل منطقة تخليها اسرائيل ، ونيكسون سابقة في المستقبل . وازداد المراسل « أن رايبين اضطر بعد ذلك أن يرسل مستشاره العسكري اغرام بوزان الى واشنطن سرا لتعديل الخارطة التي كان قد اقترحها . وفي هذه الخارطة [ الجديدة ] طلبت اسرائيل البقاء في مناطق واسعة في الممرات ، ولكن الولايات المتحدة رفضت تسليم هذه الخارطة الى مصر » (دان مرغلبيت — هارتس ، ٧٥/٨/١) . واطلسن البعض ان الولايات المتحدة تضغط بشدة على اسرائيل وتقول « ان السادات تمع من الماطلة الاسرائيلية » (المصدر نفسه) .

وانتقد احدهم يتسحاق رايبين لانه اخطأ في تقدير الرئيس فورد ، إذ عندما اقترح وزير الدفاع شمعون بيريس التواجد الاميركي في اجهزة المراقبة رد رايبين ان الولايات المتحدة لن توافق على ذلك . وبناء عليه ، قرر ان يقترح خارطة انسحاب « كريمة » بشرط ان يتواجد خبراء اميركيون في اجهزة المراقبة ، ظنا منه ان الولايات المتحدة سترفض الاقتراح ، ولكنه اكتشف — بعد قوات الاوان — ان « فورد مستعد لان يدفع غالبا

منها » ( شموايل سيفف — معاريف ، ٧/٢١/٧٥ ) .

واضاف مراسل اخر ان مصر تسعى لتحقيق ما يلي : ( ١ ) توسيع الممر البري من خليج السويس الى حقول ابو رديس اكثر مما اقترحت اسرائيل ، وهذا يعني انسحاب اسرائيليا مسافة ٧ — ١٥ كم من الخليج . ( ٢ ) الانسحاب مسافة ٤٠ كم في شمال سيناء ، وهذا ما اقترحت اسرائيل في اذار الماضي ، ولكنها تراجعت عنه لانها اقترحت ذلك في حينه ، مقابل السيطرة على نصف الممرات . ( ٣ ) وافقت مصر على تواجد فئتين اسرائيليين فقط في ام خشيبه ، اما نقاط المراقبة الاربعة الاخرى فوافقت على أن يكون فيها اميركيون فقط (دان مرغلبيت — هارتس ، ٧٥/٨/١) .

وتنسب البعض ( اريئيل فينباي — يديموت اهرنوت ، ٧٥/٨/١ ) الى مصر مجموعة اخرى من الطلبات ، منها تقديم قواتها مسافة ٨ كم الى الشرق من المنطقة العازلة القائمة حاليا ، وبحيث تحدد هذه المنطقة في الممرات بشكل لا يمكن معه الدفاع عن مطار رفيديم ، ويضعف الخط الدفاعي الاسرائيلي بكامله . اما بالنسبة لاجهزة الانذار فتريد مصر بقاء محطة انذار واحدة في ام خشيبه تحت العلم الاميركي ، بدون ان يشترك في تشغيلها خبراء اسرائيليون ، بل فقط عدد محدود من الخبراء الاميركيين . واما محطات المراقبة المصرية الثلاث في الممرات فتريد مصر ان يشغلها المصريون وحدهم .

ولكن المضاد الاسرائيلية ، على أي حال ، لا يتحدث عن « التخفيف » الذي طرأ على موقف مصر الاخير .

### خارطة اسرائيلية بعد « الاخرة »

بالرغم من ان اسرائيل اعلنت ان مقترحاتها المقدمة الى مصر في ٧٥/٧/٤ هي « الاخرة » ، فقد تبين انها لم تكن الاخرة فعلا ، إذ ان مقترحات جديدة قدمت بعدها . وعلق على ذلك مراسل في واشنطن بقوله ان اسرائيل كانت قد أعدت خارطتين في آن واحد ، الاولى للمساومة وتقتصر على انسحاب القوات الاسرائيلية حتى مسافة ٥ كم من الطرف الشرقي للممرات . ولما رفضت مصر هذه الخارطة قدمت لها الخارطة الثانية التي تقتصر

وزراء الحكومة الائتلافية ، ويعتقد بعض المراسلين ان الفزيق الاسرائيلي المفاوض لن يحصل على موافقة اكثرية الوزراء على اقتراحاته اذا «تهدى» في التنازلات ( يوئيل ماركوس - هارتس ، ٨/٤/٧٥ ) . والاراء ليست موحدة في المعراخ ( حزب العمل - حزب ميم ) ، ولا في حزب العمل نفسه وحتى ليس داخل الكتل الثلاث التي يتألف منها . فعلى سبيل المثال ، ينتمي كل من اسرائيل غليلي ويغثال لون الى كتلة احدوت هعفوداه في حزب العمل ، ولكن الاول بوصف بأنه « صقر » بينما يوصف الثاني على أنه « حمامة » . وفي كتلة ليكود المعارضة حاول بعض الاعضاء المقيدين في حزب الاحرار دفع الكتلة الى التخلي عن المبدأ الذي تبناه وهو « لا انسحاب بدون معاهدة سلام » ولكنهم فشلوا . وذهب احدهم ، وهو النائب ابراهام كاتس « الى حد الحديث عن امكانية اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية » ( شلومو نكديبون - يديموت احرانوت ، ٨/١/٧٥ ) ، وفي معسكر المتدينين يقال ان جماعة « حمامية » تعمل على تنظيم نفسها لتكون وزنا مضادا لجماعة ايمونيم المتطرفة . واما القوى السياسية التي تطلق على نفسها اسم « معسكر السلام » ، والتي تمثل جاتبا صغيرا من المجتمع الاسرائيلي ، مثل جماعة باعد وموكيد و« بقايا » حركة حقوق المواطن وهاعولام هازيه ، وغيرها ، فتنشط من اجل الموافقة على التسوية الجزئية وتنادي بالحل الشامل المتمثل باتامة دولة فلسطينية والانسحاب مقابل الاعتراف باسرائيل . وفي ٧/٢٧/٧٥ عقد بعض هؤلاء ندوة في بيت سوكلوف في تل ابيب اشترك فيها كلا من البروفيسور يشعياهو لبيوفيتش واوري اغنيري والجنرال المتقاعد يوسف جينغ ، فدعا الاول الدول الكبرى لفرض حل في المنطقة « لان ذلك هو الحل الوحيد الكفيل بمنع حدوث كارثة في الشرق الاوسط » ( هارتس ، ٧/٢٨/٧٥ ) . كذلك طالب اغنيري باتامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بينما طالب الجنرال جينغ بالانسحاب مقابل السلام ( المصدر نفسه ) .

أما بالنسبة للرأي العام الاسرائيلي فقد اجرت صحيفة يديموت احرانوت ( ٨/١/٧٥ ) استقصاءا اظهرت نتيجته ان ٤٥ ٪ ، من بين الذين اشتركوا في الاستفتاء ، يؤيدون التسوية الجزئية

مقابل عقد اتفاق التسوية الجزئية . ( شموئيل سيفف - معاريف ، ٧٥/٨/٣ ) .

واشارت مصادر معينة ان بعض الوزراء ، وخاصة اسرائيل غليلي ( عضو كتلة احدوت هعفوداه في حزب العمل ) يتحفظ على الوجود الاميركي في أجهزة المراقبة وذلك لاعتبارين : ( ١ ) الخشية من أن يصبح ذلك مجرد سابقة ، فيطلب الشيء نفسه من اسرائيل في حال الانسحاب في الجولان او في الضفة الغربية ، مقابل وضع قوات مراقبة اميركية ( يوسف حاريف - معاريف ، ٧٥/٨/١ ) . ( ٢ ) « اذا كان الاتراك قادرين على طرد الاميركيين ، واذا كان الفيتناميون قد فعلوا ذلك ، فان العرب قادرين على طردهم من أي مكان يوضعون فيه » ( اوري دان - معاريف ، ٧٥/٧/٣١ ) .

غير أن راين تعرض للنقد لاسباب اخرى ايضا، لخصت على النحو التالي : ( ١ ) صرح للتلفزيون الاسرائيلي انه يرفض المقترحات المصرية قبل أن يسلم السفير سمحا دينتس رد اسرائيل عليها الى كيسنجر ، وبهذا خلق الانطباع لدى الرأي العام الاميركي ان اسرائيل عنيدة . ( ٢ ) في الوقت الذي قال فيه كيسنجر في احاديث خاصة ان اسرائيل تخلت عن معظم شروطها ، صرح راين ان الاتفاق لن يتم الا بالمفاوضات المباشرة ، وهذا ايضا قوى الانطباع حول تصلب اسرائيل . واما السادات فيرفض بدون ان يقول « لا » ، مما يظهره كمعتدل . لذلك يجب ان يستبدل راين في مجال التصريحات بالون وبريس ، اللذين يقولان الشيء نفسه بلغة اكثر ايجابية . ( ٣ ) اخطأت حكومة اسرائيل عندما تنازلت ووافقت على قبول التسوية مقابل عدم طردها من الامم المتحدة ، وكذلك ( ٤ ) عندما تنازلت عن مبدأ جمل كل منطقة تخليها متزوعة السلاح ( دان مرغليت - هارتس ، ٧٥/٧/٢٩ ) .

### الخلاف الداخلي مستمر

يفهم من التعليقات والانباء الواردة من اسرائيل ان الخلاف الداخلي هناك حول قبول او رفض التسوية الجزئية لا يزال قائما ، ليس بين الكتل والحزاب فقط ، بل بين اعضاء الحزب نفسه في الكتلة نفسها وهو موجود ايضا بين

تسوية جزئية موازية مع سوريا باشتراك السوفييت النشط . ان التسوية مع مصر مرهونة بالولايات المتحدة وبها مرهون العون العسكري والاقتصادي، [ ولكن ] هناك ثلاثة اشياء مرهونة بالانتداب السوفييتي وهي : الحرب والسلام والهجرة ... ان الاميركيين يعلمون ان الوضع قد يتدرى الى انفجار جديد بدون تسوية مع سوريا برعاية سوفييتية وبدون تقدم نحو الحصل الشامل ... والتسوية الجزئية في سيناء هي مصلحة امريكية ليس اقل مما هي مصلحة مصرية ، واكثر مما هي مصلحة اسرائيلية ... ( هليل دانتيغ - دافار ، ٧٥/٨/١ ) .

وقسم البعض دول الشرق الاوسط الى « ركيزتين : الركيزة الجنوبية وهي ركيزة الولايات المتحدة المؤلفة من القاهرة - الرياض - طهران ، والركيزة الشمالية وهي السوفييتية ، المؤلفة من سوريا والعراق بالاضافة الى م.ت.ف. ... واسرائيل تقف بين الركيزتين المنافستين ، ولذلك عليها ان تحافظ على مكانة متوازنة بينهما بقدر الامكان وخاصة بين الدولتين الكبيرتين الوصيتين عليها ، فهذا قد يحسن وضعنا في المنطقة ، وقد يحسن امكانيات الهجرة الى اسرائيل ... » ( المصدر نفسه ) .

#### سوريا بعد مصر

رغم ان الجهود مركزة الان على التسوية الجزئية مع مصر ، يستفاد من التصريحات والتعليقات الاسرائيلية انه من غير المستبعد ان تكون الخطوة التالية ، في حال نجاح التسوية في سيناء ، اجراء مفاوضات مع سوريا بهدف الوصول الى تسوية مماثلة في الجولان . وقد صرح وزير الدفاع بيريس انه « بعد التوصل الى اتفاق حول التسوية الجزئية مع مصر ستأخذ اسرائيل في الحسبان تسوية جزئية مع سوريا ، تضمن لاسرائيل السيطرة على المرتفعات الاستراتيجية ، وبدون ان تعرض المستوطنات للخطر » ( جيروزاليم بوست ، ٧٥/٨/٥ ) .

وضرح وزير الخارجية السابق ابا ايبي : ان كل من يعتقد ان الهدوء سيسود في المنطقة بعد تحقيق اتفاق حول تسوية جزئية مع مصر سيكون واحما ، لانه بعد هذا الاتفاق ستبقى كل اسس

القائمة على اساس وقف اطلاق النار لمدة ٣-٤ سنوات وموقع اسرائيلي في السفوح الشرقية للبهرات واستمرار الدعم الامركي . ولما نسبة المعارضين فكانت ٢٩٥ ٪ . وقد عارض الوجود الامركي في اجهزة المراقبة ٤٤٥ ٪ ووافق عليه ٣٩٥ ٪ . ولم يكن لدى الباقيين رأي بخصوص الموضوعين .

ومن الجدير بالذكر ان ابا ايبي وزير الخارجية السابق ، وهو من قادة مباي في حزب العمل ، دعا مؤخرا الى وجوب التوصل الى تسوية جزئية في سيناء ، « لان السؤال الان ليس ما هو حسن وما هو شر بالنسبة لنا ، بل السؤال ما هو اهون الشرين ؟ اننا نشبه شخصا تنز من الطائرة ولا يستطيع العودة لها ، والمهم هو الوصول الى الارض بدون كسر اعضاء الجسم » ( معاريف ، ٧٥/٨/٤ ) .

#### استمرار التطلع الى الاتحاد السوفييتي

منذ بدأ الحديث عن « سقوط » امريكية تمارس على اسرائيل لحلها على الموافقة على تسوية جزئية في سيناء ، ارتفعت من حين لآخر اصوات تدعو الى اشراك السوفييت ايضا في التسوية ، حفاظا على مصالح اسرائيل وخشية ان « تنفرد » امريكا بها . وعلق بعضهم على الموقف الاسرائيلي بقوله : « ان سياسة اسرائيل تهدف الى تأجيل الانتحاب الى حدود ١٩٦٧ . واحدى الطرق لتجديد مسألة الحدود النهائية هي ايجاد طريق لاشراك السوفييت ايضا في المرحلة الحالية من التسويات الجزئية ، وتمكينهم من تجديد العلاقات الدبلوماسية معنا . ان الولايات المتحدة ستفرض علينا ان اجلا او عاجلا الاشتراك السوفييتي في حل الازمة ، ولكن عندها لن نستفيد من التواجد السوفييتي . لذلك يجب علينا اقتراح وضع قوات سوفييتية - امريكية بالاضافة الى قوات الامم المتحدة في اطار التسويات الجزئية لمنع مصر وسوريا ( حفاي ايشد - دافار ، ٧٥/٨/٤ ) .

وكان معلق اخر قد اشار قبل ذلك الى هذا الموضوع بقوله : « ان سياسة اسرائيل هي التوصل الى تسوية جزئية بهدف الاستقرار ومنع الحرب في السنوات القليلة القادمة . ومن يزيد ذلك عليه ان يعلم ، انه يجب ان تكون هناك

الإسرائيلية الحديث عن أنه بعد عقد الاتفاق مع مصر « سيكون هناك ضغط على إسرائيل من أجل الانسحاب في الجولان » ( يهوشاع حلميش - دانار ، ٧٥/٧/٢٨ ) .

## يوسف حمدان

الخلافاً مع العالم العربي على ما كانت عليه « ( معاريف ، ٧٥/٨/٤ ) . وقد قال إيبين ذلك في معرض دعوته للتوصل إلى تسوية جزئية في سيناء .

وفي الوقت نفسه واصلت أجهزة الإعمار

## [ ٢ ]

### مخطط جديد لمصادرة آلاف الدونمات من الأراضي العربية تنفيذاً لسياسة تهويد الجليل

ومنما ما بقي جبراً على ورق حتى هذا اليوم ، إلا أن الميز لها هو أنها تعبر عن الموقف الرسمي للحكومة الحالية تجاه مسألة تهويد الجليل ، التي أصبحت قضية الاستيطان الأولى ، داخل إسرائيل ، التي تتبناها كل حكومة جديدة منذ عهد أشكول . « فقد بدأت قصة تهويد الجليل منذ مطلع الستينات ، وكان أحد الأشخاص البارزين الذين دعوا لها ليوني أشكول ، رئيس حكومة إسرائيل آنذاك » ( ملحق دانار ، ٧٥/٣/١٤ ) . أما السبب الرئيسي في إثارة هذه المسألة ، في الماضي والحاضر ، فهو وجود أقلية يهودية في الجليل ، مقابل أقلية عربية ، بالمقارنة مع مجموع كل من السكان اليهود والعرب في إسرائيل . « ففي سنة ١٩٦١ وصل عدد سكان الجليل إلى ٢٢٧ ألف نسمة وبلغت نسبتهم بين مجموع السكان في إسرائيل ١٥٥ ٪ ، بينما وصل عددهم في سنة ١٩٧٢ إلى ٤٧٣ ألف نسمة ، ولكن نسبتهم بين سائر السكان انخفضت قليلاً . أما نسبة اليهود سكان الجليل فقد انخفضت من ٥٨ ٪ إلى ٥٢ ٪ [ خلال هذه الفترة ] . وقد نجحت فقط كرمينيل والناصر العليا ومندال هاميمك في زيادة عدد سكانها ، أما باقي المستوطنات فما زالت تتعثر في مكانها أكثر من عشر سنين . أي أن هناك خطراً على وجود أقلية يهودية في الجليل . ويتساءل بعض الأشخاص وبينهم رئيس قسم الاستيطان في المنظمة الصهيونية ، الدكتور رعان فايتس ، كيف يمكن تجنب خطر أن يصبح

صادقت الحكومة الإسرائيلية ، قبل أكثر من شهرين ، على خطة رئيسية لإعادة توزيع السكان اليهود في إسرائيل ، الذين يفترض أن يصل عددهم بموجبها إلى خمسة ملايين نسمة في سنة ١٩٩٢ ، منهم ١٨٠.٠٠٠ من اليهود . أما المبدأ الموجه لهذه الخطة فهو خفض عدد السكان اليهود في مركز البلد وزيادتهم في الشمال والجنوب ، وخاصة في القدس ( معاريف ، ٧٥/٥/١٩ ) . والبند الرئيسي في هذه الخطة هو تهويد منطقة الجليل ، التي تعيش بها أقلية عربية حتى الآن ، وذلك بواسطة مصادرة المزيد من أراضي العرب هناك وإقامة المستوطنات اليهودية عليها . وبحسب هذه الخطة ستزيد نسبة السكان اليهود في الجليل بالمقارنة مع مجموع سكان إسرائيل اليوم من ٩٧ ٪ أو ١٢٤ ٪ في سنة ١٩٩٢ ، بحيث تصبح نسبتهم في تلك السنة ٥٩ ٪ من سكان الجليل . ويفترض أن يكون أساس الزيادة ، بحسب الخطة ، في الجليل الغربي ، حيث تبلغ نسبة السكان اليهود هناك ٢٧ ٪ فقط ، بحيث يتوقع ارتفاع هذه النسبة إلى ٤٧ ٪ . كذلك تطرقت الخطة إلى وضع الناصرة العليا ، التي يفترض أن يصل عدد سكانها ، في سنة ١٩٩١ ، إلى ٤٤ ألف يهودي ( المصدر نفسه ) .

ليست هذه هي الخطة الأولى التي تضمنها المؤسسات الإسرائيلية لتهويد والاستيطان في الجليل ، فقد سبقها عدة خطط ومشاريع - منها ما نفذ

الجليل بمثابة- [امتداد] لجنوب لبنان أكثر من كونه شمال إسرائيل بعد بضعة سنوات ؟ » (المصدر نفسه).

وتحدث وزير الإسكان الإسرائيلي إبراهيم عوفر ( في حديث مع ملحق دافار ، ١٣/٩/١٩٧٤ ) عن سياسة حكومته إزاء مسألة تهويد الجليل ، قائلا : « ليس سرا ان رغبة الحكومة تتمثل في وجود اكثرية يهودية في كل منطقة من مناطق البلد . وبالنسبة للوضع في الجليل فان نسبة سكانه اليهود تصل اليوم الى ٥٤ ٪ مقابل ٤٦ ٪ من العرب . واذا لم نخصص اهتماما كبيرا لزيادة ومضاعفة عدد السكان في هذه المنطقة ، فهناك خوف كبير من أن يتحول [ المستوطنون اليهود ] خلال زمن قصير الى اقلية بين سكان الجليل ، وذلك بسبب التكاثر الطبيعي بين السكان العرب » . ويواصل عوفر حديثه قائلا : « يجب علينا مضاعفة عدد السكان اليهود في الجليل الذين يبلغ عددهم اليوم نحو ربع مليون شخص ، لكي يصل الى نصف مليون خلال عشر سنين » . كذلك اشار عوفر الى انه ينوي تقديم مشروع بناء الى الحكومة للمصادقة عليه ، يركز على مضاعفة نسبة البناء في الجليل وزيادتها من ١٢ ٪ الى ٢٥ ٪ قسما للسنة ، من مجموع اعمال البناء في كافة أنحاء إسرائيل (ومن الجدير بالذكر ان وزير الإسكان عوفر يصنف كـ « حماله » ويمارض الاستيطان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ) . وقيل اعلان عوفر هذا بنحو شهرين ، اعلان مدير قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية يحييل ادموتي ، ان الوكالة وضعت خطة لاسكان ١٥ الف عائلة في الجليل خلال السنوات الخمس المقبلة ، واتاحة ٦ - ٧ مستوطنات جديدة في المنطقة ( يديموت احرنوت ، ١٤/٧/٧٥ ) .

المشاكل الأمنية والاقتصادية والاجتماعية تعيق خطط تهويد الجليل .

ومن ناحية ثانية ، من الواضح ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة مشاكل السكن والعمل والتعليم ، تؤثر على عملية تهويد الجليل . وتختلف حدة هذه المشاكل بين مستوطنة واخرى في الجليل ، بحسب نوعية السكان اليهود واصلهم . « ومن ناحية عملية يواجه المخططون ثلاثة قضايا أساسية تتطلب الحسم : ( ١ ) كيف يمكن تأمين عمل لعشرات المستوطنات الزراعية في جبال الجليل ، خاصة لسكان الجيل الثاني في هذه المستوطنات ، الذين لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الزراعة كبصدر لاعائلهم ، بسبب النقص في الأرض والمياه . ( ٢ ) كيف يمكن جذب السكان الى بعض مدن الأعمار التي تعاني من نزوح المثقفين وأصحاب الكفاءات ، وتجميع [ العائلات التي تعيش ] على الاعانات الاجتماعية . ( ٣ ) كيف يمكن اضافة مستوطنات في الأماكن الخالية ، من أجل خلق استثمارية اقليمية من الاستيطان المسديني والزراعي في الجليل كله » ( يوقسال

يتزايد الحديث بعد كل عملية فدائية في الجليل ، خاصة من قبل المسؤولين الإسرائيليين عن اهتية تهويد الجليل ، « ففي كل مكان في شمال البلد تعرض له المخرّبون ، قدم وزراء وزوؤساء مؤسسات واعضاء كنيست ، وزعد الجميع بتقوية الاستيطان في الجليل . وفي كل مكان طالب رؤساء السلطات

المشاكل الأمنية والاقتصادية والاجتماعية تعيق خطط تهويد الجليل .

يتزايد الحديث بعد كل عملية فدائية في الجليل ، خاصة من قبل المسؤولين الإسرائيليين عن اهتية تهويد الجليل ، « ففي كل مكان في شمال البلد تعرض له المخرّبون ، قدم وزراء وزوؤساء مؤسسات واعضاء كنيست ، وزعد الجميع بتقوية الاستيطان في الجليل . وفي كل مكان طالب رؤساء السلطات

الموضوع سيحال على الحكومة لاتخاذ قرار بشأنه . « وذكر ان « الخلاف نابع من المخطط الجديد الذي وضعته مديرية عقارات اسرائيل لمصادرة الاف الدونمات من الاراضي [ العربية ] ، خصوصا في منطقة الناصرة العليا وكرميتيل وصفد ، من اجل تطوير هذه المدن ضمن مخطط استيطان الجليل . وفي الجلية التي جرى فيها ، اكد زورباغ انه لا يمكن تنفيذ مخطط استيطان الجليل بدون مصادرة اراض . اما طوليديانو فقد رد عليه بقوله ان مصادرة الاراضي بالحجم الذي تترتب عليه مديرية عقارات اسرائيل ، سيكون له انعكاسات سياسية واقتصادية بعيدة المدى . لذلك لا يحق لهذه اللجنة ان تقرر في هذا الامر الذي هو من اختصاص الحكومة . » وتقرر بالتالي احوالة امر المصادرة الى الحكومة ( المصدر نفسه ) . كذلك وقع خلاف بين اعضاء كتلة المراح في الكنيست اثر البحث في موضوع مصادرة الاراضي في الجليل . وقد اشار وزير المالية ، الذي اشترك في النقاش ، الى ضرورة تنفيذ المصادرة ، واضاف انه بعد الانتهاء من وضع الخطة يكملها في وزارة المالية والحكومة ، ستعرض ايضا على كتلة المراح في الكنيست . ويبدو ان التخوف من زدة عمل السكان العرب في الجليل ، كان مصدر تحفظ بعض المشركون في النقاش على مخطط المصادرة ( داغار ، ١٩٧٥/٦/١٦ ) .

وعلمنا من جهة اخرى ، ان القرى العربية التي ستعرض اراضيها للمصادرة هي الرينة ، كفر كنا ، ديين حيا ، يابوح ، كسرى ، سخنين ، عرابة ، جولس وبراكا وغيرها ، وتقع معظم هذه القرى في وسط الجليل . وتقدر مساحة الاراضي التي تعتزم السلطات مصادرتها بخمسة الاف حتى عشرة الاف دونم ، « رغم ان المطلوب في هذه المرحلة هو نحو ٣٠٠ الف دونم » لتنفيذ خطة تهويد الجليل باكملها ( تسفي ، التبليغ في داغار ، ١٩٧٥/٧/٢١ ) . ويظهر ان هناك هدفاين لعملية المصادرة هذه . اولهما توسيع الاستيطان اليهودي في الجليل ، وثانيهما ، نقل بعض المصانع التيسكرية من مركز البلاد الى مناطق بعيدة في الشمال ، ثم توسيع مشاريع صناعية قائمة واقامة مناطق وقرى صناعية جديدة ( المصدر نفسه ) .

التيسور - معاريف ، ١٩٧٥/٥/١٨ ) . ويعمل الميثولوجون من الاستيطان في الجليل ، على ايجاد حلول لهذه القضايا بواسطة تنشيط البناء ، وايجاد حلول لمشاكل التعليم ، واضافة وحسدادات زراعية الى المستوطنات ، ثم اقامة صناعات مختلفة لاجاد اماكن عمل للسكان اليهود . الا انه يبدو ان تلك الحلول لم تكن كافية . فبالنسبة لمشاكل السكن « جرى مؤخرا بحث بين ادارة وزارة الاسكان وبين رؤساء مدن الاعماز في الجليل ، بشأن زيادة البناء في الشمال . ودار الحديث خلال هذا البحث حول زيادة نسبة البناء التي تخصصها وزارة الاسكان للجليل من ١٦٪ الى ٢٢٪ . . . كذلك كانت وزارة المعارف والثقافة قد وعدت منذ سنتين بتقوية شبكة التعليم في الجليل بواسطة احضار معلمين جديدين ، يمكنهم السكن في المنطقة نفسها . الا انه لم يحدث تقدم في هذا الموضوع ، وربما بسبب مشاكل السكن » ( يهودا اريئيل - هارتس ، ١٩٧٥/٧/١١ ) . اما بالنسبة لاقامة المصانع ، « فقد بدأت تظهر في معلوت ، شلومي ، كرميتيل ومحاناييم المبانى الصناعية ، وينتظر انتقال المصانع اليها . ولكن هل ستوفر لها الطاقة البشرية الكافية للإنتاج ، او انه سيتكرر ما حدث في مصنع جيور ( للجوارب ) في معلوت ، الذي اقيم من اجل سكان معلوت ، ويعمل فيه اساسا ابناء القرى العربية . واية قيمة ستكون لهذه المصانع اذا لم يسكن خبائها في المنطقة ؟ » ( المصدر نفسه ) .

### تهويد الجليل على حساب مصادرة الاراضي العربية

تعتزم الحكومة الاسرائيلية القيام بجولة جديدة من مصادرة الاراضي العربية ، لاصابة مستوطنات جديدة عليها ، او لتسليمها للمستوطنات القائمة لتوسيع رقعة اراضيها ، بهدف تنفيذ خططها الخاصة بتهويد الجليل . وعلمنا عند البحث في عمليات المصادرة المقترحة ، ان الجنرال المتقاعد ميئر زورباغ مدير مديرية عقارات اسرائيل ، اضطر مؤخرا الى فرض جلسة لجنة مصادرة الاراضي القطرية التي يرئسها والتابعة لوزارة ( المالية ) ، وذلك على اثر خلاف شديد بين المديرية وبين مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية شموئيل طوليديانو ، حول حجم المصادرة ( معاريف ، داغار ،

الى ان هذه الظاهرة تتمثل في تأجير الاف الدونمات في الجليل للبدو والعرب من قريتي بسخين وعرابية ( المصدر نفسه ) . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الاراضي كانت ملكا لابناء هذه القرى نفسها في الماضي .

### محاولة اعادة اهالي قريتي اقرت وكفر برعم الى بيوتهم

في الوقت الذي يدور فيه الحديث حول مخطط مصادرة جديد للاراضي العربية ، بدأت ترد الاخبار حول احتمال سماح الحكومة الاسرائيلية بعودة اهالي قريتي اقرت وكفر برعم الى قراهم . وكانت قوات الجيش الاسرائيلي قد طردت اهالي القريتين من منازلهم بعد احتلال قراهم سنة ١٩٤٨ ، ولا زالوا يعيشون كلاجئين في القرى المجاورة في الجليل ، خاصة في قريتي الجش والرامة . ان قصة نضال اهالي هاتين القريتين للسماح لهم بالعودة الى منازلهم معروقة منذ قيام اسرائيل ، وخاصة خلال حكم فولدا مير . الا ان مطالباتهم هذه كانت ترغمض دائما . وكانت الحكومة السابقة قد اتخذت قرارا في شهر تموز ١٩٧٢ يقضي بعدم السماح لاهالي القريتين بالعودة الى منازلهم ، لان ذلك سيؤدي الى خلق سابقة خطيرة في اسرائيل ، بسبب وجود الكثير من القرى التي هجرها سكانها في سنة ١٩٤٨ ، والذين لا زالت اعداد منهم تعيش في قرى اخرى داخل فلسطين مثل سحمانا ، البروة ، الكويكات ، عين حوض ، وام الزينات وغيرها . ويبدو ان هناك اتجاها داخل الحكومة الحالية يطالب بالسماح لهؤلاء العرب بالعودة الى قراهم ، بشرط ان يتخلوا عن المطالبة بازاحتهم التي كانوا يملكونها قبل قيام اسرائيل ، والتي سلمت للمستوطنات المتجاوزة ، ويدعم هذا الاتجاه نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية الاسرائيلي يغئال لون ، الذي قدم مشروع قرار الى الحكومة يقضي بالموافقة على عودة سكان القريتين ، « ولكن هذا القرار ينطبق فقط على اولئك الذين لم يستوطنوا حتى الان بصورة متفق عليها مع الاوساط الحكومية » ( رأيا ، ١٩٧٥/٧/٢٦ ) . وهناك مشروع قرار آخر ، وهو مشروع الوزيرين موشي كول وشلومو روزن ، يدعو الى السماح لعرب اقرت وكفر برعم بالعودة الى القريتين ، دون اية شروط

ومن المعروف ان السلطات الاسرائيلية كانت قد صادرت في الماضي مساحات كبيرة من الاراضي التي يملكها العرب ، تنفيذيا لسياسة تهويد الجليل . فبعد حرب ١٩٥٦ صادرت السلطات نحو ١٢٠٠ دونم من اراضي الناصرة لاقامة مدينة الناصرة العليا عليها ، وكذلك صادرت في سنة ١٩٦١ نحو ٢٠٠٠ دونم من الاراضي الغربية الواقعة في سهل البطوف والقابعة لقريتي عرابية وسبخين ، لاستعمالها في مشروع تحويل مياه نهر الاردن . وفي اواخر السنة نفسها صادرت مساحته ٥١٠٠ دونم من الاراضي التابعة لقرى دير الاسد والبعنة ونحف الواقعة في مركز الجليل على الطريق الرئيسية عكا - صفد ، وذلك لاقامة مدينة كرمييل عليها . وغدا عدا عن الاراضي التي استولت عليها اسرائيل خلال حرب ١٩٤٨ وبعدها ، ثم صادرتها ، من معظم القرى الغربية في الجليل . ويبدو ان الحكومة الحالية ماضية في سياسة المصادرة هذه ، رغم ما اثارته في الماضي من سخط واستنكار شديدين بين العرب .

وفي اطار تقوية الاستيطان في الجليل ، اعلن ايضا ان وزارة الزراعة وقسم الاستيطان في الوكالة اليهودية تدشن مؤخرا حملة قوية « للقضاء على وباء تأجير الاراضي والبساتين [ من قبل اليهود ] للبدو والفلاحين العرب في الجليل الغربي » « معاريف ، ١٩٧٥/٧/٢ » . وقد اعلن مدير قضاء الجليل في الوكالة اليهودية اهرود نحباني ان دائرته ارسلت تعميمات لجميع المستوطنات تحذرهم بها « بان تأجير الاراضي الوطنية للعرب وتسليمهم البساتين من اجل تظليلها وتسويتها يعارض القانون وائظية المؤسسات الوطنية والحركات الاستيطانية » . وكانت حكومة اسرائيل قد عملت في السابق على سن قانون يمنع المستوطنين اليهود من تأجير اراضيهم للعرب او السماح لهم باستغلالها . تحت طائلة مصادرة حقوقهم في تلك الاراضي . ووصف اعضاء بعض المستوطنات في الجليل ، الذين يعارضون تأجير الارض للبدو والعرب في الجليل الغربي ، هذه الظاهرة ، القائمة في الاساس في منطقة طبريا وضواحيها ، بانها خلقت « منطقة استيطان للعرب » ، وانها ظاهرة « سلبية جدا » يمكن ان تضر بالاستيطان اليهودي في الجليل ، واشتاروا

بعدم المطالبة باراضيهم ، لم يقتنع على ما يبدو جميع سكان المستوطنات اليهودية المجاورة ، مثل شوميره ، زرعيت ، ابن مناحم وغورين ، الذين اجتمعوا من اجل البحث في الخطوات التي ينبغي عليهم اتخاذها لمنع عودة اهالي القريتين ( هارتس ) ١٩٧٥/٧/٣١ . وعلم ان شركة مكوروت للمياه قد قامت ببدء خط انابيب مياه لقرتي اقرت وكفر برعم بتصديق من مكتب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، الامر الذي اثار غضب سكان المستوطنات المجاورة ( دانار ، ١٩٧٥/٨/١ ) .

### إمتصاص نعمة العرب

يبدو ان هنسناك تفسرين لموقف الحكومة الاسرائيلية التي قد تسمح بعودة اهالي قرتي اقرت وكفر برعم ، بعد نضالهم الطويل السذي استمر بدون انقطاع منذ قيام اسرائيل . والتفسير الاول هو ان السلطات ترفب في امتصاص نعمة السكان العرب في الجليل على عملية المصادرة المتوقعة ، التي ستؤدي بدون شك الى اثاره موجبة من السخط والامتناع بين العرب في اسرائيل ، والى تأزم في العلاقات القائمة بينهم وبين السلطات الاسرائيلية ، الامر الذي يخشاه المسؤولون عن القطاع العربي .

اما التفسير الثاني فهو ان الحكومة الاسرائيلية لم تعد قادرة على معارضة طلب سكان القريتين ، الذين كسبوا تأييدا كبيرا بين السراي العام ، وداخل الكنيست ايضا ، بحيث لا تستطيع تجاهل هذه القضية بعد الان كما فعلت الحكومات السابقة .

### حنه شاهين

مسيبة . ومع ان الحكومة لم تتخذ حتى الان قرارا رسميا بشأن اعادة اولئك السكان يظهر ان هذا القرار اصبح شبه مؤكد ، بعدما اقتضت الحكومة على ما يبدو بانهم لا يشلكون « خطرا على الامن » ، وان عودتهم لا يمكن ان تخلق سابقة في اسرائيل . وقد علق مستشار رئيسس الحكومة للشؤون العربية ، شموئيل طوليدانو ، على هذه المسألة بقوله : « هناك حديث عن ٢٢ قرية مهجورة ، قد يطالب سكانها السابقون بالعودة اليها . والواقع انه لا توجد ٢٢ قرية مهجورة على غرار اقرت وكفر برعم . . . . . اذا ان معظمها قد دمر كليا ، وفي جزء منها مساكن لليهود ومستوطنات يهودية ، وليس بالامكان المارنة بين قرية اقرت او كفر برعم وبين قرية ابيدت ولم تعد قائمة وسكانها غير موجودين . هناك ٦ - ٧ قسرى من هذا النوع فقط ، اي انها لا تزال قائمة وسكانها يعيشون في اسرائيل » ( المصدر نفسه ) .

اما بالنسبة لموقف اهالي القريتين فيبدو انهم موافقون على العودة الى قراهم والنخلي عن اراضيهم . وعلق احد سكان كفر برعم ، ايوب مطانسن ( في حديث مع دانار ، ١٩٧٥/٧/٣١ ) على هذا الاقتراح بقوله « اننا نعرف ان اراضينا ( ١٢ الف دونم بحسب قوله ) قد وزعت بين الكيبوتسات والمستوطنات في المنطقة لذا لن نستطيع الاعتماد على الزراعة ، لذلك ، يجب الا تخشى هذه المستوطنات والكيبوتسات من سلبها الاراضي التي تقوم بزراعتها . . . . . سننتهي قرية سكنية تعتمد على الصناعة البسيطة ، خاصة وان معظم سكانها مقاولون وعمال بناء او موظفون . . . . . » . الا ان هذا الوعد من جانب الاهالي ،



ومن هنا لوحظ ( كما ورد في أجهزة الاعلام الإسرائيلية ) ان حماس الوند المصري لطرد اسرائيل قد فتر في مؤتمر كيبالا ، مما جعل هذا الوفد يقدم مشروع قرار للمؤتمر بهذا الشأن قبل ان تجدد وفود الدول المشتركة فيه موقفها من مشروع قرار طرد اسرائيل الذي اقترحتته م.ت.ف وتبنته ليبيا . ومشروع القرار المصري ، وان كان قد طالب بتعليق عضوية اسرائيل في الامم المتحدة ، شجع في الوقت نفسه دولا افريقية عديدة على رفض مشروع القرار الليبي ، كما شجع دولا اخرى على رفض المشروعين . وقد اعتبرت معظم الوفود مشروع القرار المصري مشروعاً معاكساً .

ولاحظت صحيفة دانا ( ١٩٧٥/٨/٣ ) شبه الرسمية ان وسائل الاعلام المصرية تتخذ جانب الحذر ، بما يخص بتعليق عضوية اسرائيل ، وتحاول في الواقع ان تبرر دوافع الدول الافريقية - جزائرية ، غابون ، كينيا ، اثيوبيا ، ليبيا وسيراليون - التي عارضت المشروعين في كيبالا . كما ان عددا من المعلقين المصريين ، وبينهم رئيس تحرير صحيفة الاهرام القاهرية اوضحوا يوم ١٩٧٥/٨/٢ ان هناك اسبابا وجيهة للتفكير مرتين في مشروع تعليق عضوية اسرائيل ، لان هذا قد يؤدي الى عدم التزام واحترام اسرائيل لقرارات المنظمة ، وقد يجعل اسرائيل تحصل على تأييد عالمي واسع ، او قد ينتهي الامر بفشل عربي ذريع في التصويت . ومع ذلك يقول بعض المسؤولين المصريين ان التهديد بتعليق العضوية سيثبت قائماً ، اذا لم تتحقق تسوية جزئية مع مصر في المستقبل القريب .

« لقد كان القرار الذي اتخذه مؤتمر كيبالا انجازا كبيرا بكثير من قرار الزعماء الاشتراكيين في ستوكهولم » ففي أوروبا أعلنت دول السوق الأوروبية المشتركة معارضتها للمشروع العربي ، اما في افريقيا فقد فشلت الدبلوماسية العربية بسبب الاختلاف حول مشروع طرد اسرائيل او تعليق عضويتها « ( معارف ، ١٩٧٥/٨/٣ ) .

### حملة اعلامية واسعة

في اطار الحملة الاعلامية الواسعة التي تقوم بها اسرائيل لمواجهة الجيوب العنيفة لطردها من الامم المتحدة ، او تعليق عضويتها فيها ، « اورد رئيس الحكومة يتسحاق رابين يوم ١٩٧٥/٨/١

استقاط موضوع عضوية اسرائيل في الامم المتحدة » ( رأ ، ١٩٧٥/٨/٢ ) .

وتطرقت بعض الدوائر والشخصيات الإسرائيلية الى الاجراءات التي ينبغي على اسرائيل اتخاذها عند طردها من الامم المتحدة او تعليق عضويتها ، فباعن ارون ياريف انه « لا ينبغي على اسرائيل ان تهدد باتخاذ اجراءات معينة ، واعتقد اننا مطالبون بان نشرح لماذا لا يجب ان يتم شيء من هذا القبيل لانه يناقض المبادئ التي تقوم عليها منظمة الامم المتحدة » ( رأ ، ١٩٧٥/٧/١٤ ) .

اما يوسف تكواع فقد اقترح « انه في حال نجاح العرب بمبادرتهم يتوجب علينا ان نستغل الفرصة لتصفية بعض الحسابات . لقد فرض علينا ، مثلا ، الاطار الحالي لمؤتمر جنيف ، وهذه حقيقة تاريخية . كنا دائما نريد مفاوضات مباشرة ، وكنا دائما نعارض اشتراك الدول العربية في جبهة واحدة تقف امامنا في المفاوضات ، كما كنا نعارض دائما في الاشتراك بمفاوضات سلمية مع الدول الكبرى . واعتقد انه من الانضل ان نبدل هذه الشروط وكذلك اطار مؤتمر جنيف حيث المفاوضات مع الدول العربية . لقد فرضت علينا التسويات المتعلقة بقوات الامم المتحدة ، فاسرائيل لم تبادر بفكرة دخول هذه القوات ، كذلك ليس سينا ان تقوم اسرائيل كنتيجة لتعليق عضويتها في الامم المتحدة باعادة ترتيب علاقاتنا مع هذه القوات » ( دانا ، ١٩٧٥/٨/١ ) . ونسب ما ينسب تكواع ان اسرائيل هي التي تهتم عادة اكثر من غيرها بتجديد فترات عمل هذه القوات في المنطقة .

اما النائب شموئيل تامير ( من ليكود ) فقد طلق على امكانية طرد اسرائيل من الامم المتحدة بقوله : « ان طرد اسرائيل من الامم المتحدة هو بمثابة وضعها خارج القانون الدولي » ( معارف ، ١٩٧٥/٧ ) .

لقد اطلقت التصريحات الإسرائيلية الرسمية التي اشترنا لها ، والتي تهدد بوقف المفاوضات ، في اعياب مؤتمر جده واستمرت طوال الفترة التي انعقد خلالها مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في كيبالا ، وركزت كلها على التهديد بوقف المفاوضات وتعليق موافقة اسرائيل على التسوية الجزئية .

لا يعتمدون اطلاقا على الولايات المتحدة» ( ز ا ) ،  
١٩٧٥/٨/١ ) .

ان احدا لم ينجأ بالموقف الاميركي واستخفافه  
بقرار مؤتمر الدول الاسلامية في جده . وبانت  
اسس هذا الموقف عندما أعلن « ان عددا من  
اعضاء الكونغرس الاميركي يتوي تقديم مشروع  
قرار بشأن موضوع طرد اسرائيل من الانتم  
المتحدة لبحثه . وأعلن حتى الان ١٢٦ عضوا من  
الكونغرس عن تأييدهم لمشروع القرار بشأن  
المعارضة الشديدة لطرد اسرائيل او تعليق  
عضويتها ، ولا شك ان مشروع القرار الذي يدعو  
الولايات المتحدة لاعادة النظر في علاقتها بالامم  
المتحدة في حال تعليق عضوية اسرائيل ، سيحظى  
بأغلبية كبيرة في الكونغرس . وقد قدم المشروع  
توماس اونيل زعيم الكتلة الديمقراطية ، وهي  
كتلة الاغلبية . وقال اونيل ان اسرائيل مؤفورة  
الخط ، بسبب المشاعر المؤيدة لها ، ذلك انها  
الخطيف الديمقراطي للولايات المتحدة » ( ز ا ) ،  
١٩٧٥/٧/٣١ ) .

أما وزير الخارجية الدكتور هنري كيسنجر  
فقد علق على هذا الموضوع بقوله : « من المحتمل  
ان تتخذ الجمعية العمومية قرارا بشأن طرد  
اسرائيل . ثم ربط كيسنجر الموضوع باستعراض  
عام للظواهر التي تهدد استمرار وجود الامم  
المتحدة كجهاز جهته المحافظة على السلام في  
العالم . وأضاف انه اذا « استولت » الجمعية  
العمومية على صلاحيات لم تمنح لهما بموجب  
ميثاق الامم المتحدة لتعليق عضوية او طرد دول  
اعضاء ، فان هذا قد يهدد وجود الامم المتحدة  
نفسها » ( داغار ، ١٩٧٥/٧/٢٠ ) .

كذلك « وقع ٢٢٢ من مجموع ٢٣٥ عضوا من  
مجلس النواب الاميركي يوم ٧٥/٨/١ على مذكرة  
تحذر من طرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقيد  
دعت المذكرة الولايات المتحدة الى اتخاذ خطوات  
ضد هذا العمل ، ويعتقد ان هذه المبادرة ستحظى  
خلال فترة قصيرة بتأييد مائة نائب اخر . كما  
ان مشروع قرار سيطرح للتصويت في مجلس  
النواب بعد الاجازة الصيفية ، وكان المجلس قد  
اتخذ قرارا يشجب طرد اسرائيل من الامم  
المتحدة . وقدم عدد من الشيوخ اقتراحا بمنع

وزير الصحة فكتور شملطوف ( من ميام ) للقيام  
بجولة في عدد من دول امريكا الجنوبية وذلك لشرح  
موقف اسرائيل من طردها من الامم المتحدة ،  
ولكسب تأثير بعض هذه الدول ضد المشروع . . .  
ومنتزور شملطوف كولومبيا ، بوليفيا ، البرازيل ،  
اوروغواي وباراغواي » ( داغار ، ١٩٧٥/٨/٣ ) .  
ولم تقتصر الحملة الاسرائيلية على ابغاد الوزير  
شملطوف بل شملت ايضا معظم المؤسسات  
والهيئات اليهودية في امريكا وبريطانيا التي اخذت  
تقوم باتصالات مع نواب في البرلمانات لكسب  
التأييد ضد مشروع الطرد او تعليق العضوية .

كذلك يبدو ان اسرائيل تنوي في اطار هذه  
الحملة القيام بحملة دبلوماسية واعلامية ضد  
الدكتور فالدهايم ، « وذلك لتصرفه المستغرب  
لانه حتى الان لم يتخذ في اية مناسبة موقفا ضد  
المشروع العربي » ( هارتس ، ١٩٧٥/٧/٢٩ ) .  
وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي قام النائب  
ميخا حاريش بارسال مذكرة الى رئيس الحكومة  
يطلبه فيها « ان يعقد فوراً جلسة للجنة السياسية  
للمراج ( التجمع ) لتحديد سياسة لمواجهة النوايا  
العربية الرامية الى طرد اسرائيل من الامم  
المتحدة . وجاء في المذكرة انه اذا علق عضوية  
اسرائيل في الامم المتحدة فعلا بناء على طلب الدول  
العربية ، فان الامر يحتاج الى تمييز جوهري في  
سياسة اسرائيل تجاه الامم المتحدة ومؤسساتها .  
( هارتس ، ١٩٧٥/٧/٢٩ ) .

ومن ناحية ثانية ، اجرى معهد البحوث  
الاجتماعية التطبيقية التابعة للجامعة العبرية في  
القدس استفتاء لمعرفة موقف الاسرائيليين من  
محاولات طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، اظهرت  
نتيجته ان ٦٨ ٪ من الذين اشتركوا في الاستفتاء  
« وافقون من ان الولايات المتحدة ستسامدنا في  
حال قيام العرب بمحاولة لطردنا من الامم المتحدة .  
٥٨ ٪ يعتقدون انه حتى اذا ابعد الوفد الاسرائيلي  
من الجمعية العمومية المقبلة ، فلا ينبغي ان  
تتسحب اسرائيل من المنظمة . ٤٢ ٪ يعتقدون  
بوجوب الانسحاب من الامم المتحدة في مثل هذه  
الحالة بشكل تظاهري . ٥٢ ٪ يعتقدون ان طرد  
اسرائيل من الامم المتحدة امر مستحيل . ٢٤ ٪ لا  
يعتمدون كثيرا على دعم الولايات المتحدة . ٨ ٪

المصري انه ضد طرد اسرائيل « ( داغار ، ٨/٣ / ٧٥ ) .

وأعلنت حكومة استراليا يوم ٧٥/٨/١ انها ستعارض بشدة كل المحاولات الهادفة الى طرد اسرائيل من الجمعية العمومية ومن المؤسسات الاخرى التابعة للأمم المتحدة . وصرح وزير خارجية استراليا « بان بلاده ايدت دائما عضوية اسرائيل في منظمة الأمم المتحدة » وان حكومته قلقة من محاولات طرد اسرائيل ، لان الامر قد يمس بقدرة المنظمة على القيام بدور بناء في المحافظة على السلام في الشرق الاوسط . . . كما أعلنت حكومة نيوزيلندا عن معارضتها لطرد اسرائيل « ( المصدر نفسه ) .

#### الحملة الاسرائيلية المضادة

نتيجة للحملة التي شنتها اسرائيل ضد محاولات طردها من الأمم المتحدة ، حصلت على وعود وبيانات من دول مختلفة ، تندد بمحاولة الطرد وتعد بالعمل والتصويت لصالحها ليس في نطاق مؤتمر الاممية الاشتراكية فقط بل كدول منفردة ، بما في ذلك ، استخدام تفوذها في دول العالم الثالث . وقد شجع هذا الامر يقسحاق رابين لان يكون اكثر تطرفا ويطالب بان تلتزم تلك الدول بموقف معين لمنع مناقشة الموضوع في الجمعية العمومية . ان هذا الانجاز في ستوكهولم ، يعتبر صغيرا اذا ما قورن « بالانجازات » في كيبالا « فقد عبر موظفون في القدس عن ارتياحهم لقيام عدد من الدول الافريقية برفض تعليق عضوية اسرائيل في الأمم المتحدة ، وقالوا اننا سعداء لمعرفة ان عددا من الدول الافريقية اظهرت حكمة سياسية » ( راا ، ٧٥/٨/١ ) .

ليست هذه انجازات اسرائيلية بقدر ما هي انجازات امركية ، بمساعدة بعض الدول العربية ، لصالح اسرائيل ، « فانجازات » كيبالا لم تكن على الاطلاق بفعل النشاط الدبلوماسي الاسرائيلي ، اذ ليس لمعظم الدول الافريقية علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، ولكن خطوات ومشاريع دول عربية ومراهناتها وتبيرياتها جعلت الدول الافريقية الاخرى تختار الطريق الاسهل وهي رفض مشروع طرد اسرائيل او تعليق عضويتها والاكتفاء بمناقشة الدول العربية لزيادة الضغط عليها .

#### مكرم يونس

المساعدات المالية عن الأمم المتحدة التي تطرد من بين صفوفها عضوا دائما كاسرائيل متجاوزة بهذا القانون « ( هارتس ، ٧٥/٨/٣ ) .

وأشارت بعض المصادر الاسرائيلية الى « ان واشنطن ايدت ارتياحها من مؤتمر كيبالا الذي لم يتبن مطالب العرب بطرد اسرائيل او تعليق عضويتها ، بل اكتفى بمناقشة الدول العربية لزيادة الضغط على اسرائيل في الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، وذلك وفقا للمشروع المصري « ( المصدر نفسه ) .

#### ردود فعل عالمية

كان للدعوة الى طرد اسرائيل من الأمم المتحدة ردود فعل في كافة انحاء العالم ، كما أشرنا ، فاعلن على سبيل المثال رئيس الحكومة البريطانية هارولد ويلسون ردا على سؤال مراسل اذاعة اسرائيل « ان بلاده ستعارض طرد او تعليق عضوية اسرائيل ، وليس كما فعلت تجاه جنوب افريقيا . . . » .

وعلق احد كبار موظفي وزارة الخارجية الدانماركية على الموضوع بقوله « قد يكون هذا القرار نهاية الأمم المتحدة » ( راا ، ٧٥/٧/٢ ) . « . . . ونفى مصدر فرنسي مسؤول في هلسنكي الانباء القائلة ان دول السوق الأوروبية المشتركة تندد بمحاولات طرد اسرائيل من الأمم المتحدة ، وقال المصدر ان هذا الموضوع لم يبحث حتى الان » ( المصدر نفسه ) .

وجاء في بيان رئيس حكومة السويد « ان محاولة طرد اسرائيل من الأمم المتحدة ستكون مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ، كما قد يؤدي هذا الامر الى نتائج خطيرة جدا في المستقبل . وأكد ان هذه الخطوة ستكون في غير صالح السلام والاستقرار في الشرق الاوسط . والتزم [ رئيس الحكومة ] باسم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بالعمل على احباط المؤامرة العربية . ويعني هذا ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تحكم في بريطانيا ، ألمانيا الغربية ، النرويج ، هولندا ، الدانمارك والسويد ستبذل جهودا من اجل احباط المؤامرة العربية ، ولن تكتفي هذه الدول بالامتناع عن التصويت ، كما كان متبعا في الماضي . . . وهذا الامر قد يحول دون ركوب السفوفيت العربية العربية ، خاصة بعد ان ظهر من موقف التوند

التي تتركها في أيديهم ، والذين هم في حالة من الضيق الشديد ، [ ٤ ]

## الصناعة العسكرية الإسرائيلية توسع نشاطها

أن يواجهه من عقبات في حالة تجديد القتال له وكل هذه الاعتبارات تدفع الاسرائيليين الى تطوير وتوسيع صناعاتهم الحربية المستقلة .

ان اهتمام اسرائيل بصناعتها الحربية يعكس رغبتها في خلق النواة اللازمة لتطوير الانتاج الحربي في المستقبل ، وذلك لتخفيف حجم الدعم الاميركي المطلوب ، وتوفير جزء من العملة الصعبة ، بل والحصول على مجال منها بواسطة بيع منتجاتها في الخارج . كذلك يساهم هذا النشاط في تطوير الاسلحة والمعدات ، ويزيد من قدرة اسرائيل على اصلاح الاسلحة وصيانتها . خلال الحرب ، ويجعل من الممكن الامادة بسرعة من الاسلحة التي يتم الاستيلاء عليها .

وتعتمد اسرائيل في صناعتها الحربية بهدى كبير على الدعم والمعونة الخارجية ، سواء كان ذلك من ناحية التمويل او الفنيين او الخبرات الفنية . ففي مجال تغطية التكاليف تعتمد اسرائيل على

دعم الشركات العالمية ، وخصوصا الاميركية . ويتشكل رأس المال الاميركي في الصناعات الالكترونية ، مثلا ، بنسبة تصل الى ٦٠ ٪ . وهذا اضافة الى الدعم المالي الذي تقدمه المنظمات الصهيونية العالمية . كما وان معظم الابحاث العلمية التي تجري في اسرائيل يتم تنفيذها بتمويل خارجي . ففي عام ١٩٧١ ، مثلا ،

قام ٤٨ معهدا ومركزا بوضع ٢٦٦ تصميما لصناعات حربية مختلفة بتمويل اميركي . كذلك تقوم حاليا كلية هندسة الطيران في التخنيون ، باجراء ٤٠ بحثا بتمويل خارجي ( دانبار ، ٧٥/١/٢٨ ) .

والهدف من هذه الاحكام تحسين شبكة السيطرة والمراقبة في الطائرة ، وتصميم سيدة تدريب الطيارين ، وتحسين جهاز قيادة الطائرات الذي يعني الطيران من كثير من المهام ( دانبار ، ٧٥/٣/٥ ) . كذلك يقوم التخنيون ايضا بابحاث لتحسين اجهزة التصوير في الطائرات

المقاتلة . وعلى صعيد الخبرات الفنية ، وبالرغم من ان الصناعات الجوية تستوهم جميع اخرجي معهد

عملت اسرائيل ، منذ فترة غير قصيرة ، على بناء قاعدة لصناعة حربية ، كأحد المصادر لتزويد جيشها بالسلح والذخائر والمعدات اللازمة . وعملت في الوقت نفسه ، على اقامة عدد من مراكز وهيئات ومعاهد البحوث التي وصل عددها سنة ١٩٧٢ الى ٤٨ معهدا ومركزا وذلك لتطوير اسلحتها وذخائرها ، او ملاءمتها لمسارح العمليات في الشرق الاوسط . ومن بين مؤسسات البحث والمعاهد التي تقوم بالابحاث العسكرية معهد وايزمان في رحوفوت ، الذي يعمل ايضا في مجال البحوث الذرية ، ومصلحة تطوير وسائل القتال «رغانيل» ، ومعهد الهندسة التطبيقية «التخنيون» في جيفا وغيرها . وقد توصلت الصناعة العسكرية الاسرائيلية حتى الان - حسب ادعاءات الاسرائيليين - الى انتاج وتطوير اكثر من ٥٠٠ نوع من الاسلحة والذخائر المختلفة ، تغطي نحو ٢٠ ٪ من حاجتها .

وكانت الصناعة الحربية قد بدأت نشاطها بصناعة الاسلحة والذخائر الخفيفة كالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية والباونات ، ثم اخذت تصنع ، او تعدل بعض القذائف الصاروخية وتصنع بعض المعدات الاخرى كالغزبات المصمحة والزوارق الحربية والطائرات ، التي تقوم بتجريبها او بنائها .

وهناك اكثر من سبب يدفع الاسرائيليين التي الاهتمام بالانتاج الحربي ، الذي تقدم بقدرات كبيرة ، من حيث الكمية والتنوع ، خصوصا بعد الخطر الفرنسي على تزويد اسرائيل بالاسلحة في اعقاب حرب جزيران ١٩٦٧ . وخلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، اتضح للاسرائيليين ان انتاجهم الحربي غير قادر على تعويض الخسائر الضخمة ، التي تعرضت لها قواهم في الحرب ، او على امداد القوات المحاربة بالذخائر اللازمة لتايعة حرب طويلة ، بحيث اقتنعوا ان مصيرهم أصبح مرهونا بالدعم الاميركي ، مع ما يمكن ان تمارسه امريكا من ضغط تسليحي على اسرائيل ، وذلك بالاضافة الى ارتفاع تكاليف الجسر الجوي ، مع ما يمكن

الهندسة التطبيقية (التخنيون) ، فعلا ، الذي تخرج منه حتى الان نحو ٧٠٠ مهندس يعمل ٨٠ ٪ منهم في الصناعة الجوية ، يبدو ان الصناعة الجوية لا تزال تواجه نقصا كبيرا في الفنيين وذلك « بسبب الهبوط المثلث في عدد الطلاب الثانويين الذين يلتحقون بكلية هندسة الطيران ... ولان ١٠٠ - ١٥٠ خريجاً لا يكونون لسد الحاجة في المستقبل » ( هارتس ، ٧٥/٥/١٢ ) . وفي حين ان الحاجة لكل هؤلاء الخريجين كبيرة ، فقد بدأ اقل من ٧٠ طلبياً دراستهم هذه السنة ، ويتوقع ان يخرج ٧٠ ٪ منهم فقط ، رغم ان الكلية تستطيع استيعاب ١٤٠ طالباً ( المصدر نفسه ) .

لذا فان الصناعة الحربية الاسرائيلية تعتمد ، الى حد كبير ، على الفنيين والاختصاصيين والخبراء الاجانب الذين يتم التعاقد معهم للعمل في اسرائيل ، وفق عقود قصيرة او طويلة الامد ، بغية زيادة المعرفة العملية والخبرة الفنية وتعليم وتدريب الفنيين والاختصاصيين الاسرائيليين .

وفي مجال المعونة الفنية تعتمد اسرائيل على الولايات المتحدة بصورة اساسية ، وذلك بالحصول على تصاميم اسلحة امريكية معينة ونتاجها في اسرائيل ، بعد ادخال بعض التعديلات عليها . ونذكر على سبيل المثال زورق « دفور » وهو « نموذج مطور عن النموذج الامريكي الاصل ، الذي اشترته سلاح البحرية من الولايات المتحدة ، التي تقدمت المعونة الفنية لتطوير الطراز الاسرائيلي من صاروخ جو - جو « شفرير » الذي « اعتمدت اسرائيل عند صناعته على الصاروخ الامريكي جو - جو سايدويندر » ( معاريف ، ٧٥/٥/١٢ ) . وهناك ايضا اسلحة اخرى ، وهو شراء مصانع او وحدات انتاجية كاملة ونقلها الى اسرائيل مثل المصنع الذي ينتج طائرات رجال الاممال « وستد ويند ١١٢٤ » ، وشراء شركة الكترولسيبيس التي تصنع لجهزة اتصال عسكرية . ولم تنجح اسرائيل في بناء طائرة مقاتلة ، الا بعد ان قدمت لها امريكا الدعم الفني المطلوب ، بما في ذلك المحرك الذي يصنع بكامله في امريكا ، وبعد ان سرتت تصاميم هيكل طائرة المراج .

**الاهتمام بالصناعة الجوية**

تعتبر الصناعة الجوية اكبر مؤسسات الصناعة

الحربية الاسرائيلية ، ولها ١٤ مصنعا منتشرة في جميع ارجاء البلاد ( داغار ، ٧٥/٧/٢٢ ) . وتقوم الصناعة الجوية بانتاج الطلبات لحساب وزارة الدفاع بكل فروعها ، وتقيم دورات تدريبية لتأهيل الفنيين ، وتنوي توسيع القوة البشرية العاملة فيها حتى ١٨ الف عامل خلال بضعة اشهر ( معاريف ، ٧٥/٢/١٢ ) . ويبلغ حجم الانتاج في الصناعة الجوية حاليا نحو ٢٠٠ مليون دولار سنويا علاوة على القيمة الاضافية التي تصل الى ٥٠ ٪ . وتنتج هذه الصناعة عدة اصناف من المعدات والاسلحة البرية والبحرية والجوية ، من اجهتها العربات المصفحة والزوارق والبطائرات العسكرية والمدنية وصواريخ سطح - سطح وجو - جو ، ووضع تصاميم الطائرات والمعدات الجديدة والتعديلات المقترح ادخالها على الطائرات الموجودة وصناعة بعض محركات الطائرات العمودية ( هارتس ، ٧٥/٥/١٢ ) . كذلك تنتج هذه الصناعة وسائل مساعدة لسلاح المدرعات ، بناء على طلب مستعجل من الجيش ، من ضمنها سلسلة من قنابل البنادق التي بدأ انتاجها فعلا ، وأنواع من صواريخ المدفعية ، ومحرك لصاروخ سطح - سطح يبلغ مداه ٤٠ كم ، أي ضعف مدى صاروخ فيربيل تقريبا ( معاريف ، ٧٥/٤/٢٣ ) . وذكر مدير الصناعة الجوية ، المهندس شور ، بان « الصناعة الجوية قادرة على تزويد جيش الدفاع الاسرائيلي بمعظم حاجياته من السلاح والذخيرة ، شرط ان تكون هناك خطط طويلة المدى وميزانيات لسنوات عديدة ، ليتم التخطيط والانتاج بشكل منهجي » .

واضاف بان « هناك بعض الاتواع التي تضعف الانتاج فيها ... وقد اقيمت بعد الحرب وحدات انتاج جديدة وقطاع جديد يعنى بتطوير اكانيات انتاج الانواع المتطورة من الذخيرة . وذكر ايضا « ان الصناعة الجوية تبذل الجهود في [تصنيع] جميع انواع المعدات والصواريخ ... وليس هناك صاروخ او تذيعة صاروخية تنتج في البلاد لا تشترك فيها هذه الصناعة » . وفي السنة المالية ١٩٧٤ ارتفع تصدير منتجات هذه الصناعة بنسبة ٥٠ ٪ عن السنة التي سبقتها ، وهناك طلبات للتصدير تبلغ قيمتها ١٢٠ مليون دولار بالاضافة الى اتفاقيات اخرى للتصدير ستوقع قريبا ( المصدر نفسه ) .

تعتبر الصناعة الجوية اكبر مؤسسات الصناعة

السويدية والميغ ٢١ المعدلة بسهولة.. وذكر ايضا بان إحدى الأنواع المتقدمة منها اشتركت في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٤ ملايين دولار ( هارتس ، ٧٤/٤/١٥ ) .

لم تنتشر الصناعة الجوية او سلاح الجو الاسرائيليين تفاصيل كاملة عن الطائرة الجديدة من حيث مهامها ، حمولتها مداها وما شابه ذلك . كذلك لم تنشر تفاصيل عن موعد البدء بانتاجها وعدد الطائرات التي تم صنعها حتى الان ، والعدد الذي استلمه سلاح الجو او العدد الذي اوصى عليه ( المصدر نفسه ) . واعلن موشي ارنس ، الذي كان يشغل مدير قسم الهندسة في الصناعة الجوية ، ان قدرة اسرائيل على انتاج طائرة كغير تفوق قدرة مصانع اوروبية مشابهة ( معاريف ، ٧٥/٧/٢ ) . وذكرت مجلة الصناعة الجوية بياغف ( ٧٥/٧/٢ ) ان طائرة كغير قادرة على نقل حمولة تفوق حمولة الميراج ٥ - ج لان قوة الدفع القوي للكثير تزيد بطن واحد عن الميراج ٥ - ج ، بالاضافة الى ان ابعاد الطائرتين متشابهة . ومن هنا يمكن الافتراض ان كغير تستطيع الاقلاع بحمولة اربعة اطنان مربوطة على سبعة نقاط تعليق خارجية . ونشرت بمخانيه ، مجلة الجيش الاسرائيلي الاسبوعية ( ٧٥/٤/٧ ) المقارنة التالية بين كغير وبين منافساتها :

| كغير           | ميراج اف - ١ (اي) ميغ ٢٣ | الفرنسية       | الامريكية       |
|----------------|--------------------------|----------------|-----------------|
| ٢٤٢            | ٢٤٣                      | ٢٤٣            | ٢٤٢             |
| ٧٤٩٠           | ١٥٠٠٠                    | ١٥٠٠٠          | ٧٤٩٠            |
| ٦٠ الف قدم     | أكثر من ٦٠ الف قدم       | ٦٥ الف قدم     | ٦٠ الف قدم      |
| ١١٤٥           | ١٥ طنا                   | ١٥٤٢           | ١١٤٥            |
| ٤ ملايين دولار | ٧ ملايين دولار           | ٧ ملايين دولار | ٦٤٧ مليون دولار |

بل ربما فشلت في ذلك ، لان الدول الكبرى فقط هي التي تستطيع ان تنتج طائراتها بشكل مستقل ( هارتس ، ٧٥/٤/١٥ ) . وبالاضافة الى طائرة كغير ، تستعد الصناعة الجوية لانتاج اربع طائرات عرغه شهرياً . وتستطيع هذه الطائرة الاقلاع والهبوط من مدرجات قصيرة ، ولاقت نجاحاً كبيراً في دول اميركا

وتأتي الصناعات الالكترونية والمعدنية بمسند الصناعة الجوية من حيث الحجم اذ يبلغ عدد عمالها نحو ٦ الاف عامل وفتي . وتأمل اسرائيل ان ترتفع صادراتها من هذه المنتجات التي ١٧٠ مليون دولار في السنة الحالية . وهناك ايضا مصلحة تطوير وسائل القتال « رغايل » ، التي قامت حتى الان بانتاج اكثر من مئة نوع من المعدات التي يقدر ثمنها بمئات الملايين من الليرات . والمعروف ان « رغايل » هي اكب هيئة للتطوير والبحث العسكري في اسرائيل ، والمشروع الرئيسي الذي قامت به هو انتاج الصاروخ جو - جو « شفير » ، الذي يستخدمه سلاح الجو الاسرائيلي . وتعمل « رغايل » ايضا في انتاج ذخائر الطائرات والالات الحاسبة وشبكات القتال الالكترونية واجهزة اتصال خاصة ومواد متفجرة ( دافار ، ٧٥/٦/٧ ) .

#### اهم المنتجات الحربية

تعتبر طائرة كغير من اهم المنتجات الحربية التي اعلن عنها حتى الان ، وهي تركيب لمحرك الفانتوم ( جي اي ٧٩ ) على هيكل طائرة الميراج ف - ٥ . وكثير طائرة اعتراضية مقاتلة تصل سرعتها الى ٢٢٢ مك ، ويدعي الاسرائيليون انها تفوق الفانتوم في قدرتها على خوض المعارك الجوية ، وبانها تستطيع مواجهة الميراج ف - ١ وطائرة الويغان

وإذا كان انتاج طائرة كغير يسدل على ان اسرائيل قادرة على التوصل الى الاستقلال في جزء لا يستهان به من هذا النوع من السلاح ، كانتاج هيكل الطائرة والشبكات الالكترونية ، ينبغي ان نتذكر ان الطائرة مزودة بمحرك اميركي ، ولولا موافقة ومساعدة الولايات المتحدة لوجدت اسرائيل صعوبة كبيرة في انتاج هذه الطائرة ،

نقل هذه العربة بواسطة الطائرات بسبب وزنها الخفيف نسبياً ، كما ويمكن تغيير تسليحها بناء على طلب الزبائن . ويذكر ان اسرائيل حصلت على عقود كبيرة لبيع هذه المصنعة ، التي كانت قد عرضت في معرض باريس قبل بضعة شهور . كذلك عرضت في المعرض ايضا طائرة رجال الاعمال « وست ويند ١١٢٤ » وطائرة عرفة ، ولم توافق فرنسا على عرض طائرة كثير احتاجا على استخدام تصاميم هيكل المراج لدى بناء هيكل هذه الطائرة . وعرض في معرض باريس ايضا نموذج من شبكة انذار الكترونية ، يبع منها حتى الان بما قيمته ٦ ملايين دولار ، وحاسب صغير لتوجيه الطائرات يثبت في مقصورة القيادة الى جانب الطيار ويساعده على حساب معطيات الاختلاص والظران . وعرض ايضا جهاز يثبت في قبعات الطيارين ويساعدهم على تحديد لحظة القاء القنابل ، وقبعات للطيارين ورجال المدرعات ، مصنوعة من الالياف الزجاجية وجهاز قيادة اوتوماتيكي يقوم بمعظم مهام قيادة الطائرة ، بحيث يجعل الطيار يفتخر للمهام الاساسية . وعرضت ايضا نماذج مختلفة لضواريخ جو - جو من طراز « شفير » ( معاريف ، ٧٥/٥/٢٨ ) .

#### اتفاق الصناعة الحربية الاسرائيلية

بالرغم من تزايد الانتاج الحربي الاسرائيلي ، والجهود المبذولة لتصدير هذه المنتجات فان اسرائيل قد فشلت ، حتى الان ، في تحقيق الاكتفاء الذاتي من حيث النوعية والكمية ولا تزال مضطرة للاعتماد على الولايات المتحدة وذلك بسبب الصعوبات الفنية والمالية والنقص في القوة البشرية وعدم وجود قاعدة صناعية متينة وواسعة . ان انتاج طائرة هجومية حديثة ، مثلا ، يستلزم قاعدة صناعية متشعبة قادرة على انتاج عشرات الالف الاجزاء اللازمة لمل هذه الطائرة ، ويحتاج ايضا الى التكنولوجيا المتقدمة والعصرية فني اكثر من مجال ، ويستلزم تأهيل قاعدة كبيرة من العمال والفنيين .

وتتمثل الصعوبات الاخرى التي تواجهها اسرائيل في احجام اصحاب رؤوس الاموال عن استثمار اموالهم في اسرائيل ، خصوصا بعد خراب ثشرين ١٩٧٣ ، واحجام الفنيين الاجانب عن القدم

اللاتينية ، وخصوصا النموذج العسكري منها . وقد عقدت الصناعة الجوية حتى الان اتفاقيات لبيع ٤٠ طائرة من هذا النوع . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٧٥٠ - ٨٥٠ الف دولار ( دافسار ، ٧٥/٦/٣٠ ) .

كذلك عرضت الصناعة الجوية في مصانعها في اللد طائرة رجال الاعمال النفاثة الجديدة « وست ويند ١١٢٤ » ، وهي نموذج متطور للطائرة السابقة ١١٢٣ ، التي حققت نجاحا في السوق العالمي . ويبلغ ثمن الطائرة الواحدة ٧٥٠ مليون دولار . مقابل ١٨٨ مليون دولار للنموذج السابق . وستنتج الصناعة الجوية من النموذج الجديد ١٨ طائرة في هذه السنة و ١٨ اخرى سنة ١٩٧٦ و ٢٤ سنة ١٩٧٧ و ٢٦ سنة ١٩٧٨ . ويبلغ المدى الاقصى لهذه الطائرة ٤٢٣٠ كم وتحمل ١٠ ركاب بما في ذلك الملاحين ( هارتس ، ٧٥/٥/٥ ) .

كذلك تسلم سلاح البحرية نموذجا متطورا من الزوارق من طراز « دفور » ، التي تم بناؤها في مصانع الصناعة الجوية في بنر السبع . ويستخدم هذا الزورق لحراسة السواحل ولل هجوم ، وهو مسلح بمدفعي ٢٠ ملم بالإضافة الى عدد من الرشاشات ويبلغ طول الطراز الاسرائيلي المعدل نحو ٢٠ مترا وسرعته القصوى ٢٤ عقدة في الساعة ، وهو مزود بمحرك ديزل ، ومبني بشكل يجعله ذو قدرة كبيرة على المناورة والتهرب اذا لزم الامر ( معاريف ، ٧٥/٢/٥ ) . وتبذل الجهود حاليا لتقصير مدة بناء قوارب « ريشف » بنصف سنة . ويبلغ ثمن القارب الواحد من هذا النوع نحو ٤٠ مليون ليرة اسرائيلية وثمن شبكة الاسلحة التي يزود بها مبلغا مشابها ( معاريف ، ٧٥/٢/١٦ ) .

وانتجت الصناعة الاسرائيلية ايضا -مصنعة حربية- اطلق عليها اسم « رابي » ، وتتقوم هذه المصنعة بمدة مهام ، منها نقل الجنود واخلاء الجرحى ، واعمال الدورينة ، وعمليات العصابات ومهام اخرى اثناء القتال . وتتسع العربة الجديدة لثمانية جنود ويمكن تسليحها بمدفع غير مرتد او مدفعين ٢٠ ملم او عدد من البنادق الرشاشة عيار ١٢.٧ و ٧.٦٢ ملم ، ويبلغ سمك جدران الهيكل ٥ ملم من الفولاذ . ويسهل

الاستخفاف بما حققته العدو من إنجازات على هذا المضمار. وثالثها هو غياب دور المؤسسات الاقتصادية في تطوير الاقتصاد الإسرائيلي. **بسمير جريس**

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

اليها ، ونقص المواد الخام وارتفاع اسعارها ، وتقلص شبكة علاقاتها بدول العالم واغلاق اسواق كثيرة في وجهها واشتداد المنافسة العالمية في هذا المجال . ولكن بالرغم من ذلك فإنه لا يجوز

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

www.alarabnews.com

[ \* ]

## احتمال اعلان حالة الطوارئ الاقتصادية في حال عدم وصول المساعدات الاميركية

اليستدروت وارباب العمل ، تمت في نهاية الامر تسويتها ، رغم استياء بعض الاوساط . وكانت اعتراضات اليستدروت قد تلخصت في مطالبتهما بتنفيذ اصلاح الضريبي بشكل لا يمس معه بالدخل الضافي للعاملين ، وكذلك عدم فرض ضريبة على نفقات السفر الى مكان العمل في السيارات العمومية ، ثم تشكيل وحدة خاصة في وزارة المالية لتعميق جباية الضرائب والامتناع عن فرض ضريبة القيمة المضافة خلال هذه السنة (يُدعى صوت آخر وثوث ، ١٩٧٥/٧/٢٣) . أما اعتراضات ارباب العمل فقد اقتضت على عدم الموافقة على ضريبة ارباح رأس المال ، حذبت ما جاء في توصيات لجنة بين - شاحار . الا ان اللجنة المالية التابعة للكنيست ، توصلت الى تسويات بشأن هذه الامور ، قبل طرح مشاريع القوانين على الكنيست للتصديق عليها ، فقررت « الاعتراف » بنفقات الهاتف والسيارات وعدم فرض ضريبة عليها ، بالنسبة للمعاملين المستقلين فقط ( ونسبة محدودة لارباب العمل ) . وكذلك وافقت اللجنة المالية على وجوب المحافظة على الدخل الضافي للعاملين ، بعد البدء بتطبيق اصلاح ، وذلك لحين تجديد اتفاقات الاجور بعد نصف سنة ، الامر الذي امرت عليه اليستدروت بشدة . وقررت اللجنة ايضا ادخال تسهيلات على ضريبة تحسين العقارات ، بالنسبة لشراء مسكن جديد بعد بيع مسكن قديم ، بحيث يكون البائع معفيا من دفع ضريبة تحسين في مثل هذه الحالة ( داغاز ، ١٩٧٥/٧/٢٤ ) . كذلك تم التوصل الى تسوية بين وزارة المالية

يوواجه الاقتصاد الاسرائيلي خلال هذه الفترة عدة مشاكل اقتصادية ملحة ، تتطلب ايجاد حلول سريعة لها . ويلاحظ ان هذه القضايا تستدعي باهتمام معظم الدوائر الاقتصادية والمسؤولين في اسرائيل ، وذلك لما لها من اثر بعيد المدى على مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي وتطوره ، وامكانات خروجه من الازمات الحالية المسيطرة عليه . ويمكن تلخيص هذه القضايا على النحو التالي : (١) البدء بتطبيق اصلاح في الضرائب المباشرة والاستعداد لفرض ضريبة القيمة المضافة ، (٢) البحث في مسألة دفع علاوة على المباشرة وتعميد اتفاقيات الاجور ، (٣) التخفيض البنفي في قيمة الليرة الاسرائيلية ، (٤) بدء سريان مفعول الائتماني التجاري بين اسرائيل والسوق الأوروبية المشتركة ، (٥) مستقبل المساعدات الاقتصادية من الولايات المتحدة .

### البدء بتطبيق قوانين اصلاح في الضرائب المباشرة

ضادق الكنيست بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢١ على قوانين اصلاح في الضرائب المباشرة ، وذلك في القراءتين الثانية والثالثة ، وتقرر البدء بتطبيقها ابتداء من اول تموز الحالي . ويلاحظ ان البحث في هذه القوانين ، سواء في الكنيست او في اللجنة المالية القائمة له ، تم بسرعة ومن خلال تجاوز بعض الاجراءات المتبعة عند سن قوانين كهذه ، لان وزير المالية اراد البدء بتطبيقها ابتداء من اول هذا الشهر . وبرزت خلال البحث في القوانين عدة نقاط خلاف ، خاصة بسبب اعتراضات

كانوا على استعداد للقبول بالإصلاح في شهر آذار الماضي. لم يشعروا بتأثيره الخاص عليهم، والان يشعرون بالظلم بالمقارنة مع جماعات أخرى من العاملين (ل. دافيد - دافار ، ١٩٧٥/٧/١١).

وصف وزير المالية يهوشوع رايبونفيتش تصرف هذه الفئات بقوله : « حدث هجوم من قبل « المفجوعين » ، وحساس كبير من أجل تخليد « الخطأ الخاص » [ بهم ] . ولو انتظرتنا ، ولم نقر هذه الفئات ، لما بقي من الإصلاح شيء » ( في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/١٨ ). وأعلن رايبونفيتش أيضا أن كل من له اعتراض أو شكوى ، باستطاعته التوجه إلى لجنة التقييم ، التي تعمل مهمتها في البحث والتوجيه بإصلاح الخطأ ، وتساؤل عن سبب تصرف هذه الفئات ما دام دخلها الصافي يبقى على حاله . كذلك أعلن وزير المالية أن الحكومة والقطاع العام والبلديات والمؤسسات والمستودعات ستعمل على الاحتفاظ على الدخل الصافي للعاملين فيها ، ولن يكون يوضع أرباب العمل المستقلين إلا التصرف على هذا النحو ( المصدر نفسه ) .

ويبدو ، من ناحية ثانية ، أن القيادة المالية من وراء الإصلاح في الضرائب المباشرة مخدودة جدا ، خاصة على المدى القريب ، سواء بالنسبة للجمهور أو بالنسبة لخزينة إسرائيل . وبصفتها أقوال وزير المالية رايبونفيتش ( في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٧/١٨ ) ستخسر خزينة إسرائيل مبلغ مليار ليرة سنويا نتيجة الإصلاح ، لذا فإن وزارة المالية جادة في الأعداد لفرض ضريبة القيمة الإضافية لكي تعوض عن خسارتها في الضرائب المباشرة . وكان وزير المالية قد أعلن أن « ضريبة القيمة الإضافية ستفرض خلال هذه السنة ، في مطلع تشرين الأول ١٩٧٥ » . لم أقل أبدا أنه سيحدث تخفيض في عبء الضرائب . ففي وضع إسرائيل لا يمكن أن يحدث هذا . هناك وجهان للعملة - تسهيل في الضرائب المباشرة نتيجة الإصلاح ، ثم ضريبة القيمة الإضافية . إن يخفف العبء « ( المصدر نفسه ) » ، إنما على المدى البعيد . فمن المفروض أن يؤدي تعميق جباية الضرائب ، وهو أحد أهداف الإصلاح ، إلى تغطية خسارة خزينة إسرائيل بسبب هذا الإصلاح .

وبين أرباب العمل بشأن ضريبة أرباح رأس المال ، تعرض بموجبها ضريبة على الأرباح الناتجة عن بيع الممتلكات والأراضي والأسمه وأنواع أخرى من الأموال غير المتقولة ، بنسبة أقل من النسبة المقترحة لضريبة الدخل في مستويات الدخل المرتفع ( معاريف ، ١٩٧٥/٧/٢٠ ) .

بعد التصديق على قوانين الإصلاح الضريبي ، قررت وزارة المالية والمستودعات تأليف لجنة متابعة مشتركة للإشراف على تطبيق الإصلاح والمحافظة على مستوى الدخل الصافي للماجورين وتعميق جباية الضرائب . وقد تحدث رئيس لجنة الضرائب في المستودعات يهوشوع فوشنتشينا عن مهمة هذه اللجنة بقوله : « تهتم لجنة اللجنة في دراسة ملائمة ما يتم تنفيذه في مجال إصلاح الضرائب مع التوافق الحقيقية لهذا الإصلاح ، وقرائنة الظواهر التي تتناقض مع المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية من أجل بلورة الموافقة » ( دافار ، ١٩٧٥/٧/١٥ ) .

### أهمية الإصلاح الاقتصادية والاجتماعية

رغم الإرتياح الذي عم أوساطا عديدة في إسرائيل ، بعد نشر تقرير بن - شاحار بشأن الإصلاح في الضرائب المباشرة ، ظهر أثناء عملية بين قوانين الإصلاح ، إن هناك الكثير من التحفظات والاعتراضات حول بنود مخفية ، بين فئات عدة ، كانت تستفيد ماديا من الوضع القائم في مجال الضرائب . ولوحظ أن هناك تحركا بين صفوف هذه الفئات للحفاظ على الحكومة من أجل الحصول على مكاسب معينة في مجيئال تخفيف الضرائب . وكانت أولئ هذه الفئات الصحفيون ، الذين خططوا لإعلان الإضراب في أواخر هبذا الشهر ، إذا لم تستجب مطالبهم بشأن إعفائهم من دفع ضريبة على نفقات الهاتف والسيارة ( معاريف ، ١٩٧٥/٧/٩ ) . وعلق الدكتور امير برنباغ ، المستشار لشؤون الضريبة في المستودعات ، على هذه الظاهرة بقوله أنه اتضح خلال الأسابيع الأخيرة أن عدد الماجورين الذين سيخضع لإجرام الصافي نتيجة الإصلاح أكبر مما كان متوقعا ، حيث تقدر نسبتهم الآن بما بين ١٥٪ من مجموع العاملين ، وكذلك ائبار بزئناع إلى ظاهرة أخرى ، وهي إن أولئك العاملين الذين

ومبيدو أيضا ان أهمية الاصلاح محدودة بالنسبة للجمهور ، خاصة تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تستفيد ، على اي حال ، من الإعفاء في دفع الضرائب ، لذا فان وضعها الان لن يتغير كثيرا ، بل ربما يزداد سوءا « لان المال الذي يمنح للجمهور بيد واحدة ، يجب ان يؤخذ منه باليد الأخرى ، سواء من اجل نغطفية الميزانية او من اجل منع تضخم مالي آخر . ولكن هذا المال سيؤخذ خاصة من اولئك الذين لم يحصلوا عليه ، وذلك بواسطة تقليص الخدمات ، التي يحتاجها محدودو الامكانيات . وبدلا من فرض ضريبة مباشرة على اولئك الذين يتوفر لديهم المال ، ستفرض ضريبة غير مباشرة على الخدمات والمسواد الاستهلاكية الضرورية » ( آشر منيف - داغار ، ١٩٧٥/٦/١٧ ) . لذا فان الاصلاح قد يؤدي الى زيادة الثغرات الاجتماعية القائمة في اسرائيل ، بدلا من تقليصها .

ويبقى السؤال المطروح : هل يمكن ان يساهم الاصلاح في الضرائب المباشرة ، في حل مشاكل اسرائيل الاقتصادية - ابتداء من التضخم المالي والعجز في ميزان المدفوعات ، وانتهاء بانتاجية العمل وتقوية الصناعة ؟ يعتقد الكثيرون ، في هذا المجال ، ان قلة أهمية الاصلاح « كانه في عدم قدرته على شفاء الامراض الاساسية في الاقتصاد الاسرائيلي ، اذ لن يغير توزيع الدخل القومي ، وهناك شك فيما اذا كان سيحقق الهدف المحدود المتمثل في تخفيف العبء عن اصحاب الدخل المتوسط .

#### توصيات لجنة زوسمان بشأن علاوة غلاء المعيشة

تجري مفاوضات الان بين الحكومة واتحاد الصناعيين من جهة وبين المستدرون من جهة اخرى ، حول مجال علاوة غلاء المعيشة التي ينبغي دفعها خلال هذا الشهر ، ثم تجديد اتفاقيات الاجور لنصف سنة اخرى . وكان وزير المالية قد عين لجنة من الخبراء لتمثل الحكومة والمستدرون واتحاد الصناعيين ، برئاسة دكتور سفي زوسمان مدير دائرة البحث في بنك اسرائيل ومضوية كل من يوسف الشيخ ودكتور امير برناع ودافيد فولومب ودكتور بن عامي تسوكرمان ، لدراسة هذه المسألة وتقديم توصيات بشأن تعيين انظمة ثابتة لدفع علاوة غلاء المعيشة خلال كل سنة . « وظهرت الحاجة الى تعيين مثل هذه

ويبدو ايضا ان أهمية الاصلاح محدودة بالنسبة للجمهور ، خاصة تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تستفيد ، على اي حال ، من الإعفاء في دفع الضرائب ، لذا فان وضعها الان لن يتغير كثيرا ، بل ربما يزداد سوءا « لان المال الذي يمنح للجمهور بيد واحدة ، يجب ان يؤخذ منه باليد الأخرى ، سواء من اجل نغطفية الميزانية او من اجل منع تضخم مالي آخر . ولكن هذا المال سيؤخذ خاصة من اولئك الذين لم يحصلوا عليه ، وذلك بواسطة تقليص الخدمات ، التي يحتاجها محدودو الامكانيات . وبدلا من فرض ضريبة مباشرة على اولئك الذين يتوفر لديهم المال ، ستفرض ضريبة غير مباشرة على الخدمات والمسواد الاستهلاكية الضرورية » ( آشر منيف - داغار ، ١٩٧٥/٦/١٧ ) . لذا فان الاصلاح قد يؤدي الى زيادة الثغرات الاجتماعية القائمة في اسرائيل ، بدلا من تقليصها .

ويبقى السؤال المطروح : هل يمكن ان يساهم الاصلاح في الضرائب المباشرة ، في حل مشاكل اسرائيل الاقتصادية - ابتداء من التضخم المالي والعجز في ميزان المدفوعات ، وانتهاء بانتاجية العمل وتقوية الصناعة ؟ يعتقد الكثيرون ، في هذا المجال ، ان قلة أهمية الاصلاح « كانه في عدم قدرته على شفاء الامراض الاساسية في الاقتصاد الاسرائيلي ، اذ لن يغير توزيع الدخل القومي ، وهناك شك فيما اذا كان سيحقق الهدف المحدود المتمثل في تخفيف العبء عن اصحاب الدخل المتوسط .

« ان السلوب الحساب الجديد - قاعدة واسعة مع نسب [ الضريبة ] - اقل عدل - يؤدي الى زيادة الانتاج المنخفض في الصناعة ، ولن يزيد من فائدة ومستوى ادارتها ولا البحث والتطوير ولن يحسن علاقات العمل ، وبالطبع لن يستطيع اصلاح الجودة بين الخدمات والانتاج . وفي احسن الحالات يستطيع الاصلاح ان يشتمل الامور التنظيمية ، وربما يساعد بذلك على تخفيض ضريبة حقيقية » ( تيدي برويس - داغار ، ١٩٧٥/٧/١٠ ) . الا ان هناك من يخالف هذا الرأي ، خاصة بالنسبة لتأثير الاصلاح على انتاجية العمل . فقد ذكر مدير معهد انتاجية العمل يسرائل ميسدان ( في مقابلة منع

شرط أن يرتفع الجدول خلال هذه الفترة بأكثر من خمسة بالمائة ( ٣ ) يلغى « الحد الأعلى » للأجور المتبع لدفع علاوة الغلاء ، بصورة تدريجية (المصدر نفسه ) .

وقد تبنت وزارة المالية توصيات لجنة زوسمان بكاملها ، ويدور البحث الآن حول دفع علاوة غلاء المعيشة حسب هذه التوصيات . وكان وزير المالية راينوفيتش قد أعلن ( في مقابلة مع معاريف ) ، ان دفع علاوة غلاء المعيشة سيتم حسب توصيات لجنة زوسمان ، « اي بين ٩ - ١٠ ٪ ، على حد أعلى من الاجور يبلغ ٣٥٠٠ ليرة . وسيتم إلغاء هذا الحد الأعلى تدريجياً ، بحيث تسري علاوة غلاء المعيشة على الاجر كله » . وأضاف راينوفيتش ان هذه العلاوة ستخضع لضريبة الدخل حسب قوانين الإصلاح الضريبي .

أما بالنسبة لتديد اتفاقات الاجور فما زال البحث دائراً بين الحكومة والهيستدروت وارباب العمل بشأن تمديدتها لنصف سنة أخرى ، اي حتى مطلع كانون الثاني ١٩٧٦ ، ويبدو ان هناك اتفاقاً بهذا الشأن ، رغم ان البعض ، ومنهم وزير المواصلات غاد يعقوبي ( يديعوت احرونوت ) ، يطالب بتمديدتها لسنة كاملة . وقد أعلن وزير المالية انه ينوي تأليف لجنة من الخبراء لدراسة تركيب الاجور ، وأخرى لدراسة مشاكل العمالة في اسرائيل .

رغم اصرار وزير المالية على تطبيق توصيات لجنة زوسمان ، فإن دفع علاوة غلاء المعيشة في الظروف الحالية يسبب ضرراً كبيراً للاقتصاد الاسرائيلي ، لانه سيؤدي الى زيادة الدخل الصافي للعاملين الامر الذي سيؤدي الى زيادة الاستهلاك الفردي ، في الوقت الذي يدعو فيه الجميع الى تقليص هذا الاستهلاك وخفض مستوى المعيشة . وتطرق يعقوب ارنون ، مدير دائرة ضريبة الدخل سابقاً ، الى هذا الموضوع بقوله : « يبدو لي ان دفع علاوة غلاء المعيشة بنسبة ١٠ ٪ على دخل شامل يبلغ ٣٥٠٠ ليرة شهرياً ، سيؤدي الى زيادة الدخل القائم بنحو ملياري ليرة سنوياً ، والدخل الصافي بنحو مليار ونصف المليار ليرة ، بالإضافة الى مليار ونصف مليار ليرة نتيجة الإصلاح في الضرائب . ان زيادة الدخل هذه غير ملائمة لطالبي الامة

اللجنة ، بعد نشر تقرير بن - شاحار ، الذي اوصى بفرض ضريبة دخل عادية على علاوة غلاء المعيشة ، كما تفرض على الدخل . ونتيجة لذلك ، اصبح واضحاً انه يجب ايجاد طريقة جديدة لحساب علاوة الغلاء » ( يتسحاق ديش - معاريف ، ١٩٧٥/٧/٧ ) . وقد اصحت هذه الحاجة ملحة بعد اعلان وزير المالية « بانه لن يوافق على دفع علاوة غلاء كاملة على مجمل الغلاء في الانتصاد ، وخاصة ذلك الناتج عن الخطوات الاقتصادية الطارئة وغلاء الاستيراد . ويرى [ وزير المالية ] ان دفع علاوة غلاء معيشة كاملة ستقوي من سرعة التضخم المالي ... » ( المصدر نفسه ) . اما الموعد المقرر لدفع علاوة غلاء المعيشة فهو ١٥ تموز ، وعلى هذا الاساس قدمت توصيات لجنة الخبراء .

جاء في مقدمة التوصيات التي تقدمتها لجنة زوسمان ان علاوة غلاء المعيشة هي الاداة الوحيدة ، التي يمكن بواسطتها الحفاظ على اتفاقيات الاجور لعدة سنوات في فترة تضخم مالي ، وذلك دون اجراء مناقشات غير منقطعة حول الاجور ، خلال فترة سريان مفعول هذه الاتفاقيات ، وبدون ان تنص على ضرورة دفع تعويض مسبق على ارتفاع الاسعار غير المتوقع في هذه الاتفاقيات . ووضحت التوصيات التي اشتمل عليها التقرير أيضاً ان علاوة غلاء المعيشة ليست حسنة يقدمها ارباب العمل والحكومة الى الهيستدروت « لان الاجر الحقيقي للعاملين حسب اتفاقيات العمل كان سينخفض بسبب التضخم المالي السريع ، الامر الذي يدفع العاملين الى المطالبة بتجديد هذه الاتفاقيات . وبما ان ارباب العمل لا يسرهم تجديدها ، فإن الطريق الوحيدة لمنع الوصول الى وضع كهذا هي الحفاظ على الاجر الحقيقي للعاملين بواسطة علاوة الغلاء . ان علاوة الغلاء تمكن اذن من الحفاظ على اتفاقيات الاجور حتى في فترة التضخم المالي ، ولذلك تعتمد عليها الحكومة وارباب العمل » ( ابراهام كوشنر - دانار ، ١٩٧٥/٧/١١ ) . وتتضمن توصيات لجنة زوسمان بشأن الطريقة الجديدة لدفع علاوة غلاء المعيشة على النحو التالي : ( ١ ) تدفع علاوة غلاء المعيشة بنسبة ٧٠ ٪ من ارتفاع جدول الاسعار للمستهلك ، ( ٢ ) تدفع العلاوة لمدة نصف سنة ،

(المصدر نفسه) . . . وميسر وزير المالية رايبونغيثش الهدف من وراء هذه الطريقة يقول ( في مقابلة مع «معاريف» ، ١٩/٧/١٩٧٥ ) : « انني اعارض اجراء عمليات تخفيض كبيرة في قيمة الليرة تؤدي الى زعزعة الاقتصاد والمجتمع في آن واحد . . . واعتقد ان الطريقة الجديدة تبخنا افضل اداة من اجل تشجيع الصادرات وتنظيم مستوى الاسعار بيننا وبين الدول التي تصدر لها . . . »

وكان من المفروض ، حسب قرار الحكومة ، اجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة خلال الاسبوعين الماضيين ، الا انه يبدو ان اوساط وزارة المالية قررت الانتظار حتى يتم الانتهاء من بحث مسألة غلاء المعيشة وتهديد اتفاقيات الاجور ( ابراهيم كوشنير - دامار ، ٢٠/٧/١٩٧٥ ) .

#### بدء سريان مفعول الاتفاق التجاري بين اسرائيل والسوق الأوروبية المشتركة

بدأ في اول تموز الحالي سريان مفعول الاتفاق التجاري مع السوق الأوروبية المشتركة ، الذي وقعت اسرائيل والسوق خلال شهر ايار الماضي ( انظر « قضيا اسرائيلية » ، العدد ١١ ( ١٨ ) ، ١٢/٧/١٩٧٥ ، ص ٣٦٤ - ٣٧١ ) . وبهذه المناسبة أعلن مدير عام وزارة التجارة والصناعة ، دكتور موشي منكلبوم ، ان الاتفاق مع السوق سيفتح فرصا جديدة أمام الاقتصاد الإسرائيلي ، اذ سيكون بالامكان زيادة حجم الصادرات الاسرائيلية الى أوروبا بنسبة ٢٥ ٪ سنويا خلال السنوات الأربع أو الخمس المقبلة ، بينما لا تتعدى نسبة الاستيراد من السوق ٥ ٪ سنويا فقط . وبهذه الطريقة يمكن تقليص الثغرة في الميزان التجاري بين اسرائيل والسوق ( « دافيسار » ، ١٩٧٥/٧/١ ) . ولكن رغم هذا التفاؤل ، هناك خوف من ان يؤدي انكشاف الصناعة الاسرائيلية أمام المنتجات الأوروبية ، الى « زوال » بعض فروعها بسبب عدم قدرتها على المنافسة . « فن جهة واحدة يفتح الاتفاق مع السوق ، الاستواق الأوروبية أمام الصناعات الاسرائيلية ذات المبادرة والقدرة ، بينما يكشف ممانع اخرى أمام المنافسة القوية التي يمكن ان تؤدي الى « اغلاقها » ( دامار ، ١٩٧٥/٧/١ ) .

المتثلة في تقليل تعلقنا بالاوساط الخارجية « ( دامار ، ١٥/٧/١٩٧٥ ) . ويشير ارتون قائلا ان « حاجة الساعة تتطلب تحسين موقفنا في المستقبل في المجال الاقتصادي تجاه العالم الكبير ، من اجل تحسين احتمالات صمودنا بنجاح اكبر أمام كل ضغط وكل ضائقة نحل بنا في السنين المقبلة . والطريق نحو تحقيق هذا الهدف لا يؤدي الى دفع علاوة غلاء معيشة في تموز ١٩٧٥ . واذا لم يكن أمامنا خيار فينبغي الاكتفاء بدفع هذه العلاوة للطبقات الفقيرة فقط » ( المصدر نفسه ) .

#### فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة تدريجية

مر اكثر من شهر على قرار الحكومة الاسرائيلية بشأن تخفيض قيمة الليرة بنسبة ٢ ٪ ( انظر « قضيا اسرائيلية » ، العدد ١٢ ( ١٩ ) ، ٢٦/٧/١٩٧٥ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٥ ) ولا زالت التلميحات والتفسيرات حول هذا القرار مستمرة ، خاصة وان هناك احتمالا لاجراء تخفيض اخر في قيمة الليرة بين لحظة واخرى . ويبدو ان الهدف الاساسي من وراء عملية التخفيض التدريجية هذه هو فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة نهائية . « فطالما كانت قيمة الدولار في انخفاض فضلت الحكومة الاسرائيلية عدم تحريك اي ساكن من اجل الغاء الارتباط بين الليرة والدولار . وهكذا حققت تخفيضا في قيمة الليرة بالنسبة لأوروبا واليابان ، بدون ان تكون هناك حاجة لان يعلن وزير المالية ذلك . ولكن قيمة الدولار بدأت تتحسن ، وفي كل مرة ارتفعت فيها هذه القيمة ادى الأمر الى تعويم الليرة الاسرائيلية تجاه أوروبا واليابان . ولقد تضررت الصادرات الاسرائيلية نتيجة ذلك ، وكانت هناك حاجة الى زيادة حوافز التصدير » ( شاؤول اغران - معاريف ١٩/٧/١٩٧٥ ) . واتضح اخرا لوزارة المالية بانه لا يمكن الاستمرار في وضع كهذا ، خاصة بعد الارتباط بالسوق الأوروبية المشتركة . « وبما ان اوساط وزارة المالية لا زالت تخشى فك ارتباط الليرة بالدولار بصورة كاملة ، فقد اقترحت التخفيض التدريجي في قيمتها . وبهذه الطريقة يمكن معرفة ما اذا كان الارتباط بالدولار خلال كل شهر هو لمصلحة الليرة الاسرائيلية . واذا اتضح انه لم يكن لمصلحتها - يمكن عندئذ معادلتها بواسطة اجراء تخفيض بسيط في قيمتها »



## (٥) القضية الفلسطينية عسكرية

### النشاط الفدائي في داخل الأرض المحتلة

### والإعدادات العسكرية الإسرائيلية عبر الحدود في جنوب لبنان

التجنون الإسرائيلية (المصدر نفسه) . وأثناء الاشتباك تعرضت ترمى ككر كلاً وعديسة وبليندا لقصف مدفعي إسرائيلي مما أدى إلى وقوع بعض الأضرار (المصدر نفسه) .

وفي ١٩٧٥/٧/١٩ كشفت حركة فتح في مؤتمر صحفي عقده في بيروت تفاصيل عملية جديدة كان متوقعا أن تجري يوم الجمعة ١٩٧٥/٧/١٨ في مطار اللد . وقال ناطق بلسان حركة « فتح » أن « المحاولة التي حاولت القيام بها مجموعة تابعة لحركتنا لم تنجح هذه المرة » . إلا أن المصدر نفسه قال « لكننا سندخل مطار اللد في المرة المقبلة أو المرة التي بعدها » . ثم قال « أن مجرد وصول الثوار إلى ابنة المطار هو عمل ضخم في حد ذاته بسبب إجراءات الأمن المضروبة حول المطار » . ثم أبرز مغلف يحوي تفاصيل العملية داخل المطار . (النهار ١٩٧٥/٧/٢٠) .

وتجدر الإشارة أن مصادر إسرائيلية قد أعلنت يوم ١٩٧٥/٧/١٩ أن شرطيين من حرس الحدود كانا قرب الحاجز على مدخل المطار قائما بالقاء القبض على شخصين عربيين بعد الاشتباه بهما لإدعائهما بأنهما إنما يجيدان نطق اللغتين الفرنسية والانكليزية . وتقول المصادر نفسها أن الشرطيين عندما اشتبها بالشخصين طلبا من أحدهما دخول غرفة التفتيش ولما طلب منه إبراز هويته ، عندها اتضح أنها من نابلس . وعلى الفور تم تفتيشهما بدقة حيث عثر بحوزتهما على عبوة ناسفة كانت مخبأة على جسم أحدهما . وعلى الفور استدعي خبير المتفجرات الذي أبطل مفعول العبوة . وقال قائد حرس الحدود في المطار أنه لو نجح العربيان بتنفيذ مهمتهما لوقعت فاجعة كبيرة . ( رأ ٨٦٧ - ١٩٧٥/٧/٢١ ) . وفي ١٩٧٥/٧/٢٠ كشفت الشرطة الإسرائيلية النقاب عن العملية وقالت « أن الفدائيين قدما من مدينة نابلس في الضفة

وأصلت طلّاح الثورة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة عملياتها ضد الكيان الصهيوني . ففي ١٩٧٥/٧/١٨ جرت في الجليل الأعلى معركة عنيفة بين الفدائيين والقوات الإسرائيلية استمرت ( ٩ ) ساعات من الساعة ( ٠٢٠ ) فجرًا وحتى ( ١١٤٣٠ ) ظهرا ، واستخدمت فيها البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية ومدافع الهاون ( النهار ١٩٧٥/٧/١٩ ) . وكان بيان عسكري فلسطيني قد صرح أن مجموعة الشهيد ( يوسف كلوسه ) العاملة داخل الأرض المحتلة اقتحمت مستعمرة ( المطة ) من الناحية الغربية وأخذت عددا من الرهائن ووزعت منشورات باللغات العربية والعبرية والانكليزية داخل شوارع المستعمرة تطالب بالافراج عن ( ٢٠ ) مناضلا من بينهم المطران ايلاريون كيوجي . وقد تمكن ثوارنا الانسحاب مع الرهائن إلى البساتين خارج المستعمرة في انتظار اجابة العدو على مطالبهم . الا ان العدو زج قوات كبيرة تساندها طائرات الهليكوبتر مع عدد كبير من آلياته لحاصرة ثوارنا . فدارت معركة عنيفة استخدم فيها ثوارنا الاسلحة الرشاشة الصاروخية والقنابل اليدوية واستمرت حتى الساعة الثانية عشر ظهرا شوهدت خلالها النيران تندلع في منطقة القتال . وفي بيروت أعلن الناطق الفلسطيني عن استشهاد ثلاثة فدائيين في العملية . ( المصدر نفسه ) .

وفي تل أبيب قال ناطق بلسان الجيش الإسرائيلي أن القوات الإسرائيلية قتلت ثلاثة فدائيين عبروا الحدود في الجليل الأعلى . وأضاف الناطق قائلاً بأن جنديا إسرائيليا واحدا أصيب بجروح في المعركة التي دارت على مقربة من المطة . وذكر الناطق أن الفدائيين كانوا مسلحين ببنادق اتوماتيكية وقنابل يدوية ومتفجرات وكانوا يحملون منشورات تطالب بالافراج عن فدائيين محتجزين في

عربية واعتقال أفرادها في الأيام القليلة الماضية في الضفة الغربية المحتلة . وقال ناطق عسكري إسرائيلي : إن إحدى هذه المجموعات وهي تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مؤلفة من تسعة رجال اكتشفت في منطقة طولكرم واعتقل أفرادها بعدما أعترف ثلاثة منهم بوضع دراجة هوائية ملغومة في متجر ناتانيا الساحلي الأسبوع الماضي . وقالت مصادر الجيش والأمن أيضاً أنه اكتشفت شبكة ثانية تابعة لفتح في نابلس في أعقاب توقيف رجلين في مطار اللد يوم ١٨/٧/١٩٧٥ . ثم أضافت هذه المصادر أن المعلومات التي توافرت نتيجة عمليات التفتيش الأخيرة والاعتقالات في الضفة الغربية كشفت خطأ لخطف جنود إسرائيليين للاستيلاء على أسلحتهم . وكان ذكر عن وقوع عمليتي خطف من مثل هذه العمليات عام ١٩٧٣ . وقد قتل في إجدهما جندي إسرائيلي ونزع منه سلاحه . ( المصدر نفسه ) .

ومن جهة أخرى قالت صحيفة « معاريف » الإسرائيلية أن الخلية التابعة لفتح في نابلس أدرجت ضمن عملياتها القيام باختطاف الجنود الإسرائيليين . وزادت الصحيفة أن هذه الخطة كانت تستخدم من واقع أن الغالبية الكبرى من الجنود الإسرائيليين الذين يحصلون على إجازات ينتقلون في البلاد بطريقة ( الأوتوسوب ) . ولزيد من تسهيل عملياتها كانت المجموعة الدنافية تعتزم استخدام سيارات سزودة بارقام إسرائيلية مزورة . وكان الهدف من تنفيذ هذه العمليات هو قتل الجنود المخطوفين أو استخدامهم كرهائن أو الاستيلاء على أسلحتهم في أي شكل ( المصدر نفسه ) .

وفي ٢٣/٧/١٩٧٥ دخلت قوة إسرائيلية بلسدة « كفر كلا » في قضاء مرجعيون ، فاستقبلها المواطنون بالرصاص . وقد دارت معركة في شوارع وأزقة القرية استمرت نحو ساعتين اضرب خلالها عدد غير قليل من جنود العدو ، وحضرت على الفور طائرات الهليكوبتر وأخذتهم . واعترف العدو بسقوط قتيل و ( ٦ ) جرحى بين جنودهم على أيدي الأهالي . وفي أثناء الاشتباك حال الجيش اللبناني دون تطويق البلدة لغضب تجمعاً للعدو وافشل محاولته . وأسفر الاعتداء عن نسف منزلين وجرح امرأة وطفل وخطف ( ٧ ) مواطنين من البلدة . واثناء الاشتباك أقام الإسرائيليون

الغربية المحطة وإن أحدهما يعمل في شركة للسياحة في نابلس ويعرف المطار جيداً » . وزادت « إن الفدائيين كانوا يقيم بهجوم كبير على صالة المسافرين في المطار . وقد وصل الفدائيان في سيارة أجرة إلى مطعم قرب المطار ومن هناك اقتريا مشياً على الإقدام نحو البنى الرئيسي للمطار ، غير أن منظرهما أثار ريبة شرطية في نقطة المراقبة . وظهر من التحقيق إن كلا من الفدائيين كان يحمل شحنة متفجرة ملتصقة بجسده . ( النهار ٢١/٧/١٩٧٥ ) .

وفي ٢٠/٧/١٩٧٥ وقع انفجار في خزان للمياه الساخنة يعمل على الغاز في منزل سكني في القديس ، نجم منه إصابة عدة أشخاص ، كما لحقت أضرار بالطوابق الثالث والرابع والخامس من البنى رقم ( ١١٥ ) في شارع اولتسمان في كريات يوبيل في القديس . ويبدو أن الانفجار وقع في الطابق الرابع . ( رأياً - ١٦٧ - ٢١/٧/١٩٧٥ ) . وفي أعقاب الحادث ، أعلنت بلدية القديس أنها ستؤمن السكن لجميع السكان الذين تضرروا نتيجة الانفجار . وفي ٢٩/٧/١٩٧٥ ذكرت مصادر إسرائيلية أن قبلة يدوية القيت على دورية تابعة لحرس الحدود ، ولم تقع إصابات . ( المصدر نفسه ) .

وفي ٢٠/٧/١٩٧٥ قالت الشرطة الإسرائيلية في تل أبيب أن الفدائيين وضعوا عبوة ناسفة زنتها ( ١٠٠ ) غرام تقريباً ، قرب منزل سكني في أزور في تل أبيب وأن العبوة وضعت في علبة أغذية محفوظة هذا وقالت الشرطة أن التحقيق الذي أجرى أثبت أن العملية كانت عملية تخريبية نفذتها منظمة معادية . وقالت هذه المصادر أنها أفرجت عن ( ١٦ ) شخصاً من المقتلين الأربعة والعشرين الذين تم اعتقالهم يوم الجمعة ( المصدر نفسه ) . وفي ٢١/٧/١٩٧٥ أعلنت حركة الخاتمة في بيروت أن الفدائيين الفلسطينيين دمروا إحدى البنايات السكنية التابعة لوزارة الإسكان قرب تل أبيب وذلك بوضع عبوات ناسفة شديدة الانفجار مما أدى إلى إصابة عدد من أفراد العدو وإصابات مختلفة . ( النهار ٢٢/٧/١٩٧٥ ) .

وفي تل أبيب قالت مصادر الأمن والجيش في ٢١/٧/١٩٧٥ أنه تم اكتشاف ( ٣ ) شبكات تخريب

الباب الرئيسي للمبنى واصابة محتوياته بأضرار كما اشتملت النيران فيه ( النهار ، ١٩٧٥/٧/٢٦ ) .

وفي اسرائيل قامت قوات الشرطة يوم الخميس ١٩٧٥/٧/٢٤ بدوريات وحملات تفتيش مشددة في « ريشيون لثسيون » ووضعت حواجز في كل مداخل المدينة وقتشت سيارات الركاب . كما عملت دوريات بدرعة من الشرطة والمشاة وبعضها بالالبسة المدنية . وقد جرت العملية ضمن نطاق السياسة الجديدة التي اعتمدها اللواء الجنوبي للشرطة لقيام قوات كبيرة من الشرطة بمهام بوليسية خاصة . ( ر.أ.أ. - ٨٧١ - ٧/٢٥ )

بأذى . ( ر.أ.أ. - ٨٧٥ - ١٩٧٥/٧/٢٠ ) .  
- وضمن نطاق حملات محض مدى يقظة سائقي شركة باصات ( ايجيد ) وضع رجال الشرطة عيونات ناسفة زائفة في الباصات وترغفوا تصرفا مشبوها للإطلاع على مدى يقظة السائقين . وبعد وضع المواد الناسفة الزائفة ، رصد رجال الشرطة وضباط الامن تصرفات سائقي الباصات .

وفي وقت لاحق قدمت شكاوى الى محكمة التعاونية الداخلية ضد اربعة سواقين لم يفتشوا باصاتهم وفرضت غرامات بقيمة ( ٢٥٠ ) ليرة على كل سائق وذلك بموجب قرار امانة سر ايجيد . ( ر.أ.أ. - ٨٧٢ - ١٩٧٥/٧/٢٧ ) .

وفي اسرائيل قتلت مصادر الشرطة في ٧/٢٩/١٩٧٥ ان خمس عيارات نارية اطلقت خلال الليل على مفهى محلي في قرية أم الفحم ولم يصب أحد بأذى .

وفي الساعة (٥١٥) من صباح ١٩٧٥/٧/٣٠ اطلقت قذيفة باروكا من الاراضي اللبنانية باتجاه دورية تابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي كانت في الاراضي الواقعة غربي المظلة ولم تقع اصابات وردت الدورية على مصدر النيران بالمثل . ( المصدر نفسه ) .

وفي القدس انفجرت عبوة ناسفة صغيرة يوم الخميس ١٩٧٥/٧/٣١ حوالي الساعة (٥٩٤٥) في محطة باصات ( ايجيد ) وأدى الانفجار الى وقوع اضرار طفيفة ولم يصب أحد بأذى .

وقد ذكر شاهد عيان ، انه كان هناك كيس نيلون عليه عنوان ( المال ) وضع على أحد مقاعد

خارجا على طريق داخل الاراضي اللبنانية واطلقوا النار على شاحنة تنقل تمبا فاصابوا سائقها واثنين كانا فيها . ( النهار - ١٩٧٥/٧/٢٤ ) .

وفي بيروت صرح ناطق لبثاني بما يلي : « في الساعة (٥١٠) من فجر ١٩٧٥/٧/٢٢ عبرت قوات معادية الحدود الجنوبية الى خراج بلدة كفر كلا ووادي حورا في قضاء مرجعيون المتاخمة للاراضي المحتلة .

وفي الساعة (٥١٢٠) تصدت مدفعيتنا لتقاط تجمع العدو واجبقت محاولته المتكررة لتمشيط كامل القرية والمنطقة . وقد ردت مدفعيته طوال ساعتين بقصف مرابطنا ومواقنا المتقدمة . توقف الاشتباك في الساعة (٥٢٠) . وقد هبطت طوافة على مسرح الاشتباكات لنقل عدد من جرحاه . وانسحب العدو تاركا وراءه بعض المتاع والاغراض . وأسفر الاشتباك عن جرح امرأة وطفل وخطف ( ٦ ) مواطنين وتسف منزلين ( المصدر نفسه ) .

وفي تل ابيب قتلت مصادر الجيش الاسرائيلي ان قوة اسرائيلية دخلت الحدود اللبنانية ٧/٢٢/١٩٧٥ واحتجزت ( ٧ ) أشخاص في معركة مع الفدائيين جرت قرب الحدود . وقال الناطق ان جنديا قتل وان ستة آخرين جرحوا في الاشتباك الذي وقع في قرية كفر كلا ( المصدر نفسه ) .

- وفي بيروت ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان الناطق الفلسطيني أصدر بلاغين عمسكين عن عمليتين للثوار الفلسطينيين في داخل الارض المحتلة . ففي العملية الاولى تصب ثوارنا من المجموعات المقاتلة كميناً لدوريات العدو على الطريق الرئيسي بين عكا وصفد . واثناء مرور إحدى السيارات العسكرية المحتلة بالجنود في الساعة (٥٠٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٢٢ فاجأها ثوارنا بالاسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية وتمكنوا من تدمير السيارة وقتل وجرح عدد من أفراد العدو . أما في العملية الثانية قام ثوارنا بوضع عبوة حارقة مؤقتة داخل مبنى بريد بلدة دورا في قضاء الخليل على رغم الاجراءات الامنية الواسمة التي يتخذها العدو داخل البلدة . وقد انفجرت في الوقت المحدد لها في الساعة (٥٢٣٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٢٢ وادى انفجارها الى تدمير

( وفا ) . بتاريخ ١٩٧٥/٨/٣ . ان الطران ايلاريون كجوجي المسجون في اسرائيل أعلن اضرابا عن الطعام في سجنه اعتبارا من ١٩٧٥/٨/١ احتجاجا على سوء معاملته . ( المصدر نفسه ) .

وفي تل ابيب قال ناطق عسكري اسرائيلي في ١٩٧٥/٨/٤ ان جنديا اسرائيليا وقداثيا عربيا قتلوا في معركة جرت في ساعة مبكرة بين دورية اسرائيلية ودورية فدائين في منطقة جبل منور ويقع المكان على بعد ( ٣ ) كيلومتر شمال شرقي كيبوتس ادبيت في الجليل الاعلى . و اضاف ان جنديين اسرائيليين آخرين جرحا في هذه المعركة بينما اسر العضوان الاخران في المجموعة الفدائية التي كانت مؤلفة من ثلاثة أفراد .

وقال مراسل النهار في بنت جبيل ان دورية اسرائيلية تكبدت اصابات عدة في اشتباك مع مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين بين تيربضا وادميت المختلطين على الساحل الغربي من الجليل الى الغرب من مروحين وان فدائيا سقط في المعركة . ووزعت وكالة الانباء الفلسطينية ( وفا ) بيانا جاء فيه « ان المعركة استمرت ١٦ ساعة وان جنديين اسرائيليين قتلوا فيها كما استشهد مقاتل فلسطيني و اسر اثنان وجرح واحد اعادة رفاقه الى قاعدتهم ( النهار ، ١٩٧٥/٨/٥ ) .

- وفي فجر ١٩٧٥/٨/٥ تعرضت منطقة صور لاعتداء اسرائيلي واسع برا وبحرا وجوا . فقد قامت زوارق اسرائيلية بعملية انزال في منطقة ( البصر ) قطعتها بقصف مدفعي كثيف استهدف المسارات العسكرية اللبنانية ايضا ، فسقطت قذيفتان في ثكنة ( بنوا بركات ) العسكرية في صور فقتلت ( ٤ ) ضباط لبنانيين . هذا وردت المدفعية اللبنانية على القصف المدفعي الاسرائيلي بقصف بمخمس مركز كما تصدى الفدائيون والاهلين لقوة الكوماندوس الاسرائيلية التي نزلت من البحر حيث دارت معارك في شوارع المدينة سقط فيها ( ٦ ) مدنيين وطفل . وبعد الظهر اقررت الطائرات الاسرائيلية على مخيم البرغلية ومنطقة بزرج رحال وقصفت بقنابلها وصواريخها المنطقة فاصيب ( ٥٠ ) منزلا كما وقعت ( ٥ ) ضحايا بينها طفلان كما أصيب من جحراء القصف في المنطقة عشرات الجرحى . ( النهار ، ١٩٧٥/٨/٦ ) . وفي تل ابيب أعلن وزير الدفاع

رصيف الباصات المتجهة الى بئر السبع . وكانت هناك سيدها اشتبهت بالكيس فاستدعت سائق الباص الذي شاهد المبيعة في داخله . وعلى الفور تم استدعاء الشرطة . فابعدت جميع الركاب والجمهور . كما ابعدت الباصات الغربية من مكان الكيس . وعندما كان خبير متفجرات الشرطة في طريقه الى المكان ، انفجرت العبوة والحقت ضرا كبيرا بالمعد . ( ر . ا . ا . ١٠١ - ٨٧٦ - ١٩٧٥/٧/٣١ ) .

وفي القدس قالت مصادر عسكرية اسرائيلية في ١٩٧٥/٧/٢٠ ان غريبا من سكان قلنديا العرب ( شمال القدس ) اعتقلوا بتهمة تشكيل خلية تابعة لحركة فتح . وذكرت المصادر ان بين الاعمال التي اتممها الغريق بتنفيذها القاء قنبلة يدوية على سيارة ركاب كبيرة كانت تقل سياحا في قرية العيزرية قرب القدس في شهر كانون الاول الماضي . وقالت مصادر الشرطة انها تشتبه في ان يكون الغريق قام بست عمليات فدائية أخرى .

وكانت مصادر الشرطة قد ذكرت في ١٩٧٥/٧/٢١ انه تم اعتقال افراد ثلاث شبكات عربية في الضفة الغربية .

ومن جهة اخرى قالت الشرطة الاسرائيلية ان ( ٣٥ ) عربيا اعتقلوا ليلة الثلاثاء ١٩٧٥/٧/٢٩ بعد شجار بين العرب واليهود في مغارة الكفيل في الخليل . ( النهار ، ١٩٧٥/٧/٣١ ) .

وفي ١٩٧٥/٨/١ قالت الشرطة في تل ابيب انها اعتقلت شبكة فدائية عربية بقيادة قيادة فياة في الرابعة والعشرين من العمر . و اضافت انه تم اعتقال افراد الشبكة السبعة وبينهم زعيمها وجميعهم من حرب اسرائيل . وان اكثرهم من الطيئلاب تم تجنيدهم في الشبكة التابعة لفتح اثناء وجودهم في اوروبا . ( النهار ، ١٩٧٥/٨/٢ ) .

وفي بيروت دعا تصريح ادلى به عربي عواد أمين المكتب التنفيذي للجبهة الوطنية الفلسطينية في ١٩٧٥/٨/٣ الى تشديد التضامن مع المناضلين المحكومين والمعتقلين في اسرائيل الذين يواصلون اضرابهم عن الطعام لليوم الثالث والعشرين الامر الذي ادى الى تدهور حالتهم الصحية واستعداد الخطر على حياتهم . ( النهار ، ١٩٧٥/٨/٤ ) .

وفي بيروت ايضا قالت وكالة الانباء الفلسطينية

يسجل وقوع خسائر ( المصدر نفسه ) .  
 وفي تل ابيب قال ناطق عسكري اسرائيلي ان  
 ثلاث حرائق نشبت ليل الاربعاء ١٩٧٥/٨/٧ على  
 الحدود اللبنانية مع الأراضي المحتلة ولم تنتسح  
 خسائر في الارواح ، واضاف ان وحدة اسرائيلية  
 دخلت الأراضي اللبنانية بحثا عن فدايين في قريتي  
 حائين وطلوسة الواقعة على بعد ( ٥ ) كيلومترات  
 من الحدود ، ونسف أفراد الوحدة في قرية حائين  
 منزلا عرف صاحبه بتعاونه مع الفدائيين .

وذكر الناطق ان دوريتين اسرائيليتين في قطاعي  
 مرجاليت والمظلة تعرضتا لغزائف البازوكا ونيران  
 الاسلحة الاتوماتيكية . وقال ان القوات الانرائيلية  
 ردت على النار بالمثل ولم تقع أية خسائر . ( المصدر  
 نفسه ) .

ومن جهة أخرى قامت وحدات فلسطينية بتاريخ  
 ١٩٧٥/٨/٧ بعمليات جريئة استهدفت اهدافا  
 عسكرية ومقرات قيادة اسرائيلية في الأراضي  
 المحتلة زدا على قصف العدو لمخيمات اللاجئين في  
 منطقة صور .

فقد اذاعت القيادة العامة لقوات الصاعقة  
 العمليات التالية :

١ - في الساعة ( ٢٢ ) من صباح ١٩٧٥/٨/٧  
 قامت مجموعة من الفدائيين بهجوم مقر القيادة  
 العسكرية في مستعمرة المظلة بالغزائف الصاروخية  
 والاسلحة الفرعية مدعومة برمايات الضواريخ  
 الثقيلة مما أدى الى تدمير مقر القيادة وعلى الأثر  
 دفع العدو بقوات كبيرة لتطويق المجموعة حيث  
 وقعت معركة دامت ( ٣ ) ساعات دمر العدو خلالها  
 دبابة واحدة واليتان نصف مجنزرتين وقرية جيت  
 عسكرية بقيت لكها داخل الأراضي اللبنانية بعد  
 الساعة ٨.٠٠ ) .

٢ - وفي الساعة ( ١.٥ ) من صباح  
 ١٩٧٥/٨/٧ قامت مجموعة أخرى بهجوم أخذ  
 مكان العدو في منطقة زرعت في الجليل الغربي  
 مما أدى الى مقتل جميع أفراد الكمين المماذي  
 ويقدر عددهم بمائة . وعلى الأثر اشتكت هذه  
 المجموعة مع مكان العدو المجاورة . أذ دفع  
 العدو بقواته لتطويق المجموعة فدارت معركة  
 استمرت نصف ساعة تكبد العدو فيها خسائر

الاسرائيلي ثمنون بيريس في مساء ١٩٧٥/٨/٥  
 « ان العمليات الاسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية  
 ليست موجّهة ضد الشعب اللبناني ولا ضد جيشه  
 أو حكومته أو سيادته » : ( المصدر نفسه ) .

ومن جهة أخرى صرح ناطق عسكري اسرائيلي  
 ان الفدائيين اللذين أسرا ليل ١٩٧٥/٨/٣ على  
 الحدود اللبنانية كانوا يقيمون في القدس الشرقية  
 وانتقلا منها الى الأردن ولبنان حيث انضموا الى  
 حركة ( فتح ) . ( المصدر نفسه ) .

وفي فجر ١٩٧٥/٨/٧ دخلت قوتان اسرائيليتان  
 الى بلدة حائين قضاء بنت جبيل وبلدة طلوسة في  
 قضاء مرجعيون . ففي حائين نسفت منزلا وحطفت  
 صاحبه . وفي هذه الاثناء كانت قوات أخرى من  
 داخل الأراضي المحتلة تقصف بالمفجعة بعيدة  
 المدى وادي الصالحاني وتضرب بالرشاشات مدار  
 قرية ( راميه ) وخارجها طوال ثلاث ساعات .

وكانت القوة الاسرائيلية قد حطفت ايضا خمسة  
 مواطنين أعادتهم فيما بعد بعدما ساروا مكبلين  
 الأيدي مسافة كيلومتر خارج البلدة . ( النهار ،  
 ١٩٧٥/٨/٨ ) .

وفي طلوسة دخلت قوة اسرائيلية أخرى القرية  
 في منتصف ليل ١٩٧٥/٨/٧ من الجهتين الشمالية  
 والجنوبية للبلدة بعد اطلاق القوة الاسرائيلية  
 النار بغزارة من اسلحتها الاتوماتيكية . وعلى  
 اثر دخول القوة بدأ الجنود الاسرائيليون يقتحمون  
 المنازل واحدا واحدا ويفتشونها . ثم غادروا  
 القرية بعد ان اصطحبوا معهم مختار القرية وشباب  
 من شياها حيث أطلقوا سراجهما قرب الحدود .  
 ( المصدر نفسه ) .

وفي بيروت صرح ناطق عسكري لبناني ان أحد  
 مراكز الجيش المتقدمة في قطاع الدفاع الغربي تعرض  
 في الساعة ( ١٢٥ ) فجر ١٩٧٥/٨/٧ لتفجيفتي  
 ( اروبجي ) . ولنيران اسلحة رشاشة وبعض  
 الغزائف المنجزة من داخل الأراضي المحتلة ، فرد  
 المركز على النار بالمثل لمدة عشرين دقيقة ولم تقع  
 اصابات وفي الوقت نفسه تسطت قوة مجاذبة الى  
 قرية حائين الحدودية ونسفت منزلا واصطحبت  
 صاحبه معها الى الأرض المحتلة . كما تعرضت  
 بعض الأودية والمرتفعات على امتداد الحدود  
 الجنوبية لعدد من الغزائف المضينة والمتفجرة ، ولم



## ملحق

## الاعتداء على صور في ضوء الاختيارات اللبنانية

والرسمية . يضاف الى هذا ان التصويب الإسرائيلي في قلب ثكنة بنوا بركات قرب صور جاء في مناخ متوتر يحيط بطبيعة المهمات المعسودة للمؤسسات العسكرية اللبنانية . فقد بدأت بعض القوى اللبنانية ، المعنية وطنيا ويوميا بالاعتداءات الاسرائيلية ، تخطو تجربة جديدة وجديده خارج هذا التوتر نفسه ، على شكل استقلال مسلح ومنظم في الدفاع الوطني ، وكانت هذه التجربة الجديدة قد بدأت بصمود بلدة كفرشوبا وبعدها ظهور الحرس الشعبي في بلدة كفر كلا وما يبدو انه مقاومة لبنانية شعبية ، مستقلة عن المؤسسات اللبنانية الدفاعية ، التحقت بطريق النضال الفلسطيني الوطني الاطول . واهمية هذه المقاومة الشعبية اللبنانية المستقلة هي انها تحمل السلاح ضد العدوان الاسرائيلي خارج المؤسسات العربية الرسمية مما سيحررها من قيود كثيرة ، كما انها امتداد لاحزاب عقائدية لها تجاربها الطويلة في التنظيم والعمل الشعبي . كل هذه الخصائص ستعني المقاومة الفلسطينية من بعض الاخطار في الاوساط اللبنانية الشعبية والرسمية . مهما يكن فالثابت حتى الان هو ان التصويب الاسرائيلي في قلب ثكنة بنوا بركات اراد ترسيخ الاستقرار في السياسات اللبنانية للدفاعية عن طريق عودة المؤسسات الاسرائيلية العدوانية الى اعتماد سياسات « اليد الطويلة والعصا الغليظة » العدوانية القمعية والمعادية للشعوب العربية عموما والشعب الفلسطيني خصوصا ، وهي السياسة المقياس ، في حال التخلي عنها نهائيا في الساحة اللبنانية الفلسطينية ، لدى فرض التحول في السياسة الاسرائيلية في موضوع التعايش الديمقراطي في المنطقة ، والثابت ايضا ان التصويب الاسرائيلي سيزيد من التعديلات للوجود الفلسطيني وعلاقاته اللبنانية الشعبية ، وهو ما اتضح في استشهاد الفدائيين الاربعة في الخيمة المنفردة قرب شاطئ صور الشرقي عند مخيم البص للفلسطينيين . لقد تأكد نزول القوات الاسرائيلية على طريق تدخل ضمن السيادة اللبنانية الكاملة ، كما يجب

استشهاد الضباط اللبنانيين الاربعة في ثكنة بنوا بركات في جنوب لبنان ، قرب مدينة صور ، يعيد هذه المرة سياسات لبنان الرسمية الدفاعية ، بطريقة مختلفة من حيث الخطورة ، للبحث والتقرير في الاوساط اللبنانية والعربية والفلسطينية . هذه المرة كان الشهداء الاربعة برتب عسكرية عالية وانتماءات لبنانية متفرقة ومكان اصابتهم ، وهذا كثير الاهمية ، كان في ثكنة بعيدا عن مناطق الحدود المتوترة والخطرة حيث يمكن الاعتداء والتعرض لمواقع دوريات الجيش اللبناني المنقطعة على قاعدة « الخطأ الاسرائيلي غير المقصود » . كما ان التصويب والتهديد الاسرائيلي ظهر دقيقا ومقصودا ضد الخطورة الجديدة . وبالتذائف نفسها أصيب مناخ ووجه السياسات اللبنانية الداخلية ، من المسألة الفلسطينية في لبنان ، والدفاعية الوطنية ، في وقت لم تقو فيه بعد على الاختيار او التوكل . والاختيار اللبناني محكوم اما صوب اعادة صياغة مهمات الجيش اللبناني واعتماد سياسة دفاعية وطنية تتحقق عمليا بقاعدة العمل الفلسطيني الوطني المعادي للمؤسسات الاسرائيلية العدوانية الحالية ، وهو اختيار صعب جدا ومحكوم بايديولوجية اليمين اللبناني المرتبطة بالرأسمالية وسوقها وهي ايديولوجية متخاذلة وطنيا ، وهو اختيار صعب كذلك لانه محكوم بسياسة لبنانية تقليدية تمتد الحياض في المسائل العربية الوطنية وتلتحق في الوقت نفسه بما يطرحه الداخل العربي حيث السوق الاقوى للرأسماليين اللبنانيين التجارية المصرفية والصناعية . ولا يبقى أمام لبنان الرسمي الا الاستمرار في الاختيار الاخر وهو التوكل صوب سياسات « ان قوة لبنان تكمن في ضعفه » وان الطريق البرية السورية « ليست اقصر الطرق » - خصوصا بعد اعادة فتح قناة السويس للملاحة - لوصول الرأسماليين اللبنانيين الى اسواقها في الداخل العربي حيث المصلحة الاقتصادية لهاتين الرأسماليتين وحيث القاعدة العربية التي تقوم عليها سياسات التخالذ الوطني للقوى اللبنانية اليمينية الشعبية

الفكر اليميني اللبناني الفول ، وتأكد ان موقع الخيمة ، قرب بيت عبد الرحمن الخليل ، رئيس بلدية صور وشقيق كاظم الخليل الوزير السابق، لم يكن هدفا عسكريا غالي الثمن يحتاج زخم العملية الاسرائيلية وحججها . بل الادق من ذلك ان المسافة السياسية بين المقاومة الفلسطينية وسلطة آل الخليل ، وهي سلطة تقوم على قاعدة الاقطاع السياسي والحاربة بسبب المنافع والخدمات الفردية ، هي التي كانت الهدف . ولقد سبق ان جرت محاولة لتوتر هذه العلاقات بحوادث اعتداء على شخص عبد الرحمن الخليل نفسه ، وهذا اكثر خطرا من استعداء وتخريض الدولة والاجهزة التي ضعفت ما تبقى من اجهزتها مع دخول سلطة المقاومة الفلسطينية . ففي الوقت الذي حلت فيه المقاومة الفلسطينية في اواخر الستينات على سلطات اقطاعية لبنانية قوية في الريف اللبناني الجنوبي ، حيث العلاقات الاقطاعية هي السائدة في الريف تاريخيا ، بقيت المقاومة الفلسطينية غير راعية وغير قادرة على اضعاف سلطات الاقطاع اللبناني بسلطات شعبية وطنية وديمقراطية عن طريق الاختيار الثوري في التعامل والتسليح والتنظيم ، في هذا الوقت كانت قوى الاقطاع وقوى السلطة الرسمية تحاصر المناخ الذي اوجدته المقاومة حتى لا يتمكن من التغيير والتبديل السياسي . صحيح ان ايجاد تعقيدات شعبية للوجود الفلسطيني في جنوب لبنان اكثر خطورة من التعقيدات مع الدولة او منه في أي مكان اخر من لبنان ، غير ان المقاومة الفلسطينية ربما تكون قد استطاعت منذ مدة حل معادلة الاعتداءات الاسرائيلية التي تقوم على اكمال دور التسوية اليمينية المعادية وعلى توتر علاقات المقاومة

الفلسطينية مع فئات من الشعب اللبناني على قاعدة ضرب مصالح هذه الفئات الاقتصادية ووجودها البشري بدعوى احتضان الوجود الفلسطيني المسلح . فلقد بدأ الفكر الوطني المعادي للعدوانية الاسرائيلية يسود في اوساط غالبية كبيرة من الشعب اللبناني ولم يعد الفكر المتخاذل والمحيد قادرا على اعتماد قاعدة باستثناء بعض التحريصات الطائفية التي بدأت تنهزم بدورها . لكن أخطر ما يواجهه الفكر الوطني المعادي للعدوانية الاسرائيلية هو امكانية ان يثبت لبنان الرسمي في اعتماد سياسات في معالجة الوجود الفلسطيني الوطني في لبنان على قاعدة بعض السياسات العربية التي تسعى لاجل الحاق الفلسطينيين والحركة اللبنانية الشعبية بسياسات تتخلى عن المكاسب التي حققتها في تثبيت سلطة منظمة التحرير الفلسطينية كسلطة وطنية لمعالجة المسألة الفلسطينية وتحقيق سلطة الشعب الفلسطيني الديمقراطية وتدعوها لتقبل سياسات تعيد من جديد اقتسام الشعب الفلسطيني ومصادرة حقوقه الوطنية بين الاسرائيليين والاردنيين بدعوى ان امركة وابرائيل ترفضان التعامل في هذه المرحلة مع منظمة التحرير الفلسطينية . ان اختيار لبنان الرسمي التمسك بسياساته اللادفاعية على قاعدة بعض السياسات العربية نضعف الموقف الفلسطيني ويجعل من احتمالات تفصيل السياسات الاسرائيلية المعادية للشعوب العربية عموما والشعب الفلسطيني خصوصا غير ممكنة من دون حرب جديدة تكون حرب الانتصار للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وليس حرب استعادة بعض الاراضي العربية .

**ناشي طه**

## جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٥ - ١٩٧٥/٨/١٥

| الرقم | تاريخ العملية<br>اليوم | المنطقة | موقعها                   | نوع العملية      | السلح           | الضحايا البشرية | خسائر العدو  | خسائر المقاومة | المصدر |
|-------|------------------------|---------|--------------------------|------------------|-----------------|-----------------|--|----------------|--------|
| ١     | ٧/١٥ -                 | ١٤٤٠٠   | رام الله                 | تفجير عبوة ناسفة | عبوة ناسفة      | —               | تدمير سيارة مدير بنك لومبي وامانية سيارات اخرى بانفراز   | ٧٥/٢٢١         | ٧/١٦   |
| ٢     | ٧/١٥ -                 | ٢٠٤٠٠   | الخالصة                  | قصف              | جسور اريخ ثقيلة | غير محدد        | اصابة واشعال النيران في  | ٧٥/٢٢٧         | ٧/١٦   |
| ٣     | ٧/١٨ -                 | ٢٤٢٠    | الخلطة                   | اعتحام           | اسلحة رشاشة     | غير محدد        | حجز عدد من الرهائن واصابة قعد من الوراق في المستعمرة والعمال النيران فيها  | ٧٥/٢٢٨         | ٧/١٨   |
| ٤     | ٧/٢٠ -                 | ١٤٤٠٠   | العصن/حي كريات يوقيل (١) | تفجير            | عبوات ناسفة     | غير محدد        | تدمير ثلاثة طوابق من مبنى سكني لاجنبيات العجور وتصدمة وتدمير واعطاب عدد من السيارات وطع الاتصال الهاتفي والقباز الكورياتي من المنطقة | ٧٥/٢٢٩         | ٧/٢٠   |
| ٥     | ٧/١٩ -                 | —       | تابلس                    | القاذف ثقيلة     | ثقيلة دورية     | ٥               | اصابة سيارة عسكرية   | ٧٥/٢٣٠         | ٧/٢٠   |
| ٦     | ٧/١٨ -                 | ١١٤٢٠   | بازور/الروحة             | تفجير            | عبوات ناسفة     | غير محدد        | تدمير جزء كبير من مبنى لوزارة الإسكان الصهيونية  | ٧٥/٢٣١         | ٧/٢٠   |
| ٧     | ٧/٢٢ -                 | —       | القدس/حي موشيم           | تفجير            | عبوات ناسفة     | —               | تم اكتشاف العبوات وأبطال بمفرولها  | ٧٥/٢٣٢         | ٧/٢٢   |

|      |        |   |   |  |          |   |                            |           |                             |       |      |    |
|------|--------|---|---|--|----------|---|----------------------------|-----------|-----------------------------|-------|------|----|
| ٧/٢٢ | ٧٥/٢٢٣ | — | — | الاعمال النيران في لوت<br>المخازن الحرسية  | —        | — | موتات حارقة                | تفجير     | نحال كوريم/شرفي<br>عكا      | ١٤٠٠  | ٧/٢٢ | ٨  |
| ٧/٢٥ | ٧٥/٢٢٤ | — | — | اوتدادها لمسك للدروع<br>تدمر سيارة دورية للجدو<br>وقتل وجرح من فيها                    | غير محدد | — | اسلحة رشاشة<br>وتتال يدوية | كمين      | بين عكا ومند                | ٢٠٤٠٠ | ٧/٢٢ | ٩  |
| ٧/٢٥ | ٧٥/٢٢٥ | — | — | تدمر الباب الرئيسي لبني<br>البريد واصابة محتوياته<br>بالفيران والاعمال النيران<br>فيها | غير محدد | — | موتات حارقة                | تفجير     | دورال الخليل                | ٢٢٤٢٠ | ٧/٢٢ | ١٠ |
| ٧/٢٦ | ٧٥/٢٢٦ | — | — | الاعمال النيران في عدة اقسام<br>من مصنع الاعمدة  | —        | — | موتات حارقة                | تفجير     | بناح تكفا                   | ٢٢٤١٥ | ٧/٢٥ | ١١ |
| ٧/٢٦ | ٧٥/٢٢٧ | — | — | الاعمال النيران في احد<br>المخازن الرئيسية واتدادها<br>لخازن مجاورة                    | —        | — | موتات حارقة                | تفجير     | كيتوس عيت/شرف<br>بناح تكفا  | ١٢٤٠٠ | ٧/٢٥ | ١٢ |
| ٧/٢٦ | ٧٥/٢٢٨ | — | — | تدمر واصابة مدد من<br>الباصات في المحطة المركزية                                       | غير محدد | — | موتات ناسفة                | تفجير     | القدس                       | ١٠٤٢٠ | ٧/٢٦ | ١٣ |
| ٨/ ١ | ٧٥/٢٢٩ | — | — | تدمر اجراء من مبنى البلدية   | غير محدد | — | موتات ناسفة                | تفجير     | بيت لحم                     | ١٤٤٢٠ | ٨/ ١ | ١٤ |
| ٨/ ٤ | ٧٥/٢٤٠ | ٢ | ١ | —  | غير محدد | — | اسلحة مخالبية              | المتفجرات | ادبيت واطون                 | ٠٤٤٥  | ٨/ ٣ | ١٥ |
| ٨/ ٥ | ٧٥/٢٤٢ | — | — | اصابة مدد من المشات<br>والاعمال النيران فيها   | غير محدد | — | موتات ناسفة                | تدمر      | الخالصة                     | ٦٤٠٠  | ٨/ ٥ | ١٦ |
| ٨/ ٥ | ٧٥/٢٤٢ | — | — | اصابة مسك. تفكول<br>وهرصد معاد بالفيران  | غير محدد | — | اسلحة رشاشة<br>ومباروخية   | هجوم      | روسة الرما                  | ٨٤٢٠  | ٨/ ٣ | ١٧ |
| ٨/ ٥ | ٧٥/٢٤٤ | — | — | تدمر دبابة وناظرة جيتوف<br>تصف مجنزرة وتدمر عربة<br>مدفع ١٠٦ وتربض رشاش                | غير محدد | — | اسلحة مخالبية              | كمين      | جوتما السجل<br>وشدانة/شيماء | ١٢٢٠  | ٨/ ٥ | ١٨ |

| الرقم       | تاريخ العملية | الساعة            | موقعها          | نوع العملية  | الاستعمال | الذخيرة  | خسائر العدو | خسائر المقاومة | المصدر : |
|-------------|---------------|-------------------|-----------------|--------------|-----------|--|-------------|----------------|----------|
| ١٩ - ٥ / ن  | ٢٤٤٣٠         | الخالصة           | مضيق            | صواريخ ثقيلة | غير محدد  | أصابت عدد من المقاتلات والعمال الليران فيها  | —           | ٥٥/٢٤٥         | ن/٥      |
| ٢٠ - ١٠ / ن | ٦٤٤٥          | دمون/الذخيرة      | تفجير           | عبوات حارقة  | غير محدد  | تدمر جزء كبير من باس لشركة ايجد واصابت من فيه  | —           | ٧٥/٢٤٦         | ن/١٠     |
| ٢١ - ٥ / ن  | ١٥٤٠٠         | نابلين            | تفجير           | عبوة ناسفة   | ١         | تم اكتشاف العبوة أسفل سيارة عسكرية وضد محاولة ابطال مفعولها انفجرت واصابت السيارة بالضرر | —           | ٧٥/٢٤٧         | ن/١٠     |
| ٢٢ - ٢ / ن  | ٩٤٠٠          | ميجان جوتلن/ تيجر | بين جها وقل ايب | عبوات ناسفة  | —         | تتعلق طيات الاطيان من القطن خلع الايب وتعمل حركة السح ثنائي مسافات                       | —           | ٧٥/٢٤٨         | ن/١٠     |
| ٢٣ - ٣ / ن  | —             | الجرلان/ عرب جسر  | كهن             | اسلحة رشاشة  | غير محدد  | تدمر سيارة عسكرية وتبيل وجرح من فيها   | —           | ٧٥/٢٤٩         | ن/١٠     |
| ٢٤ - ١٠ / ن | ٧٤٠٠          | ايلات             | تفجير           | صوبات ناسفة  | غير محدد  | اصابت بعض آلات الذخيرة بالضرر داخل مضج النحاس ( ايها )                                   | —           | ٧٥/٢٥٠         | ن/١٠     |
| ٢٥ - ١٠ / ن | ٢٠٤٠٠         | استوم/جروب        | تفجير           | عبوات ناسفة  | غير محدد  | تدمر باس للفرقة ايجد وتبيل وجرح معظم ركابه   | —           | ٧٥/٢٥١         | ن/١١     |

|      |        |   |   |   |          |              |             |             |      |      |
|------|--------|---|---|---|----------|--------------|-------------|-------------|------|------|
| ٨/١٢ | ٧٥/٢٥٢ | — | — | اصحابه ميثى مسككي<br>للمستوطنين الجدد بالقرار<br>بالعنة       | غير محدد | عبارات ناسفة | تفجير       | طل ايبس (٢) | ٧٤١٥ | ٨/١٢ |
| ٨/١٢ | ٧٥/٢٥٢ | — | — | اصحابه معظم افراد دورية<br>للمدعو بين قتل وجريح               | غير محدد | تهبئة يودية  | الغاء تهبئة | عائز/اللذ   | —    | ٨/٧  |
| ٨/١٢ | ٧٥/٢٥٢ | — | — | حرق منزل أحد مسلمة<br>بيع الاراضي                             | —        | تهبئة يودية  | الغاء تهبئة | بيت جالا    | —    | ٨/٨  |
| ٨/١٢ | ٧٥/٢٥٢ | — | — | اصحابه مركز الاعداد في<br>المتقنرة واحصدي<br>الانشات المسكرية | غير محدد | صواريخ تهبئة | تمصف        | محولا       | ٠٤١٥ | ٨/١٢ |

١ — ادعى المدعو بان الانفجار قد وقع من جراء انفجار خزان المياه الساخنة والحق اضرارا بالغة بثلاث طباقات من ميثى مسككي . ( راجع نشرة رصد  
اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٦٧ ، صفحة ٢٨١ ، بتاريخ ١٩٧٥/٧/٢١ ) .

٢ — ادعى المدعو بان المشاهدة المسكرية قد تدومرت واصيب ٢٤ جنديا بجروح . ( راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٧٩ ، صفحة ٨٦ ،  
بتاريخ ١٩٧٥/٨/٤ ) .

٣ — اعترف المدعو بجرائم الانتحال ، الا انه ادعى بان سببه نزاع حول نقطة احدى الزوجات . ( راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٨٨٦ ،  
صفحة ٢٤٣ ، بتاريخ ١٩٧٥/٨/١٢ ) .

ملاحظة : تصدر البلاغات المسكرية عن الاعلام المسكري في العيادة العامة لغورات الثورة الفلسطينية .





## نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتباراً من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للأذاعة الإسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية ( العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحفيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطمة ، الباحثون الخ ... ) بأخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الجادين ، وأخبار المناطق المحتلة حديثاً بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الإجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الأبحاث بأنها تتضمن تسجيلاً كاملاً ودقيقاً للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات وأقوال الصحف التي تبث من الإذاعة يومياً ، بالإضافة الى تسجيل جميع نشرات الأخبار .

وتطبع النشرة على « الأوفست » لضمان إخراجها بشكل جيد ومربح للقارئ .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يومياً على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، أو بآية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الأبحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبياً للنشرة ( الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه ) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسمائة ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، أو ما يعادل ذلك بالعملة الأخرى ، يضاف إليها أجور البريد : في البلاد العربية ١١ ل.ل. ، في أوروبا ١٥ ل.ل. ، في الأمريكتين ٤٠ ل.ل. ، وفي آسيه وإفريقيه ٣٥ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو .

ترسل الاشتراكات الى :  
مركز الأبحاث ، نشرة الاستماع  
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .



## البنك الشعبي

في خدمة المقاولات الصغيرة والمتوسطة

93 فرعا في أكثر من 60 مدينة

| العناوين                             | البنوك                        |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| 46 شارع الجيش الملكي ، الدار البيضاء | البنك الشعبي المركزي          |
| شارع محمد الخامس ، طنجة              | البنك الشعبي لطنجة            |
| 34 شارع الدرفوفي ، وجدة              | البنك الشعبي لوجدة            |
| 29 شارع علال بن عبدالله ، الرباط     | البنك الشعبي للرباط           |
| شارع محمد الخامس طريق رقم 1 ، فاس    | البنك الشعبي لفاس             |
| 17 شارع محمد الخامس ، مكناس          | البنك الشعبي لمكناس           |
| 48 شارع الجيش الملكي ، الدار البيضاء | البنك الشعبي للدار البيضاء    |
| شارع مولاي اسماعيل ، مراكش           | البنك الشعبي المركزي لمراكش   |
| شارع الحسن الثاني ، أكادير           | البنك الشعبي لأكادير          |
| شارع الجامعة العربية ، الناظور       | البنك الشعبي المركزي للناظور  |
| 41 شارع محمد الخامس ، الحسيمة        | البنك الشعبي المركزي للحسيمة  |
| ساحة محمد الخامس ، آسفي              | البنك الشعبي لآسفي            |
| شارع محمد الخامس ، ورزازات           | البنك الشعبي المركزي لورزازات |

**ma marchandise  
est périssable !  
je veux qu'elle arrive  
plus vite !**

**je veux que mon fret  
arrive intact !**

**je choisis  
Royal Air Maroc**

la compagnie qui me procure  
toutes les satisfactions  
à des prix très abordables.

Royal Air Maroc  
met à ma disposition :

ses Bœings,  
son réseau d'agences au Maroc  
son réseau d'agences en Europe  
son réseau de correspondants  
dans le reste du monde.

**royal  
air  
maroc**



LIGNES INTERNATIONALES DU MAROC

# البنك العربي للمغرب

في خدمتكم

بنك جديد جمع خبرة بنكين كبيرين :

البنك العربي المحدود - من الشرق العربي

البنك الشعبي المركزي - من المغرب العربي

أسس البنكان البنك الجديد برأس مال قدره عشرة ملايين درهم

خطوة كبيرة في توحيد الاقتصاد العربي يدأ بيد ويد الله مع الجماعة .

البنك العربي للمغرب : عمله النقود والاعمال المصرفية على جميع أنواعها .

ان الاقتصاد الحديث مبني على التخطيط والتخطيط يحتاج للدراسات والاستشارات .

فيأدرؤا الى البنك العربي للمغرب

الذي يقدم لكم المشورة والتوجيه

البنك العربي للمغرب : له شبكة من الاتصالات العالية مع البنوك والمؤسسات المالية

كلها تحت تصرفكم .

البنك العربي للمغرب :

الإدارة العامة : 174 شارع محمد الخامس - الدار البيضاء

تلكس 22942

صندوق بريد 810 ، الدار البيضاء

هاتف : 27.39.58

فرع الدار البيضاء : شارع محمد الخامس وناصية حسن الصغير

تلكس رقم 22942

هاتف : 53 ، 52 ، 26.31.51

صندوق بريد 810 ، الدار البيضاء

فرع الرباط : 2 شارع علال بن عبد الله

تلكس رقم 31032

هاتف : 263.14 ، 263.19

263.27

صندوق بريده 440 ، الرباط

العنوان البرقي : عربمغرب ARABMAROC

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

# CONSERVIERIES LAHLOU

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

الدار البيضاء - المملكة المغربية

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

هاتف ٢٣٤٣ - ٢٦٢٥

مصبرات لاهلو

تلکس : ٨١.٤١ - تلغراف : الحلو اغادير

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

● تصبير سمك في العلب - سردين - ماکريل - طون .

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

● ماركة بانوراما - اسكوت .

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

● تصبير في نفس مكان الصبيسد .

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

● سمك طري .

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

مصبرات لاهلو

# الثقافة العربية

تعاملة بشرية أصيلة وتساكر انسانا منتجع

مجلة شهرية جامعية - تصدرها  
المؤسسة العامة للصحافة  
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير: محمد علي الشويهي

حبة من كبار المفكرين  
والكتاب والشعراء العرب

يشترك

في تحريرها

تحتوي ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من  
المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية  
والاقتصادية والعامة، إلى جانب الأبواب  
الثابتة من شعر وقصة وفنون.

ليبيا ١٠٠ درهم • ع.م.ع ١٠٠ مليون • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش  
الكويت ٥٠ فلسًا • الأردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ٥٠ فلسًا  
بني: ريال ونصف • السعودية: ريال ونصف • ابوظبي: درهمان  
مسقط ٢٠٠ يسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليون • الجزائر: دينار  
تونس ١٠٠ مليون • المغرب: درهم ونصف • عدن، هافلسًا • اليمن ١٠٠ بقشة

نعت العدد

في الجمهورية العربية الليبية: ١٠٠٠ درهم ليبي، وفجاج الجمهورية العربية  
الليبية: ١٠٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

الاشتراك السنوي

مجلة «الثقافة العربية» ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.

العنوان

# مجلة الفكر العسكري

أهم الدراسات الاستراتيجية العربية والعالمية  
بأكبر المفكرين العرب والأجانب

- العلوم الحديثة ذات الصبغة الاستراتيجية والأهمية العليا.
- الأخبار والتعليقات من أعرف الضان ومن مختلف الاتجاهات.
- خبرات المحررين - عرض وتلخيص كتاب جديد ... الخ ...

صدر العدد الأول لعام ١٩٧٥ وفيه تطالع

|   |  |
|---|--|
| <ul style="list-style-type: none"> <li>المؤلف عبد الله حبيبي</li> <li>الدكتور حرب فرحات</li> <li>الأستاذ محمد محفل</li> <li>الدكتور ضياء الدين البقوعجي</li> <li>الدكتور محمد عثمان الفجار</li> <li>الدكتور جورج جهور</li> <li>الدكتورة فريدة قاسمية</li> <li>الدكتور عادل الزعيم</li> <li>الدكتور كلادوس كنور</li> </ul> | <ul style="list-style-type: none"> <li>مفهوم الدفاع الوطني</li> <li>الحرب والحضارة</li> <li>الصراع القبطي الروماني في المتوسط الغربي</li> <li>اتخاذ القرار في اطر النماذج الوياضية</li> <li>الادارة والمهام والقوى القيادية</li> <li>مفهوم الاستعمار الاستيطاني</li> <li>مشروع ميكر للصحة والاستيطان اليهودي</li> <li>قرارات حظر تصدير الاسلحة الحربية</li> <li>الكمنون الحربي للدولة</li> </ul> |
|---|--|

مجلة فصلية تصدرها كلية القيادة والذوات في ليبيا (العربي والاسوري)

تباع في المكتبات الكبرى

صدر حديثاً

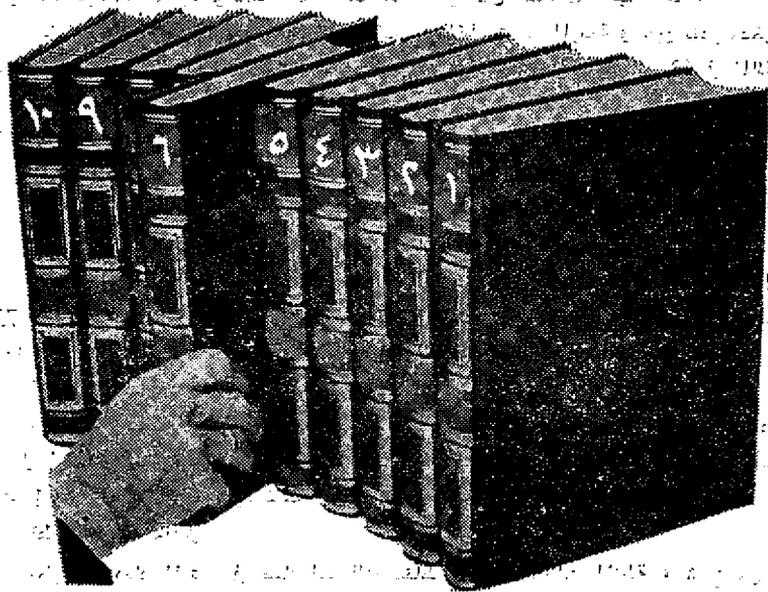
المجلد السنوي  
عام ١٩٧٤



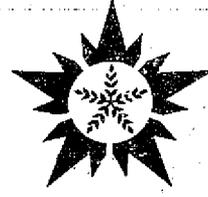
مربيع هام للعاملين في الحقل السياسي  
والسلك الدبلوماسي وأجهزة الإعلام

تطلب المجلات السنوية للسنوات السابقة  
من قسم الاشتراكات - مكتبة الأهرام  
شارع الجيزة - القاهرة

١٠٠٠ صفحة  
١٥٠ قرش



# المكتب الشريف للفوسفاط



## نظرة مجملّة حول المكتب الشريف للفوسفاط

أنشئ المكتب الشريف للفوسفاط سنة 1920 في شكل مؤسسة تابعة للدولة ذات صبغة صناعية وتجارية تتمتع بتنظيم يسمح لها أن تتصرف بنفس الفعالية والبرونة التي تتمتع بها كبريات المؤسسات الحرة .

ويسير المكتب مدير عام معين بموجب ظهر كما يراقب من طرف مجلس اداري مركب من عدة وزراء يرأسه الوزير الاول .

### (1) مناجم الفوسفاط

هناك منجمان هامان : منجم اولاد عبيدون ومنجم غنطور . أما الاول ، وهو من أهم المناجم في العالم ، فيحتوي على :

- منطقة خريبكة — وادي زم ، التي تستغل حاليا .
  - منطقة سيدي حجاج غربيا ، وسيشرع في استغلالها سنة 1980 .
  - وأما منجم غنطور فيحتوي هو الآخر من الغرب الى الشرق على :
  - منطقة اليوسفية التي تستغل حاليا .
  - منطقة ابن جريز التي سيشرع في استغلالها سنة 1977 .
- وهناك مناطق فوسفاطية اخرى أكثر تجزينا نجد احداها بمسكالة جنوب الناحية الواقعة بين الصويرة ومراكش ، وتباشر الدراسات حاليا من أجل استغلالها فيما بعد .
- وينتشر مجويع هذه المناجم على عدة آلاف من الكيلومترات المربعة في حين تقدر مخزراتها بعدة مليارات من الاطنان . وتبثل المناجم المغربية حسب التقديرات حوالي 60 في المائة من المدخرات العالمية المعروفة .

### (2) موانئ الشحن

#### الدار البيضاء

ان ما يقرب من ثلاثة أرباع من الكبيات المصدرة من الفوسفاط يقع شحنها بهيئة الدار البيضاء . وتبلغ طاقة الخزن في هذا الميناء حاليا 400.000 طن موزعة على أنواع اربعة . ولقد بدأ التجهيز المصري بهيئة الدار البيضاء خلال التخطيط الخماسي 1968 — 1972 وسيستمر طوال الحقبة 1973 — 1977 . ويدار هذا الجهاز في مجموعه بواسطة عداد كيربائي . وسترتفع قدرة الشحن من 10 الى 25 مليون طن سنويا .

#### آسفي

يرتكز رواج ميناء آسفي في اقلية على تصدير فوسفاط اليوسفية وعلى واردات وصادرات معمل أسمدة كيموايات المغرب ، وتقريبا على واردات وصادرات معمل المغرب فوسفور رقم 1 و2 وقد تقرر رفع قدرة شحن ميناء آسفي الى 10 ملايين طن في السنة .

#### تطلعات المستقبل

نظرا للازدياد المرتفع في صادرات الفوسفاط خلال السنوات المقبلة ، شرع من الان في تشييد ميناء فوسفاتي جديد ثالث بناحية دكالة قرب مدينة الجديدة بجرف الاصفر وذلك

نظرا لان ميناءي الدار البيضاء وآسفي سيلقيان قدرتهما القصوى في السنوات العشر القادمة ،  
وحرصا على تمكين تحقيق المعامل المستقبلية الخاصة بتحويل الفوسفات ( المغرب فوسفور  
رقم 3 وما سيبعثه ) .

### 3) السياسة الاجتماعية

بذل المسؤولون عن المكتب ، منذ الحصول على الاستقلال سنة 1956 ، جهودا مستمرة  
لتحقيق الرفع من المستوى الاجتماعي لمختلف فئات المستخدمين وعائلاتهم .

وتحتوي التجهيزات ذات الصيغة الاجتماعية التي شيدها المكتب تدريجيا منذ تأسيسه ،  
وخاصة في غضون الخمس عشرة سنة الاخيرة ، على منازل ومستشفيات ومصحات ومدارس  
ومخيمات صيفية وتعاونيات ونوادي وتجهيزات رياضية كاملة وخزانات ومساجد وقاعات  
للمسرح والسينما .

### 4) التكوين المهني

كان المكتب الشريف للفوسفات الى نهاية دجنبر 1972 يضم 13.343 عونا ، وأصبح  
يضم في نهاية 1974 15.600 عونا .

وباعتبار أهمية هذه الاعداد وتطور التقنيات الحديثة ، فإنه ليس من العسير ادراك  
الاسباب التي أدت بالمكتب الى سن سياسة محكمة في ميدان التكوين المهني ووضعها في  
مقدمة الصفوف من أسبقيات . وهكذا ، أنشأت مصالح مكلفة بوضع هذه السياسة وتطبيقها  
ما جعل المكتب يتوفر في الوقت الراهن على :

— مصلحة للتكوين المهني واستكمال التكوين لفائدة التقنيين والاطر المسيرة والعمال

المؤهلين .

— مصلحة لاستكمال تكوين الاطر السامية .

### 5) المنجزات المتوقعة في التخطيط الإنمائي 1973/77

#### الاستخراج

سترتفع الكميات المستخرجة من 16.5 مليون طن سنة 1972 الى 23.9 مليون طن سنة  
1977 ، أي ما يعادل ازديادا سنويا بنسبة 7.8 في المائة .

#### المبيعات

نظرا للتطور المتوقع في الطلب العالمي من الفوسفات والاسمدة الفوسفاتية ، قام المكتب  
بتحديد هدف يرمي الى رفع مبيعاته الاجمالية من 14.16 مليون طن سنة 1972 الى 26  
مليون طن في سنة 1977 ، أي ما يعادل ارتفاعا يقدر بـ 13 في المائة .

وستظل الصادرات أهم هذه المبيعات ( 22.6 مليون طن سنة 1977 ) ، غير ان المبيعات  
على الصعيد المحلي ستعرف ارتفاعا أسرع اذا ما أخذنا بعين الاعتبار النسبة المئوية . اذ  
ستنتقل هذه الكميات من 670.000 طن سنة 1973 الى 4 ملايين طن في سنة 1977 .

#### استثمار الفوسفات وتقييمه

ان الارتفاع السريع الذي تعرفه مبيعات المكتب على الصعيد المحلي كما يتبين ذلك مما  
سبق ، لراجع الى السياسة المتبعة في الاستثمار المحلي للفوسفات المتركة على :

— إنشاء وحدتين لصنع الحامض الفوسفوريك هما المغرب فوسفور رقم 1 والمغرب

فوسفور رقم 2 اللذين سيبلغ انتاجهما الاجمالي مليون طن في السنة من P 205

ستتصدر جميعها . أما انتاجهما فسيبدأ في غضون النصف الثاني من سنة 1975

بالنسبة للمعمل الاول وفي بداية سنة 1977 للمعمل الثاني .

— مضاعفة قدرة شركة كيباويات المغرب ثلاث مرات ، هذه الشركة التي أصبحت تتعاطى

صناعة الاسمدة المركبة زيادة على الاسمدة الفوسفاتية .

## الطريق

مجلة الثقافة التقدمية والفكر المحرر

تجدونها في مطلع كل شهر في جميع المكتبات

اشتركواكم في الطريق مساهمة في نشر الفكر والثقافة التقدميين ومتابعة  
الانتاج في الميادين النظرية في الاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والنقد  
والادب والفنون والتربية

بالارتباط مع الحركة التحررية والثورية في لبنان والاقطار العربية والعالم

الاشتراك السنوي :

٦ دناتير في العراق والخليج العربي

٤٠٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية

٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

٢٠ ل.ل. للطلاب

١٠٠ ل.ل. للدوائر الرسمية والمؤسسات

٢٥ ل.ل. في كافة البلدان العربية والاجنبية

٢٥ قرشا لبنانيا او ما يعادلها

سعر النسخة :

تقبل الاشتراكات في مكاتب المجلة : بيروت ، كورنيش بشارة الخوري ، بناية جراب  
ص.ب ٩١٢ ، هاتف ٢٣١٩٧٧

وفي مكتبة دار الفارابي ، بيروت ، بناية سيتي سنتر ، هاتف ٢٥٥٤٨٨

تحرير الحوالات البريدية والمصرفية باسم مجلة الطريق حساب المجلة لدى بنك ليتكس

٢٣٢٥٨٦

# الأقلام

مجلة فكرية عامة تصدرها شهرياً وزارة الاعلام/بغداد

الأقلام مجلة الأدب العربي الجديد

اقرأ في كل عدد قصائد وقصصاً ودراسات  
لأبرز أدباء العربية إضافة إلى رسائل  
ثقافية تغطي النشاطات الإبداعية في  
الشرق والوطن العربي  
والعراق

سعر النسخة

١٠٠ فلسد

لبيرة لبنانية

١٠٠٠ مليم مغربي

١٠٠٠ مليم سوداني

١٠٠ فلسد بحريني

١٥٠ فلسد كويتي

٢٠٠ فلسد تونسي

العراق

لبنان

مصر

السودان

البحرين

الكويت

تونس

المراسلات: العراق / بغداد / وزارة الاعلام - مجلة الأقلام

عندما تفكر في العمل التجاري والمصرفي ففكر في

# البنك الأهلي التجاري

## THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

الإدارة العامة : جده ص.ب (٣٥٥٥) هاتف (٣٢٥٨٠) - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤

Telex 40102 NCBFORX SJ

مواقع فروع البنك الأهلي التجاري داخل المملكة



- البنك الذي يعرفه البستاني لاد معرفة افضل
- تجده في كل مكان ليساعدك من البداية
- علاقات وثيقة مع مراسلين في جميع أنحاء العالم
- شبكة عريضة من الفروع الداخلية
- مؤسسات مالية شقيقة البنك العربي الاوربي

لوكسمبرج - بروكسل - فرانكفورت

بالتعاون مع  
شركة بترول أبوظبي الوطنية

Abu Dhabi National Oil Co. شركة بترول أبوظبي الوطنية

Cable : "ADNOC"

P. O. Box 898 - ABU DHABI

Tel : 45600

برقياً . ادنوك

ص.ب ٨٩٨ - ابوظبي

تلفون : ٤٥٦٠٠



مصفاة ابو ظبي التابعة لشركة بترول ابوظبي الوطنية

تباشر العمل في العمام القادم

تعتبر مصفاة أم النار من أهم المشاريع الصناعية التي تتولى شركة بترول أبو ظبي الوطنية مهمة تنفيذها في الوقت الحاضر . وتقع المصفاة على جزيرة أم النار التي تبعد ٢٥ كم عن مدينة أبو ظبي . وتبلغ تكاليف هذا المشروع حوالي ٤٠ مليون دولار وسيساهم في سد حاجات البلاد الاستهلاكية من الوقود كما انه سيقع العمل لأكثر من ٣٠٠ شخص بين فني وعامل ، هذا الى جانب انه سيخلق الكوادر الوطنية من أبناء الامارات العربية المتحدة والتي تتدرب الان على أعمال المصافي ، مصفاة الزرقاء بالاردن ومصفاة النصر بالاسكندرية .

تتألف مصفاة أم النار من عدة وحدات للتكرير والتحسين فهي تحتوي على أنبوب قطره ٨ بوصة وطوله ١٢٥ كم يضخ فيه البترول الخام من حقول الانتاج الى موقع المصفاة وتحتوي المصفاة على وحدة للتكرير المبدئي للنظف الخام طاقتها ١٥٠٦٠٠ برميل في اليوم وهناك وحدة تنقية البنزين والكروسين وهناك أيضا وحدة انتاج الغاز . وبالإضافة الى هذه الوحدات ، هناك وحدات للخدمات مثل تنقية مياه البحر لتوليد البخار وكذلك التوربينات لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المصفاة علاوة على خدمات الهواء المضغوط الآلات الدقيقة ومياه التبريد ، هذا بالإضافة الى الورش والمخازن اللازمة للقيام بصيانة الآلات والمعدات على أكمل وجه .

ومن المنتظر ان يبدأ إنتاج مصفاة أم النار مع مطلع العام القادم .

# الشركة المغربية للملاحة

رأس مال التجاري : ١.١٨٤.٠٨٨٤.٠٠٠ درهم  
المركز التجاري : ٢٨ شارع ليلى ، الدار البيضاء  
تلفون : ( ٥ خطوط ) ٩١-٤١-٢٤  
تلكس : ٢١٤٧٥٩ - ٢١٤٠٣٩ - ٢١٤٧٠٤

انها السلاح الوطني البحري للمغرب

أهم نشاطاتها :

- النقل البحري بخطوط منتظمة
- النقل لمسافات بعيدة Tramping
- نقل الركاب
- تأجير بواخر
- تأمين واستيداع
- تنسيق البضائع
- سياحة

## وكالات استيداع الشركة

- الدار البيضاء : ٢٢٥ جادة محمد الخامس

هاتف : ٢٢٢٠٠٩

تلكس : ٢١٠٨٠ - ٢٢٢٩٢٦

- طنجة : ٣٤ شارع عبدالله المزي

هاتف : ٢٢٢٤٩ (٠٩)

تلكس : ٢٢٠٤٦

- أفلايين : بنجا أم مرجحيا - شارع محمد الخامس

هاتف : ٢٤٥٢ (٠٨٢) - ٢٤٤٦ - ٢٦٤٦

تلكس : ٨١٨٥٢

- صيبياني : ٩ شارع البريد

هاتف : ٢٢٧٧ (٠٤٦)

تلكس : ٧١٧١٥

## وكالة السفريات

- الدار البيضاء : ٤٣ جادة F. A. R.

هاتف : ٧٥٠٠ - ٧٥١٠٦

تلكس : ٢٢٩٢٥

# البنك المغربي للتجارة الخارجية

يضع تحت تصرفكم :

- احدى أهم شبكة الوكالات في المغرب
- وكالة في باريس ، ٣٧ شارع كومارتان ، باريس ٩

تلفون : ٢١ ٤٤ / ٤٥ ٧٦ ٧٣ .

تلكس : F ١٦٤ — ٦٨

— وكالة في طنجة ، المنطقة الحرة

— مكتب تمثيل في بيروت

— دائرة دراسات وعلاقات خارجية مكاف بتقديم جميع

المعلومات والدراسات الاقتصادية والاحصاءات عن المغرب

ويؤمن علاقات عملكم مع الصناعيين ، المستوردين والمصدرين

في التجارة الخارجية .

البنك المغربي للتجارة الخارجية

٢٤١ ، شارع محمد الخامس ، الدار البيضاء

تلكس : CREREB 21.975/21.079/21.938

شركة البلاستيك المغربية  
**PLASTIQUES MAGHREB**

S.A. CAPITAL GARANTIE DE 1.000.000 DE DIRHAMS

USINES ET BUREAUX

65, Boulevard Danton

TEL : 516 44 41 52 94

CASABLANCA

Adm. Télég. TELSTLAST

R. G. Casablanca 23.660

C. G. D. Rebet 63.777

C. N. S. P. S. 66.722

شركة البلاستيك المغربية

OFFICE DE  
 COMMERCIALISATION  
 ET D'EXPORTATION

مدير ومصدر المنتجات الجيدة  
 مثل :

الحوامض

مركزه :

45 شارع السلحة الملكية  
 ص.ب 259

الأذار البيضاء - المغرب

تلفون الهاتف : 03-241

والسقطن

مكتبة  
 وتسويبات  
 والتصدير



شركة البلاستيك المغربية

شركة البلاستيك المغربية

شركة البلاستيك المغربية

شركة البلاستيك المغربية